



مجموعة التوحيد

المعروف بـ (مجموعة التَّوحِيد النَّجْديَّة)

مجموعة كتب ورسائل

هذا الكتاب سبق طبعه على نفقة صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود
وأعيد طبعه بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة على نفقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م









المعروف بـ (مجموعة التوحيد النجدية)

مجموعة كتب ورسائل

هذا الكتاب سبق طبعه على نفقة صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود
وأعيد طبعه بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة على نفقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

ⓒ الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

سليمان، محمد بن عبدالوهاب

مجموعة التوحيد النجدية - الرياض.

٦٣٦ص، ١٧ × ٢٤سم

ردمك: ٥-٩٠-٦٦٠-٩٩٦٠

١- العقيدة الإسلامية ٢- التوحيد

أ- العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٩/٠٩٨١

رقم الإيداع: ١٩/٠٩٨١
ردمك: ٥-٩٠-٦٦٠-٩٩٦٠



مُقَدِّمَة

الحمدُ لله الذي أمرنا بشكر النِّعم، ووعد الشاكرين بمزيدٍ من فضله العميم، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه.

أمَّا بعدُ، فإنَّ الله- جلَّ وعلا - قد أكرمَنا في هذه البلاد الطيِّبة بجمع كلمتنا تحت راية الإسلام الخالدة «لا إلهَ إلا الله محمدٌ رسولُ الله»؛ فكلمة التوحيد هي الأساس الذي قامت عليه هذه البلاد، واتخذتْها شعاراً لها، ومنهجاً لحياتها، وأساساً لنظامها؛ أكَّد ذلك الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود حين دخل مدينة الرياض في الخامس من شوال سنة ١٣١٩هـ؛ استمراراً للمنهج الذي سار عليه آباؤه وأجداده، المستمَدِّ من كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ.

وقد جاءت فكرة الاحتفال بمناسبة مرور مائة عام على دخول الملك عبدالعزيز مدينةَ الرياض، وتأسيس المملكة العربية السعودية؛ تأكيداً لاستمرار المنهج القويم الذي سارت عليه المملكة العربية السعودية، والمبادئ السَّامية التي قامت عليها، ورصداً لبعض الجهود المباركة التي قام بها المؤسِّس الملك عبدالعزيز - رحمه الله - في سبيل توحيد المملكة؛ عرفاناً لفضله، ووفاءً بحقِّه، وتسجيلاً لأبرز المكاسب والإنجازات الوطنية التي تحقَّقت في عهده وعهد أبنائه خلال المائة عام، والتعريف بها للأجيال القادمة.

وما الأعمال العلمية التي تُصدرها الأمانة العامة للاحتفال بهذه المناسبة إلا شواهد صادقة على نهضة هذه البلاد الزاهرة، في ظلِّ دوحة علمٍ؛ أصولها ثابتة وفروعها نابتة، تولّى غرسَها الملكُ المؤسِّس، وتعهَّدها من بعده بنوه؛ فواصلوا رعايتها حتى امتدَّ ظلُّها، وزاد ثمرها؛ فعمَّ البلادَ خيرُها، وانتفع بها الجميع.

وهذا الكتاب أحد الكتب التي سبق أن أمرَ جلالة الملك عبدالعزيز -رحمه الله- بطبعها ونشرها على نفقته الخاصة؛ مما يعطي دلالة واضحة على اهتمامه بالعلم، وحرصه على نشره، وتكريمه لأهله، وعنايته بطلابه. وقد أمرَ خادمُ الحرمين الشريفين - يحفظه الله - بإعادة طبع هذا الكتاب مع مجموعة من الكتب التي سبق أن أمر بطبعها الملك عبدالعزيز- رحمه الله- لنشرها ضمن فعاليّات الاحتفال بهذه المناسبة المباركة، ورأينا أن تكون هذه الطبعة مشتملة على ما استُجِدَّ على بعض هذه الكتب من تحقيق أو تعليق أو تصحيح.

اللهم إنا نشكرك، ونتحدث بعظيم نعمتك علينا، وقد وعدت الشاكرين بالمزيد، فأدمْها نعمةً، واحفظها من الزوال.

وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمير منطقة الرياض
رئيس اللجنة العليا ورئيس اللجنة التحضيرية
للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة
سلمان بن عبدالعزيز

فهرس

مجموعة التوحيد

النجدية

أمر بطبعها على نفقته صاحب الجلالة السعودية، ومحيي السنة المحمدية



أشرف على تصحيحها وطبعها

السيد محمد رشيد رضا

منشئ مجلة المنار

فهـــرس

مجمل للكتب والرسائل التي تحتوي عليها مجموعة التوحيد

صفحة

صفحة

صفحة

فهرس مفصل لما في الكتب والرسائل، من الأبحاث والمسائل

كتاب التوحيد

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة



النجدية

الكتاب الاول منها

كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد

تأليف شيخ الاسلام، وعلم الاعلام، الامام المجدد

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله تعالى

قوبل طبعه على ثلاث نسخ خطية ونسخة مطبوعة في الهند

أمر بطبعه على نفقته صاحب الجلالة السعودية، ومحي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

الطبعة الاولى في سنة ١٣٤٦ هـ

مطبعة المنار بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

(وبه نستعين)

قال الشيخ الإمام العالم العلامة الحبر البحر شيخ الإسلام علم الأعلام مفتي الأنام محمد ابن الشيخ العالم عبد الوهاب ابن الشيخ العلامة فقيد الحنابلة سليمان بن علي عفا الله عنهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التوحيد

وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ الآية [النحل: ٣٦] وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ الآية [الإسراء: ٢٣] وقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ الآيات [النساء: ٣٦]، وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ الآيات [الأنعام: ١٥١].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد أن ينظر إلى وصيّة محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ الآية [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣] وعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: «يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟» فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا

يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله ألا يعذِّب من لا يشرك به شيئاً».
فقلت: يا رسول الله، أفلا أبشِّر الناس؟ قال: «لاتبشرهم فيتَّكلوا» أخرجاه في الصحيحين.

فيه مسائل:

(الأولى) الحكمة في خلق الجن والإنس (الثانية) أن العبادة هي التوحيد[1]؛ لأن الخصومة فيه (الثالثة) أن من لم يأت به لم يعبد الله، ففيه معنى قوله: ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣] (الرابعة) الحكمة في إرسال الرسل (الخامسة) أن الرسالة عمَّت كل أمة (السادسة) أن دين الأنبياء واحد (السابعة) المسألة الكبيرة أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت، ففيه معنى قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ٢٥٦] (الثامنة) أن الطاغوت عامٌّ في كل ما عبد من دون الله (التاسعة) عظَم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف، وفيها عشر مسائل: أولها النهي عن الشرك (العاشرة) الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها ثماني عشرة مسألة بدأها الله بقوله: ﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً﴾ [الإسراء: ٢٢] وختمها بقوله: ﴿وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩] ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء: ٣٩] (الحادية عشرة) آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة بدأها الله تعالى

(١) يعني أن العبادة الشرعية الصحيحة لا تحصل إلا بالتوحيد بأن تكون خالصة لله وحده لا يتوجه فيها إلى غيره. وليس المراد تفسير العبادة لغة؛ لأنها تكون لغير الله تعالى وهي التي فيها الخصومة كما قال.

بقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦] (الثانية عشرة) التنبيه على وصية رسول الله ﷺ عند موته (الثالثة عشرة) معرفة حق الله تعالى علينا (الرابعة عشرة) معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه (الخامسة عشرة) أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة[1] (السادسة عشرة) جواز كتمان العلم للمصلحة (السابعة عشرة) استحباب بشارة المسلم بما يسرّه (الثامنة عشرة) الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله (التاسعة عشرة) قول المسؤول عما لا يعلم: الله ورسوله أعلم (العشرون) جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض (الحادية والعشرون) تواضعه ﷺ لركوب الحمار مع الإرداف عليه (الثانية والعشرون) جواز الإرداف على الدابة (الثالثة والعشرون) فضيلة معاذ بن جبل (الرابعة والعشرون) عِظَم شأن هذه المسألة.

باب
فضل التوحيد وما يكفِّر من الذنوب

وقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ الآية [الأنعام: ٨٢]، عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل» أخرجاه. ولهما في حديث عتبان «فإن الله حرّم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله».

وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال: «قال

(١) أي لم يكونوا يعرفونها قبل إخباره ﷺ إياهم بها.

موسى: يارب، علِّمني شيئاً أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله، قال: يارب، كل عبادك يقولون هذا، قال: يا موسى، لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله» رواه ابن حبان والحاكم وصححه والترمذي وحسنه.

وعن أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»[١].

فيه مسائل:

(الأولى) سعة فضل الله (الثانية) كثرة ثواب التوحيد عند الله (الثالثة) تكفيره مع ذلك للذنوب (الرابعة) تفسير الآية التي في سورة الأنعام (الخامسة) تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة (السادسة) أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده تبين لك معنى قول لا إله إلا الله وتبين لك خطأ المغرورين (السابعة) التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان (الثامنة) كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا إله إلا الله (التاسعة) التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات مع أن كثيراً ممن يقولها يخف ميزانه (العاشرة) النص على أن الأرضين سبع كالسموات (الحادية عشرة) أن لهن عماراً (الثانية عشرة) إثبات الصفات خلافاً للأشعرية[٢] (الثالثة عشرة) أنك إذا عرفت حديث أنس عرفت أن قوله في حديث عتبان:

---

(١) رواه الترمذي من حديث وحسنه.

(٢) أي فإنهم يؤولون بعضها.

«فإن الله حرّم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» أنه ترك الشرك ليس قولها باللسان (الرابعة عشرة) معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله (السادسة عشرة) معرفة كونه روحاً منه (السابعة عشرة) معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار (الثامنة عشرة) معرفة قوله على ما كان من العمل (التاسعة عشرة) معرفة أن الميزان له كفتان (العشرون) معرفة ذكر الوجه . . .

باب

من حقّق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠] وقال ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون:٥٩].

عن حصين بن عبدالرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة ولكني لُدغت. قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت. قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدّثناه الشعبي. قال: وما حدّثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حُمَة. قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي: هذا موسى وقومه[1] فنظرت فإذا سواد

(١) في بعض روايات الصحيح هنا« ثم قيل لي: انظر فنظرت» إلخ، وللحديث عدة ألفاظ في الصحيحين وغيرهما.

عظيم فقيل لي : هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب» ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه فقال: «هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون» فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم قال: «أنت منهم» ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم فقال: «سبقك بها عكاشة».

فيه مسائل:

(الأولى) معرفة مراتب الناس في التوحيد (الثانية) ما معنى تحقيقه؟ (الثالثة) ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يكن من المشركين (الرابعة) ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك (الخامسة) كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد (السادسة) كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل (السابعة) عمق علم الصحابة لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل (الثامنة) حرصهم على الخير (التاسعة) فضيلة هذه الأمة بالكمِّية والكيفيَّة (العاشرة) فضيلة أصحاب موسى (الحادية عشرة) عرض الأمم عليه ـ عليه السلام ـ (الثانية عشرة) أن كل أمة تحشر مع نبيها وحدها (الثالثة عشرة) قلة من استجاب للأنبياء (الرابعة عشرة) أن من لم يجبه أحد يأتي وحده (الخامسة عشرة) ثمرة هذا العلم وهو عدم الاغترار بالكثرة وعدم الزهد في القلة (السادسة عشرة) الرخصة في الرقية من العين والحُمَة (السابعة عشرة) عمق علم السلف لقوله: قد أحسن من

انتهى إلى ما سمع ولكن كذا وكذا، فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني[1] (الثامنة عشرة) بُعْد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه (التاسعة عشرة) قوله: «أنت منهم» علم من أعلام النبوة (العشرون) فضيلة عكاشة (الحادية والعشرون)استعمال المعاريض (الثانية والعشرون) حسن خلقه ﷺ.

باب

الخوف من الشرك

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦] وقال الخليل عليه السلام: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] وفي الحديث: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» فسئل عنه فقال: «الرياء» وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار» رواه البخاري. ولمسلم عن جابر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار».

في مسائل:

(الأولى) الخوف من الشرك (الثانية) أن الرياء من الشرك (الثالثة) أنه من الشرك الأصغر (الرابعة) أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين (الخامسة) قرب الجنة والنار (السادسة) الجمع بين قربهما في حديث

---

(١) أي لأن الأول رخصة فيها رفق بعامة الأمة، والثاني عزيمة لبيان حال الكملة الذين يدخلون الجنة بغير الحساب، فمن علاماتهم أنهم لا يأخذون بالأوهام. وقال الحفاظ: إن الحديث الأول هنا مرسل.

واحد (السابعة) أنه من لقيه لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار ولو كان من أعبد الناس (الثامنة) المسألة العظيمة سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام (التاسعة) اعتباره بحال الأكثر لقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦] (العاشرة) فيه تفسير لا إله إلا الله كما ذكره البخاري (الحادية عشرة) فضيلة من سلم من الشرك.

باب
الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ الآية [يوسف: ١٠٨]. عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله «وفي رواية» إلى أن يوحِّدوا الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعْلمْهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوك لذلك فأعْلمْهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» أخرجاه (ولهما) عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه» فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «أين علي بن أبي طالب ؟» فقيل: هو يشتكي عينيه فأرسلوا إليه فأتي به فبصق في عينيه ودعا فبرأ كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال: «انفذ على

رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عَليهم من حق الله تعالى فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم» يدوكون أي يخوضون.

فيه مسائل:

(الأولى) أن الدعوة إلى الله طريق من اتبعه ﷺ (الثانية) التنبيه على الإخلاص؛ لأن كثيراً لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه (الثالثة) أن البصيرة من الفرائض (الرابعة) من دلائل حسن التوحيد كونه تنزيهاً لله تعالى عن المسبة (الخامسة) أن من قُبْح الشرك كونه مسبة لله (السادسة) - وهي من أهمها - إبعاد المسلم عن المشركين لا يصير منهم ولو لم يشرك (السابعة) كون التوحيد أول واجب (الثامنة) أنه يبدأ به قبل كل شيء حتى الصلاة (التاسعة) أن معنى أن يوحدوا الله معنى شهادة أن لا إله إلا الله (العاشرة) أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها أو يعرفها وهو لا يعمل بها (الحادية عشرة) التنبيه على التعليم بالتدريج (الثانية عشرة) البداءة بالأهم فالأهم (الثالثة عشرة) مصرف الزكاة (الرابعة عشرة) كشف العالم الشبهة عن المتعلم (الخامسة عشرة) النهي عن كرائم الأموال (السادسة عشرة) اتقاء دعوة المظلوم (السابعة عشرة) الإخبار بأنها لا تحجب (الثامنة عشرة) من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء (التاسعة عشرة) قوله: لأعطين الراية... إلخ علم من أعلام النبوة (العشرون) تفله في عينيه علم من أعلامها أيضاً (الحادية والعشرون) فضيلة علي رضي الله عنه (الثانية والعشرون) فضل الصحابة في دوكهم تلك الليلة وشغلهم عن

بشارة الفتح (الثالثة والعشرون) الإيمان بالقدر لحصولها لمن لم يسع لها ومنعها من سعى (الرابعة والعشرون) الأدب في قوله: على رسلك (الخامسة والعشرون) الدعوة إلى الإسلام قبل القتال (السادسة والعشرون) أنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا (السابعة والعشرون) الدعوة بالحكمة لقوله: أخبرْهم بما يجب عليهم (الثامنة والعشرون) المعرفة بحق الله تعالى في الإسلام (التاسعة والعشرون) ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد (الثلاثون) الحلف على الفتيا.

باب

تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ الآية [الإسراء: ٥٧] وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ الآية [الزخرف: ٢٦-٢٧] وقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ الآية [التوبة: ٣١] وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ١٦٥].

في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل» وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب.

فيه أكبر المسائل وأهمها:

وهو تفسير التوحيد وتفسير الشهادة وبيَّنها بأمور واضحة:

(منها) آية الإسراء بيّن فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر.

(ومنها) آية براءة بيَّن فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله وبيَّن أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلها واحداً مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصية لادعاءهم إياهم.

(ومنها) قول الخليل ـ عليه السلام ـ للكفار: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧] فاستثنى من المعبودين ربه. وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هي تفسير شهادة أن لا اله إلا الله فقال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٨].

(ومنها) آية البقرة في الكفار الذين قال فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧] ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله فدلَّ على أنهم يحبون الله حباً عظيماً ولم يدخلهم في الإسلام فكيف بمن أحب الندَّ أكبر من حب الله! فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ولم يحب الله!

(ومنها) قوله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله» وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلاالله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه. فيالها من مسألة ما

أعظمها وأجلّها! وياله من بيان ما أوضحه! وحجة ما أقطعها للمنازع!

باب

من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ الآية [الزمر: ٣٨].

عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ رأى رجلا في يده حلقة من صفر فقال: «ماهذا»؟ قال: من الواهنة، فقال: «انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً فإنك لو متَّ وهي عليك ما أفلحت أبداً» رواه أحمد بسند لا بأس به، وله عن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً «من علَّق تميمة فقد أشرك» ولابن أبي حاتم عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه، وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

فيه مسائل:

(الأولى) التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك (الثانية) أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح، فيه شاهد لكلام الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر الكبائر (الثالثة) أنه لم يعذر بالجهالة (الرابعة) أنها لا تنفع في العاجلة بل تضر لقوله: «لاتزيدك إلا وهنا» (الخامسة) الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك (السادسة) التصريح بأن من علق شيئاً وكل إليه (السابعة) التصريح بأن من علق تميمة فقد أشرك (الثامنة) أن تعليق الخيط من الحمَّى من ذلك (التاسعة) تلاوة حذيفة الآية دليل على

أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الأكبر على الأصغر كما ذكر ابن عباس في آية البقرة (العاشرة) أن تعليق الودع عن العين من ذلك (الحادية عشرة) الدعاء على من علق تميمة أن الله لا يتم له ومن علّق ودعة فلا ودع الله له أي لا ترك الله له.

باب
ماجاء في الرقى والتمائم

في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولاً أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت. وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» رواه أحمد وأبو داود. وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً «من علّق شيئاً وكل إليه» رواه أحمد والترمذي. التمائم: شيء يعلق على الأولاد عن العين لكن إذا كان المعلّق من القرآن فرخص فيه بعض السلف وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه منهم ابن مسعود رضي الله عنه. والرقى: هي التي تسمى العزائم وخص منه الدليل ما خلا من الشرك فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمَّى. التولة: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته. وروى أحمد عن رويفع قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا رويفع، لعل الحياة تطول بك فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلّد وتراً أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمداً بريء منه» وعن سعيد بن جبير ـ رضي الله عنه ـ قال: «من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة» رواه وكيع. وله عن إبراهيم قال: كانوا

يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن.

فيه مسائل:

(الأولى) تفسير الرقى والتمائم (الثانية) تفسير التولة (الثالثة) أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء (الرابعة) أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمَّى ليس من ذلك (الخامسة) أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء هل هي من ذلك أم لا؟ (السادسة) أن تعليق الأوتار على الدواب عن العين من ذلك (السابعة) الوعيد الشديد على من علق وتراً (الثامنة) فضلِ ثواب من قطع تميمة من إنسان (التاسعة) أن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف؛ لأن مراده أصحاب عبد الله ابن مسعود.

باب

من تبرَّك بشجرة أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ الآيات [النجم: ١٩]، عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، إنها السنن[1] قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا

(١) أي سنن الله في عباده، وهي القواعد والطرق العامة في الأمم، كاتباع أهل الكتاب سنن الوثنيين قبلهم واتباع بعض المسلمين سنن أهل الكتاب، وهو ما أشار إليه في المسألة ١٧ و٢١.

﴿لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] لتركبُنَّ سنن من كان قبلكم» رواه الترمذي وصححه.

فيه مسائل:

(الأولى) تفسير آية النجم (الثانية) معرفة صورة الأمر الذي طلبوا (الثالثة) كونهم لم يفعلوا (الرابعة) كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك لظنهم أنه يحبه (الخامسة) أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل (السادسة) أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم (السابعة) أن النبي ﷺ لم يعذرهم بل رد عليهم بقوله: «الله أكبر إنها السنن، لتتبعُنَّ سنن من كان قبلكم» فغلَّظ الأمر بهذه الثلاث (الثامنة) الأمر الكبير هو المقصود أنه أخبر أن طلبتهم كطلبة بني إسرائيل لما قالوا لموسى: اجعل لنا إلهاً (التاسعة) أن نفي هذا من معنى لا إله إلا الله مع دقته وخفائه على أولئك (العاشرة) أنه حلف على الفتيا وهو لا يحلف إلا لمصلحة (الحادية عشرة) أن الشرك فيه أكبر وأصغر لأنهم لم يرتدوا بهذا (الثانية عشرة) قولهم: ونحن حدثاء عهد بكفر فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك (الثالثة عشرة) ذكر التكبير عند التعجب خلافاً لمن كرهه (الرابعة عشرة) سد الذرائع (الخامسة عشرة) النهي عن التشبه بأهل الجاهلية (السادسة عشرة) الغضب عند التعليم (السابعة عشرة) القاعدة الكلية لقوله: إنها السنن (الثامنة عشرة) أن هذا من أعلام النبوة لكونه وقع كما أخبر (التاسعة عشرة) أن كل ما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا (العشرون) أنه متقرر عندهم أن العبادات مبناها على الأمر فصار فيه التنبيه على

مسائل القبر. أما **من ربك** فواضح، وأما **من نبيك** فمن إخباره بأنباء الغيب، وأما **من دينك** فمن قولهم: ﴿ **اجْعَل لَّنَا إِلَهًا** ﴾ [**الأعراف**: ١٣٨] إلى آخره. (الحادية والعشرون) أن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين «الثانية والعشرون» أن المتنقل من الباطل الذي اعتاد قلبه لا يؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة لقولهم: ونحن حدثاء عهد بكفر.

باب

ما جاء في الذبح لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ** ﴾ الآية [**الأنعام**: ١٦٢] وقوله: ﴿ **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** ﴾ [**الكوثر**: ٢] عن علي - رضي الله عنه - قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن اللهمن آوى محدثاً، لعن الله من غيَّر منار الأرض» رواه مسلم. وعن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: «دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب» قالوا: وكيف ذلك يارسول؟ قال: «مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرِّب له شيئاً، فقالوا لأحدهما: قرِّب، قال: ليس عندي شيء أقرِّب، قالوا له: قرِّب ولو ذباباً، فقرب ذباباً فخلّوا سبيله فدخل النار. وقالوا للآخر قرِّب فقال: ما كنت لأقرِّب لأحد شيئاً دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة» رواه أحمد.

فيه مسائل:

(الأولى) تفسير «إن صلاتي ونسكي» (الثانية) تفسير «فصل لربك وانحر» (الثالثة) البداءة بلعنة من ذبح لغير الله (الرابعة) لَعْن من لعن والديه ومنه أن تلعن والدي الرجل فيلعن والديك (الخامسة) لَعْن من آوى محدثاً وهو الرجل يُحْدث شيئاً يجب فيه حق الله فيلتجئ إلى من يجيره من ذلك (السادسة) لَعْن من غير منار الأرض وهي المراسيم التي تفرق بين حقك من الأرض وحق جارك فتغيرها بتقديم أوتأخير (السابعة) الفرق بين لعن المعين ولعن أهل المعصية على سبيل العموم (الثامنة) هذه القصة العظيمة وهي قصة الذباب (التاسعة) كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده بل فعله تخلصاً من شرهم (العاشرة) معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين كيف صبر ذلك على القتل ولم يوافقهم على طلبتهم مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر (الحادية عشرة) أن الذي دخل النار مسلم؛ لأنه لو كان كافراً لم يقل: دخل النار في ذباب (الثانية عشرة) فيه شاهد للحديث الصحيح: (الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك» (الثالثة عشرة) معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان.

باب

لا يُذبح للّه بمكان يُذبح فيه لغير اللّه

وقول الله تعالى: ﴿لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ الآية [التوبة: ١٠٨]. عن ثابت بن

الضحاك ـ رضي الله عنه ـ قال: نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة، فسأل النبي ﷺ فقال: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعْبد؟» قالوا: لا. قال: «فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟» قالوا: لا، فقال رسول الله ﷺ: «أوْفِ بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم» رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما.

فيه مسائل:

(الأولى) تفسير قوله: ﴿لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨] (الثانية) أن المعصية قد تؤثر في الأرض وكذلك الطاعة (الثالثة) رد المسألة المشكلة إلى المسألة البينة ليزول الإشكال (الرابعة) استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك (الخامسة) أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع (السادسة) المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ولو بعد زواله (السابعة) المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله (الثامنة) أنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة؛ لأنه نذر معصية (التاسعة) الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم ولو لم يقصده (العاشرة) لا نذر في معصية (الحادية عشرة) لا نذر لابن آدم فيما لا يملك.

باب
من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧] وقوله: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة: ٢٧٠] وفي الصحيح عن

عـائشـة ـ رضي الله عنهـا ـ أن رسـول الله ﷺ قـال : «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيَ الله فلا يعصه» .

فيه مسائل:

(الأولى) وجوب الوفاء بالنذر (الثانية) إذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه إلى غيره شرك (الثالثة) أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به .

باب

من الشرك الاستعاذة بغير الله

وقول الله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن: ٦]. وعن خـولة بنت حكيم ـ رضي الله عنهـا ـ قـالت : سـمـعتُ رسـول الله ﷺ يقـول : «من نزل منزلاً فـقـال : أعـوذ بكلمات الله التامات من شرِّ ما خلق لم يَضُرَّه شيء حتى يرحل من منزله ذلك» رواه مسلم .

فيه مسائل:

(الأولى) تفسير آية الجن (الثانية) كونه من الشرك (الثالثة) الاستدلال على ذلك بالحديث؛ لأن العلمـاء اسـتدلوا به على أن كلمـات الله غـيـر مـخلوقة، قـالوا : لأن الاسـتـعـاذة بالمخلوق شـرك (الرابعـة) فضـيلة هذا الدعاء مع اختصاره (الخامسة) أن كون الشيء يحصل به مصلحة دنيوية من كفٍّ شر أو جَلْب نفع لا يدل على أنه ليس من الشرك .

باب
من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

وقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ الآية [يونس: ١٠٦، ١٠٧] وقوله: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ﴾ الآية [العنكبوت: ١٧] وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ الآيتين [الأحقاف: ٥] وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢] وروى الطبراني بإسناده: أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق. فقال النبي ﷺ: «إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله».

فيه مسائل:

(الأولى) أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص (الثانية) تفسير قوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٦] (الثالثة) أن هذا هو الشرك الأكبر (الرابعة) أن أصلَحَ الناس لو يفعله إرضاء لغيره صار من الظالمين (الخامسة) تفسير الآية التي بعدها (السادسة) كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفراً (السابعة) تفسير الآية الثالثة (الثامنة) أن طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله كما أن الجنة لا تُطلب إلا منه (التاسعة) تفسير الآية الرابعة (العاشرة) أنه

لا أضل ممن دعا غير الله (الحادية عشرة) أنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه (الثانية عشرة) أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له (الثالثة عشرة) تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو (الرابعة عشرة) كفر المدعو بتلك العبادة (الخامسة عشرة) أن هذه الأمور سبب كونه أضل الناس (السادسة عشرة) تفسير الآية الخامسة (السابعة عشرة) الأمر العجيب وهو إقرار عَبَدَة الأوثان أنه لا يجيب المضطر إلا الله؛ ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين (الثامنة عشرة) حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد والتأدب مع الله.

باب

قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ الآية [الأعراف: ١٩١، ١٩٢]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ الآية [فاطر: ١٣].

وفي الصحيح عن أنس قال: شُجَّ النبي ﷺ يوم أحد فكسرت رباعيته فقال: «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟!» فنزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] وفيه عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: «اللهم العن فلانا وفلاناً» بعد ما يقول: «سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد» فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية وفيه في رواية: (يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ وفيه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] قال: يا معشر قريش - أوكلمة نحوها - اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئاً، ويافاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً».

فيه مسائل:

(الأولى) تفسير الآيتين (الثانية) قصة أُحُد (الثالثة) قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة (الرابعة) أن المدعو عليهم كفار (الخامسة) أنهم فعلوا أشياء مافعلها غالب الكفار، منها شجهم نبيهم وحرصهم على قتله. ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمِّهم (السادسة) أنزل الله عليه في ذلك ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] (السابعة) قوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨] فتاب عليهم فآمنوا (الثامنة) القنوت في النوازل (التاسعة) تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم (العاشرة) لعنه المعين في القنوت (الحادية عشرة) قصته ﷺ لما نزل عليه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] (الثانية عشرة) جدُّه ﷺ في هذا الأمر بحيث فعل ما نسب بسببه إلى الجنون وكذلك لو يفعله مسلم الآن (الثالثة عشرة) قوله للأبعد والأقرب: لا أغني عنك من الله

شيئاً حتى قال: «يافاطمة بنت محمد، لا أغني عنك من الله شيئاً» فإذا صرح وهو سيد المرسلين أنه لا يغني من الله شيئاً عن سيدة نساء العالمين، وأمن الإنسان أنه لا يقول إلا الحق ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس الآن يتبين له التوحيد وغربة الدين.

باب

قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣] في الصحيح عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ فسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض- وصفه سفيان بكفِّه فحرفها وبدَّد بين أصابعه -فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال: لنا يوم كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء.

وعن النواس بن سمعان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة أو قال رعدة شديدة خوفاً من الله عز وجل، فإذا سمع ذلك أهل

السموات صعقوا وخرُّوا لله سجَّداً، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مرَّ بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: ﴿قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣] فيقولون هم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل.

فيه مسائل:

(الأولى) تفسير الآية (الثانية) ما فيها من الحجة على إبطال الشرك، خصوصاً من تعلق على الصالحين وهي الآية التي قيل: إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب (الثالثة) تفسير قوله: ﴿قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (الرابعة) سبب سؤالهم عن ذلك (الخامسة) أن جبريل هو الذي يجيبهم بقوله بعد ذلك: قال كذا وكذا (السادسة) ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل (السابعة) أنه يقول لأهل السموات كلهم؛ لأنهم يسألونه (الثامنة) أن الغشي يعمُّ أهل السموات كلهم (التاسعة) ارتجاف السموات لكلام الله (العاشرة) أن جبريل هو الذي ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله (الحادية عشرة) ذكر استراق الشياطين (الثانية عشرة) أنه صفة ركوب بعضهم بعضاً (الثالثة عشرة) إرسال الشهب (الرابعة عشرة) تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها وتارة يلقيها في أذن وليِّه من الإنس قبل أن يدركه (الخامسة عشرة) كون الكاهن يَصْدُق في بعض الأحيان (السادسة عشرة) كونه يكذب معها مائة كذبة (السابعة عشرة) أنه لم يصدق كذبه إلا بتلك الكلمة التي سمعت من السماء (الثامنة عشرة) قبول النفوس للباطل؛

كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة كذبة؟! (التاسعة عشرة) كونهم يلقي بعضهم إلى بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها (العشرون) إثبات الصفات خلافاً للأشْعَرية المعطِّلة (الحادية والعشرون) التصريح بأن تلك الرجفة والغشي خوفاً من الله عز وجل (الثانية والعشرون) أنهم يخرون لله سجَّداً.

باب الشفاعة

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٥١] وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤] وقوله: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:٢٥٥] وقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [النجم: ٢٦] وقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ الآيتين [سبأ: ٢٢].

قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كلما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونًا لله ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن. وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة أولاً، ثم يقال له: ارفع رأسك، وقل يُسمع، وسَلْ تُعط،

واشفع تُشفَّع. وقال له أبو هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: «من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه». فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله، وحقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضَّل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء مَنْ أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود، فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك؛ ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه.

فيه مسائل:

(الأولى) تفسير الآيات (الثانية) صفة الشفاعة المنفية (الثالثة) صفة الشفاعة المثبتة (الرابعة) ذكر الشفاعة الكبرى وهي المقام المحمود (الخامسة) صفة ما يفعله النبي ﷺ وأنه لايبدأ بالشفاعة أولاً بل يسجد فإذا أذن الله له شفع (السادسة) من أسعد الناس بها (السابعة) أنها لاتكون لمن أشرك بالله (الثامنة) بيان حقيقتها.

باب

قول اللّه تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الآية [القصص: ٥٦].

في الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل فقال له: «ياعم، قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله) فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ، فكان آخر ما قال: هو على

ملة عبد المطلب. وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله عز وجل ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣] وأنزل في أبي طالب ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

فيه مسائل:

(الأولى) تفسير قوله: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]. (الثانية) تفسير قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ (الثالثة) وهي المسألة الكبرى تفسير قوله: «قل: لا إله إلا الله» بخلاف ما عليه من يدعي العلم (الرابعة) أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذا قال للرجل: «قل: لا إله إلا الله» فقبَّح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام (الخامسة) جدُّه ﷺ ومبالغته في إسلام عمه (السادسة) الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه (السابعة) كونه ﷺ استغفر له فلم يغفر له بل نهي عن ذلك (الثامنة) مضرة أصحاب السوء على الإنسان (التاسعة) مضرَّة تعظيم الأسلاف والأكابر (العاشرة) الشبهة للمبطلين في ذلك لاستدلال أبي جهل بذلك (الحادية عشرة) الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم؛ لأنه لو قالها لنفعته (الثانية عشرة) التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين؛ لأن في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها مع مبالغته ﷺ وتكريره فلأجل وضوحها عندهم اقتصروا عليها.

باب

ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

في الصحيح عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣، ٢٤] قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا. ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي[1] العلم عبدت. وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم، وعن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد، فقولوا: عبدالله ورسوله» أخرجاه[2] قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو» ولمسلم[3] عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثاً.

فيه مسائل:

(الأولى) أن من فهم هذا الباب وبابين بعده تبين له غربة الإسلام

---

(١) الذي في صحيح البخاري ونسخ – فإما أن يكون ما في الأصل تحريفاً من النساخ على أنه في جميع النسخ– وإما أن يكون سبق قلم أو رواية بالمعنى، والأثر مختصر من الصحيح.

(٢) بياض في الأصل، والحديث أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجة والحاكم عن ابن عباس بسند صحيح.

(٣) وكذا أحمد وأبو داود، واقتصر المصنف على الأصح.

ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب (الثانية) معرفة أول شرك حدث على وجه الأرض أنه بشبهة الصالحين (الثالثة) أول شيء غيّر به دين الأنبياء وما سبب ذلك من معرفة أن الله أرسلهم (الرابعة) قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردُّها (الخامسة) أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل (فالأول) محبة الصالحين (والثاني) فعل أناس من أهل العلم والدين شيئاً فظن من بعدهم أنهم أرادوا غيره (السادسة) تفسير الآية التي في سورة نوح (السابعة) جبلَّة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد (الثامنة) أن فيه شاهداً لما نقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر (التاسعة) معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل (العاشرة) معرفة القاعدة الكلية وهي النهي عن الغلو ومعرفة ما يؤول إليه (الحادية عشرة) مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح (الثانية عشرة) معرفة النهي عن التماثيل والحكمة في إزالتها (الثالثة عشرة) معرفة عظم شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها (الرابعة عشرة) وهي أعجب وأعجب قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث ومعرفتهم بمعنى الكلام وكوْن الله حالَ بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات، واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال (الخامسة عشرة) التصريح أنهم لم يريدوا إلا الشفاعة (السادسة عشرة) ظنهم أن العلماء الذين صوَّروا الصور أرادوا ذلك (السابعة عشرة) البيان العظيم في قوله: «لا تطروني» إلخ فصلوات الله وسلامه عليه بلَّغ البلاغ المبين (الثامنة عشرة) نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين (التاسعة عشرة) التصريح أنها لم تعبد حتى نسي

العلم ففيها معرفة قدر وجوده ومضرة فَقْده (العشرون) أن سبب فَقْد العلم موت العلماء.

بـاب

ماجاء من التغليظ فيمن عَبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟

في الصحيح عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوّروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله» فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين فتنة القبور وفتنة التماثيل، ولهما عنها قالت: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يُتخذ مسجدا. أخرجاه ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل؛ فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً. ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك» فقد نهى عنه آخر حياته ثم إنه لعن وهو في السياق من فعله، والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يبن مسجداً، وهو معنى قولها: خشي أن يُتخذ مسجداً، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً، وكل موضع

قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا كما قال ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً، وطهوراً» ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «أن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد» ورواه أبو حاتم في صحيحه.

فيه مسائل:

(الأولى) ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجداً يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح ولو صحت نية الفاعل (الثانية) النهي عن التماثيل وغلظ الأمر في ذلك (الثالثة) العبرة في مبالغته ﷺ في ذلك كيف يبين لهم هذا أولاً ثم قبل موته بخمس قال: ما قال، ثم لما كان في النزع لم يكتف بما تقدم (الرابعة) نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر (الخامسة) أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم (السادسة) لعنه إياهم على ذلك (السابعة) أن مراده ﷺ تحذيره إيانا[1] عن قبره (الثامنة) العلة في عدم إبراز قبره (التاسعة) في معنى اتخاذه مسجداً (العاشرة) أنه قرن بين من اتخذها مسجداً وبين من تقوم عليهم الساعة فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته (الحادية عشرة) ذكره في خطبته قبل موته بخمس الرد على الطائفتين اللتين هما شر أهل البدع بل أخرجهم بعض السلف من الستين والسبعين فرقة وهم الرافضة والجهمية وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور وهم أول من بنى عليها المساجد (الثانية عشرة) ما بلي به ﷺ من شدة النزع (الثالثة عشرة) ما أكرم به من الخلّة

(١) وفي نسخة: تحذيرنا عن قبره وهي أفصح.

(الرابعة عشرة) التصريح بأنها أعلى من المحبة (الخامسة عشرة) التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة (السادسة عشرة) الإشارة إلى خلافته.

باب

ماجاء أن الغلو في قبور الصالحين يُصيِّرها أوثاناً تُعبد من دون الله

روى مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد. اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩] قال: كان[1] يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره، وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يلت السويق للحاج. وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج. رواه أهل السنن.

فيه مسائل:

(الأولى) تفسير الأوثان (الثانية) تفسير العبادة (الثالثة) أنه ﷺ لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه (الرابعة) قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد (الخامسة) ذكر شدة الغضب من الله (السادسة) وهي من أهمها معرفة صفة عبادة اللات التي هي من أكبر الأوثان (السابعة) معرفة أنه قبر رجل صالح (الثامنة) أنه اسم صاحب القبر وذكر معنى التسمية (التاسعة) لعْنه زوّارات القبور (العاشرة) لعْنه من أسرجها.

(١) أي كان اللاتّ رجلاً يلت لهم السويق.

باب
ما جاء في حماية المصطفى ﷺ
جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ﴾ الآية [التوبة: ١٢٨] عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله (ﷺ): «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً وصلُّوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم» رواه أبو داود بإسناد حسن ورواته ثقات، وعن علي بن الحسين أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه قال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: «لاتتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلُّوا عليَّ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم» رواه في المختارة.

فيه مسائل:

(الأولى) تفسير آية براءة (الثانية) إبعاد أمته عن هذا الحمى غاية البعد (الثالثة) ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته (الرابعة) نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص مع أن زيارته من أفضل الأعمال (الخامسة) نهيه عن الإكثار من الزيارة (السادسة) حثه على النافلة في البيت (السابعة) أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى في المقبرة (الثامنة) تعليله ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإنْ بعد فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب (التاسعة) كونه ﷺ في البرزخ تعرض عليه أعمال أمته في الصلاة والسلام عليه.

باب

ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

وقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١] وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠] وقوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١] عن أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «لتتبعُنَّ سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال فمن؟ أخرجاه. ولمسلم عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها مازوي لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة عامة وألا يسلط عليها عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد، إذا قضيت قضاء فإنه لا يرده، وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة وألا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضاً» ورواه البرقاني في صحيحه وزاد: «وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يُرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حيّ من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين ولا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي

على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى).

فيه مسائل:

(الأولى) تفسير آية النساء (الثانية) تفسير آية المائدة (الثالثة) تفسير آية الكهف (الرابعة) وهي من أهمها، ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع؟ هل هو اعتقاد قلب أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها؟ (الخامسة) قولهم: إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلاً من المؤمنين (السادسة) وهي المقصود بالترجمة أن هذا لا بد أن يوجد في هذه الأمة كما تقرر في حديث أبي سعيد (السابعة) التصريح بوقوعها، أعني عبادة الأوثان في هذه الأمة في جموع كثيرة (الثامنة) العجب العجاب خروج من يدّعي النبوة مثل المختار مع تكلُّمه بالشهادتين وتصريحه أنه من هذه الأمة وأن الرسول حق وأن القرآن حق، وفيه أن محمداً خاتم النبيين، ومع هذا يصدَّق في هذا كله مع التضاد الواضح [1] وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة وتبعه فئام كثيرة (التاسعة) البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى بل لا تزال عليه طائفة (العاشرة) الآية العظمى أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم (الحادية عشرة) أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة (الثانية عشرة) ما فيه من الآيات العظيمة؛ منها إخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب وأخبر بمعنى ذلك فوقع كما أخبر بخلاف الجنوب

---

(١) وممن ادعى النبوة في عصرنا وهو كالمختار فيما ذكر دجال اسمه غلام أحمد القادياني في الهند، وادعى أنه المسيح الموعود به، وله أتباع في الهند لا يزالون يدّعون النبوة بعده.

والشمال[1] وإخباره بأنه أعطي الكنزين، وإخباره بوقوع السيف وأنه لا يرفع إذا وقع، وإخباره بإهلاك بعضهم بعضاً وسبي بعضهم بعضاً وخوفه على أمته من الأئمة المضلين، وإخباره بظهور المتنبئين في هذه الأمة، وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة، وكل هذا وقع كما أخبر مع أن كل واحدة منها من أبعد ما يكون في العقول (الثالثة عشرة) حصره الخوف على أمته من الأئمة المضلين (الرابعة عشرة) التنبيه على معنى عبادة الأوثان.

باب
ما جاء في السحر

وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢] وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١] قال عمر: الجبت السحر، والطاغوت الشيطان. وقال جابر: الطواغيت كهّان كان ينزل عليهم الشيطان، في كل حي واحد. عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي

(١) أي فلم يخبر ﷺ أن الله تعالى أراه ما يبلغ إليه ملك أمته منه؛ لأن المشارق والمغارب كان يراد به جميع العمران كما قال تعالى ﴿فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ [المعارج: ٤٠] ومثله ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧] وكذا قولهم: ملك الخافقين وقد ملك المسلمون كثيرا من بلاد الشمال بالنسبة إلى الحجاز أو إلى جزيرة العرب، وليس في جنوب بلاد العرب إلا البحر المحيط الجنوبي «الهندي» وليس في تلك الجهة منه إلا بعض الجزائر التي لا تذكر. وإنْ أريد بالجنوب والشمال العرف الجغرافي يتسع الأمر، ولكنه عرف حادث ليس بمراد.

حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»[1] وعن جندب مرفوعاً «حدُّ الساحر ضرْبه بالسيف» رواه الترمذي وقال: الصحيح أنه موقوف.

وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال: كتب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر. وصحَّ عن حفصة ـ رضي الله عنها ـ أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقُتلت، وكذلك صح عن جندب قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبيِّ ﷺ.

فيه مسائل:

(الأولى) تفسير آية البقرة (الثانية) تفسير آية النساء (الثالثة) تفسير الجبت والطاغوت والفرق بينهما[2] (الرابعة) أن الطاغوت قد يكون من الجن وقد يكون من الإنس (الخامسة) معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي (السادسة) أن الساحر يُكفَّر (السابعة) أنه يقتل ولا يُستتاب (الثامنة) وجود هذا في المسلمين على عهد عمر فكيف بعده؟!

---

(١) رواه الشيخان وغيرهما.

(٢) الجبت كالجبس ما لا خير فيه، ويطلق على جميع الخرافات كالمعبودات الباطلة والسحر والكهانة، والطاغوت من الطغيان وهو تجاوز حدود الحق والخير والشرع، واستعمل في المفرد والجمع وأطلق على المعبودات الباطلة وعلى زعماء الفساد ككعب بن الأشرف وعلى الساحر والكاهن فالجبت والطاغوت يختلفان في المفهوم وقد ينفعان فيما يسمى «الماصدق» أي: مايطلقان عليه صدقا.

باب

بيان شيء من أنواع السحر

قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن حيان بن العلاء حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ قال: «إن العيافة والطرق والطِّيرة من الجبت» قال عوف: العيافة زجر الطير، والطرق الخط يخط بالأرض، والجبت قال الحسن: رنة الشيطان. إسناده جيد. ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد» رواه أبو داود وإسناده صحيح. وللنسائي من حديث أبي هريرة: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً وكل إليه» وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «ألا هل أنبئكم ما العضه؟ هي النميمة القالة بين الناس» رواه مسلم، ولهما عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ من البيان لسحراً».

فيه مسائل:

(الأولى) أن العيافة والطرق والطِّيَرَة من الجبت (الثانية) تفسير العيافة والطرق والطِّيَرَة (الثالثة) أن علم النجوم من أنواع السحر (الرابعة) أن العقد مع النفث من ذلك (الخامسة) أن النميمة من ذلك (السادسة) أن بعض الفصاحة منه.

باب

ما جاء في الكهان ونحوهم

روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من أتى عرَّافاً فسأله عن شيء فصدَّقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما» وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من أتى كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» ﷺ رواه أبو داود. وللأربعة والحاكم وقال صحيح على شرطهما عن [1] ....

« من أتى عرافاً أو كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» ﷺ ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفاً. وعن عمران بن حصين مرفوعاً «ليس منا من تَطيَّر أو تُطيِّر له أو تَكهَّن أو تُكهِّن له أو سَحَر أو سُحِر له، ومن أتى كاهنا فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» ﷺ رواه البزار بإسناد جيد ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله «ومن أتى...» إلى آخره.

قال البغوي: العرَّاف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك، وقيل: هو الكاهن، والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل. وقيل: الذي يخبر عما في الضمير، وقال أبو العباس بن تيمية: العرَّاف اسم للكاهن والمنجِّم

(١) بياض في الأصل والساقط منه اسم الصحابي وهو أبو هريرة رضي الله عنه وعزاه في الجامع الصغير إلى أحمد والحاكم وأشار إلى تحسينه.

والرمَّال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق. وقال ابن عباس في قوم يكتبون (أبا جاد) وينظرون في النجوم: ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق.

فيه مسائل:

(الأولى) أنه لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن (الثانية) التصريح بأنه كفر (الثالثة) ذكر من تُكُهِّن له (الرابعة) ذكر من تُطيِّر له (الخامسة) ذكر من سُحر له (السادسة) ذكر من تعلَّم «أبا جاد» (السابعة) ذكر الفرق بين الكاهن والعرَّاف.

باب
ماجاء في النُّشرة

عن جابر أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة فقال: «هي من عمل الشيطان» رواه أحمد بسند جيد وأبو داود وقال سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله، وفي البخاري عن قتادة قلت لابن المسيب: رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته أيُحَلُّ عنه أو يُنْشَر؟ قال: لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح فأما ما ينفع فلم ينه عنه انتهى.

وروي عن الحسن أنه قال: لا يَحلُّ السحر إلا ساحر. قال ابن القيم: النُّشْرة حَلُّ السحر عن المسحور وهي نوعان: حل بسحر. مثله وهو الذي من عمل الشيطان: وعليه يحمل قول الحسن: فيتقرب الناشروالمنتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور (والثاني) النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة فهذا جائز.

فيه مسائل:

(الأولى) النهي عن النشرة (الثانية) الفرق بين المنهي عنه والمرخص فيه مما يزيل الإشكال.

باب

ماجاء في التطيُّر

وقول الله تعالى: ﴿أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [**الأعراف**: ١٣١] وقوله: ﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ الآية [يسٓ: ١٩] عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى ولا طيَرة ولا هامَة ولا صفر» أخرجاه. وزاد مسلم «ولا نوء ولا غول»، ولهما عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيَرةَ ويعجبني الفأل» قالوا: وما الفأل؟ قال: «الكلمة الطيبة» ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «أحسنها الفأل ولا ترد مسلماً فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم، لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك» وله من حديث ابن مسعود مرفوعاً: «الطيرة شرك، الطيرة شرك، ومامنا إلا . . . [1] ولكن الله يذهبه بالتوكل» رواه أبو داود والترمذي وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود ولأحمد من حديث ابن عمر: «ومن ردته الطِّيَرَة عن حاجته فقد أشرك» قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: «أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك» وله

---

(١) في الحديث حذف يعرف بالقرينة، أي إلا ويقع في نفسه شيء من التأثير بحسب العادة والوراثة، ولكن الله يذهب من قلب المؤمن لإيمانه بأن حركة الطير لا تأثير لها في سير المقادير.

من حديث الفضل بن العباس: «إنما الطِّيَرَة ما أمضاك أو ردَّك»[1].

فيه مسائل:

(الأولى) التنبيه على قوله: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١] مع قوله: ﴿طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ [يس: ١٩] (الثانية) نفي العدوى (الثالثة) نفي الطيرة (الرابعة) نفي الهامة (الخامسة) نفي الصفر (السادسة) أن الفأل ليس من ذلك بل مستحب (السابعة) تفسير الفأل (الثامنة) أن الواقع في القلب مع ذلك مع كراهته لا يضر بل يذهبه الله بالتوكل (التاسعة) ذكر ما يقوله من وجده (العاشرة) التصريح بأن الطِّيَرَة شرك (الحادية عشرة) تفسير الطِّيَرَة المذمومة.

باب
ما جاء في التنجيم

قال البخاري في صحيحه: قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينةً للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها. فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلَّف ما لا علم له به انتهى. وكره قتادة تعلم منازل القمر ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما. ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق[2] وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم ومصدق بالسحر» رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.

(١) أي إنما الطيرة المذمومة شرعاً ما ترتب عليها عمل من فعل أو ترك؛ إذ لا مؤاخذة إلا على عمل اختياري.

(٢) ليست المسألة مسألة رخصة؛ فإن الله تعالى بيَّن لنا حكمتها بما دل على طلب العلم بها فقال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ الآية [يونس: ٥]. دلَّ ما فيها من الآيات على علمه وقدرته وحكمته ورحمته بعباده.

فيه مسائل:

(الأولى) الحكمة في خلق النجوم (الثانية) الرد على من زعم غير ذلك (الثالثة) ذكر الخلاف في تعلُّم المنازل (الرابعة) الوعيد فيمن صدَّق بشيء من السحر ولو عرف أنه باطل.

باب

ماجاء في الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢] عن أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة» وقال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب» رواه مسلم.

ولهما عن زيد بن خالد - رضي الله عنه - قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مُطرنَا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب» ولهما من حديث ابن عباس معناه وفيه قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا فأنزل الله هذه الآية ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥] إلى قوله: ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢].

فيه مسائل:

(الأولى) تفسير آية الواقعة (الثانية) ذكر الأربع التي من أمر الجاهلية (الثالثة) ذكر الكفر في بعضها (الرابعة) أن من الكفر مالا يخرج عن المِلَّة (الخامسة) قوله: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بسبب نزول النعمة (السادسة) التفطن للإيمان في هذا الموضع (السابعة) التفطن للكفر في هذا الموضع (الثامنة) التفطن لقوله: لقد صدق نوء كذا وكذا (التاسعة) إخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها لقوله: «أتدرون ماذا قال ربكم؟» (العاشرة) وعيد النائحة.

باب

قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ١٦٥]. وقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الآية [التوبة: ٢٤].

عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» أخرجاه، ولهما عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذَف في النار» وفي رواية: «لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى. . .» إلى آخره.

وعن ابن عباس قال: من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك. ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك. وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئا رواه ابن جرير.

وقال ابن عباس في قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦] قال: المودَّة.

فيه مسائل:

(الأولى) تفسير آية البقرة (الثانية) تفسير آية براءة (الثالثة) وجوب محبته ﷺ على النفس والأهل والمال. (الرابعة) أن نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام (الخامسة) أن للإيمان حلاوة قد يجدها العبد وقد لا يجدها (السادسة) أعمال القلب الأربع التي لاتُنال ولاية الله إلا بها ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها (السابعة) فَهْم الصحابي للواقع أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا (الثامنة) تفسير ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦] (التاسعة) أن من المشركين من يحب الله حباً شديداً (العاشرة) الوعيد على من كانت الثمانية أحب إليه من دينه (الحادية عشرة) أن من اتخذ نداً تساوي محبته محبة الله فهو الشرك الأكبر.

باب

قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ الآية [التوبة: ١٨]. وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ الآية [العنكبوت: ١٠].

عن أبي سعيد - رضي الله عنه - مرفوعاً: «إن من ضَعْف اليقين أن تُرْضِيَ الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إنّ رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يردّه كراهية كاره».

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: «من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس» رواه ابن حبان في صحيحه.

فيه مسائل:

(الأولى) تفسير آية آل عمران (الثانية) تفسير آية براءة (الثالثة) تفسير آية العنكبوت (الرابعة) أن اليقين يضعُف ويقوى (الخامسة) علامة ضعفه، ومن ذلك هذه الثلاث (السادسة) أن إخلاص الخوف لله من الفرائض (السابعة) ذكر ثواب من فعله (الثامنة) ذكر عقاب من تركه.

باب

قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية [الأنفال:٢]. وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ الآية [الأنفال: ٦٤]. وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

عن ابن عباس قال: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]

قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ الآية [آل عمران: ١٧٣].
رواه البخاري والنسائي.

فيه مسائل:

(الأولى) أن التوكل من الفرائض (الثانية) أنه من شروط الإيمان (الثالثة) تفسير آية الأنفال (الرابعة) تفسير الآية في آخرها (الخامسة) تفسير آية الطلاق (السادسة) عظِم شأن هذه الكلمة أنها قول إبراهيم عليه السلام ومحمد ﷺ في الشدائد.

باب

قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] وقوله: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر قال: «الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله» وعن ابن مسعود قال: أكبر الكبائر الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله. رواه عبد الرزاق.

فيه مسائل:

(الأولى) تفسير آية الأعراف (الثانية) تفسير آية الحجر (الثالثة) شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله (الرابعة) شدة الوعيد في القنوط.

باب
من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

وقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١] قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلِّم، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت» ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً «ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية» وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أراد الله بعبده الخير عجَّل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة» وقال النبي ﷺ: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط» حسنه الترمذي.

فيه مسائل:

(الأولى) تفسير آية التغابن (الثانية) أن هذا من الإيمان بالله (الثالثة) الطعن في النسب (الرابعة) شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية (الخامسة) علامة إرادة الله بعبده الخير (السادسة) علامة إرادة الله بعبده الشر (السابعة) علامة حب الله للعبد (الثامنة) تحريم السخط (التاسعة) ثواب الرضا بالبلاء.

باب

ماجاء في الرياء

وقـول الله تعـالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ الآية [الكهف: ١١٠]. عن أبي هريرة مرفوعـاً قال الله تعالى: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عـملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه) رواه مسلم، وعن أبي سعيد مرفوعاً «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الشرك الخفي يقوم الرجل فيصلي فيزيِّن صلاته لما يرى من نظر رجل» رواه أحمد.

فيه مسائل:

(الأولى) تفسير آية الكهف (الثانية) الأمر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شيء لغير الله (الثالثة) ذكر السبب الموجب لذلك وهو كمال الغنى (الرابعة) أن من الأسباب أنه خير الشركاء (الخامسة) خوف النبي ﷺ على أصحابه من الرياء (السادسة) أنه فسر ذلك بأن يصلي المرء لله لكن يزيِّنها لما يرى من نظر رجل إليه.

باب

من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ الآيتين [هود: ١٥]، في الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطي رضي، وإن لم يُعْطَ سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في

سبيل الله، أشعث رأسه مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفَّع»

فيه مسائل:

(الأولى) إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة (الثانية) تفسير آية هود (الثالثة) تسمية الإنسان المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة (الرابعة) تفسير ذلك بأنه إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط (الخامسة) قوله: «تعس وانتكس» (السادسة) قوله: «وإذا شيك فلا انتقش» (السابعة) الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات.

باب

من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرمه فقد اتخذهم أربابا، وقال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر، وقال أحمد بن حنبل: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان والله تعالى يقول ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ الآية [النور: ٦٣] . أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك. عن عدي بن حاتم أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ الآية [التوبة: ٣١] فقلت له: إنا لسنا نعبدهم[1] قال: أليس يحرِّمون ما أحل الله فتحرِّمونه، ويحلُّون ما حرَّم الله فتحلُّونه؟ فقلت بلى قال: فتلك عبادتهم» رواه أحمد والترمذي وحسنه.

(١) وروي بضمير الغائبين، وعدي هذا كان نصرانياً فأسلم رضي الله عنه.

فيه مسائل:

(الأولى) تفسير آية النور (الثانية) تفسير آية براءة (الثالثة) التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عدي (الرابعة) تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر وتمثيل أحمد بسفيان (الخامسة) تغير الأحوال إلى هذه الغاية صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال وتسمى الولاية. وعبادة الأحبار هي العلم والفقه، ثم تغيرت الحال إلى أن عبد من دون الله من ليس من الصالحين، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين.

باب

قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾ الآيات [النساء: ٦٠] وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١] وقوله: ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦] قوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ الآية [المائدة: ٥٠]. عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» قال النووي: حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح، وقال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود لعلمه أنهم يأخذون الرشوة. فاتفقا أن يأتيا كاهناً في جهينة فيتحا كما إليه فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ [النساء: ٦٠] وقيل: نزلت في رجلين اختصما فقال أحدهما: نترافع إلى النبي ﷺ، وقال

الآخر: إلى كعب بن الأشرف ثم ترافعا إلى عمر فذكر له أحدهما القصة فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ: كذلك؟ قال: نعم؛ فضربه بالسيف فقتله.

فيه مسائل:

(الأولى) تفسير آية النساء وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت (الثانية) تفسير آية البقرة ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١] (الثالثة) تفسير آية الأعراف ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦] (الرابعة) تفسير ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] (الخامسة) ما قاله الشعبي في سبب نزول الآية الأولى (السادسة) تفسير الإيمان الصادق والكاذب (السابعة) قصة عمر مع المنافق (الثامنة) كون الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ.

باب
من جحد شيئاً من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠] الآية. وفي صحيح البخاري قال علي: حدِّثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذَّب الله ورسوله؟ وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات استنكاراً لذلك فقال: ما فَرَق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه ويهلكون عند متشابهه. إهـ. ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن أنكروا ذلك فأنزل الله فيهم ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

فيه مسائل:

(الأولى) عدم الإيمان بشيء من الأسماء والصفات[1] (الثانية) تفسير آية الرعد (الثالثة) ترك التحديث بما لا يفهم السامع (الرابعة) ذكر العلة أنه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله ولو لم يتعمد المنكر (الخامسة) كلام ابن عباس لمن استنكر شيئًا من ذلك، وأنه هلك.

باب

قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ الآية [النحل: ٨٣]. قال مجاهد ما معناه: هو قول الرجل هذا مالي ورثته عن آبائي. وقال عون بن عبد الله: يقولون: لولا فلان لم يكن كذا. وقال ابن قتيبة: يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا، وقال أبو العباس بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه «إن الله تعالى قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر» الحديث وقد تقدم. وهذا كثير في الكتاب والسنة يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به. قال بعض السلف هو كقولهم: كانت الريح طيبة والملاح حاذقاً ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير. إهـ.

فيه مسائل:

(الأولى) تفسير معرفة النعمة، وإنكارها (الثانية) معرفة أن هذا جار على ألسنة كثير (الثالثة) تسمية هذا الكلام إنكاراً للنعمة (الرابعة) اجتماع الضدّين في القلب.

---

(١) أي حكم عدم الإيمان بذلك أو بحث عدم الإيمان بذلك يعني أن هذا موضوع المسألة.

باب

قول الله تعالى: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] قال ابن عباس في الآية: الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلانة وحياتي، وتقول لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص، وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت، وقول الرجل لولا الله وفلان. لاتجعل فيها فلانا[١] هذا كله به شرك[٢] رواه ابن أبي حاتم، وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم، وقال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي أن أحلف بغيره صادقاً. وعن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «لاتقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان» رواه أبو داود بسند صحيح. وجاء عن إبراهيم النخعي أنه يكره أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك قال: ويقول: لولا الله ثم فلان ولا تقولوا: لولا الله وفلان.

فيه مسائل:

(الأولى) تفسير آية البقرة في الأنداد (الثانية) أن الصحابة يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر بأنها تعم الأصغر (الثالثة) أن الحلف بغير الله شرك (الرابعة) أنه إذا حلف بغير الله صادقاً فهو أكبر من اليمين الغموس (الخامسة) الفرق بين الواو وثم في اللفظ.

---

(١) وفي بعض النسخ فلان بالرفع وهو يقصد حكاية لفظ فلان في الجملة الأخيرة، والمعنى لا تجعل فيها كلمة فلان مع اسم الله تعالى.

(٢) أي فيه نوع من الشرك. وما كل الشرك يُعَدُّ خروجا من الملة.

باب

ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا تحلفوا بآبائكم. من حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض، ومن لم يرض فليس من الله» رواه ابن ماجة بسند حسن.

فيه مسائل:

(الأولى) النهي عن الحلف بالآباء (الثانية) الأمر للمحلوف له بالله أن يرضى (الثالثة) وعيد من لم يرض.

باب

قول: ما شاء الله وشئت

عن قتيلة أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون. تقولون: ما شاء الله وشئت وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت. رواه النسائي وصححه. وله أيضاً عن ابن عباس أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت فقال: «أجعلتني لله نداً؟ ما شاء الله وحده».

ولابن ماجة عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود قلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون عزير ابن الله، قالوا وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد، فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته

قال: هل أخبرت بها أحداً؟ قلت: نعم. قال: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد: فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا. أنهاكم عنها فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده».

فيه مسائل:

(الأولى) معرفة اليهود بالشرك الأصغر (الثانية) فهم الإنسان إذا كان له هوى (الثالثة) قوله ﷺ: أجعلتني لله نداً؟ فكيف بمن قال:

* **يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك** * والبيتين بعده (الرابعة) أن هذا ليس من الشرك الأكبر لقوله: «يمنعني كذا وكذا» (الخامسة) أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي (السادسة) أنها قد تكون سبباً لشرع بعض الأحكام.

باب
من سبَّ الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾ الآية [الجاثية: ٢٤]. في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر أقلِّب الليل والنهار» وفي رواية «لا تسبُّوا الدهر فإن الدهر هو الله»[1].

---

(١) الحديث أخرجه الطبري سبباً لنزول الآية ورداً على المشركين في نسبتهم الحوادث إلى الدهر مع أن الدهر زمان لا عمل له، والإيذاء هنا الإغضاب المقتضي للعقاب. وقوله: «أنا الدهر» مفسر في الحديث بقوله «بيدي الأمر» إلخ أي كل ما ينسبونه إلى الدهر من التصرف فأنا الفاعل له. هذا ملخص شرح العلماء له

فيه مسائل:

(الأولى) النهي عن سب الدهر (الثانية) تسميته أذى لله (الثالثة) التأمل في قوله: «فإن الله هو الدهر» (الرابعة) أنه قد يكون ساباً ولو لم يقصد بقلبه.

باب
التسمي بقاضي القضاة ونحوه

في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك، لا ملك إلا الله» قال سفيان: مثل شاهان شاه» وفي رواية «أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبته» قوله: «أخنع» يعني «أوضع».

فيه مسائل:

(الأولى) النهي عن التسمي بملك الأملاك (الثانية) أنّ ما في معناه مثله كما قال سفيان (الثالثة) التفطن للتغليظ في هذا ونحوه مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه (الرابعة) التفطن أن هذا لإجلال الله سبحانه.

باب
احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شريح أنه كان يكنى أبا الحكم، فقال له النبي ﷺ: «إن الله هو الحكم وإليه الحكم» فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت

بينهم فرضي كلا الفريقين فقال: «ما أحسن هذا! فما لك من الولد؟ قلت: شريح ومسلم وعبد الله. قال: «فمن أكبرهم؟» قلت: شريح. قال: «فأنت أبوشريح» رواه أبو داود وغيره.

فيه مسائل:

(الأولى) احترام صفات الله وأسماء الله ولو لم يقصد معناه (الثانية) تغيير الاسم لغير ذلك (الثالثة) اختيار أكبر الأبناء للكنية.

باب

من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ الآية [التوبة: ٦٥]. عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة دخل حديث بعضهم في بعض أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء، فقال له عوف بن مالك: كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق فقال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تنكب رجليه وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، فيقول: رسول الله ﷺ: (أبالله وآياته ورسوله؛ كنتم تستهزئون؟) ما يلتفت إليه وما يزيده عليه.

فيه مسائل:

(الأولى)ـ وهي العظيمة ـ أن من هزل بهذا فهو كافر (الثانية) أن هذا تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائناً من كان (الثالثة) الفرق بين النميمة والنصيحة لله ولرسوله (الرابعة) الفرق بين العفو الذي يحبه الله وبين الغلظة على أعداء الله (الخامسة) أن من الأعذار ما لا ينبغي أن يقبل .

باب

ماجاء في قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ الآية [فصلت: ٥٠] قال مجاهد: هذا بعملي وأنا محقوق به، وقال ابن عباس، يريد من عندي، وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص: ٧٨] قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب. وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل، وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف، وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب اليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به[1]. قال: فمسحه فذهب عنه قذره وأعطي لونا حسنا وجلدا حسنا. قال فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو البقر – شك إسحاق[2] – فأعطي ناقة عُشَراء وقال: بارك الله لك فيها. قال فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به فمسحه فذهب عنه وأعطي شعراً حسناً فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: البقر أو الإبل. فأعطي

(١) قوله: (به) ليس في الصحيحين هنا ولا فيما بعده وهي كالتفسير.

(٢) برواية مسلم هكذا: شك إسحاق إلا أن الأبرص والأقرع قال أحدهما: الإبل، وقال الآخر: البقر.

بقرة حاملاً قال: بارك الله لك فيها؛ فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إليّ بصري فأبصر به الناس، فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم. فأعطي شاة والدا فأنتج هذان وولّد هذا، فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم، قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلّغ به في سفري، فقال: الحقوق كثيرة. فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيراً فأعطاك الله عز وجل المال؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر. فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت. قال: وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيَّرك الله إلى ما كنت. قال وأتى الأعمى في صورته فقال: رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلّغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فردّ الله إلي بصري، فخذ ما شئت ودعْ ما شئت، فو الله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله. فقال: أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك» أخرجاه.

فيه مسائل:

(الأولى) تفسير الآية (الثانية) ما معنى ﴿ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي ﴾؟ (الثالثة) ما معنى قوله: ﴿أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾؟ (الرابعة) ما في هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة.

باب

قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ الآية [الأعراف: ١٩٠] قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمر وعبد الكعبة وما أشبه ذلك حاشى عبد المطلب، وعن ابن عباس في الآية قال: لما تغشاها آدم حملت فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أولأجعلن له قرني أيِّل فيخرج من بطنك فيشقه ولأفعلن ولأفعلن - يخوفهما- سمياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً ثم حملت فأتاهما فقال مثل قوله فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتاً ثم حملت فأتاهما فذكر لهما فأدركهما حب الولد فسمياه عبد الحارث فذلك قوله ﴿جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ [الأعراف:١٩٠] رواه ابن أبي حاتم، وله بسند صحيح عن قتادة قال: شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته، وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا﴾ قال: اشفقا ألا يكون إنسانا وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.

فيه مسائل:

(الأولى) تحريم كل اسم معبد لغير الله (الثانية) تفسير الآية (الثالثة) أن هذا الشرك في مجرد التسمية لم تقصد حقيقتها (الرابعة) أن هبة الله للرجل البنت السوية من النعم (الخامسة) ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة.

باب

قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ الآية [الأعراف: ١٨٠] ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس يلحدون في أسمائه يشركون. وعنه سمّوا اللات من الإله والعزى من العزيز وعن الأعمش يدخلون فيها ما ليس منها.

فيه مسائل:

(الأولى) إثبات الأسماء (الثانية) كونهاحسنى (الثالثة) الأمر بدعائه بها (الرابعة) ترك من عارض من الجاهلين الملحدين (الخامسة) تفسير الإلحاد فيها (السادسة) الوعيد لمن ألحد.

باب

لا يقال: السلام على الله

في الصحيح عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان فقال النبي ﷺ: «لاتقولوا: السلام على الله؛ فإن الله هو السلام».

فيه مسائل:

(الأولى) تفسير السلام (الثانية) أنه تحية (الثالثة) أنها لا تصلح لله (الرابعة) العلة في ذلك (الخامسة) تعليمهم التحية التي تصلح لله.

باب

قول: اللهم اغفر لي إنْ شئت

في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لايقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت؛ ليعزم المسألة

فإن الله لا مكرِه له» ولمسلم: «وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه».

فيه مسائل:

(الأولى) النهي عن الاستثناء في الدعاء (الثانية) بيان العلة في ذلك (الثالثة) قوله ليعزم المسألة (الرابعة) إعظام الرغبة (الخامسة) التعليل لهذا الأمر.

باب
لا يقول: عبدي وأَمَتي

في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقل أحدكم: أطْعِم ربك وَضِّئْ ربك. وليقل: سيدي ومولاي. ولا يقل: عبدي وأمَتِي. وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي».

فيه مسائل:

(الأولى) النهي عن قول: «عبدي وأمَتي» (الثانية) لا يقول العبد: ربي، ولا يقال له: أطعم ربك (الثالثة) تعليم الأول قول: فتاي وفتاتي وغلامي(الرابعة) تعليم الثاني قول: سيدي ومولاي (الخامسة) التنبيه للمراد وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ.

باب
لا يردّ من سأل بالله

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من استعاذ بالله فأعيذوه ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى ترون أنكم قد كافأتموه»

رواه أبوداود والنسائي بسند صحيح .

فيه مسائل:

(الأولى) إعاذة من استعاذ بالله: (الثانية) إعطاء من سأل بالله (الثالثة) إجابة الدعوة (الرابعة) المكافأة على الصنيعة (الخامسة) أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه (السادسة) قوله: «حتى ترون أنكم قد كافأتموه» .

باب

لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يسأل بوجه الله إلا الجنة» رواه أبو داود .

فيه مسائل:

(الأولى) النهي عن أن يسأل بوجه الله إلا غاية المطالب (الثانية) إثبات صفة الوجه .

باب

ماجاء في «اللو»

وقول الله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا ﴾ [آل عمران: ١٥٤] وقوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ الآية [آل عمران: ١٦٨] .

في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل، فإن «لو» تفتح عمل الشيطان» .

فيه مسائل:

(الأولى) تفسير الآيتين في آل عمران(الثانية) النهي الصريح عن قول «لو» إذا أصابك شيء (الثالثة) تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان (الرابعة) الإرشاد إلى الكلام الحسن (الخامسة) الأمر بالحرص على ما ينفع مع الاستعانة بالله (السادسة) النهي عن ضد ذلك وهو العجز .

باب

النهي عن سب الريح

عن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا الريح فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر مافيها وشر ما أمرت به» صححه الترمذي .

فيه مسائل:

(الأولى) النهي عن سب الريح (الثانية) الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره (الثالثة) الإرشاد إلى أنها مأمورة (الرابعة) أنها قد تؤمر بخير وقد تؤمر بالشر .

باب

قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] وقوله ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ الآية [الفتح: ٦] .

قال ابن القيم في الآية الأولى: فُسِّر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله وأن أمره سيضمحل، وفسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر ا$ وحكمته ففسر بإنكار الحكمة وإنكار القدر وإنكار أن يتم أمر رسوله وأن يظهره على الدين كله وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذاظن السوء؛ لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه وما يليق بحكمته وحمده، ووعده الصادق فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره بحكمة بالغة يستحق عليها الحمد بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة فذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار، وأكثر الناس يظنون با$ ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم ولا يسلم من ذلك إلا من عرف ا$ وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده فليعتن اللبيب والناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى ا$ ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا فمستقل ومستكثر وفتش نفسك هل أنت سالم.

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة ... وإلا فإني لا إخالك ناجيا

فيه مسائل:

(الأولى) تفسير آية آل عمران (الثانية) تفسير آية الفتح (الثالثة) الإخبار بأن ذلك أنواع لا تحصر (الرابعة) أنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه.

باب

ما جاء في منكري القدر

وقال ابن عمر: والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر. ثم استدل بقول النبي ﷺ: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» رواه مسلم.

وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: يا بني، إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، فقال: ربِّ، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة» يا بني، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات على غير هذا فليس مني» وفي رواية لأحمد: «إن أول ما خلق الله تعالى القلم ثم قال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة» وفي رواية لابن وهب قال رسول الله ﷺ: «فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار».

وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال: أتيت أُبي بن كعب فقلت: في نفسي شيء من القدر فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي فقال: لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار. قال: فأتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة

ابن اليمان وزيد بن ثابت فكلهم حدثني بمثل ذلك. حديث صحيح عن النبي ﷺ رواه الحاكم في صحيحه.

فيه مسائل:

(الأولى) بيان فرض الإيمان بالقدر (الثانية) بيان كيفية الإيمان به (الثالثة) إحباط عمل من لم يؤمن به (الرابعة) الإخبار بأن أحداً لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به (الخامسة) ذكر أول ما خلق الله (السادسة) أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة (السابعة) براءته ﷺ ممن لم يؤمن به (الثامنة) عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء (التاسعة) أن العلماء أجابوه بما يزيل الشبهة وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله ﷺ فقط.

باب
ما جاء في المصوِّرين

عن أبي هريرة قال: قال: رسول الله ﷺ «قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرّة أو ليخلقوا حبّة أو ليخلقوا شعيرة» أخرجاه. ولهما عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: «أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله» ولهما عن ابن عباس سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل مصوِّر في النار يجعل له بكل صورة صوَّرها نفس يُعَذَّب بها في جهنم» ولهما عنه مرفوعاً: «من صوّر صورة في الدنيا كلِّف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ» ولمسلم عن أبي الهياج قال: قال لي علي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ «ألاَّ تدع

صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سوَّيته».

فيه مسائل:

(الأولى) التغليظ الشديد في المصورين (الثانية) التنبيه على العلة وهو ترك الأدب مع الله لقوله: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي» (الثالثة) التنبيه على قدرته وعجزهم لقوله: «فليخلقوا ذرة أو شعيرة» (الرابعة) التصريح بأنهم أشد الناس عذاباً (الخامسة) أن الله يخلق بعدد كل صورة نفساً يعذب بها في جهنم (السادسة) أنه يكلَّف أن ينفخ فيها الروح (السابعة) الأمر بطمسها إذا وجدت.

باب

ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩] عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب» أخرجاه.

وعن سلمان أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه» رواه الطبراني بسند صحيح. وفي الصحيح عن عمران بن حصين ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً؟ ثم إن بعدكم قوماً

يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن».

وفيه عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته» قال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار.

فيه مسائل:

(الأولى) الوصية بحفظ الأيمان (الثانية) الإخبار بأن الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة (الثالثة) الوعيد الشديد فيمن لا يبيع إلا بيمينه ولا يشتري إلا بيمينه (الرابعة) التنبيه على أن الذنب يعظم من قلة الداعي (الخامسة) ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون (السادسة) ثناؤه ﷺ على القرون الثلاثة أو الأربعة وذكر ما يحدث بعدهم (السابعة) ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون (الثامنة) كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد.

باب
ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

وقول الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ الآية [النحل: ٩١]. عن بريدة أن رسول الله ﷺ كان إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً فقال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلُّوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين

فادعهم إلى ثلاث خصال- أو خلال- فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكفَّ عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله تعالى ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن أبوا فاسألهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكفَّ عنهم، فإن هم أبَوْا فاستعن بالله وقاتلْهم، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلاتنزلهم على حكم الله ولكن أنزلْهم على حكمك فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا؟» رواه مسلم.

فيه مسائل:

(الأولى) الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين (الثانية) الإرشاد إلى أقل الأمرين خطراً (الثالثة) قوله: «اغزوا باسم الله في سبيل الله» (الرابعة) قوله: «فاقتلوا من كفر بالله» (الخامسة) قوله: «استعن بالله وقاتلهم» (السادسة) الفرق بين حكم الله وحكم العلماء (السابعة) في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا؟ .

باب
ما جاء في الإقسام على الله

عن جندب بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «قال رجل: والله لا

يغفر الله لفلان، فقال الله عز وجل: من ذا الذي يتألى عليّ ألا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له وأحبطت عملك» رواه مسلم. وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد، قال أبو هريرة: تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.

فيه مسائل:

(الأولى) التحذير من التألي على الله (الثانية) كون النار أقرب إلى أحدنا من شراك نعله (الثالثة) أن الجنة مثل ذلك (الرابعة) فيه شاهد لقوله: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة» إلخ (الخامسة) أن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه.

باب
لا يستشفع بالله على خلقه

عن جبير بن مطعم قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، نهكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك فإنا نستشفع بالله عليك وبك على الله. فقال النبي ﷺ: «سبحان الله! سبحان الله!» فمازال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال النبي ﷺ: «ويحك! أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه» وذكر الحديث. رواه أبو داود.

فيه مسائل:

(الأولى) الإنكار على من قال: نستشفع بالله عليك (الثانية) تغيره تغيراً عرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة (الثالثة) أنه لم ينكر عليه قوله: «نستشفع بك على الله» (الرابعة) التنبيه على تفسير (سبحان الله)

(الخامسة) أن المسلمين يسألونه الاستسقاء.

باب

ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسدّه طرق الشرك

عن عبد الله بن الشخير قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ فقلنا: أنت سيدنا فقال: «السيد الله تبارك وتعالى» قلنا وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً فقال: «قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان» رواه أبو داود بسند جيد. وعن أنس - رضي الله عنه - أن ناسا قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وياسيدنا وابن سيدنا فقال: «يا أيها الناس، قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل» رواه النسائي بسند جيد.

فيه مسائل:

(الأولى) تحذير الناس عن الغلو[1] (الثانية) ماينبغي أن يقول من قيل له: أنت سيدنا (الثالثة) قوله: «ولا يستجرينكم الشيطان» مع أنهم لم يقولوا إلاالحق (الرابعة) قوله: «ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي».

باب

ما جاء في قول الله تعالى

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الآية [الزمر: ٦٧] عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: جاء حبر من الأحبار

(١) وفي النسخة الهندية (من) بدل (عن).

إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السموات على أصبع والأرضين والشجر على أصبع والماء على أصبع والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع فيقول: أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الآية [الزمر: ٦٧] وفي رواية لمسلم: والجبال والشجر على أصبع ثم يهزهن فيقول: (أنا الملك أنا الله) وفي رواية للبخاري: يجعل السموات على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع. أخرجاه. ولمسلم عن ابن عمر مرفوعا يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟» وروي عن ابن عباس قال: ما السموات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم. وقال ابن جرير: حدثني يونس أنبأنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس» قال: وقال أبو ذر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض».

وعن ابن مسعود قال: بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام وبين كل سماء خمسمائة عام وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي والماء خمسمائة عام والعرش فوق الماء والله فوق

العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم. أخرجه ابن مهدي عن حماد ابن سلمة عن عاصم عن ذرّ عن عبد الله ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله قاله الحافظ الذهبي - رحمه الله تعالى - قال: وله طرق، وعن العباس بن عبد المطلب قال: قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون كم بين السماء والأرض؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكثف كل سماء خمسمائة سنة وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه بين السماء والأرض والله سبحانه وتعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم» أخرجه أبو داود وغيره[1].

---

(١) ولكن ذكر أن المسافة بين كل سماء ٧١ أو ٧٢ أو ٧٣ سنة لا خمسمائة. وقد أورده حفيد المؤلف في تعليقه على كتاب التوحيد بنصه وذكر شراح أبي داود في إسناده الوليد بن عبدالله ابن أبي ثور وأنه لا يحتج به. أقول وفي تهذيب التهذيب أنه منكر الحديث وكذّاب. وإنما يروى التحديد بالخمسمائة عن أبي هريرة وأبي ذر وحديث كل منها منقطع. ليس في تحديد المسافات بين السموات والأرض بخمسمائة عام حديث مرفوع صحيح. وإنما ذكر الشيخ كغيره من علماء السنة هذا؛ لأنه مؤيد بالأحاديث الصحيحة في علو الله تعالى على خلقه ودال على قدرته تعالى، فحديث أبي هريرة عن الحسن عنه قال الترمذي: غريب ويروى عن أيوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد أنهم قالوا: لم يسمع الحسن من أبي هريرة. ورواه أبو الشيخ في العظمة من رواية أبي نصر عن أبي ذر ورجاله ثقات إلا أنه لا يعرف لأبي نصر سماع من أبي ذر، قاله الحافظ العراقي ومثله عن البيهقي وذكر الحافظ ابن كثير في آخر تفسير سورة الطلاق حديث أبي هريرة وما تعقّبه به الترمذي والبيهقي ورواية أحمد والبزار له بزيادة: لو دليتم بحبل إلى الأرض السفلى السابعة لهبط على الله إلخ وأن ابن أبي حاتم رواه بدون هذه الزيادة. ثم ذكر حديث أبي ذر عن مسند البزار والأسماء والصفات للبيهقي، وقال: ولكنْ في إسناده نظر وفي متنه غرابة ونكارة. =

فيه مسائل:

(الأولى) تفسير قوله: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾ [الزمر: ٦٧] (الثانية) أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه ولم ينكروها ولم يتأولوها (الثالثة) أن الحبر لما ذكرها للنبي ﷺ صدقه ونزل القرآن بتقرير ذلك (الرابعة) وقوع الضحك من رسول الله ﷺ عند ذكر الحبر هذا العلم العظيم (الخامسة) التصريح بذكر اليدين وأن السموات في اليد اليمنى والأرضين في الأخرى (السادسة) التصريح بتسميتها الشمال (السابعة) ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك (الثامنة) قوله: «كخردلة في كف أحدكم» (التاسعة) عظَم الكرسي بالنسبة إلى السموات (العاشرة) عظمة العرش بالنسبة إلى الكَرسي (الحادية عشرة) أن العرش غير الكرسي والماء

= وفي الباب حديث ابن عمر مرفوعاً عند ابن أبي حاتم والحاكم وصححه وفيه مسألة الحوت والصخرة.. إلخ وقد قال الحافظ الذهبي متعقباً للحاكم: هو حديث منكر، وقال البيهقي: إسناد هذا عن ابن عباس صحيح وهو شاذ بمرة لا أعلم لأبي الضحى متابعاً عليه إهـ. ذكره القسطلاني في شرح البخاري وقال: ففيه أنه لا يلزم من صحة الإسناد صحة المتن إلخ.

أقول: والظاهر أنه مأخوذ من الإسرائيليات كما قال في البداية عن أثر ابن عباس في السبع الأرضين الذي قال فيه البيهقي: إنه شاذ بمرة. وقال ابن كثير هذا وأمثاله إذا لم يصح سنده إلى معصوم فهو مردود على قائله وقد راجعت بعد كتابة ما ذكر تعليق الشيخ عبد الرحمن حسن حفيد المؤلف على كتاب التوحيد فرأيته أشار إلى ضعف الحديث، وقال: إنه لا عبرة به؛ لأن له شواهد في الصحيحين وغيرهما. وإنما هذه الشواهد في معنى علو الرب تعالى على خلقه لا في تحديد المسافات بين السموات والأرض وثخنها فهذا لم يرو منه مرفوعاً إلا ما ذكرناه آنفاً. وغرضنا من هذا التعليق ألا يجعل هذا المعنى المنكر الذي لم يصح فيه شيء من قبيل القطعيات كعلو الله تعالى فيطعن أحد في دين من ينكر هذه المسافات والأبعاد المتعارضة المنكرة الرواية.

(الثانية عشرة) كم بين كل سماء إلى سماء (الثالثة عشرة) كم بين السماء السابعة والكرسي (الرابعة عشرة) كم بين الكرسي والماء (الخامسة عشرة) أن العرش فوق الماء (السادسة عشرة) أن الله فوق العرش (السابعة عشرة) كم بين السماء والأرض (الثامنة عشرة) كثف كل سماء خمسمائة سنة (التاسعة عشرة) أن البحر الذي فوق السموات بين أعلاه وأسفله مسيرة خمسمائة سنة. والله سبحانه وتعالى أعلم.

الكتاب الثاني

من مجموعة التوحيد النجدية

كتاب كشف الشبهات

تأليف شيخ الإسلام، وعَلَم الأعلام، الإمام المجدد
الشيخ محمد بن عبدالوهاب
رحمه الله تعالى

الذي قال فيه حفيد المصنف الشيخ سليمان ابن الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى:

كشفت بالكشف عنا كل معضلة	ظل الذكي بها في الكون حيرانا
نصرت فيه طريقاً للنبي غدت	لا تستطيع لها الأفهام عرفانا
ذرت عليها الذراري فهي خافية	حتى جهدت لها بحثاً وتبيانا
فأصبح الناس قد هبوا وقد عرفوا	من بعد رقدتهم حيناً وأزمانا
أتيت تتلو كتاب الله مجتهداً	حتى شددت من الإسلام أركانا
فأصبحت ملة الإسلام نائلة	نصراً وعزاً وتثبيتاً وإتقانا
جزاك ربك عنا كل صالحة	أمناً ورحماً وتكريماً ورضوانا

فهرس مفصل لكتاب كشف الشبهات

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم - رحمك الله - أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه بالعبادة، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده، فأولهم نوح - عليه السلام - أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين «وَدًّ» و«سُواعٍ» و«يَغُوثَ» و«يعوقَ» و«نَسْرا»، وآخر الرسل محمد ﷺ وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين، أرسله الله إلى أناس يتعبَّدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله، يقولون نريد منهم التقرب إلى الله، ونريد شفاعتهم عنده مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين، فبعث الله محمداً ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم - عليه السلام - ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله، لا يصلح منه شيء لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل فضلاً عن غيرهما، وإلا فهؤلاء المشركون مقرُّون يشهدون أن الله هو الخالق الرازق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي ولا يميت إلا الله، ولا يدبِّر الأمر إلا هو: وأن جميع السموات السبع ومن فيهن والأرضين ومن فيهن كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره.

فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا فاقرأ قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ

وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١] وقوله: ﴿قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤، ٨٥] إلى قوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٩] وغير ذلك من الآيات.

فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا ولم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ، وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلاً ونهاراً، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له، أو يدعو رجلاً صالحاً مثل اللات، أو نبياً مثل عيسى، وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨] وكما قال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٤] وتحققت أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله، والذبح كله لله، والنذر كله لله، والاستغاثة كلها بالله، وجميع أنواع العبادة كلها لله، وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وأن قصدهم الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم.

عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون، وهذا التوحيد هو معنى قولك: لا إله إلا الله. فإن الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور سواء كان ملكًا، أو نبيًا، أو

ولياً، أو شجرة، أو قبراً، أو جنِّيًا. لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك، وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ (السيد)، فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله، والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها، والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالتعلق، والكفر بما يعبد من دونه والبراءة منه، فإنه لما قال لهم: قولوا لا إله إلا الله قالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني. والحاذق منهم يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله ولا يدبر الأمر إلا الله. فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله.

إذا عرفت ما قلت لك معرفة قلب وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ الآية [النساء: ٤٨]، وعرفت دين الله الذي بعث به الرسل من أولهم إلى آخرهم الذي لايقبل الله من أحد سواه، وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا أفادك فائدتين؛ الأولى: الفرح بفضل الله وبرحمته كما قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨] وأفادك أيضاً الخوف العظيم، فإنك إذا عرفت أن الانسان يكفر بكلمة يخرجها من

لسانه وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله كما ظن المشركون خصوصاً إن ألهمك الله تعالى ما قص عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم أنهم أتوه قائلين: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] فحينئذ يعظم خوفك وحرصك على ما يخلصك من هذا وأمثاله.

واعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبيًا بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢] وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣].

إذا عرفت ذلك وعرفت أن الطريق إلى الله تعالى لا بد له من أعداء قاعدين عليه أهل فصاحة وعلم وحجج، فالواجب عليك أن تعلم من دين الله ما يصير سلاحاً لك تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك عز وجل: ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧] ولكن إذا أقبلت على الله وأصغيت إلى حجج الله وبيناته فلا تخف ولا تحزن ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]. والعامي من الموحِّدين يغلب الألف من علماء هؤلاء المشركين كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣] فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان،

وإنما الخوف على الموحِّد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح، وقد منَّ الله علينا بكتابه الذي جعله تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين، فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها، كما قال تعالى: ﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾ [الفرقان: ٣٣] قال بعض المفسرين: هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة.

وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا فنقول: جواب أهل الباطل من طريقين: مجمل، ومفصل.

أما المجمل فهو الأمر العظيم، والفائدة الكبيرة لمن عقلها وذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذي سمَّى الله فاحذروهم» مثال ذلك إذا قال لك بعض المشركين: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] أو أن الشفاعة حق أو أن الأنبياء لهم جاه عند الله، أو ذكر كلاماً للنبي ﷺ يستدل به على شيء من باطله، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره فجاوبْه بقولك: إن الله ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكَم ويتبعون المتشابه، وما ذكرته لك من أن الله تعالى ذكر أن المشركين يقرُّون بالربوبية، وأنه كفَّرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع

قولهم: ﴿وهَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] هذا أمر محكم بيِّن لا يقدر أحد أن يغيِّر معناه، وما ذكرته لي أيها المشرك من القرآن أو كلام رسول الله ﷺ لا أعرف معناه، ولكن أقطع أن كلام الله لايتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله عز وجل، وهذا جواب جيِّد سديد ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله تعالى، فلا تَستَهن به فإنه كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].

وأما الجواب المفصل فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل يصدون بها الناس عنه، منها قولهم: نحن لا نشرك بالله بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضرُّ إلا اللهُ وحده لا شريك له، وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً عن عبد القادر أو غيره، ولكنْ أنا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله وأطلب من الله بهم، فجاوبْه بما تقدم، وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بما ذكرت ومقرون أن أوثانهم لا تدبر شيئاً، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة، واقرأ عليه ماذكر الله في كتابه ووضِّحْه.

فإن قال: هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام؟ أم كيف تجعلون الأنبياء أصناماً؟ فجاوبْه بما تقدم، فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة. ولكن إذا أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكر فاذكر له أن الكفار منهم من يدعو الأصنام ومنهم من يدعو الأولياء الذين

قال الله فيهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ الآية [الإسراء: ٥٧]، ويدعون عيسى بن مريم وأمه وقد قال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة:٧٥، ٧٦]. واذكر له قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١] وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦]. فقل له: عرفت أن الله كفَّر من قصد الأصنام، وكفَّر أيضاً من قصد الصالحين، وقاتلهم رسول الله ﷺ.

فإن قال: الكفار يريدون منهم وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر لا أريد إلا منه، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم.

فالجواب: أن هذا قول الكفار سواء بسواء، واقرأ عليه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر ٣] وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]. واعلم أن هذه الشُّبَه الثلاث هي أكبر ما عندهم، فإذا عرفت أن الله وضَّحها في

كتابه وفهمتها فهماً جيداً فما بعدها أيسر منها .

فإن قال : أنا لا أعبد إلا الله وهذا الالتجاء إليهم ودعاؤهم ليس بعبادة . فقل له : أنت تقر أن الله افترض عليك إخلاص العبادة لله، فإذا قال : نعم، فقل له : بيِّن لي هذا الذي فرضه عليك وهو إخلاص العبادة لله وهو حقه عليك، فإنه لا يعرف العبادة ولا أنواعها فبينها له بقولك : قال الله تعالى : ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [**الأعراف** : ٥٥] فإذا أعلَمْتَه بهذا فقل له : هل علمت هذا عبادة لله؟ فلا بد أن يقول : نعم، والدعاء مُخُّ العبادة، فقل له : إذا أقررت أنها عبادة ودعوت الله ليلاً ونهاراً خوفاً وطمعاً، ثم دعوت في تلك الحاجة نبيًا أو غيره، هل أشركت في عبادة الله غيره؟ فلابد أن يقول : نعم[1] فإذا عملت بقول الله تعالى : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر : ٢] وأطعت الله ونحرت له، هل هذا عبادة؟ فلا بد أن يقول : نعم . فقل له : فإن نحرت لمخلوق نبي أو جني أو غيرهما هل أشركت في هذه العبادة غير الله؟ فلا بد أن يُقرَّ ويقول : نعم وقل له أيضاً : المشركون الذين نزل فيهم القرآن هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك؟ فلا بد أن يقول : نعم . فقل له : وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك؟ وإلا فهم مُقرّون أنهم عبيده وتحت قهره، وأن الله هو الذي يدبِّر الأمر، ولكن دعوهم والتجؤوا إليهم للجاه والشفاعة، وهذا ظاهر جداً .

(١) لعله سقط من هنا : فقل له .

فإن قال: أتُنكر شفاعة رسول الله ﷺ وتَبْرأ منها؟ فقل: لا أنكرها ولا أتبرأ منها بل هو ﷺ الشافع المشفع وأرجو شفاعته، ولكن الشفاعة كلها لله تعالى كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤] ولا تكون إلا من بعد إذن الله كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ولا يشفع في أحد إلا بعد أن يأذن الله فيه كما قال تعالى: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]. فإذا كانت الشفاعة كلها لله ولا تكون إلا من بعد إذنه، ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن الله تعالى إلا لأهل التوحيد؛ تبين لك أن الشفاعة كلها لله وأطلبها فأقول: اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شفّعه فيَّ، وأمثال هذا.

فإن قال: النبي ﷺ أعطي الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله[1].

فالجواب: أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا فقال تعالى: ﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] فإذا كنت تدعو الله أن يشفّع نبيه فيك فأطعه في قوله: ﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ وأيضاً فإن الشفاعة أعْطيها غير النبي ﷺ فصح أن الملائكة يشفعون، والأفراط يشفعون، والأولياء يشفعون، أتقول: إن الله أعطاهم الشفاعة فأطلبها منهم؟ فإن قلت هذا

(١) المعنى: وأنا أطلب منه مما أعطاه الله، وقد كرر الشيخ هذه الكلمة فالظاهر أنها محكية، أي: كان أهل نجد ومن يقرب منهم يقولونها.

رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكرها الله في كتابه . وإن قلت : لا ، بطل قولك : أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله .

فإن قال : أنا لا أشرك بالله شيئاً حاشا وكلا ، ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك . فقل له : إذا كنت تقرُّ أن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا ، وتقرُّ أن الله لا يغفره ، فما هذا الأمر الذي حرمه الله وذكر أنه لا يغفره؟ فإنه لا يدري ، فقل له : كيف تبرِّئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه؟ كيف يحرِّم الله عليك هذا ويذكر أنه لا يغفره ولاتسأل عنه ولا تعرفه؟ أتظن أن الله يحرِّمه ولا يبينه لنا؟ فإن قال : الشرك عبادة الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام ، فقل له : ما معنى عبادة الأصنام؟ أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبِّر أمر مَنْ دعاها؟ فهذا يكذبه القرآن ، وإن قال : هو من قصد خشبةً أو حجراً أو بنية على قبر أو غيره يدعون ذلك ويذبحون له يقولون إنه يقربنا إلى الله زُلْفى ويدفع الله عنا ببركته أو يعطينا ببركته ، فقل : صدقت ، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والأبنية التي على القبور وغيرها . فهذا أقرَّ أن فِعْلهم هذا هو عبادة الأصنام فهو المطلوب .

ويقال له أيضاً : قولك الشرك عبادة الأصنام ؛ هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا وأن الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في ذلك؟ فهذا يردُّ ما ذكره الله في كتابه منْ كُفْر مَنْ تعلق على الملائكة أو عيسى أو الصالحين ، فلا بد أن يقر لك أَن من أشرك في عبادة الله أحداً من

الصالحين فهذا هو الشرك المذكور في القرآن وهذا هو المطلوب، وسرُّ المسألة أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله، فقل له: وما الشرك بالله؟ فسِّره لي. فإن قال: هو عبادة الأصنام، فقل: وما معنى عبادة الأصنام؟ فسِّرها لي. فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله، فقل: ما معنى عبادة الله؟ فسِّرها لي. فإن فسَّرها بما بينه القرآن فهو المطلوب، وإن لم يعرفه فكيف يدعي شيئاً وهو لا يعرفه؟ وإن فسر ذلك بغير معناه بينت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان أنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا ويصيحون فيه كما صاح إخوانهم حيث قالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد هو الشرك الذي نزل فيه القرآن وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه، فاعلم أن شرك الأولين أخفُّ من شرك أهل زماننا بأمرين:

أحدهما: أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا في الرخاء، وأما في الشِّدَّة فيخلصون لله الدين كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧] وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٤٠ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠، ٤١]

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ [الزمر: ٨] إلى قوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر: ٨] وقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢].

فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله تعالى ويدعون غيره في الرخاء وأما في الضر والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له وينسون ساداتهم، تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين، ولكن أين من يفهم قلبه هذا المسألة فهماً راسخاً؟ والله المستعان.

والأمر الثاني: أن الأولين يدعون مع الله أناساً مقربين عند الله إما أنبياء وإما أولياء وإما ملائكة أو يدعون أحجاراً أو أشجاراً مطيعة لله ليست عاصية، وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً منْ أفْسَق الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنَا والسرقَة وترك الصلاة وغير ذلك، والذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصي مثل الخشب والحجر أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به.

إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصحُّ عقولاً وأخفُّ شركاً من هؤلاء فاعلم أن لهؤلاء شبهةً يوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شبههم، فأصغْ سمعك لجوابها، وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله ويكذبون الرسول ﷺ وينكرون البعث ويكذبون القرآن ويجعلونه سحراً، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي ونصوم،

فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟

فالجواب: أن لا خلاف بين العلماء كلِّهم أن الرجل إذا صدَّق رسول الله ﷺ في شيء وكذَّبه في شيء أنه كافر لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه كمن أقرَّ بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة، أو أقرَّ بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة، أو أقرَّ بهذا كله وجحد الصوم، أو أقرَّ بهذا كله وجحد الحج. ولما لم يَنْقَدْ أناس في زمن النبي ﷺ للحج أنزل الله في حقهم ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] ومَنْ أقرَّ بهذا كله وجحد البعث كفر بالإجماع وحلَّ دمه وماله كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ الآية [النساء: ١٥٠، ١٥١].

فإذا كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقًّا زالت هذه الشبهة، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسله إلينا.

ويقال أيضاً: إذا كنت تقرُّ أن مَنْ صدَّق الرسول في كل شيء وجحد وجوب الصلاة فهو كافرٌ حلالُ الدم والمال بالإجماع، وكذلك إذا قر بكل شيء إلا البعث، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان وكذب بذلك كله لا يجحد هذا ولا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن كما قدّمنا.

فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج.

فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر؟ سبحان الله! ما أعجب هذا الجهل!

ويقال أيضاً: هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وقد أسلموا مع النبي ﷺ وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ويؤذنون ويصلون، فإن قال: إنهم يقولون إن مسيلمة نبي، قلنا: هذا هو المطلوب إذا كان من رفع رجلاً في رتبة النبي ﷺ كفر وحل ماله ودمه ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف أو صحابيًا أو نبيًا في رتبة جبار السموات والأرض؟ سبحان الله! ما أعظم شأنه! ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٥٩].

ويقال أيضاً: الذين حرّقهم علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بالنار كلهم يدّعون الإسلام وهم من أصحاب علي - رضي الله عنه - وتعلموا العلم من الصحابة ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان[1] وأمثالهما فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟ أتظنون أن الصحابة يكفّرون المسلمين؟ أتظنون أن الاعتقاد في تاج[1]

(١) يوسف وشمسان وتاج أسماء لبعض المعتقدين في تلك البلاد الذين يدعون مع الله أو من دون الله كالبدوي والدسوقي والمتبولي وأمثالهم في مصر.

وأمثاله لا يضرُّ، والاعتقاد في علي بن أبي طالب يكفر.

ويقال أيضاً: بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمن بني العباس كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويدَّعون الإسلام ويصلون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنفذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.

ويقال أيضاً: إذا كان الأولون لم يكفَّروا إلا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول ﷺ والقرآن وإنكاره وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب (باب حكم المرتد) وهو المسلم يكفر بعد إسلامه، ثم ذكروا أنواعاً كثيرة كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله، حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو كلمة يذكرها على وجه المزاح واللعب.

ويقال أيضاً: الذين قال الله فيهم: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤] أما سمعت الله كفَّرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ ويجاهدون معه ويصلون معه ويزكون ويحجون ويوحدون. وكذلك الذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦] فهؤلاء الذين صرح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم وهم مع

رسول الله ﷺ في غزوة تبوك قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح.

فتأمل هذه الشبهة وهي قولهم: تكفرون من المسلمين أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله ويصلون ويصومون، ثم تأمل جوابها فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق.

ومن الدليل على ذلك أيضاً ما حكى الله تعالى عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم أنهم قالوا لموسى: ﴿**اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ**﴾ [**الأعراف**: ١٣٨] وقول أناس من الصحابة: اجعل لنا ذات أنواط. فحلف رسول الله ﷺ أن هذا مثل قول نبي إسرائيل: ﴿**اجْعَل لَّنَا إِلَهًا**﴾، ولكن للمشركين شبهةً يدلون بها عند هذه القصة. وهي أنهم يقولون: إن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك، وكذلك الذين قالوا للنبي ﷺ: اجعل لنا ذات أنواط لم يكفروا.

فالجواب: أن تقول: إن بني إسرائيل لم يفعلوا وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا، ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا، وكذلك لا خلاف أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا وهذا هو المطلوب، ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها فتفيد التعلم والتحرُّز ومعرفة أن قول الجاهل: التوحيد فهمناه، أن هذا من أكبر الجهل ومكايد الشيطان، وتفيد أيضاً أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلامِ كُفْرٍ وهو لايدري فَنُبِّهَ على ذلك وتاب من ساعته أنه لا يكفر كما فعل بنو إسرائيل

والذين سألوا النبي ﷺ . وتفيد أيضاً أنه لو لم يكفر فإنه يُغَلَّظ عليه الكلام تغليظاً شديداً كما فعل رسول الله ﷺ .

ولهم شبهة أخرى، يقولون: إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال: لا إله إلا الله. وقال: «أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟» وكذلك قوله: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»، وأحاديث أخر في الكف عمن قالها. ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل مافعل.

فيقال لهؤلاء المشركين الجهال: معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون لا إله إلا الله، وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ويدّعون الإسلام، وكذلك الذين حرَّقهم علي بن أبي طالب وهؤلاء الجهلة مُقرّون أنّ من أنكر البعث كفر وقُتل ولو قال: لا إله إلا الله، وأن من جحد شيئًا من أركان الإسلام كفر وقُتل ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد شيئًا من الفروع وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه؟! ولكنّ أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث.

فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلاً ادَّعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعاه إلا خوفاً على دمه وماله. والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكفُّ عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله في ذلك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء: ٩٤] أي: فتثبتوا، فالآية تدل على أنه يجب الكفّ عنه والتثبت، فإن تبين منه بعد ذلك ما

يخالف الإسلام قتل لقوله: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى. وكذلك الحديث الآخر وأمثاله معناه ما ذكرناه أن من أظهر الإسلام والتوحيد وجب الكف عنه إلا إن تبين منه ما يناقض ذلك.

والدليل على هذا أن رسول الله ﷺ الذي قال: «أقَتَلْته بعد ما قال لا إله إلا الله؟» وقال: «أمرت أن أقاتل حتى يقولوا لا إله إلا الله» هو الذي قال في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم. لئن أدركتهم لأقتلنَّهم قتل عاد» مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلاً، حتى إن الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم وهم تعلموا العلم من الصحابة فلم تنفعهم لا إله إلا الله ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الإسلام، لما ظهر منهم مخالفة الشريعة، وكذلك ماذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة بني حنيفة.

وكذلك أراد ﷺ أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة حتى أنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦] وكان الرجل كاذباً عليهم، فكل هذا يدل على أن مراد النبي ﷺ في الأحاديث ما ذكرناه.

ولهم شبهة أخرى: وهي ما ذكر النبي ﷺ أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بموسى ثم بعيسى فكلهم يعتذرون حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ قالوا: فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً.

فالجواب أن نقول: سبحانَ مَنْ طَبَع على قلوب أعدائه! فإن الاستغاثة بالمخلوق على ما يقدر عليه لا ننكرها كما قال تعالى في قصة موسى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص: ١٥] وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب وغيرها من الأشياء التي يقدر عليها المخلوق. ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء أو في غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله.

إذا ثبت ذلك فالاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف. وهذا جائز في الدنيا والآخرة أن تأتي عند رجل صالح حي يجالسك ويسمع كلامك وتقول له: ادع الله لي كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه في حياته. وأما بعد موته فحاشا وكلا أنهم سألوه[1] ذلك عند قبره، بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره فكيف دعاؤه نفسه؟!

ولهم شبهة أخرى: وهي قصة إبراهيم - عليه السلام - لما ألقي في النار اعترض له جبريل في الهواء فقال: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم عليه السلام: أما إليك فلا. قالوا: فلو كانت الاستغاثة بجبريل شركاً لم يعرضها على إبراهيم.

فالجواب: أن هذا من جنس الشبهة الأولى، فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه، فإنه كما قال الله تعالى فيه: ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾

---

(١) كذا في الأصل، والمراد أنهم ما سألوه، وهذا التعبير مستعمل في نجد وفي الأمصار في النفي، أي: حاشا أن يكونوا سألوه

[النجم:٥] فلو أذن الله له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل، ولو أمره أن يضع إبراهيم ـ عليه السلام ـ في مكان بعيد عنهم لفعل، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل، وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلاً محتاجاً فيعرض عليه أن يقرضه، أو أن يَهَبَهُ شيئاً يقضي به حاجته، فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ ويصبر حتى يأتيه الله برزق لا منَّة فيه لأحد. فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون؟

ولنختم الكلام ـ إن شاء الله تعالى ـ بمسألة عظيمة مهمة جداً تفهم مما تقدم، ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها، ولكثرة الغلط فيها فنقول:

لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختلَّ شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس وأمثالهما، وهذا يغلط فيه كثير من الناس، يقولون: هذا حق ونحن نفهم هذا ونشهد أنه الحق ولكن لا نقدر أن نفعله ولا يجوز[1] عند أهل بلدنا إلا من وافقهم، وغير ذلك من الأعذار، ولم يَدْرِ المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار كما قال تعالى: ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ [التوبة: ٩] وغير ذلك من الآيات كقوله: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً وهو لا يفهمه أولا يعتقده

(١) هذا من حكاية قولهم، يريدون به أنه لا يكون مقبولاً عندهم إلا من وافقهم.

بقلبه فهو منافق، وهو شرٌّ من الكافر الخالص ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

وهذه المسألة مسألة كبيرة طويلة تبين لك إذا تأملتها في ألسنة الناس ترى من يعرف الحق ويترك العمل به لخوف نقصِ دنيا أو جاه أو مداراة، وترى من يعمل به ظاهراً لا باطناً، فاذا سألته عما يعتقد بقلبه فإذا هو لا يعرفه، ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله، أولاهما ما تقدم من قوله: ﴿لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦] فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب، تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر أو يعمل به خوفاً من نقص مال أو جاه أو مداراةً لأحد أعظم ممن تكلم بكلمة يمزح بها.

والآية الثانية قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦] وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه سواء فعله خوفاً أو مداراة أو مشحَّة بوطنه أو أهله أو عشيرته أ و ماله، أو فعله على وجه المزح، أو لغير ذلك من الأغراض إلا المكره، والآية تدل على هذا من جهتين، الأولى: قوله: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ﴾ فلم يَسْتَثْنِ الله إلا المكره. ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على العمل أو الكلام. وأما عقيدة القلب فلا يكره أحد عليها.

والثانية: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ﴾

[النحل: ١٠٧] فصرَّح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل أو البغض للدين أو محبة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظًا من حظوظ الدنيا فآثره على الدين، والله سبحانه وتعالى أعلم. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين . آمين.

(تم كتاب كشف الشبهات، ويليه عدة رسائل له)

مجموعة الرسائل الأولى

في التوحيد والإيمان وما يتعلق بهما

تأليف

شيخ الإسلام

الشيخ محمد بن عبدالوهاب

(رحمه الله)

الرسالة الأولى

مسائل الجاهلية

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

قال رحمه الله تعالى: هذه أمور خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية الكتابيين والأميين مما لا غنى للمسلم عن معرفتها.

«فالضد يظهر حسنه الضد» و «وبضدها تتبين الأشياء»

فأهم ما فيها وأشدها خطراً عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول ﷺ فإن انضاف إلى ذلك استحسان ما عليه أهل الجاهلية تمت الخسارة كما قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٢].

(المسألة الأولى) أنهم يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله وعبادته يريدون شفاعتهم عند الله كما قال تعالى ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله ﷺ فأتى بالإخلاص، وأخبر أنه دين الله الذي أرسل به جميع الرسل وأنه لا يقبل من الأعمال إلا الخالص، وأخبر أن من فعل ما يستحسنونه فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار، وهذه المسألة التي تفرّق الناس لأجلها بين مسلم وكافر وعندها وقعت العداوة ولأجلها شرع الجهاد كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

(الثانية) أنهم متفرقون في دينهم كما قال تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢] وكذلك في دنياهم ويرون ذلك هو الصواب فأتى بالاجتماع في الدين بقوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى:١٣] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩] ونهانا عن مشابهتهم بقوله: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥] ونهانا عن التفرق في الدين بقوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

(الثالثة) أن مخالفة ولي الأمر وعدم الانقياد له فضيلة، والسمع والطاعة ذل ومهانة فخالفهم رسول الله ﷺ وأمر بالصبر على جور الولاة وأمر بالسمع والطاعة لهم والنصيحة، وغلّظ في ذلك وأبدى وأعاد وهذه الثلاث التي فيه جمع بينها فيما ذكر عنه في الصحيحين أنه قال: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً ألا تعبدوا إلا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم» ولم يقع خلل في دين الله ودنياهم إلا بسبب الإخلال بهذه الثلاث أو بعضها.

(الرابعة) أن دينهم مبني على أصول أعظمها التقليد فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار أولهم وآخرهم كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ

اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢١] فأتاهم بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ الآية [سبأ: ٤٦] وقوله: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

(الخامسة) أن من أكبر قواعدهم الاغترار بالأكثر ويحتجون به على صحة الشيء ويستدلون على بطلان الشيء بغربته وقلة أهله فأتاهم بضد ذلك وأوضحه في غير موضع من القرآن.

(السادسة) الاحتجاج بالمتقدمين كقوله: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ [طه: ٥١] ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [القصص: ٣٦]

(السابعة) الاستدلال بقوم أعطوا قوى في الأفهام والأعمال وفي الملك والمال والجاه فرد الله ذلك بقوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ الآية [الأحقاف: ٢٦] وقوله: ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩] وقوله: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ الآية [البقرة: ١٤٦].

(الثامنة) الاستدلال على بطلان الشيء بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء كقوله: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] وقوله: ﴿أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا﴾ [الأنعام: ٥٣] فردَّه الله بقوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

(التاسعة) الاقتداء بفسقة العلماء فأتى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ

اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤] وبقوله: ﴿لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

(العاشرة) الاستدلال على بطلان الدين بقلة أفهام أهله وعدم حفظهم كقوله: ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ [هود: ٢٧].

(الحادية عشرة) الاستدلال بالقياس الفاسد كقوله: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠].

(الثانية عشرة) إنكار القياس الصحيح والجامع لهذا وما قبله عدم فهم الجامع والفارق.

(الثالثة عشرة) الغلو في العلماء والصالحين كقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١].

(الرابعة عشرة) أن كل ما تقدم مبني على قاعدة وهي النفي والإثبات فيتبعون الهوى والظن ويعرضون عما آتاهم الله.

(الخامسة عشرة) اعتذارهم عن اتباع ما آتاهم الله بعدم الفهم كقوله ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾، ﴿يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود: ٩١] فأكذبهم الله وبين أن ذلك بسبب الطبع على قلوبهم والطبع بسبب كفرهم.

(السادسة عشرة) اعتياضهم عما أتاهم من الله بكتب السحر كما ذكر الله ذلك في قوله: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ[1] كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ [البقرة: ١٠١، ١٠٢].

---

(١) كان في الأصل نبذوا كتاب الله... إلخ ولا يمكن أن يكون هذا من المصنف؛ لأن الآية منقولة بلفظها لا بمعناها حتى يجوز التصرف فيها فالغلط من النساخ ولذلك صححته.

(السابعة عشرة) نسبة باطلهم إلى الأنبياء كقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ [البقرة: ١٠١] وقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا﴾ [آل عمران:٦٧].

(الثامنة عشرة) تناقضهم في الانتساب؛ ينتسبون إلى إبراهيم مع إظهارهم ترك اتباعه.

(التاسعة عشرة) قدحهم في بعض الصالحين بفعل بعض المنتسبين كقدح اليهود في عيسى وقدح اليهود والنصارى في محمد ﷺ.

(العشرون) اعتقادهم في مخاريق السحرة وأمثالهم أنها من كرامات الصالحين ونسبته إلى الأنبياء كما نسبوه لسليمان عليه السلام.

(الحادية والعشرون) تعبدهم بالمكاء والتصدية.

(الثانية والعشرون) أنهم اتخذوا دينهم لهواً ولعباً.

(الثالثة والعشرون) أن الحياة الدنيا غرتهم فظنوا أن عطاء الله منها يدل على رضاه كقوله: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٥].

(الرابعة والعشرون) ترك الدخول في الحق إذا سبقهم إليه الضعفاء تكبراً وأنفة فأنزل الله تعالى ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ الآيات [الأنعام: ٥٢].

(الخامسة والعشرون) الاستدلال على بطلانه بسبق الضعفاء كقوله: ﴿لَوْ كَانَ خَيْراً مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١].

(السادسة والعشرون) تحريف كتاب الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون.

(السابعة والعشرون) تصنيف الكتب الباطلة ونسبتها إلى الله كقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ٧٩].

(الثامنة والعشرون) أنهم لا يعقلون من الحق الا الذي مع طائفتهم كقوله: ﴿نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٩١]

(التاسعة والعشرون) أنهم مع ذلك لا يعلمون بما تقوله الطائفة كما نبه الله تعالى عليه بقوله: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١].

(الثلاثون) وهي من عجائب آيات الله: أنهم لما تركوا وصية الله بالاجتماع وارتكبوا ما نهى الله عنه من الافتراق صار كل حزب بما لديهم فرحين.

(الحادية والثلاثون) وهي من عجائب الله أيضاً: معاداتهم الدين الذي انتسبوا إليه غاية العداوة ومحبتهم دين الكفار الذين عادوهم وعادوا نبيهم وفئتهم غاية المحبة كما فعلوا مع النبي ﷺ لما أتاهم بدين موسى واتبعوا كتب السحر وهي من دين آل فرعون.

(الثانية والثلاثون) كفرهم بالحق إذا كان مع من لا يهوونه كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ الآية [البقرة: ١١٣].

(الثالثة والثلاثون) إنكارهم ما أقروا أنه من دينهم كما فعلوا في حج البيت فقال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠].

(الرابعة والثلاثون) أن كل فرقة تدعي أنها الناجية فأكذبهم الله بقوله: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١] ثم بين الصواب بقوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ الآية [البقرة: ١١٢].

(الخامسة والثلاثون) التعبد بكشف العورات[1] كقوله: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ الآية [الأعراف: ٢٨].

(السادسة والثلاثون) التعبد بتحريم الحلال كما تعبد[2] بالشرك.

(السابعة والثلاثون) التعبد باتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله.

(الثامنة والثلاثون) الإلحاد في الصفات كقوله تعالى: ﴿وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢].

(التاسعة والثلاثون) الإلحاد في الأسماء كقوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

(الأربعون) التعطيل كقول آل فرعون.

(الحادية والأربعون) نسبة النقائص إليه سبحانه.

(الثانية والأربعون) الشرك في الملك كقول المجوس.

---

(١) وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة حتى النساء.

(٢) تعبد، إما مبني للمفعول لأنه متعد بالباء وإما أصله (تعبدوا) بالجمع كسوابقه.

(الثالثة والأربعون) جحود القدر.

(الرابعة والأربعون) الاحتجاج على الله.

(الخامسة والأربعون) معارضة شرع الله بقدره.

(السادسة والأربعون) مسبَّة الدهر كقولهم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

(السابعة والأربعون) إضافة نعم الله إلى غيره كقوله: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣].

(الثامنة والأربعون) الكفر بآيات الله.

(التاسعة والأربعون) جحد بعضها.

(الخمسون) قولهم: ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١].

(الحادية والخمسون) قولهم في القرآن: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥].

(الثانية والخمسون) القدح في حكمة الله تعالى.

(الثالثة والخمسون) إعمال الحيل الظاهرة والباطنة في دفع ما جاءت به الرسل كقوله: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤] وقوله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ﴾ [آل عمران: ٧٢]

(الرابعة والخمسون) الإقرار بالحق ليتوصلوا به إلى دفعه كما قال في الآية.

(الخامسة والخمسون) التعصب للمذهب كقوله فيها: ﴿وَلا تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣].

(السادسة والخمسون) تسمية اتباع الإسلام شركا كما ذكره في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الآيتين [آل عمران: ٧٩].

(السابعة والخمسون) تحريف الكلم عن مواضعه.

(الثامنة والخمسون) تلقيب أهل الهدى بالصبأة والحشوية.

(التاسعة والخمسون) افتراء الكذب على الله.

(الستون) كونهم إذا غلبوا بالحجة فزعوا إلى الشكوى للملوك كما قال: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

(الحادية والستون) رميهم إياهم بالفساد في الأرض كما في الآية.

(الثانية والستون) رميهم إياهم بانتقاص دين الملك كما قال تعالى ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] وكما قال تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ الآية [غافر: ٢٦].

(الثالثة والستون) رميهم إياهم بانتقاص آلهة الملك كما في الآية.

(الرابعة والستون) رميهم إياهم بتبديل الدين كما قال تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦].

(الخامسة والستون) رميهم إياهم بانتقاص الملك كقولهم: ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾.

(السادسة والستون) دعواهم العمل بما عندهم من الحق كقوله: ﴿نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٩١] مع تركهم إياه.

(السابعة والستون) الزيادة في العبادة كفعلهم يوم عاشوراء.

(الثامنة والستون) نقصهم منها كتركهم الوقوف بعرفات.

(التاسعة والستون) تركهم الواجب ورعا.

(السبعون) تعبدهم بترك الطيبات من الرزق.

(الحادية والسبعون) تعبدهم بترك زينة الله.

(الثانية والسبعون) دعواهم الناس إلى الضلال بغير علم.

(الثالثة والسبعون) دعواهم محبة الله مع تركهم شرعه فطالبهم الله بقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ [آل عمران: ٣١] الآية.

(الرابعة والسبعون) دعواهم إياهم إلى الكفر مع العلم.

(الخامسة والسبعون) المكر الكُبَّار كفعل قوم نوح.

(السادسة والسبعون) أن أئمتهم إما عالم فاجر وإما عابد جاهل كما في قوله: ﴿أَوَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٥] إلى قوله ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨].

(السابعة والسبعون) تمنيهم الأماني الكاذبة كقوله لهم: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠] وقولهم: ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ [البقرة: ١١١].

(الثامنة والسبعون) اتخاذ قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد.

(التاسعة والسبعون) اتخاذ آثار أنبيائهم مساجد كما ذكر عن عمر.

(الثمانون) اتخاذ السرج على القبور.

(الحادية والثمانون) اتخاذها أعياداً.

(الثانية والثمانون) الذبح عند القبور.

(الثالثة والثمانون) التبرك بآثار المعظمين كدار ابن حزم لبعْث مكرمة قريش.

(الرابعة والثمانون) الفخر بالأحساب.

(الخامسة والثمانون) الاستسقاء بالأنواء.

(السادسة والثمانون) الطعن في الأنساب.

(السابعة والثمانون) النياحة.

(الثامنة والثمانون) أن أجلَّ فضائلهم الفخر بالأنساب فذكر الله فيه ما ذكر.

(التاسعة والثمانون) أن أجلَّ فضائلهم أيضاً الفخر ولو بحق فنهى عنه.

(التسعون) أن الذي لابد منه عندهم تعصب الإنسان لطائفته ونصر من هو منها ظالماً أو مظلوماً فأنزل الله في ذلك ما أنزل.

(الحادية والتسعون) أن دينهم أخذ الرجل بجريمة غيره فأنزل الله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥].

(الثانية والتسعون) تعيير الرجل بما في غيره فقال: «أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية».

(الثالثة والتسعون) الافتخار بولاية البيت فذمّهم الله بقوله: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٧].

(الرابعة والتسعون) الافتخار بكونهم ذرية الأنبياء فأتى الله بقوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ الآية [البقرة: ١٤١].

(الخامسة والتسعون) الافتخار بالصنائع كفعل أهل الرحلتين على أهل الحرث.

(السادسة والتسعون) عظمة الدنيا في قلوبهم كقولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

(السابعة والتسعون) التحكم على الله كما في الآية.

(الثامنة والتسعون) ازدراء الفقراء فأتاهم بقوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢].

(التاسعة والتسعون) رميهم أتباع الرسل بعدم الإخلاص وطلب الدنيا فأجابهم بقوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٥٢] الآية وأمثالها.

(المائة) الكفر بالملائكة.

(الحادية بعد المائة) الكفر بالرسل.

(الثانية بعد المائة) الكفر بالكتب.

(الثالثة بعد المائة) الإعراض عما جاء عن الله.

(الرابعة بعد المائة) الكفر باليوم الآخر.

(الخامسة بعد المائة) التكذيب بلقاء الله.

(السادسة بعد المائة) التكذيب ببعض ما أخبرت به الرسل عن اليوم الآخر كما في قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ [الكهف: ١٠٥] ومنها التكذيب بقوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] وقوله: ﴿لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤] وقوله: ﴿إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

(السابعة بعد المائة) الإيمان بالجبت والطاغوت.

(الثامنة بعد المائة) تفضيل دين المشركين على دين المسلمين.

(التاسعة بعد المائة) لبس الحق بالباطل.

(العاشرة بعد المائة) كتمان الحق مع العلم به.

(الحادية عشرة بعد المائة) قاعدة الضلال وهي القول على الله بلا علم.

(الثانية عشرة بعد المائة) التناقض الواضح لما كذَّبوا الحق كما قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥].

(الثالثة عشرة بعد المائة) الإيمان ببعض المنزل دون بعض.

(الرابعة عشرة بعد المائة) التفريق بين الرسل.

(الخامسة عشرة بعد المائة) مخالفتهم فيما ليس لهم به علم.

(السادسة عشرة بعد المائة) دعواهم اتباع السلف مع التصريح بمخالفتهم.

(السابعة عشرة بعد المائة) صدُّهم عن سبيل الله من آمن به.

(الثامنة عشرة بعد المائة) مودتهم الكفر والكافرين.

(التاسعة عشرة، والعشرون بعد المائة، والحادية، والثانية، والثالثة، والرابعة، والخامسة، والسادسة، والسابعة، والثامنة، والتاسعة، والعشرون بعد المائة) العيافة والطرق، والطيرة، والكهانة، والتحاكم إلى الطاغوت، وكراهة التزويج بين العبدين. والله أعلم.

الرسالة الثانية
في ستة مواضع منقولة من السيرة النبوية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: تأمل - رحمك الله - ستة مواضع من السيرة وافهمها فهماً حسناً لعل الله أن يفهمك دين الأنبياء لتتبعه ودين المشركين لتتركه فإن أكثر من يدَّعي الدين ويُدْعى من الموحدين لا يفهم الستة كما ينبغي.

(الموضع الأول) قصة نزول الوحي، وفيها أن أول ما أرسله الله به ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١، ٢] فإذا فهمت أنهم يفعلون أشياء كثيرة ويعرفون أنها من الظلم والعدوان مثل الزنا، وعرفت أيضاً أنهم يفعلون شيئاً من العبادة ويتقربون بها إلى الله، مثل الحج، والعمرة والصدقة على المساكين، وغير ذلك وأجلها عندهم الشرك فهو أجل ما يتقربون به إلى الله عندهم كما ذكر الله عنهم أنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠] فأول ما أمره الله به الإنذار عنه قبل الإنذار عن الزنا وغيره، وعرفت أن منهم من تعلق على الأصنام، ومنهم من تعلق على الملائكة وعلى الأولياء من بني آدم ويقولون ما نريد منهم إلا شفاعتهم، ومع هذا بدأ بالإنذار عنه في أول آية أرسل بها [1] فإن أحكمت هذه المسألة فيا بشراك! خصوصاً إذا عرفت

(١) يريد الشيخ - رحمه الله تعالى - بهذين الموضعين أن أول شيء نزل الوحي منذراً بالنهي عنه هو الشرك الذي فسر به قوله تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥].

أن ما بعدها أعظم من الصلوات الخمس ولم تفرض إلا في ليلة الإسراء سنة عشر بعد حصار الشعب، وموت أبي طالب، وبعد هجرة الحبشة بسنتين، فإذا عرفت أن تلك الأمور الكثيرة والعداوة البالغة كل ذلك عند هذه المسألة قبل فرض الصلاة رجوت أن تعرف المسألة.

(الموضع الثاني) أنه ﷺ لما قام ينذرهم عن الشرك ويأمرهم بضده وهو التوحيد لم يكرهوا، واستحسنوا وحدثوا أنفسهم بالدخول فيه إلى أن صرح بسب دينهم، وتجهيل علمائهم، فحينئذ شمّروا له ولأصحابه عن ساق العداوة وقالوا: سفَّه أحلامنا وعاب ديننا وشتم آلهتنا، ومعلوم أنه ﷺ لم يشتم عيسى وأمه ولا الملائكة ولا الصالحين، لكن لما ذكر أنهم لا يُدعَون ولا ينفعون ولا يضرون جعلوا ذلك شتماً.

فإذا عرفت هذه عرفت أن الإنسان لا يستقيم له إسلام ولو وحَّد الله وترك الشرك إلا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغض كما قال تعالى: ﴿**لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ الآية [**المجادلة**: ٢٢]، فإذا فهمت هذا فهماً جيداً عرفت أن كثيراً من الذين يدَّعون الدين لا يعرفونها وإلا فما الذي حمل المسلمين على الصبر على ذلك والعذاب والأسر والضرب والهجرة إلى الحبشة مع أنه ﷺ أرحم الناس لو يجد لهم رخصة لأ رخص لهم؟ كيف وقد أنزل الله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ**﴾ [**العنكبوت**: ١٠] فإذا كانت هذه الآية فيمن وافقهم بلسانه فكيف بغير ذلك؟

(الموضع الثالث) قصة قراءته ﷺ سورة النجم بحضرتهم، فلما بلغ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩] ألقى الشيطان في تلاوته: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى. فظنوا أن رسول الله ﷺ قرأها ففرحوا بذلك وقالوا كلاماً معناه هذا الذي نريد، ونحن نعرف أن الله هو النافع الضار وحده لا شريك له، ولكن هؤلاء يشفعون لنا عنده، فلما بلغ السجدة سجد وسجدوا معه فشاع الخبر أنهم صافوه وسمع بذلك من بالحبشة فرجعوا، فلما أنكر ذلك رسول الله ﷺ عادوا إلى أشر ما كانوا عليه ولما قالوا له إنك قلت ذلك خاف من الله خوفاً عظيماً حتى أنزل الله عليه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ الآية [الحج: ٥٢]، فمن فهم هذه القصة[1] ثم شك في دين النبي ﷺ ولم يفرق بينه وبين دين المشركين فأبعده خصوصاً إن عرف أن قولهم (تلك الغرانيق) الملائكة.

---

(١) يعني الشيخ ـ رحمه الله ـ أن هذا موضع الاعتبار بالقصة على تقدير صحة رواية الحديث فيها وهو مروي من طرق كلها ضعيفة ومنقطعة لا يحتج بشيء منها عند الجمهور اتفاقاً إلا من يحتج منهم بالمرسل، وقد قال الكرماني في شرحه للبخاري: وما قيل أن ذلك كان سبباً لسجودهم لا صحة له عقلاً ولا نقلاً. قال القسطلاني بعد نقله وهو مبني على القول ببطلان القصة من أصلها وأنها موضوعة إهـ وقال بعضهم: إن تعدد طرقها يدل على أن لها أصلاً. وأولوا ما اعترض عليها من جهة المعنى وهو أن إلقاء الشيطان في قراءة النبي ﷺ يعد مطعناً في النبوة. وكل ما ذكروه في التأويل ضعيف أغنانا الله عنه بعدم صحة الرواية. ولا يعترض على المصنف بذكرها فهي مذكورة في كتب التفسير والحديث والسير وقد امتاز هو ببيان ما يستفاد من العبرة فيها وإن لم يحتج بها.

(الموضع الرابع) قصة أبي طالب فمن فهمها فهماً حسناً وتأمل إقراره بالتوحيد وحث الناس عليه وتسفيه عقول المشركين ومحبته لمن أسلم وخلع الشرك ثم بذل عمره وماله وأولاده وعشيرته في نصرة رسول الله ﷺ إلى أن مات، ثم صبره على المشقة العظيمة، لكن لما لم يدخل فيه ولم يتبرأ من دينه الأول لم يَصِرْ مسلما مع أنه يتعذر من ذلك بأن فيه مسبة لأبيه عبد المطلب ولهاشم وغيرهما من مشايخهم، ثم مع قرابته ونصرته استغفر له رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى عليه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣] والذي يبين هذا أنه إذا عرف رجل[١] من أهل البصرة أو الأحساء يحب الدين ويحب المسلمين مع أنه لم ينصر الدين بيد ولا مال ولا له من الأعذار مثل ما لأبي طالب وفهم الواقع من أكثر من يدَّعي الدين تبين له الهدى من الضلال وعرف سوء الأفهام والله المستعان.

(الموضع الخامس) قصة الهجرة وفيها من الفوائد والعبر ما لا يعرفه أكثرمن قرأها، ولكن مرادنا الآن مسألة من مسائلها وهي أن من أصحاب رسول الله ﷺ من لم يهاجر من غير شك في الدين وتزيين دين المشركين ولكن محبة الأهل والمال والوطن، فلما خرجوا إلى بدر خرجوا مع المشركين كارهين، قُتل بعضهم بالرمي والرامي لا يعرفه، فلما سمع الصحابة أن من القتلى فلاناً وفلاناً شق عليهم وقالوا: قتلنا إخواننا فأنزل

---

(١) ليس في بقية الكلام ما يصلح جوابا؛ لهذا فهل سقط من الناسخ أم تعمد المصنف حذفه للعلم به؟ وهو: (أنه كأبي طالب).

الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧] إلى قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٩].

فمن تأمل قصتهم وتأمل قول الصحابة قتلنا إخواننا أنه لو يبلغهم[(١)] عنهم كلام في الدين أو كلام في تزيين دين المشركين لم يقولوا قتلنا إخواننا فإن الله تعالى قد بين لهم وهم قبل الهجرة أن ذلك كفر بعد الإيمان بقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦] وأبلغ من هذا ما تقدم من كلام الله تعالى فيهم فإن الملائكة تقول: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ [النساء: ٩٧] ولم يقولوا: كيف تصديقكم؟ ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ﴾ [النساء: ٩٧] لم يقولوا: كذبتم مثل ما يقول الله للمجاهد الذي يقول: جاهدت في سبيلك حتى قتلت، فيقول الله: كذبت وتقول الملائكة: كذبت، بل قاتلت ليقال: جريء، وكذلك يقولون للعالم والمتصدق: كذبت، بل تعلمت ليقال: عالم، وتصدقت ليقال: جواد[(٢)].

وأما هؤلاء فلم يكذِّبوهم بل أجابوهم بقولهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧] ويزيد ذلك إيضاحاً للعارف والجاهل الآية التي بعدها وهي قوله تعالى: ﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً﴾ [النساء: ٩٨] فهذا أوضح جداً أن هؤلاء خرجوا من الوعيد فلم يبق شبهة لكن لمن طلب العلم

---

(١) قوله: «أنه لو يبلغهم» إلخ كذا في الأصل الذي طبعنا عنه، ولعل الأصل الصحيح: «علم أنه بلغهم عنهم كلام في ذم الدين» إلخ.

(٢) إشارة الحديث في صحيح مسلم في أول من تسعَّر بهم النار وهم: شهيد، وقارئ، ومتصدق.

بخلاف من لم يطلبه، بل قال الله فيهم: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٧] ومن فهم هذا الموضع والذي قبله فهم كلام الحسن البصري قال: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

(الموضع السادس) قصة الردة بعد موت النبي ﷺ فمن سمعها[١] ثم بقي في قلبه مثقال ذرة من شبهة الشياطين الذين يُسمَّون العلماء وهي قولهم: هذا هو الشرك لكن يقولون لا إله الا الله ومن قالها لا يكفر بشيء، وأعظم من ذلك وأكبر تصريحهم بأن البوادي ليس معهم من الإسلام شعرة ولكن يقولون: لا إله إلا الله وهم بهذه اللفظة إسلام وحرّم الإسلام مالهم ودمهم، ومع إقرارهم بأنهم تركوا الإسلام كله، ومع علمهم بإنكارهم البعث واستهزائهم بمن أقرَّ به، وتفضيلهم دين آبائهم المخالف لدين النبي ﷺ ومع هذا كله يصرح هؤلاء الشياطين المردة الجهلة أن البدو أسلموا ولو جرى منهم ذلك كله لأنهم يقولون: لا إله إلا الله، ولازم قولهم أن اليهود أسلموا لأنهم يقولونها، وأيضاً كفر هؤلاء أغلظ من كفر اليهود بأضعاف مضاعفة أعني البوادي المتصفين بما ذكرنا[٢].

---

(١) قوله: «فمن سمعها» إلخ ليس في لاحق الكلام خبر لهذا المبتدأ. فإما أن يكون الخبر قد سقط من غفلة النساخ، وإما أن يكون الأصل «فمن سمعها لا يبقى في قلبه مثقال ذرة» إلخ.

(٢) هذا القيد يدحض قول من افترى على الشيخ ـ رحمه الله ـ بأنه كان يكفر جميع أهل البادية على أن أكثرهم في أول عهد دعوته كانوا مجردين من دين الإسلام ثم هدى الله له الكثيرين بدعوته في حياته وبعد وفاته.

والذي يبين ذلك من قصة الردة أن المرتدين افترقوا في ردتهم فمنهم من كذَّب النبي ﷺ ورجعوا إلى عبادة الأوثان وقالوا : لو كان نبياً ما مات .

ومنهم من ثبت على الشهادتين ولكن أقر بنبوة مسيلمة ظناً أن النبي ﷺ أشركه في النبوة ؛ لأن مسيلمة أقام شهود زور شهدوا له بذلك فصدقهم كثير من الناس ومع هذا أجمع العلماء أنهم مرتدون ولو جهلوا ذلك ومن شك في ردّتهم فهو كافر .

فإذا عرفت أن العلماء أجمعوا أن الذين كذبوهم ورجعوا إلى عبادة الأوثان وشتموا رسول الله ﷺ ومنهم من أقر بنبوة مسيلمة في حال واحدة ولو ثبت على الإسلام كله . ومنهم من أقر بالشهادتين وصدق طليحة في دعواه النبوة ، ومنهم من صدق العنسي صاحب صنعاء وكل هؤلاء أجمع العلماء أنهم سواء ، ومنهم من كذَّب النبي ﷺ ورجع إلى عبادة الأوثان على حال واحدة .

ومنهم أنواع أخر آخرهم الفجاة السلمي لما وفد على أبي بكر وذكر له أنه يريد قتال المرتدين ويطلب من أبي بكر أن يمده فأعطاه سلاحاً ورواحل فاستعرض السلمي المسلم والكافر يأخذ أموالهم فجهز أبوبكر جيشاً لقتاله فلما أحس بالجيش قال لأميرهم : أنت أمير أبي بكر وأنا أميره ولم أكفر فقال : إن كنت صادقا فألق السلاح فألقاه فبعث به إلى أبي بكر فأمر

بتحريقه بالنار وهو حي. فإذا كان هذا حكم الصحابة في هذا الرجل مع إقراره بأركان الإسلام الخمسة. فما ظنك بمن لم يقر من الإسلام بكلمة واحدة إلا أنه يقول لا إله إلا الله بلسانه مع تصريحه بتكذيب معناها وتصريحه بالبراءة من دين محمد ﷺ ومن كتاب الله تعالى ويقولون: هذا دين الحضر وديننا دين آبائنا؟

ثم يفتون[1] هؤلاء المردة الجهال أن هؤلاء مسلمون ولو صرحوا بذلك كله إذا قال: لا إله إلا الله. سبحانك هذا بهتان عظيم، وما أحسن ما قال واحد من البوادي لما قدم علينا وسمع شيئاً من الإسلام قال: أشهد أننا كفار يعني هو وجميع البوادي، وأشهد أن المطوع الذي يسمينا أهل الإسلام أنه كافر. آخره والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

(١) أي ثم يفتي هؤلاء... إلخ وقوله: «يفتون» جاء على لغة: أكلوني البراغيث.

الرسالة الثالثة

في تفسير كلمة التوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لوليه والصلاة والسلام على نبيه .

سئل الشيخ محمد ـ رحمه الله تعالى ـ عن معنى لا إله إلا الله .

فأجاب بقوله : اعلم ـ رحمك الله تعالى ـ أن هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والإسلام، وهي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى، وهي التي جعلها إبراهيم عليه السلام ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف : ٢٨] وليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها فإن المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النار مع كونهم يصلون ويتصدقون ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب ومحبتها ومحبة أهلها وبغض ما خالفها ومعاداته كما قال النبي ﷺ : «من قال : لا إله إلا الله مخلصاً»[1] وفي رواية : «خالصا من قلبه» وفي رواية : «صادقاً من قلبه» وفي حديث آخر : «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبَد من دون الله» إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة .

فاعلم أن هذه الكلمة نفي وإثبات : نفي الإلهية عما سوى الله تعالى

---

(١) تتمته «دخل الجنة»، والشاهد فيه قيد الإخلاص، وكذا يقال فيما بعده .

من المخلوقات حتى محمد ﷺ وجبريل فضلاً عن غيرهم من الأولياء والصالحين[١].

إذا فهمت ذلك فتأمل هذه الألوهية التي أثبتها الله تعالى لنفسه ونفاها عن محمد ﷺ وجبريل وغيرها أن يكون لهم منها مثقال حبة من خردل.

فاعلم أن هذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا السرّ والولاية. والإله معناه الولي الذي فيه السر وهو الذي يسمونه الفقير والشيخ ويسمونه العامة السيد وأشباه هذا[٢] وذلك أنهم يظنون أن الله جعل لخواص الخلق منزلة يرضى أن يلتجئ الإنسان إليهم ويرجوهم ويستغيث بهم ويجعلهم واسطة بينه وبين الله.

فالذي يزعم أهل الشرك في زماننا أنهم وسائطهم هم الذين يسمونهم الأولون الآلهة والواسطة هو الإله فقول الرجل لا إله إلا الله إبطال للوسائط وإذا أردت أن تعرف هذا معرفة تامة فذلك بأمرين.

(الأول) أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ وقتلهم ونهب أموالهم واستحل نساءهم كانوا مقرين لله سبحانه بتوحيد الربوبية، وهو أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يدبِّر الأمور إلا الله

(١) لم يفسر الإثبات كما فسر النهي، إما لظهوره وإما للعلم به مما بعده، هذا إذا لم يسقط من الناسخ.

(٢) أي كالوسيلة. وهذا تفسير من الشيخ تفسير مراد لا تفسير لغة فمن المعلوم المشهور الذي قرره هو وغيره أن معنى الإله في المعبود، وكل معبود ولي وسيد لعابده ولكن ما كل ولي وسيد إلها ولا معبوداً ولما كان الذين غلوا في تعظيم الأولياء وشيوخ الطرق وأئمة آل البيت من السادة قد عبدوهم بدعائهم حتى في الشدائد والطواف بقبورهم وذبح القرابين لهم وكانوا يجهلون أنهم بهذا قد اتخذوهم آلهة. اقتصر الشيخ ـ رحمه الله ـ هنا على هذا التفسير.

وحده كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ [يونس: ٣١].

وهذه مسألة عظيمة مهمة وهي أن تعرف أن الكفار شاهدون بهذا كله ومقرُّون به ومع هذا لم يدخلهم ذلك في الإسلام ولم يُحرِّم دماءهم ولا أموالهم، وكانوا أيضاً يتصدقون ويحجون ويعتمرون ويتعبدون ويتركون أشياء من المحرمات خوفاً من الله عز وجل، ولكن (الأمر الثاني) هو الذي كفَّرهم وأحلَّ دماءهم وأموالهم وهو أنهم لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهية وهو أنه لا يدعى ولا يرجى إلا الله وحده لا شريك له ولا يستغاث بغيره ولا يذبح لغيره ولا ينذر لغيره لا لملك مقرب ولا نبي مرسل فمن استغاث بغيره فقد كفر، ومن ذبح لغيره فقد كفر، ومن نذر لغيره فقد كفر وأشباه ذلك.

وتمام هذا أن تعرف أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا يدعون الصالحين مثل الملائكة وعيسى وعزير وغيرهم من الأولياء فكفروا بهذا مع إقرارهم بأن الله هو الخالق الرازق المدبر.

إذا عرفت هذا عرفت معنى: لا إله إلا الله وعرفت أن من نخا نبيا أو ملكا أو ندبه أو استغاث به فقد خرج من الإسلام، وهذا هو الكفر الذي قاتلهم عليه رسول الله ﷺ.

فإن قال قائل من المشركين: نحن نعرف أن الله هو الخالق الرازق المدبر لكن هؤلاء الصالحون يمكن أن يكونوا مقربين ونحن ندعوهم وننذر لهم

وندخل عليهم ونستغيث بهم ونريد بذلك الوجاهة والشفاعة وإلا نحن نفهم أن الله هو الخالق المدبر، فقل: كلامك هذا مذهب أبي جهل وأمثاله فإنهم يدعون عيسى وعزيراً والملائكة والأولياء يريدون ذلك كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣] وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

فإذا تأملت هذا تأملاً جيداً وعرفت أن الكفار يشهدون لله بتوحيد الربوبية وهو تفرده بالخلق والرزق والتدبير وهم ينخون عيسى والملائكة والأولياء يقصدون أنهم يقربونهم إلى الله زلفى ويشفعون عنده، وعرفت أن من الكفار خصوصاً النصارى منهم من يعبد الله الليل والنهار ويزهد في الدنيا ويتصدق بما دخل عليه منها معتزلاً في صومعة عن الناس وهو مع هذا كافر عدو لله مخلد في النار بسبب اعتقاده في عيسى أو غيره من الأولياء يدعوه أو يذبح أو ينذر له - تبين لك كيف صفة الإسلام الذي دعا إليه نبيك ﷺ وتبين لك أن كثيراً من الناس عنه بمعزل وتبين لك معنى قوله: ﷺ «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ».

فالله؛ الله يا إخواني، تمسكوا بأصل دينكم، وأوله وآخره وأسه ورأسه شهادة أن لا إله إلا الله، واعرفوا معناها وأحبُّوها وأحبُّوا أهلها واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين، واكفروا بالطواغيت وعادوهم وابغضوا من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يكفِّرهم أو قال: ما عليَّ منهم أو قال: ما كلفني الله بهم فقد كذب هذا على الله وافترى؛ فقد كلّفه الله تعالى بهم وافترض عليه الكفر بهم والبراءة منهم ولو كانوا إخوانهم

وأولادهم، فالله؛ الله تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئا. اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين.

ولنختم الكلام بآية ذكرها الله تعالى في كتابه تبين لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم كفراً من الذين قاتلهم رسول الله ﷺ قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُوراً﴾ [الإسراء: ٦٧] فقد سمعتم أن الله سبحانه ذكر عن الكفار أنهم إذا مسَّهم الضر تركوا السادة والمشايخ ولم يستغيثوا بهم بل أخلصوا لله وحده لا شريك له، واستغاثوه وحده، فإذا جاء الرخاء أشركوا، وأنت ترى المشركين من أهل زماننا ولعل بعضهم يدَّعي أنه من أهل العلم وفيه زهد واجتهاد وعبادة إذا مسَّه الضر قام يستغيث بغير الله مثل: معروف أو عبد القادر الجيلاني وأجلّ من هؤلاء مثل: زيد بن الخطاب والزبير وأجلّ من هؤلاء مثل: رسول الله ﷺ فالله المستعان. وأعظم من ذلك وأطم أنهم يستغيثون بالطواغيت والكفرة والمردة مثل: شمسان وإدريس (ويقال له الأشقر) ويوسف وأمثالهم. والله سبحانه وتعالى أعلم، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين آمين.

(تمت ويليها رسالة الأربع القواعد له أيضاً)

الرسالة الرابعة[1]

في أربع قواعد للدين، تميِّز بين المؤمنين والمشركين

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة وأن يجعلك مباركاً أينما كنت وأن يجعلك ممن إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإن هذه الثلاث عنوان السعادة.

اعلم ـ أرشدك الله لطاعته ـ أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله مخلصاً له الدين وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك فيها فسدت كالحدث إذا دخل في الصلاة كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [التوبة: ١٧] فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة وهي الشرك بالله وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله في كتابه.

(١) ذكرت هذه القواعد عينها في رسالة أخرى له مختصرة فاقتصرنا على المطولة؛ لأنها مشتملة على ما في المختصرة وزيادة في البيان والدلائل.

(الأولى) أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا مقرِّين أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت النافع الضار الذي يدبِّر جميع الأمور وما أدخلهم ذلك في الإسلام. والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

(القاعدة الثانية) أنهم يقولون: ما توجهنا إليهم ودعوناهم إلا لطلب القربة والشفاعة نريد من الله لا منهم لكن بشفاعتهم والتقرب إليهم ودليل القربة قوله تعالى: ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]ودليل الشفاعة قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

(القاعدة الثالثة) أن النبي ﷺ ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم منهم من يعبد الشمس والقمر، ومنهم من يعبد الصالحين، ومنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار وقاتلهم ﷺ وما فرق بينهم والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] ودليل الشمس والقمر قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا

لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧] ودليل الصالحين قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً (٥٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧] ودليل الملائكة قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ (٤١) فَالْيَوْمَ لا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [سبأ: ٤٠ - ٤٢] ودليل الأنبياء قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٨] ودليل الأشجار والأحجار حديث أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال: لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال ﷺ: «الله أكبر إنها السنن قلتم - والذي نفسي بيده - كما قالت

بنو إسرائيل لموسى ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٨ - ١٤٠].

(القاعدة الرابعة) إن مشركي زماننا أعظم شركاً من الأولين؛ لأن الأولين كانوا يخلصون لله في الشدة ويشركون في الرخاء ومشركي زماننا شركهم دائم في الرخاء والشدة. والدليل قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥، ٦٦] والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(تمت ويليها رسالة للشيخ محمد أيضاً كتبها ـ رحمه الله تعالى ـ للعامة)

الرسالة الخامسة

في تلقين أصول العقيدة للعامة بالأسئلة والأجوبة

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا قيل: لك من ربك؟ فقل: ربي الله. فاذا قيل لك: أيش معنى الرب؟ فقل: المعبود المالك المتصرف. فإذا قيل: أيش أكبر ما ترى من مخلوقاته؟ فقل: السموات والأرض. فإذا قيل لك: أيش تعرفه به؟ فقل: أعرفه بآياته ومخلوقاته. وإذا قيل لك: أيش أعظم ماترى من آياته؟ فقل الليل والنهار، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] فإذا قيل لك: أيش معنى الله؟ فقل: معناه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، فإذا قيل: لك لأي شيء الله خلقك؟ فقل لعبادته. فإذا قيل لك أي شيء عبادته؟ فقل توحيده وطاعته، فإذا قيل لك أي شيء الدليل على ذلك؟ فقل قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وإذا قيل لك: أي شيء أول ما فرض الله عليك؟ فقل: كفر بالطاغوت وإيمان بالله، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦] فإذا قيل أيش العروة الوثقى؟ فقل: لا إله إلا الله، ومعنى (لا إله) نفي و (إلا الله) إثبات. فإذا قيل لك: أيش

أنت نافي[1] وأيش أنت مثبت؟ فقل: نافي جميع ما يعبد من دون الله ومثبت العبادة لله وحده لا شريك له، فإذا قيل لك: أيش الدليل على ذلك؟ فقل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦] هذا دليل النفي ودليل الإثبات ﴿إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: ٢٧].

فاذا قيل لك: أيش الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية؟ فقل توحيد الربوبية فعل الرب مثل الخلق والرزق والإحياء والإماتة وإنزال المطر، وإنبات النباتات، وتدبير الأمور، وتوحيد الإلهية فعلك يا العبد[2] مثل الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والإنابة والرغبة والرهبة والنذر والاستغاثة وغير ذلك من أنواع العبادة.

فإذا قيل لك: أيش دينك؟ فقل: ديني الإسلام وأصله وقاعدته أمران (الأول) الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك والموالاة فيه وتكفير من تركه والإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك والمعاداة فيه، وتكفير من فعله وهو مبني على خمسة أركان شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت مع الاستطاعة، ودليل الشهادة قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨] ودليل أن محمداً رسول الله قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] والدليل على إخلاص العبادة والصلاة والزكاة قوله

(١) كذا في الأصل والظاهر أن الشيخ تعمد إثبات الياء؛ لأنها لغة العامة الذين كتب الرسالة لهم.
(٢) كذا في الأصل، وهو لغة العامة يدخلون حرف النداء على المعرف باللام، والفصيح أن يقال: فعلك أيها العبد، ولكن الشيخ متعمد للغة العامة كما تقدم نظيره.

تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥] ودليل الصوم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣] ودليل الحج قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وأصول الإيمان ستة: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. والإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

فإذا قيل: من نبيك؟ فقل: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش وقريش من العرب والعرب من ذرية إسماعيل ابن إبراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، بلده مكة، وهاجر إلى المدينة، وعمره ثلاث وستون سنة منها أربعون قبل النبوة وثلاث وعشرون نبياً رسولاً، نبئ بـ«اقرأ»، وأرسل بالمدثر. فإذا قيل: هو مات أو ما مات؟ فقل: مات ودينه ما مات[1] إلى يوم القيامة والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١] والناس إذا ماتوا يبعثون؟ فقل: نعم والدليل قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥] والذي ينكر البعث كافر، والدليل قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧] وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

تمت وبعدها ثلاث مسائل للشيخ محمد أيضاً رحمه الله تعالى.

(١) لعله سقط من هنا: ولا يموت - أو لن يموت؛ لأن الغاية متعلقة بالمستقبل.

الرسالة السادسة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

اعلم - رحمك الله تعالى - أنه واجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم ثلاث مسائل.

(المسألة الأولى) أن الله خلقنا ولم يخلقنا عبثاً، ولم يتركنا هملاً، بل أرسل إلينا رسولا ومعه كتاب من أطاعه فهو في الجنة، ومن عصاه فهو في النار، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾ [المزمل: ١٥، ١٦].

(المسألة الثانية) أن أعظم ما جاء به هذا الرسول ألا يشرك مع الله في عبادته أحد، والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ [الجن: ١٨].

(المسألة الثالثة) أن من وحَّد الله تعالى وعبد الله تعالى لا يجوز له موالاة من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم، أو إخوانهم أو عشيرتهم، والدليل قوله تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

تمت ويليها (رسالة الطاغوت) له رحمه الله تعالى

الرسالة السابعة

في معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم - رحمك الله تعالى - أن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

فأما صفة الكفر بالطاغوت فأن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها وتكفِّر أهلها وتعاديهم.

وأما معنى الإيمان بالله فأن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون من سواه وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم. وهذه ملة إبراهيم التي سفه نفسه من رغب عنها، وهذه هي الأسوة التي أخبر الله بها في قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤] والطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة فهو طاغوت من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت[1].

والطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة:

---

(١) كذا في الأصلين المخطوط والمطبوع. والظاهر أن فيه غلطاً من الناسخ وأن أصله: فكل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت.

(الأول) الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله، والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠].

(الثاني) الحاكم الجائر المغير لأحكام الله تعالى، والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾ [النساء: ٦٠].

(الثالث) الذي يحكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

(الرابع) الذي يدَّعي علم الغيب من دون الله، والدليل قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧] وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

(الخامس) الذي يعبد من دون الله وهو راض بالعبادة، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩] واعلم أن الإنسان مايصير مؤمناً بالله إلا بالكفر بالطاغوت والدليل قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦] الرشد دين محمد ﷺ، والغي دين أبي جهل، والعروة الوثقى شهادة أن لا إله إلا الله وهي متضمنة للنفي والإثبات، تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله تعالى، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له.

الرسالة الثامنة

في الأصول الثلاثة الواجبة على كل مسلم ومسلمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم ثلاثة أصول وهي: معرفة ربه ودينه ونبيه ﷺ.

(الأصل الأول) إذا قيل لك: من ربك؟ فقل: ربي الذي رباني بنعمته وخلقني من عدم إلى وجود. والدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [مريم: ٣٦] وإذا قيل لك: بأي شيء عرفت ربك؟ فقل عرفته بآياته ومخلوقاته، فأما الدليل على آياته فقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧] ودليل مخلوقاته قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] وإذا قيل لك: لأي شيء خلقك الله له؟ فقل: خلقني لعبادته وطاعته واتباع أمره واجتناب نهيه، ودليل العبادة قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨] ودليل الطاعة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

﴿وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] يعني كتاب الله وسنة نبيه ﷺ. وإذا قيل لك أي شيء أمرك الله به ونهاك عنه؟ فقل: أمرني بالتوحيد ونهاني عن الشرك، ودليل الأمر[1] قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] ودليل النهي عن الشرك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾، [النساء: ١١٦] ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

(الأصل الثاني) إذا قيل: لك ما دينك؟ فقل ديني الإسلام وهو الإسلام والإذعان والانقياد إلى الله تعالى والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩] ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] وهو مبني على خمسة أركان أولها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا. فأما دليل الشهادة فقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨] ودليل أن محمداً رسول الله قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ

---

(١) قد جمع الأمر والنهي في قوله تعالى: (واعبدو الله ولا تشركوا به شيئا) وإيراد الشيخ الأمر بالعدل دليلاً على التوحيد مبني على قول بعض المفسرين: إن العدل هو الوسط في الأمور كلها، فالتوحيد وسط بين التعطيل وتعدد الآلهة. . . إلخ (راجع البيضاوي).

﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] ودليل الصلاة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣] ودليل الزكاة قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] ودليل الصوم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣] وإذا قيل لك: الصيام شهر؟ فقل: نعم. والدليل قوله تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ الآية [البقرة: ١٨٥] وإذا قيل لك: الصيام في الليل أو في النهار؟ فقل: في النهار، والدليل قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧] ودليل الحج قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وإذا قيل لك: وما الإيمان؟ فقل أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى، والدليل قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ودليل القدر قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وإذا قيل لك ما الإحسان؟ فقل أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم

مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] وإذا قيل لك منكر البعث كافر؟ فقل: نعم، والدليل قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

(الأصل الثالث) إذا قيل لك مَنْ نبيك؟ فقل: محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من كنانة، وكنانة من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل، وإسماعيل من إبراهيم الخليل، وإبراهيم من نوح، ونوح من آدم، وآدم من تراب، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

وإذا قيل لك: من أول الرسل؟ فقل: أولهم نوح وآخرهم وأفضلهم محمد ﷺ، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣] وإذا قيل لك: بَيْنَهم رسل؟ فقل: نعم، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وإذا قيل لك: محمد بشر؟ فقل: نعم، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

واذا قيل لك: محمد عبد؟ فقل: نعم، والدليل قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١].

وإذا قيل لك: كم عمره؟ فقل: ثلاث وستون سنة. أربعون منها نبي وثلاث وعشرون نبي ورسول. نُبِّئ بـ«اقرأ»، وأُرْسل بالمدثر، وخرج على الناس فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] فكذبوه وآذوه وطردوه وقالوا: ساحر كذاب، فأنزل الله عليه ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣] بلده مكة ووُلد فيها وهاجر إلى المدينة وبها توفي. دفن جسمه وبقي علمه، نبي لا يُعبَد، ورسول لا يكذَّب، بل يطاع ويتبَّع.

صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين

وبعدها رسالة للشيخ محمد أيضاً

الرسالة التاسعة

بسم الله الرحمن الرحيم

فإن قيل: فما الجامع لعبادة الله وحده؟ قلت: طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. فإن قيل: فما أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله تعالى؟ قلت: من أنواعها الدعاء والاستعانة والاستغاثة وذبح القربان والنذر والخوف والرجاء والتوكل والإنابة والمحبة والخشية والرغبة والرهبة والتأله والركوع والسجود والخشوع والتذلل والتعظيم الذي هو من خصائص الإلهية ودليل الدعاء قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] وقوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾ [الرعد: ١٤].

ودليل الاستعانة قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] ودليل الاستغاثة قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩] ودليل الذبح قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] ودليل النذر قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧] ودليل الخوف قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

[آل عمران: ١٧٥] ودليل الرجاء قوله تعالى ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] ودليل التوكل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] ودليل الإنابة قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤] ودليل المحبةقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] ودليل الخشية قوله تعالى: ﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤] ودليل الرغبة والرهبة قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] ودليل التأله قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] ودليل الركوع والسجود قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧] ودليل الخشوع قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ الآية [آل عمران: ١٩٩] ونحوها فمن صرف شيئا من هذه الأنواع لغير الله تعالى فقد أشرك بالله غيره.

فإن قيل: فما أجلّ أمر أمرَ الله به؟ قيل توحيده بالعبادة وقد تقدم بيانه، وأعظم نهيٍ نهى الله عنه الشرك به وهو أن يدعو مع الله غيره أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة. فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى فقد اتخذه ربا وإلهاً وأشرك مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة. وقد تقدم من الآيات ما يدل على أن هذا هو الشرك

الذي نهى الله عنه وأنكره على المشركين. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾ [النساء: ١١٦] وقال تعالى: ﴿مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] والله أعلم.

تمت رسائل الشيخ المتعلقة بالعقائد من هذه المجموعة

ويليها أربع رسائل أخرى في الأحكام العملية

والردة وبعض فوائد التفسير

مجموعة الرسائل الثانية

في الأحكام العملية والردة وبعض فوائد التفسير

تأليف

شيخ الإسلام

الشيخ محمد بن عبدالوهاب

(رحمه الله)

الرسالة الأولى
في أحكام الصلاة

بسم الله الرحمن الرحيم

باب: شروط الصلاة تسعة: الإسلام، والعقل، والتمييز، والطهارة، وستر العورة، واجتناب النجاسة، والعلم بدخول الوقت، واستقبال القبلة، والنية بالقصد.

باب: أركان الصلاة أربعة عشر ركنا: القيام مع القدرة، وتكبيرة الإحرام، وقراءة الفاتحة، والركوع، والرفع منه، والاعتدال، والسجود، والرفع منه، والجلوس بين السجدتين، والطمأنينة في الجميع، والتشهد الأخير، والجلوس له، والتسليمة الأولى.

باب: مبطلات الصلاة ثمانية: الكلام العمد، والضحك، والأكل، والشرب، وكشف العورة، والانحراف عن جهة القبلة، والعبث الكثير، وحدوث النجاسة.

باب: واجبات الصلاة ثمانية: التكبيرات غير تكبيرة الإحرام. الثاني: قول «سمع الله لمن حمده» لإمام ومنفرد. الثالث: قول «ربنا ولك الحمد». الرابع: تسبيح الركوع. الخامس: تسبيح السجود. السادس: قول: «رب اغفر لي» بين السجدتين والواجب مرة. السابع: التشهد

الأول؛ لأنه عليه السلام فعله وداوم على فعله وأمر به وسجد للسهو حين نسيه. الثامن: الجلوس له.

باب: فرائض الوضوء ستة أشياء: غسل الوجه، وغسل اليدين إلى المرفقين، ومسح جميع الرأس، وغسل الرجلين إلى الكعبين، والترتيب، والموالاة.

باب: شروط الوضوء خمسة: ماء طهور، وكون الرجل مسلماً مميزاً، وعدم المانع، ووصول الماء إلى البشرة، ودخول الوقت في دائم الحدث.

باب: نواقض الوضوء ثمانية: الخارج من السبيلين، والخارج الفاحش من البدن، وزوال العقل بنوم أو غيره، ولمس المرأة بشهوة، ومس الفرجين من الآدمي، وغسل الميت، وأكل لحم الجزور، والردة عن الإسلام؛ أعاذنا الله منها. والله أعلم.

الرسالة الثانية

في الكلام على بعض فوائد سورة الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة : ٢ - ٤]

قال الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ تضمنت ثلاث آيات ثلاث مسائل :

الآية الأولى: فيها المحبة أن الله منعم والمنعم يُحَبُّ على قدر إنعامه والمحبة تنقسم على أربعة أنواع : محبة شركية : وهم الذين قال الله فيهم : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٦٥] إلى قوله : ﴿ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ [البقرة : ١٦٧] . المحبة الثانية : حب الباطل وأهله ، وبغض الحق وأهله وهذه صفة المنافقين . المحبة الثالثة : طبيعية وهي محبة المال والولد إذا لم تشغل عن طاعة الله ولم تعن على محارم الله فهي مباحة . والمحبة الرابعة : حب أهل التوحيد وبغض أهل الشرك وهي أوثق عرى الإيمان ، وأعظم ما يعبد به العبد ربه .

الآية الثانية: فيها الرجاء . والآية الثالثة: فيها الخوف

(إياك نعبد): أي أعبدك يارب بما مضى بهذه الثلاث بمحبتك ورجائك وخوفك فهذه الثلاث أركان العبادة ، وصرفها لغير الله شرك ، وفي هذه الثلاث الرد على من تعلق بواحدة منهن كمن تعلق بالمحبة وحدها أو تعلق بالرجاء وحده أوتعلق بالخوف وحده ؛ فمن صرف واحدة منهن

لغير الله فقد أشرك، وفيها من الفوائد الرد على الثلاث الطوائف التي كل طائفة تتعلق بواحدة منها كمن عبد الله تعالى بالمحبة وحدها، وكذلك من عبد الله بالرجاء وحده كالمرجئة، وكذلك من عبد الله بالخوف وحده كالخوارج.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] فيها توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] فيها الرد على المبتدعين.

وأما الآيتان الأخيرتان ففيهما من الفوائد ذكر أحوال الناس، قسَّمهم الله تعالى ثلاثة أصناف: منعم عليه. ومغضوب عليه، وضال. فالمغضوب عليهم أهل علم ليس معهم عمل، والضالون أهل عبادة ليس معها علم، وإن كان سبب النزول في اليهود والنصارى فهي لكل من اتصف بذلك. الثالث: من اتصف بالعلم والعمل وهم المنعم عليهم.

وفيها من الفوائد: التبرِّي من الحول والقوة لأنه منعم عليه، وكذلك فيها معرفة الله على التمام ونفي النقائص عنه تبارك وتعالى، وفيها معرفة الإنسان ربه ومعرفة نفسه فإنه إذا كان هنا رب فلا بد من مربوب، وإذا كان هنا راحم فلا بد من مرحوم، وإذا كان هنا مالك فلا بد من مملوك، وإذا كان هنا عبد فلا بد من معبود، وإذا كان هنا هاد فلا بد من مهدي، وإذا كان هنا منعم فلا بد من منعم عليه، وإذا كان هنا مغضوب عليه فلا بد من غاضب.

فهذه السورة تضمنت الألوهية والربوبية، ونفي النقائص عن الله عز وجل وتضمنت معرفة العبادة وأركانها. والله أعلم.

الرسالة الثالثة

في نواقض الإسلام

ويليها عشر درجات تتعلق ببطلان الشرك ومعاملة أهله، وثماني حالات لإقامة دين الحنيفية.

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض. الأول: الشرك في عبادة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦]، وقال: ﴿مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو للقبر.

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم كفرإجماعاً. الثالث: من لم يكفِّر المشركين أو يشك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر. الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر. الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر. السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾

[التوبة:٦٥، ٦٦] . السابع: السحر، ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر. والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]. الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]. التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر. العاشر: الإعراض عن دين الله تعالى لا يتعلمه ولا يعمل به والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢] ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطراً، وأكثر ما يكون وقوعاً، فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه. نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم.

* * *

وبعد: فهذه عشر درجات قالها الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] فهذا كلام وجيز يبين غربة الدين لمن تدبره وهي عشر درجات؛ الأولى: تصديق القلب أن دعوة غير الله باطلة[1] وقد خالف

(١) المراد بدعوة غير الله دعاؤه بأن يطلب منه ما لا يطلب إلا من الله تعالى وهو استعمال عربي فصيح.

فيها من خالف. الثانية: أنها منكر يجب فيها البغض، وقد خالف فيها من خالف. الثالثة: أنها من الكبائر والعظائم المستحقة للمقت والمفارقة وقد خالف فيها من خالف. الرابعة: أن هذا هو الشرك بالله الذي لا يغفره، وقد خالف فيها من خالف. الخامسة: أن المسلم إذا اعتقده أو دان به كفر وقد خالف فيها من خالف. السادسة: أن المسلم الصادق إذا تكلم به هازلاً أو خائفاً أو طامعاً كفر بذلك لعلمه، وأين ينزل القلب هذه الدرجة ويصدقه بها؟ وقد خالف فيها من خالف. السابعة: أنك تعمل معه عملك مع الكفار من عداوة الأب والابن وغير ذلك وقد خالف فيها من خالف. الثامنة: أن هذا معنى «لا إله إلا الله» والإله هو المألوه، والتأله: عمل من الأعمال، وكونه منفياً عن غير الله تَرْك من التروك. التاسعة: القتال على ذلك حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله. العاشرة: أن الداعي لغير الله لا تقبل منه الجزية كما قبل من اليهود ولا تنكح نساؤهم كما تنكح نساء اليهود؛ لأنه أغلظ كفراً وكل درجة من هذه الدرجات إذا عملت بها تخلف عنك بعض من كان معك. والله أعلم.

قوله: عند كل درجة وقد خالف فيها من خالف أناس يعتقدون أن دعوة غير الله جائزة والرسول ومن آمن به مخالفون لهم، وناس ما يكفرون بالطاغوت ولا يبغضونه، والرسول وأتباعه مخالفون لهم، بل ملة إبراهيم هي الكفر بالطاغوت والإيمان بالله وهكذا سائر الدرجات. والله أعلم.

وبعدها كلام للشيخ - رحمه الله تعالى - على قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا

النَّاسُ﴾ الآية [يونس: ١٠٤] وفيها ثماني حالات.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٤ - ١٠٦] وقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠] فيه ثمان حالات:

الأولى: ترك عبادة غير الله مطلقاً ولو حاوله أبوه وأمه بالطمع الجليل كما جرى لسعد ـ رضي الله عنه ـ مع أمه.

الحالة الثانية: أن كثيراً من الناس إذا عرف الشرك وأبغضه وتركه لا يفطن بما يريد الله من إجلاله ورهبته فذكر هذه الحالة بقوله: ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾ [يونس: ١٠٤].

الحالة الثالثة: إن قدرنا أنه ظن وجود الترك والفعل فلا بد من تصريحه بأنه من هذه الطائفة، ولو لم يقض هذا الغرض إلا بالهرب عن بلد كثيرة فيها من الطواغيت الذين يبلغون الغاية في العداوة حتى يصرح أنه من هذه الطائفة المحاربة لهم.

الحالة الرابعة: إن قدرنا أنه ظن وجود هذه الثلاث فقد لا يبلغ الجد في العمل بالدين، والجد والصدق هو إقامة الوجه للدين.

الحالة الخامسة: إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الأربع فلابد من مذهب ينتسب إليه فأمر أن يكون مذهبه الحنيفية، وترك كل مذهب سواها ولو كان صحيحاً ففي الحنيفية عنه غنية.

الحالة السادسة: إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الست[1] فقد يدعو من غير قلبه نبياً أو غير شيء من مقاصده ولو كان ديناً يظن أنه إن نطق بذلك من غير قلبه لأجل كذا وكذا خصوصاً عند الخوف ألا يدخل في هذا.

الحالة الثامنة: إن ظن سلامته من ذلك لكن غيره من إخوانه فعله خوفاً أو لغرض من الأغراض هل يصدق الله أن هذا ولو كان أصلح الناس قد صار من الظالمين، أو يقول كيف يكفر فهو يحب الدين ويبغض الشرك؟ وما أعز من يتخلص من هذا! بل ما أعز من يفهمه وإن لم يعمل به! بل ما أعز من لا يظنه جنونًا! والله أعلم.

---

(١) قد كتب في حاشية الأصل الذي جاءنا من نجد بإزاء هذه الحالة: كذا في الأصل. وذلك أن الكلام فيها لا يكاد يفهم. ولا شك أن في الكلام تحريفاًوسقطاً، والظاهر أن سبب مثل هذا الغلط الاضطراب في هذه الرسالة وغيرها من هذه الرسائل المختصرة أن بعض العوام نقلها عن بعض ولم توجد نسخة صحيحة بخط المؤلف أو بعض أولاده العلماء يرجع إليها. وقد حرص الإمام على أن يطبع الموجود كما وجد حتى لا يضيع منه شيء.

الرسالة الرابعة

في ستة أصول عظيمة مفيدة جليلة للشيخ محمد بن عبدالوهاب قدَّس الله روحه ونوَّر ضريحه

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب إمام الدعوة الإسلامية، وحامي حمى الملة الحنيفة:

من أعجب العجاب، وأكبر الآيات الدالة على قدرة الملك الغلاب ستة أصول بيَّنها الله تعالى بياناً واضحاً للعوام فوق ما يظن الظانون ثم بعد هذا غلط فيها أذكياء العالم، وعقلاء بني آدم إلا أقل القليل.

الأصل الأول: إخلاص الدين لله تعالى وحده لا شريك له، وبيان ضده الذي هو الشرك بالله وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل من وجوه شتى بكلام يفهمه أبلد العامة، ثم صار على أكثر الأمة ما صار؛ أظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقُّص الصالحين والتقصير في حقوقهم، وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين واتباعهم.

الأصل الثاني: أمر الله بالاجتماع في الدين والنهي عن التفرق فبين الله هذا بياناً شافياً تفهمه العوام، ونهانا أن نكون كالذين تفرقوا واختلفوا قبلنا فهلكوا. وذكر أنه أمر المسلمين بالاجتماع في الدين ونهاهم عن التفرق فيه. ويزيده وضوحاً ما وردت به السنة من العجب العجاب في

ذلك، ثم صار الأمر إلى أن الافتراق في أصول الدين وفروعه هو العلم والفقه في الدين، وصار الأمر بالاجتماع لا يقوله إلا زنديق أو مجنون.

الأصل الثالث: أن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا ولو كان عبداً حبشياً، فبين النبي ﷺ هذا بياناً شائعاً ذائعاً بكل وجه من أنواع البيان شرعاً وقدراً، ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم فكيف العمل به؟

الأصل الرابع: بيان العلم والعلماء والفقه والفقهاء، وبيان من تشبه بهم وليس منهم، وقد بين الله تعالى هذا الأصل في أول سورة البقرة من قوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] إلى قوله قبل ذكر إبراهيم عليه السلام: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الآية [البقرة: ١٢٢] ويزيده وضوحا ما صرحت به السنة في هذا من الكلام الكثير البيِّن الواضح للعامي البليد، ثم صار هذا أغرب الأشياء وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات، وخيار ما عندهم لبس الحق بالباطل، وصار العلم الذي فرضه الله تعالى على الخلق ومدحه لايتفوه به إلا زنديق أو مجنون، وصار من أنكره وعاداه وصنف في التحذير منه والنهي عنه هو الفقيه العالم.

الأصل الخامس: بيان الله سبحانه لأولياء الله وتفريقه بينهم وبين المتشبهين بهم من أعداء الله والمنافقين والفجار. ويكفي في هذا آية في آل عمران وهي قوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾

الآية [آل عمران: ٣١]، وآية في المائدة وهي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ﴾ الآية [المائدة: ٥٤]، وآية في يونس وهي قوله: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣] ثم صار الأمر عند أكثر من يدعي العلم وأنه من هداة الخلق وحفاظ الشرع إلى أن الأولياء لابد فيهم من ترك اتباع الرسل، ومن تبعهم فليس منهم. ياربنا، نسألك العفو والعافية، إنك سميع الدعاء.

الأصل السادس: رد السنة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسنة، واتباع الآراء والأهواء المتفرقة المختلفة، وهي أي السنة التي وضعها الشيطان هي أن القرآن والسنة لا يعرفها إلا المجتهد المطلق، والمجتهد هو الموصوف بكذا وكذا أوصافاً لعلها لا توجد تامة في أبي بكر وعمر، فإن لم يكن الإنسان كذلك فليعرض عنهما فرضاً حتماً لا شك ولا إشكال فيه، ومن طلب الهدى منهما فهو إما زنديق وإما مجنون لأجل صعوبتهما.

سبحان الله وبحمده، والأمر برد هذه الشبهة الملعونة من وجوه شتى بلغت إلى أمر الضروريات العامة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١] ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ

تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ٧ - ١١] آخره والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

مجموعة الرسائل الثالثة

في التوحيد، والإيمان
وما يتعلق بهما

لبعض أحفاد الشيخ محمد بن عبدالوهاب
وغيرهم من علماء نجد
رضي الله عنهم أجمعين

الرسالة الأولى

في أصل دين الإسلام وقاعدته

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العالم العلامة الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ المجدد الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله تعالى أجمعين:

قوله: [1] (أصل دين الإسلام وقاعدته) أمران:

الأول: الأمر بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك والموالاة فيه وتكفير من تركه. قلت: وأدلة هذا في القرآن أكثر من أن تحصر كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤] الآية. أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يدعو أهل الكتاب إلى معنى لا إله إلا الله الذي دعا إليه العرب وغيرهم، والكلمة هي لا إله إلا الله ففسرها بقوله: (ألا نعبد إلا الله)، فقوله: (ألا نعبد) فيه معنى: (لا إله) وهي نفي العبادة عما سوى الله تعالى. قوله: (إلا الله) هو المستثنى في كلمة الإخلاص، فأمره تعالى أن يدعوهم إلى قصر العبادة عليه وحده ونفيها عمن سواه، ومثل هذه الآية كثير يبين أن الإلهية هي العبادة وأنها لا يصلح منها شيء لغير الله. قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا

(١) ينظر مرجع الضمير هنا وفيما بعده من أمثاله.

تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] معنى قضى (أمر ووصى) قولان ومعناهما واحد، وقوله: (ألا تعبدوا) فيه معنى (لا إله) وقوله: (إلا إياه) فيه معنى (إلا الله) وهذا هو توحيد العبادة وهو دعوة الرسل؛ إذ قالوا لقومهم: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون: ٣٢] فلا بد من نفي الشرك في العبادة رأساً، والبراءة منه وممن فعله كما قال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]، فلا بد من البراءة من عبادة ما كان يعبد من دون الله وقال عنه عليه السلام: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [مريم: ٤٨] فيجب اعتزال الشرك وأهله بالبراءة منهما كما صرح به في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤] والذين معه هم الرسل كما ذكره ابن جرير.

وهذه الآية تتضمن جميع ما ذكره شيخنا ـ رحمه الله تعالى ـ من التحريض على التوحيد ونفي الشرك والموالاة لأهل التوحيد وتكفير من تركه بفعل الشرك المنافي له، فإن مَنْ فعل الشرك فقد ترك التوحيد، فإنهما ضدان لا يجتمعان، فمتى وُجد الشرك انتفى التوحيد، وقد قال تعالى في حق من أشرك ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾[الزمر: ٨] فكفّره تعالى باتخاذ الأنداد وهم الشركاء في العبادة وأمثال هذه الآيات كثير، فلا يكون المرء موحداً إلا بنفي الشرك والبراءة منه وتكفير من فعله.

ثم قال رحمه الله تعالى :

الثاني : الإنذار عن الشرك في عبادة الله تعالى والتغليظ في ذلك والمعاداة فيه وتكفير من فعله فلا يتم مقام التوحيد إلا بهذا ، وهو دين الرسل أنذروا قومهم عن الشرك كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء :٢٥] وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ ﴾ [الأحقاف : ٢١] .

قوله : (في عبادة الله) : العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة . قوله : (والتغليظ في ذلك) وهذا موجود في الكتاب والسنة كقوله تعالى : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) وَلا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الذاريات :٥٠، ٥١] ولولا التغليظ لما جرى على النبي ﷺ وأصحابه من قريش ما جرى من الأذى العظيم كما هو مذكور في السير مفصلاً ، فإنه بادأهم بسبِّ دينهم وعيب آلهتهم . قوله رحمه الله تعالى : (والمعاداة فيه) : كما قال : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ [التوبة : ٥] والآيات في هذا كثيرة جداً كقوله : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ ﴾ [الأنفال : ٣٩] والفتنة الشرك ، ووسم تعالى أهل الشرك بالكفر فيما لا

يحصى من الآيات فلا بد من تكفيرهم أيضاً، هذا هو مقتضى لا إله إلا الله كلمة الإخلاص، فلا يتم معناها إلا بتكفير من جعل لله شريكًا في عبادته كما في الحديث الصحيح: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله».

فقوله: (وكفر بما يعبد من دون الله) تأكيد للنفي، فلا يكون معصوم الدم والمال إلا بذلك، فلو شك أو تردد لم يعصم دمه وماله فهذه الأمور هي تمام التوحيد؛ لأن (لا إله إلا الله) قُيِّدت في الأحاديث بقيود ثقال بالعلم والإخلاص والصدق واليقين وعدم الشك، فلا يكون المرء موحداً إلا باجتماع هذا كله واعتقاده وقبوله ومحبته والمعاداة فيه والموالاة، فبمجموع ما ذكره شيخنا ـ رحمه الله ـ يحصل ذلك.

ثم قال رحمه الله تعالى: والمخالف في ذلك أنواع فأشدهم مخالفة من خالف في الجميع فقبل الشرك واعتقده ديناً، وأنكر التوحيد واعتقده باطلاً كما هو حال الأكثر، وسببه الجهل بما دل عليه الكتاب والسنة من معرفة التوحيد وما ينافيه من الشرك والتنديد واتباع الأهواء، وما عليه الآباء كحال من قبلهم من أمثالهم من أعداء الرسل، فرموا أهل التوحيد بالكذب والزور، والبهتان والفجور، وحجتهم ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٧٤].

وهذا النوع من الناس والذين بعده قد ناقضوا ما دلت عليه كلمة الإخلاص، وما وضعت له، وما تضمنته من الدين الذي لا يقبل الله دينًا

سواه، وهو دين الاسلام الذي بعث الله به جميع أنبيائه ورسله واتفقت دعوتهم عليه كما لا يخفى فيما قصّ الله عنهم في كتابه.

ثم قال رحمه الله تعالى: ومن الناس من عبد الله وحده، ولم ينكر الشرك ولم يعاد أهله. قلت: ومن المعلوم أن من لم ينكر الشرك لم يعرف التوحيد ولم يأت به، وقد عرفت أن التوحيد لا يحصل إلا بنفي الشرك والكفر بالطاغوت المذكور في الآية. ثم قال رحمه الله: ومنهم من عاداهم ولم يكفرهم فهذا النوع أيضاً لم يأت بما دلت عليه لا إله إلا الله من نفي الشرك وما تقتضيه من تكفير من فعله بعد البيان إجماعاً، وهو مضمون سورة الإخلاص و﴿قل يا أيها الكافرون﴾ وقوله: في آية الممتحنة: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ [الممتحنة: ٤] ومن لم يكفّر من كفره القرآن فقد خالف ما جاءت به الرسل من التوحيد وما يوجبه ثم قال رحمه الله تعالى: ومنهم من لم يحب التوحيد ولم يبغضه.

فالجواب: أن من لم يحب التوحيد لم يكن موحداً؛ لأنه هو الدين الذي رضيه الله لعباده كما قال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] فلو رضي بما رضي به الله تعالى وعمل به لأحبه، ولا بد من المحبة لعدم حصول الإسلام بدونها، فلا إسلام إلا بمحبة التوحيد.

قال الشيخ أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى: الإخلاص محبة الله وإرادة وجهه، فمن أحبَّ الله تعالى أحبَّ دينه ومن لا فلا، والمحبة يترتب عليها كلمة الإخلاص وهي من شروط التوحيد.

ثم قال رحمه الله تعالى: ومنهم من لم يبغض الشرك ولم يحبه.
قلت: ومن كان كذلك فلم ينف ما نفته (لا إله إلا الله) من الشرك والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه فهذا ليس من الإسلام في شيء أصلاً، ولم يُعصم دمه ولا ماله كما دل عليه الحديث المتقدم. وقوله رحمه الله تعالى: ومنهم من لم يعرف الشرك ولم ينكره ولم ينفه، ولا يكون موحداً إلا من نفى الشرك وتبرأ منه وممن فَعَله وكفّرهم، وبالجهل بالشرك لا يحصل شيء مما دلت عليه (لا إله إلا الله)، ومن لم يقم بمعنى هذه الكلمة ومضمونها فليس من الإسلام في شيء؛ لأنه لم يأت بهذه الكلمة ومضمونها عن علم ويقين وصدق وإخلاص ومحبة وقبول وانقياد، وهذا النوع ليس معه من ذلك شيء، وإن قال: (لا إله إلا الله) فهو لا يعرف ما دلت عليه وما تضمنته.

ثم قال رحمه الله تعالى: ومنهم من لم يعرف التوحيد ولم ينكره.
فأقول: هذا كالذي قبله، لم يرفعوا رأساً بما خُلقوا له من الدين الذي بعث الله به رسله، وهذا الحال حال من قال الله فيهم: ﴿ **إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً** ﴾ [الفرقان: ٤٤].

وقوله رحمه الله تعالى: ومنهم -وهو أشدُّ الأنواع خطراً- من عمل بالتوحيد ولم يعرف قدره، ولم يبغض من تركه ولم يكفرهم. فقوله رحمه الله تعالى: وهو أشد الأنواع خطراً لأنه لم يعرف قدر ما عمل به ولم يأت بما يصحح توحيده من القيود الثقال التي لابد منها، لما علمت

من أن التوحيد يقتضي نفي الشرك والبراءة منه ومعاداة أهله وتكفيرهم مع قيام الحجة عليهم. فهذا قد يغترُّ بحاله، وهو لم يأت بما عليه من الأمور التي دلت عليها كلمة الإخلاص نفياً وإثباتاً، وكذلك قوله ـ رحمه الله تعالى: ومنهم من ترك الشرك وكرهه ولم يعرف قدره. فهذا أقرب من الذي قبله لكن لم يعرف قدر الشرك؛ لأنه لو عرف قدره لفعل ما دلت عليه الآيات المحكمات، كقول الخليل: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: ٢٧] وقوله: ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾ [الممتحنة: ٤] فلا بد لمن عرف الشرك وتركه من أن يكون كذلك من الولاء والبراءة من العابد والمعبود، وبغض الشرك وأهله وعداوتهم، وهذان النوعان هما الغالب على أحوال كثير ممن يدَّعي الإسلام فيقع منهم من الجهل بحقيقة ما يمنع الإتيان بكلمة الإخلاص، وما اقتضته على الكمال الواجب الذي يكون به موحداً. فما أكثر المغرورين الجاهلين بحقيقة الدين!

فإذاعرفت أن الله كفَّر أهل الشرك ووصفهم به في الآيات المحكمات بقوله: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧] وكذلك الحسنة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: فأهل التوحيد والسنة يصدقون الرسل فيما أخبروا، ويطيعونهم فيما أمروا، ويحفظون ما قالوا ويفهمونه ويعملون به، وينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ويجاهدون من خالفهم تقرباً إلى الله وطلباً للجزاء من

الله لا منهم، وأهل الجهل والغلو لا يميزون بين ما أمِروا به وما نُهوا عنه، ولا بين ما صح عنهم ولا ما كذب عليهم، ولا يفهمون حقيقة مرادهم، ولا يتحرَّوْن طاعتهم، بل هم جهال بما أتوا به معظمون لأغراضهم.

قلت: ما ذكره شيخ الإسلام يشبه حال هذين النوعين الأخيرين.

بقي مسألة حدثت تكلم فيها شيخ الإسلام ابن تيمية وهي عدم تكفير المعين ابتداء لسبب ذكره ـ رحمه الله ـ تعالى أوجب له التوقف في تكفيره قبل إقامة الحجة عليه. قال رحمه الله تعالى: ونحن نعلم بالضرورة أن النبي ﷺ لم يشرع لأحد أن يدعو أحداً من الأموات لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا إلى ميت ونحو ذلك، بل نعلم أنه نهى عن هذه الأمور كلها، وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله ﷺ ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يُبيَّن لهم ما جاء به الرسول ﷺ مما يخالفه. انتهى.

قلت: فذكر ـ رحمه الله تعالى ـ ما أوجب له عدم إطلاق الكفر عليهم على التعيين خاصة إلا بعد البيان والإصرار فإنه قد صار أمة واحدة، ولأن من العلماء من كفَّره بنهيه لهم عن الشرك في العبادة فلا يمكنه أن يعاملهم إلا بمثل ما قال ـ كما جرى لشيخنا محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ في ابتداء دعوته، فإنه إذا سمعهم يدعون زيد بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: الله خير من زيد. تمريناً لهم على نفي الشرك بلين الكلام. نظر إلى المصلحة وعدم النفرة. والله سبحانه وتعالى أعلم.

الرسالة الثانية

في الجواب عن أسئلة في الاسم، والقضاء، والقدر، والاستواء على العرش. . إلخ
للعلامة الشيخ عبدالرحمن بن حسين بن محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد النبي الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعد: فقد وردت علينا أسئلة من (عمان) صدرت من جَهْمِيٍّ ضال يستعجز بها بعض المسلمين، فينبغي أن نجيب عنها بما يفيد طالبَ العلم، وما لا فائدة فيه لا يحتاج إلى الاشتغال بالجواب عنه. فمما ينبغي أن نجيب عنه قوله: إن الاسم مشتق من السمو أو السمة، واشتقاق الاسم من هذين ذكره العلماء في كتبهم. لكن يتعين أن نسأله عن كيفية هذا الاشتقاق وما معنى الاشتقاق الذي يذكره العلماء؟ فنطلب منه الجواب عن هذين الأمرين وإن كانا مذكورين في كتب النحاة وغيرهم، وقد ذكرته في (فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد).

وأما سؤاله عن الفرق بين القضاء والقدر، فالقدر أصل من أصول الإيمان كما في سؤال جبريل وما أجابه به رسول الله ﷺ حين سأله قال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» وفي الحديث الصحيح: «إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة» أي: جرى بما يكون مما يعلم الله

تعالى، فإنه تعالى يعلم ما كان وما يكون ومالم يكن لو كان كيف يكون ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣].

وأما القضاء فيطلق في القرآن ويراد به إيجاد المقدر كقوله: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢] وقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ﴾ الآية [سبأ: ١٤]. ويطلق ويراد به الإخبار بما سيقع مما قدر كقوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ [الإسراء: ٤] أخبرهم في كتابهم أنهم يفسدون في الأرض مرتين، ويطلق ويراد به الأمر والوصية كما قال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] أي: أمر ووصى، ويطلق ويراد به الحكم كقوله: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ [الزمر: ٧٥] ويطلق ويراد به القدر ونحو ذلك.

وأما ما تزعمه من أن الأدلة الدالة على استوائه سبحانه على عرشه لا تمنع أن يكون مستوياً على غيره، فالجواب أن نقول: قد أجمع أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً على أنه لا يجوز أن يوصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه ولا وصفه به رسوله ﷺ، ومَنْ وصفه بغير ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ فهو جهمي ضال مضل يقول على الله بلا علم. وقد ذكر سبحانه استواءه على عرشه في سبعة مواضع من كتابه في سورة الأعراف وفي سورة يونس وفي سورة الرعد وفي سورة طه وفي سورة الفرقان وفي سورة السجدة وفي سورة الحديد، ولم يذكر تعالى أنه استوى على غير العرش ولا ذكره رسوله ﷺ، فعُلِم أنه ليس من صفاته

التي يجوز أن يوصف بها، فمن أدخل في صفات الله ما لم يذكر في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ فهو جهمي يقول على الله مالا يعلم. وقد قال الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣] علو القدر وعلو القهر وعلو الذات لا يجوز أن يوصف إلا بذلك كله لكماله تعالى في أوصافه، فله الكمال المطلق في كل صفة وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥] فذكر العرش عند هذه الصفة من أدلة فوقيته تعالى كماهو صريح فيما تقدم من الآيات وكقوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ٥] الآية. وذكر النبي ﷺ في معنى قول الله تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ الآية [الحديد: ٣] «اللهم، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء» فقوله: «فليس فوقك شيء» نصٌّ في أنه تعالى فوق جميع المخلوقات، وهو الذي ورد عن الصحابة والتابعين من المفسرين وغيرهم في معنى قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] أن معنى استوى: استقر وارتفع وعلا، وكلها بمعنى واحد لا ينكر هذا إلا جهمي زنديق يحكم على الله وعلى أسمائه وصفاته بالتعطيل ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

والنصوص الدالة على إثبات الصفات كثيرة جداً، وقد صنَّف أهل السنة من المحدثين والعلماء مصنفات كباراً، ومن ذلك كتاب (السنة) لعبد الله ابن الإمام أحمد ذكر فيه أقوال الصحابة والتابعين والأئمة، وكتاب التوحيد لإمام الأئمة محمد بن خزيمة، وكتاب (السنة) للأثرم صاحب الإمام أحمد، وكتاب عثمان بن سعيد الدارمي في ردِّه على المريسي، وكتاب (السنة) للخلال، وكتاب (العلو) للذهبي، وغير ذلك مما لا يحصى كثرة، ولله الحمد والمنة.

ونذكر بعض الأحاديث الصريحة في المعنى، فمن ذلك ما في الصحيح عن النواس بن سمعان قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر[1] تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة ـ أو قال رعدة شديدة ـ خوفاً من الله عز وجل، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخرُّوا له سُجَّداً، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمرُّ جبريل على الملائكة كلما مر على سماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير. فيقولون مثل ما قاله جبريل فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل».

---

(١) كذا في الأصل وقوله: «تكلم بالوحي» يوشك أن يكون قد سقط قبله «أو إذا تكلم بالوحي»، ففي شرح القسطلاني على البخاري ما نصه: وفي حديث النواس بن سمعان عند الطبراني مرفوعاً: «إذا تكلم الله بالوحي أخذت الملائكة رجفة شديدة من خوف الله» إلخ وعزاه في فتح الباري إلى ابن أبي حاتم وزاد بعد رجفة: «أو رعدة شديدة» إلخ، وقد رواه غيرهما فلعل المصنف أشار إلى لفظين في أوله.
ومعناه في البخاري وغيره في حديث أبي هريرة وأوله: «إذا قضى الله الأمر في السماء».

ففي هذا الحديث التصريح بأن جبريل ينزل بالوحي من فوق السموات السبع فيمر بها كلها نازلاً إلى حيث أمره الله، وهذا صريح بأن الله تعالى فوق السموات على عرشه بائن من خلقه كما قال عبد الله بن المبارك لما قيل له: بم نعرف ربنا؟ قال: بأنه على عرشه بائن من خلقه. وهذا قول أئمة الإسلام قاطبة خلافاً للجهمية الحلولية والفلاسفة وأهل الوحدة وغيرهم من أهل البدع. فرحم الله أهل السنة والجماعة المتمسكين بالوحيين، وصح عن النبي ﷺ في حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق أن رحمتي سبقت غضبي فهو عنده فوق العرش». وفي حديث العباس بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ الذي رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة أن النبي ﷺ ذكر سبع سموات وما بينهما ثم قال: «وفوق ذلك بحر بين أعلاه وأسفله كما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال ما بين أظلافهن وركبهن كما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ظهورهن العرش ما بين أعلاه وأسفله كما بين سماء إلى سماء، والله تعالى فوق ذلك». وفي حديث ابن مسعود الذي رواه عبدالرحمن بن مهدي شيخ الإمام أحمد عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبدالله بن مسعود قال: «بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء إلى سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله تعالى فوق العرش لا يخفى عليه شيء من

أعمالكم». والجهمية جحدوا هذه النصوص وعاندوا في التكذيب فصاروا بذلك[1] كفاراً عند أكثر أهل السنة والجماعة.

وهذا القدر الذي ذكرنا كاف في بيان ما عليه أهل السنة والجماعة من علوِّ الله تعالى على جميع المخلوقات واستوائه على عرشه، وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة على ذلك، ولو ذهبنا نذكر ما ورد في ذلك لاحتمل مجلداً فالحمد لله الذي حفظ على الأمة دينها في كتابه وسنة رسوله، وبنقل العلماء الذين هم في هذه الأمة كأنبياء بني إسرائيل، وهدانا إلى ذلك فأبطل الله بالعلماء كل بدعة وضلالة حدثت في هذه الأمة. فيالها من نعمة ما أجلها في حق من تلقَّى الحق بالقبول وعرفه ورضي به! نسأل الله أن يجعلنا شاكرين لنعمه، مثنين بها عليه، فله الحمد لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه خلقه.

فأهل السنة والجماعة عرفوا ربهم بما تعرَّف به إليهم من صفات كماله اللائقة بجلال الله، فأثبتوا له تعالى ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله إثباتاً

---

(١) أي: بجملة ذلك ومجموعة من الآيات والأحاديث الصحيحة لا بكل واحد منه، فإن بعض هذه الروايات موقوف كحديث ابن مسعود، وحديث العباس قبله ضعيف الإسناد، وإنما ذكرهما الشيخ وجدُّه وغيرهما من العلماء لموافقتهما للمعنى الصحيح في إثبات علو الله تعالى فهو من باب التقوية المألوف عند العلماء: فمن اعترف بالمعنى الصحيح فيهما لا يكلف اعتقاد غير ذلك من معانيهما كمسافة الخمسمائة عام، فإذا هو لم يثبتها لعدم صحة الحديث بها لا يكفَّر ولا يعدُّ مبتدعًا ولا يصدق عليه جحود النصوص والعناد في التكذيب، وهما السببان اللذان ناط المؤلف بهما تكفير أهل السنة للجهمية.

بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، وعرفوه بأفعاله وعجائب مخلوقاته، وبما أظهره لهم من عظيم قدرته، وبما أسبغه عليهم من عظيم نعمه، فعبدوا ربًا أحداً صمداً إلهاً واحداً وهو الله الذي الإلهية وصفه، فالخلق خلقه، والملك ملكه، لا شريك له في إلهيته ولا في ربوبيته ولا في ملكه تعالى وتقدس كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝ إِلَٰهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ١ - ٣] ونزهوه عما ننزهه عنه وعن كل ما فيه عيب ونقص، وعن كل ما وصفته الجهمية وأهل البدع مما لا يليق بجلاله وعظمته، فعطلوه من صفات الكمال وصاروا إنما يعبدون عدماً؛ لأنهم وصفوه بما ينافي الكمال ويوقع في النقص العظيم، فشبهوه بالناقصات تارة وبالمعدوم تارة، فهم أهل التشبيه كما عرفت من حالهم وضلالهم ومحالهم.

***

وأما ما أورده هذا الجهمي الجاهل من آيات العلم كقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] فلا منافاة بين استوائه على عرشه وإحاطة علمه بخلقه، والسياق يدل على ذلك.

أما الآية الأولى فهي مسبوقة بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [الحديد: ٤] ذكر استواءه على عرشه وذكر إحاطة علمه بما في الأرض والسموات ثم قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] أي: بعلمه المحيط بما كان وما يكون.

وأما الآية الثانية: فهي كذلك مسبوقة بالعلم وختمها تعالى به فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة:٧].

فعُلم أن المراد علمُه بخلقه وأنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

وهذا المعنى الذي ذكرنا هو الذي عليه المفسرون من الصحابة والتابعين والأئمة وجميع أهل السنة والجماعة.

وأما الجهمية وأهل البدع فحُرموا معرفة الحق لانحرافهم عنه، وجهلهم به وبالقرآن والسنة كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:

ثَقُل الكتابُ عليهمُ لما رأوا ... تقييده بشرائعِ الإيمانِ

ومن المعلوم أنه لا يقبل الحق إلا من طَلَبَه، وأما أهل البدع فأشربوا في قلوبهم ماوقعوا فيه من البدع والضلال وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

فإذا عرف ذلك فيتعين أن نسأل هذا الجهمي وغيره من المبتدعة عن أمور لا يسع مسلماً أن يجهلها؛ لأن الإسلام يتوقف على معرفتها. فمن ذلك: ما معنى كلمة الإخلاص «لا إله إلا الله»؟ وما الإلهية المنفية بلا

النافية للجنس؟ وما خبرها؟ وما معنى الإلهية التي ثبت لله وحده دون ما سواه؟ وما أنواع التوحيد وألقابه وأركانه؟ وما معنى الإخلاص الذي أمر الله به عباده وأخبرهم أنه له وحده؟ وما تعريف العبادة التي خلقوا لها؟ وما أقسام العلم النافع الذي لا يسع أحدًا جهله؟ وما معنى اسم الله تعالى الذي لا يُسمى بهذا الاسم غيره؟ وما صفة اشتقاقه من المصدر الذي هو معناه؟

فالجواب عن هذا هو المطلوب، والله المستعان وعليه التُّكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيد المرسلين وإمام المتقين، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

الرسالة الثالثة

في أنواع التوحيد وأنواع الشرك
للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن أيضاً

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

أما بعد: اعلم أرشدك الله تعالى أن الله خلق الخلق ليعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] والعبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة بين الأنبياء والأمم فيه كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وأما التوحيد فهو ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

أما توحيد الربوبية فهو الذي أقرَّ به الكفار على زمن رسول الله ﷺ ولم يدخلهم في الإسلام، وقاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم وهو توحيده بفعله تعالى، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١] ﴿قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤، ٨٥] ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٦، ٨٧] ﴿قُلْ

مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٨، ٨٩] والآيات على هذا كثيرة جدًا أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر.

وأما الثاني: وهو توحيد الألوهية[1] فهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه وهو توحيد الله تعالى بأفعال العباد كالدعاء والنذر والنحر والرجاء والخوف والتوكل والرغبة والرهبة والإنابة، ودليل الدعاء قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] وكل نوع من هذه الأنواع عليه دليل من القرآن، وأصل العبادة تجريد الإخلاص لله تعالى وحده وتجريد المتابعة للرسول ﷺ. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾ [الرعد: ١٤] وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠] والآيات معلومات. وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

---

(١) في النسخة التي طبعنا عنها (الأصل الثاني) وكذا (والأصل الثالث) وهو غلط من الناسخ بدليل قول المؤلف أولاً: «أما توحيد الربوبية» إلخ وقوله في أخبار المبتدأ الثلاثة: «فهو ...» إلخ.

وأما الثالث: فهو توحيد الذات والأسماء والصفات وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤] وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ثم اعلم أن ضدَّ التوحيد الشرك وهو ثلاثة أنواع، شرك أكبر وشرك أصغر، وشرك خفي، والدليل على الشرك الأكبر قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦] ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وهو أربعة أنواع:

النوع الأول: شرك الدعوة[1]، والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

النوع الثاني: شرك النية والإرادة والقصد، والدليل قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

---

(١) أي الدعاء.

النوع الثالث: شرك الطاعة، والدليل قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١] وتفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصية لادعاؤُهم إياهم كما فسَّرها النبي ﷺ لعدي بن حاتم لما سأله فقال: لسنا نعبدهم، فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية.

النوع الرابع: شرك المحبة، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

والنوع الثاني: شرك أصغر وهو الرياء، والدليل قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

النوع الثالث: شرك خفي، والدليل عليه قوله ﷺ: «الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل». وكفارته قوله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم، وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم»[1].

فالكفر كفران: كفر يخرج من الملة وهو خمسة أنواع:

(١) هذا الدعاء ورد في حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه مرفوعاً «الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل، وسأدلك على شيء إذا قلته أذهب عنك صغار الشرك وكباره؛ تقول: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم. تقولها ثلاث مرات» رواه ابن حبان في الضعفاء، وهناد في الزهد، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول، وأبو يعلي وابن المنذر وابن السني في عمل اليوم والليلة. ضعفه ابن حبان والبيهقي وحسنه غيرهما، وأول الحديث في لفظ المصنف رواه الحكيم أيضاً.

النوع الأول: كفر التكذيب، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٨].

النوع الثاني: كفر الإباء والاستكبار مع التصديق، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤]

النوع الثالث: كفر الشك وهو كفر الظن، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً (٣٧) لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٣٥ – ٣٨]

النوع الرابع: كفر الإعراض، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣].

النوع الخامس: كفر النفاق، والدليل قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون: ٣].

وكفر أصغر لا يخرج من الملة وهو كفر النعمة والدليل قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾

[النحل : ١١٢] .

وأما النفاق فنوعان : اعتقادي ، وعملي ؛ فأما الاعتقادي فهو ستة أنواع : تكذيب الرسول ﷺ ، أو تكذيب بعض ما جاء به الرسول ، أو بغض الرسول ، أو بغض بعض ما جاء به الرسول ، أو المسَرَّة بانخفاض دين الرسول ، أو الكراهية لانتصار دين الرسول . فهذه الأنواع الستة صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار .

وأما العملي فهوخمسة أنواع ، والدليل قوله ﷺ : «آية المنافق ثلاث : إذا حدَّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان ، وإذا خاصم فجر ، وإذا عاهد غدر» . نعوذ بالله من النفاق والشقاق وسوء الأدب . والله أعلم .

الرسالة الرابعة

في التوحيد وطروء الشرك على المسلمين وجهاد العلماء له

له أيضاً

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

اعلم أن أعظم شهادة وأفرضها على الخلق قولاً وعملاً واعتقاداً ما شهد الله به لنفسه من اختصاصه بالإلهية دون جميع خلقه أزلاً وأبداً. قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨] فكرر الشهادة به في هذه الآية وأخبر أن ملائكته وأولي العلم شهدوا له بذلك جل وعلا، وأخبر عباده بهذه الشهادة ودعاهم إلى أن يشهدوا بها ويدينوا بها، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧] وقال: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨] وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَىٰ وَالآخِرَةِ﴾ [القصص: ٧٠] وأخبر أنه بعث رسله بهذه الشهادة جميعهم فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] فبين في هذه الآية وأمثالها أن الإلهية هي العبادة، فإن الإله هو المألوه الذي تألهه القلوب محبة وتعظيماً، وتذللاً وخضوعاً، وتوكلاً ورغبة إليه ورهبةً،

وخوفاً ورجاءً، وغير ذلك من أنواع العبادة. وقال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام:١٠٢] وبيَّن تعالى ما تضمنته هذه الشهادة من النفي والإثبات بقوله عن خليله إبراهيم ـ عليه السلام ـ لأبيه وقومه: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٨] والكلمة: لا إله إلا هو، فعبر عنها الخليل بمعناها، فنفى ما نفته هذه الكلمة من الشرك في العبادة بالبراءة من كل ما يعبد من دون الله، واستثنى الذي فطره وهو الله سبحانه الذي لا يصلح من العبادة شيء لغيره كما قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ﴾ [هود: ١، ٢] فقوله: ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ﴾ فيه معنى لا إله وقوله: ﴿إِلاَّ اللَّهَ﴾ هو المستثنى في هذه الكلمة العظيمة، ففي هذه الآيات نفى الإلهية عما سوى الله نفياً عاماً بـ (لا) النافية للجنس، وأثبت الإلهية له وحده دون كل ما سواه.

والآيات في معنى هذه الكلمة كثيرة في القرآن. قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] فقوله: (ألا تعبدوا) نفى استحقاق العبادة لغيره وأثبتها لنفسه بقوله (إلا إياه) وقال تعالى: ﴿أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠] وأمر نبيه ﷺ أن يدعو أهل الكتاب إلى معنى هذه الكلمة وما تضمنته من النفي والإثبات فقال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ [آل عمران: ٦٤] فتضمنت هذه الآية معنى لا إله إلا الله من نفي الإلهية عما سوى الله وتفرُّده بالعبادة دون كل ما سواه، ومعنى: (تعالوا) أي: هَلُمُّوا وأقبلوا إلى أن نكون نحن

وأنتم في توحيد الله سواء مجتمعين على ذلك. ثم قرر تعالى معناها بقوله: ﴿وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾ الآية [آل عمران:٦٤]، وهذه الكلمة هي التي دعا رسول الله ﷺ قريشاً والعرب أن يقولوها ويعملوا بها، وقال لهم: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا. كلمة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم، وتكونون بها ملوكاً في الجنة» فقالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ﴾ [ص: ٧] وذلك أنهم نشؤوا في الفترة بعد عبادة الأصنام حين استخرجها عمرو بن لحي الخزاعي وفرّقها في القبائل، وهي الأصنام التي عبدها قوم نوح فعبدوها وكثرت عبادة الأوثان والأصنام، فصار عند الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً على صور من كانوا يعبدونه، وعبدوا اللات والعزى ومناة وذا الخلصة وغيرها مما لا يحصى كثرة؛ ولذلك أنكروا معنى «لا إله إلا الله» لما دعاهم النبي ﷺ إلى ترك عبادة ما كانوا يعبدونه من دون الله، فأبوا أن ينفوا ما نَفَتْه من عبادة الأوثان والأصنام، وأن يخلصوا العبادة لله وحده. ولمعرفتهم معنى هذه الكلمة نهوا أبا طالب عن أن يقولها عند موته لما قال له رسول الله ﷺ: «ياعَمِّ، قل: لا إله إلا الله كلمة أحاجُّ لك بها عند الله» قال له أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملّة عبد المطلب؟ علموا أنه لو قالها لترك عبادة غير الله وأنكرها؛ لمعرفتهم ما دلت عليه من النفي والإثبات. قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦].

وأما هذه الأمة فلما كثر الشرك فيهم كما كثر في أولئك، وبُنيت المساجد على القبور وعُبدت، وبُنيت المشاهد على اسم من بنيت باسمه من الصالحين وعبدت، صاروا يقولون: «لا إله إلا الله» والشرك قد قام في قلوبهم، واتخذوها ديناً فأثبتوا ما نفته هذه الكلمة من عبادة غير الله، وأنكروا ما دلت عليه من الإخلاص، فعكسوا مدلول هذه الكلمة العظيمة بكونهم أثبتوا ما نفته من الشرك، ونفوا ما أثبتته من الإخلاص الذي هو حق الله على عباده، فيقول قائلهم: (لا إله إلا الله) وقد اعتقد عكس ما دلت عليه، وهذا غاية الجهل والضلال، يقول كلمة تتضمن النفي والإثبات فلا يعرف ما نفت ولا ما أثبتت، هذا وهم فيما يقرؤونه ويُقرئونه في مذاهبهم وما كانوا يتعاطونه من العلوم لا يجهلون مثل هذا. وكثير منهم له في علم المعقول اليد الطولى. فسبحان الله! كيف جهلوا من ذلك مادعت اليه الرسل من توحيد الله ونفي الشرك الذي نهوا أممهم عنه كما هو صريح في القرآن لا يخفى على من له أدنى فهم إن وفق لفهمه، فوضعوا الشرك موضع التوحيد بالقبول، ووضعوا التوحيد موضع الشرك بالإنكار على من دعا إليه وعداوته.

فبهذا تبين لك معنى ما أخبر به النبي ﷺ من قوله: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ»، فلا غربة للإسلام أعظم من هذه الغربة التي عليها الأكثرون في هذه القرون المتأخرة.

وقد ذكر العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ من أهل السنة والجماعة في معنى لا إله إلا الله وبيان ما نفته وما أثبتته، ما يفيد العلم واليقين بمعناها الذي أوجب الله تعالى معرفته وما تضمنته من النفي والإثبات.

قال الوزير أبو المظفر في الإفصاح: قوله «شهادة أن لا إله إلا الله» يقتضي أن يكون الشاهد عالماً بأن لا إله إلا الله كما قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] قال: واسم الله مرتفع بعد (إلا) من حيث إنه الواجب له الإلهية فلا يستحقها غيره سبحانه. قال: وجملة الفائدة في ذلك أن تعلم أن هذه الكلمة مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، فإنك لما نفيت الإلهية وأثبت الإيجاب لله تعالى كنت ممن كفر بالطاغوت، وآمن بالله.

قال ابن القيم في البدائع: فدلالتها أي (لا اله إلا الله) على إثبات إلهيته أعظم من دلالة قولنا: «الله إله» ولا يستريب أحد في هذا ألبتة. انتهى بمعناه.

وقال رحمه الله: والإله هو الذي تألهه القلوب محبةً وإجلالاً، وإنابةً وإكراماً وتعظيماً، وذلاً وخضوعاً، وخوفاً ورجاءً، وتوكلاً عليه، وسؤالاً له منه، ودعاءً له، لا يصلح ذلك كله إلا لله، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قد جافى إخلاصه في قوله: لا إله إلا الله، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك.

وقال أبو عبد الله القرطبي في تفسير (لا إله إلا هو): أي لا معبود إلا هو.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: الإله هو المعبود المطاع، فإن الإله هو المألوه الذي يستحق أن يُعبد، وكونه يستحق هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب المخضوع له غاية الخضوع.

وقال رحمه الله تعالى: فإن الإله هو المحبوب المعبود الذي تألهه القلوب بحبِّها، وتخضع له وتذل له وتخافه وترجوه وتنيب إليه في شدائدها، وتدعوه في مهماتها وتتوكل عليه في مصالحها، وتلجأ إليه وتطمئن بذكره وتسكن إلى حبِّه، وليس ذلك لله وحده؛ ولهذا كانت «لا إله إلا الله» أصدق الكلام، وكان أهلها أهل الله وحزْبه، والمنكرون لها أعداؤه أهل غضبه ونقمته، فإذا صحت صح بها كل مسألة وحال وذوق، وإذا لم يصححها العبد فالفساد لازم له في علومه وأعماله.

وقال البقاعي: «لا إله إلا الله» أي: انتفاءً عظيماً أن يكون معبوداً بحق غير الملك الأعظم، فإن هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة، وإنما يكون علماً إذا كان نافعًا، وإنما يكون نافعاً إذا كان مع الإذعان والعمل بما تقتضيه وإلا فهو جهل صرْف، وهذا الذي ذكرناه عن شيخ الإسلام والبقاعي هو الموجود في كلام أهل السنة جميعهم.

إذا عرفت ذلك فمما يدل على غربة الإسلام ما أخبر به النبي ﷺ من وقوع الشرك في هذه الأمة ما في الصحيح من حديث ثوبان: «وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان» وأخرج أبو داود عن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين فإن يهلكوا فسبيل من هلك، وإن يقم لهم دينهم يقم تسعين عاماً. قال: قلت: أمما بقي أو مما مضى؟ قال: مما مضى».

ومما يبين غربة الإسلام وشدته ما جرى من الملوك والقضاة والرؤساء على شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - من العداوة والحبس وشدة

الإنكار عليه لما دعاهم إلى ما تضمنته «لا إله إلا الله» ومعناها الذي تقدم عنه وعن أمثاله من العلماء، وقد ردوا عليه بشبهات واهية، وضلالات في الضلال متناهية، ورد عليهم - رحمه الله تعالى - في (منهاج السنة) و(اقتضاء الصراط المستقيم) وكتاب (الاستغاثة) في الرد على ابن البكري، ورد على أهل البدع جميعهم من الفلاسفة والمتكلمين كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة وذكر - رحمه الله تعالى - أن هؤلاء كلهم وإن كثرت أبحاثهم ومصنفاتهم فما منهم من يعرف ما دلت عليه كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله) فلم يعرفوا التوحيد الذي أثبتته ولا الشرك الذي نفته. هذا معنى كلامه.

ولتلميذه العلامة ابن القيم - رحمه الله تعالى - في بيان أنواع التوحيد والرد على أهل البدع المصنفات الكثيرة المفيدة، فمن أحسنها (إغاثة اللهفان)، وكتاب (الصواعق المرسلة، في الرد على الجهمية والمعطلة)، وللحافظ ابن عبد الهادي (الصارم المنكي في الرد على السبكي) ولهم أصحاب كثيرون أخذوا عنهم. فلما طال الأمد بعدهم صارت كتبهم في أيدي أناس جهلة، وفي خزائن الكتب الموقوفة، فلم يلتفتوا إليها فرجعوا إلى ما كان عليه من قبلهم ممن مضى من المبتدعة، وكثر الشرك في القرى والأمصار، وصاروا لا يعرفون من التوحيد إلا ما تدَّعيه الأشاعرة من تأويل صفات الرب والإلحاد فيها، فصاروا كذلك حتى نُسي العلم وعمَّ الشرك والبدع إلى منتصف القرن الثاني عشر، فإنه لا يعرف إذ ذاك عالم أنكر شركاً أو بدعة مما صار في آخر هذه الأمة.

فشرح الله صدر شيخنا فضلاً من الله تعالى ونعمة عظيمة منَّ بها تعالى

في آخر هذا الزمان فعرف من الحق ما عرف شيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه بتدبره الآيات المحكمات، وصحيح البخاري وصحيح مسلم والسنن والمسانيد والآثار، ومعرفته ما كان عليه رسول الله ﷺ والتابعون وأتباعهم وما عليه سلف الأمة وأئمتها والأئمة من أهل الحديث والتفسير والفقهاء كالائمة الأربعة ومن أخذ عنهم، فتبين له التوحيد وما ينافيه والسنة وما يناقضها، فدعا الناس من أهل قريته وما قرب منها أن يتركوا عبادة أرباب القبور والطواغيت وعبادة الأشجار والأحجار والذبح للجن ونحو ذلك، وكل هذا قد وقع في قرى نجد وغيرها حتى البوادي.

فلما أنكر ذلك كرهوا ذلك منه وطرده أهل قريته عنها وهي حريملاء، وصار في العيينة ويدعو إلى دين الإسلام، وينهى عن الشرك وعبادة الأوثان، وقبل ذلك طائفة منهم ومن أهل الدرعية. ثم بعد ذلك ضاق نطاق أمير العيينة لما رآه قد أنكر قوله الخلق الكثير والجم الغفير، وقد نصب له العداوة أهل القرى والأمصار والبادي والحاضر، فأمره أن ينتقل من بلده عنه، وصار في الدرعية عند محمد بن سعود وأولاده وإخوانه وبعض الأعيان من جماعته، فصار لهم قبول لهذه الدعوة فصبروا على عداوة الناس قريبهم وبعيدهم، وكلٌ قصدهم بالحرب فثبتهم الله تعالى على قلتهم وكثرة من خالفهم، وقتل من قتل من أعيانهم فصبروا وصارت الحرب بينهم سجالاً والله تعالى يحميهم ويقوي قلوبهم، وما جرى بينهم وبين عدوهم مذكور في التاريخ، فأظهر الله هذا الدين في نجد والبادية حتى لم يكن فيهم من ينازع ويجادل؛ لأن الله تعالى أبطل

كل شبهة بما أبداه هذا الشيخ ببيانه ومصنفاته التي صارت في أيدي المسلمين، وانتشرت دعوته في الأمصار وقَبِلَها القليل منهم ممن له التفات إلى ما ينفعه، بخلاف من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله وهم الأكثرون، فلله الحمد على هذه النعمة العظيمة، فيا سعادة من هدي إلى معرفة حقيقة دين الإسلام واتبعه!!

وقد وجدت للعلامة ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ كلاماً في (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة) يتعين نقله هنا لعظيم فائدته وشدة الحاجة إليه.

قال رحمه الله تعالى: (فصل) عظيم النفع جليل القدر ينتفع به من عرف نوعي التوحيد القولي العلمي الخبري، والتوحيد القصدي الإرادي العملي كما دل على الأول سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] وعلى الثاني سورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] وكذلك دل على الأول قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [البقرة: ١٣٦] وعلى الثاني ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ الآية [آل عمران: ٦٤]، ولهذا كان النبي ﷺ يقرأ بهاتين السورتين في سنّة الفجر وسنّة المغرب ويقرأ بهما في ركعتي الطواف، ويقرأ بالآيتين في سنّة الفجر لتضمنهما التوحيد العلمي والعملي.

والتوحيد العلمي أساسه إثبات الكمال للرب، ومباينته لخلقه، وتنزيهه عن العيوب والنقائص والتمثيل.

والتوحيد العملي تجريد القصد بالحب والخوف والرجاء والتوكل

والإنابة والاستعانة والاستغاثة والعبودية بالقلب واللسان والجوارح لله وحده، ومدار ما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه على هذين التوحيدين. وأقرب الخلق إلى الله تعالى أقومهما بهما علماً وعملاً؛ ولهذا كانت الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - أقرب الخلق إلى الله تعالى، وأقربُهم إليه وسيلة أولو العزم، وأقربهم الخليلان، وخاتمهم سيد ولد آدم أكرمهم على الله لكمال عبوديته وتوحيده. فهذان الأصلان هما قطب رحى الدين وعليهما مداره، وبيانهما من أهم الأمور. والله سبحانه بينهما غاية البيان بالطرق العقلية والنقلية والفطرية والنظرية والأمثال المضروبة، ونوّع سبحانه الطرق بإثباتهما أكمل التنويع، بحيث صارت معرفة القلوب الصحيحة والفطر السليمة لهما بمنزلة رؤية العين المبصرة التي لا آفة بها للشمس والقمر والنجوم والأرض والسماء، فذلك للبصيرة بمنزلة هذه للبصر، فإن تسلط التأويل على التوحيد الخبري العلمي كان تسليطه على التوحيد العملي القصدي أسهل، وأعمت رسوم التوحيد وأقامت معالم التعطيل والشرك؛ ولهذا كان الشرك والتعطيل متلازمين لا ينفك أحدهما عن صاحبه. وإمام المعطلين المشركين فرعون فهو إمام كل معطل ومشرك إلى يوم القيامة، كما أن إمام الموحدين إبراهيم ومحمد عليهما السلام.

وقال أيضا لما ذكر سبب عبادة الأصنام التي صوَّرها قوم نوح على صور الصالحين: وما زال الشيطان يوحي إلى عبّاد القبور ويلقي إليهم أن البناء والعكوف من محبة أهل القبور من الأنبياء والصالحين، وأن الدعاء

عندها مستجاب، ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلى الدعاء به والإقسام به على الله تعالى، فإن شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه.

فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعائه وعبادته وسؤاله الشفاعة واتخاذ قبره وثنًا تُعلّق عليه القناديل والستور ويُطاف به ويُستلم ويقبَّل ويحج إليه ويُذبح عنده، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعاء الناس إلى عبادته واتخاذه عيداً ومنسكاً، ورأوا أن ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم، وكل هذا قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أنه مضاد لما بعث الله به رسوله ﷺ من تجريد التوحيد وألا يعبد إلا الله. فاذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى أن من نهى عن ذلك فقد تنقَّص أهل الرتب العالية وحطّهم عن منزلتهم وزعم أنه لا حرمة لهم ولا قدر وغضب المشركون واشمأزت قلوبهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر:٤٥]، وسرى ذلك في نفوس كثير من الجهال والطغام وكثير ممن ينتسب إلى العلم والدين حتى عادَوا أهل التوحيد ورموهم بالعظائم ونفروا الناس عنهم، ووالوا أهل الشرك وعظّموهم وزعموا أنهم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله، ويأبى الله ذلك ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤] إهـ كلامه.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ

مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٣، ٧٤].

فتأمل هذا المثل الذي أمر الناس كلهم باستماعه، فمن لم يسمعه فقد عصى أمره؛ كيف تضمن إبطال الشرك وأسبابه بأصح برهان في أوجز عبارة وأحسنها وأحلاها، وسجل على جميع آلهة المشركين أنهم لو اجتمعوا كلهم في صعيد واحد وساعد بعضهم بعضاً وعاونه بأبلغ المعاونة لعجزوا عن خلق ذباب واحد، ثم بين ضعفهم وعجزهم عن استنقاذ ما يسلُبه الذباب إياه، فأيّ إله أضعف من هذا الإله المطلوب ومن عابده الطالب؟ فهل قَدَرَ القويَّ العزيزَ حقَّ قَدْرِه مَنْ أشرك معه آلهة هذا شأنها؟ فأقام سبحانه حجة التوحيد وبين إفك أهل الشرك والإلحاد بأعذب الألفاظ وأحسنها لم يَعْتَرِها غموض، ولم يَشُبْها تطويل، ولم يَعِبْها تعقيد، ولم يَزِدْها زيادة ولا تنقيص، بل بلغت في الحسن والفصاحة والإيجاز ما لا يتوهم متوهم ولا يظن ظان أن يكون أبلغ في معناها منها، وتحتها في المعنى الجليل العظيم الشريف البالغ في النفع ما هو أجل الألفاظ. انتهى.

تمت الرسالة المفيدة السديدة وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.
ويليها رسالة أوردها الشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد على الجهمي الذي في بني ياس في الكلام على معنى (لا إله إلا الله).

الرسالة الخامسة

له في الكلام على «لا إله إلا الله» وتحقيق معنى التوحيد
بيانًا لما أورد على الجهمي الذي رد عليه في الرسالة، قال:

بسم الله الرحمن الرحيم

الكلام في بيان ما أوردناه على الجهمي الذي في بني ياس

أما الكلام في معنى (لا إله إلا الله) فأقول وبالله التوفيق:

أما هذه الكلمة العظيمة فهي التي شهد الله بها لنفسه وشهد بها له ملائكته وأولو العلم من خلقه كما قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨] فـ(لا إله إلا الله) هي كلمة الإسلام لا يصح إسلام أحد إلا بمعرفة ما وضعت له ودلت عليه وقبوله والانقياد للعمل له، وهي كلمة الإخلاص المنافية للشرك، وكلمة التقوى التي تقي قائلها من الشرك بالله فلا تنفع قائلها الا بشروط سبعة. **الأول:** العلم بمعناها نفياً وإثباتًا. **الثاني:** اليقين وهو كمال العلم بها المنافي للشك والريب. **والثالث:** الإخلاص المنافي للشرك. **والرابع:** الصدق المانع من النفاق. **والخامس:** المحبة لهذه الكلمة ولما دلت عليه والسرور بذلك. **والسادس:** الانقياد بحقوقها وهي الأعمال الواجبة إخلاصا لله طلبًا لمرضاته. **والسابع:** القبول المنافي للرد[1] فقد يقولها من يعرفها لكن لا

(١) ونظمها بعضهم فقال:

علم يقين وإخلاص وصدق مع ... محبة وانقياد والقبول لها

يقبلها ممن دعاه إليها تعصباً وتكبراً كما هو قد وقع من كثير.

إذا عرفت ذلك فقولك: (لا إله إلا الله) فـ (لا) نافية للجنس و(الإله) هو المألوه بالعبادة وهو الذي تألهه القلوب وتقصده رغبة إليه في حصول نفع أو دفع ضُرٍّ كحال من عبد الأموات والغائبين والأصنام فكل معبود مألوه بالعبادة. وخبر (لا) المرفوع محذوف تقديره: حق، وقوله: (إلا الله) استثناء من الخبر المرفوع، فالله سبحانه هو الحق وعبادته وحده هي الحق وعبادة غيره منتفية بـ (لا) في هذه الكلمة. قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢] فإلهية ما سواه باطلة، فدلت الآية على أن صرف الدعاء الذي هو مخ العبادة عنه لغيره باطل.

فتبين أن الإلهية هي العبادة؛ لأن الدعاء من أفرادها فما صُرف منها لغيره تعالى فهو باطل، والقرآن كله يدل على أن الإلهية هي العبادة كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]، فذكر البراءة من كل معبود سوى الله ولم يستثن إلا عبادة من فطره سبحانه وتعالى ثم قال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف: ٢٨] أي: (لا إله إلا الله)، فعبر عن الإلهية بالعبادة في النفي والإثبات.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٠] فقوله، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي﴾ هو معنى (إلا الله) في كلمة الاخلاص وقوله: ﴿وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ هو المنفي في كلمة الإخلاص بـ (لا إله). فتبين أن (لا إله إلا الله) دلت على البراءة من الشرك في العبادة في حق كل ما سوى الله.

وقـال الله تعـالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزمر:١١] والدين هو العبادة، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ﴾ [الرعد: ٣٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠] أي الذي لا تصلح الإلـهية إلا له وحده، فانتفت الإلهـيـة وبطلت في حق كل مـا سـوى الله، والقـرآن يبين بعـضـه بعـضـاً ويفسره، والرسل إنما يفتتحون دعوتهم بمعنى (لا إله إلا الله) ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]. ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩] فتبين أن الإلهية هي العبادة، وبهذا قال قوم هود لما قال: فتبين بالآية أنهم لم يستنكفوا من عبادة الله، لكنهم أبوا أن يخلصوا العبادة لله وحده فلم ينفوا ما نفته (لا إله إلا الله) فاستوجبوا ما وقع بهم من العذاب لعدم قبـولهم ما دعاهم إليه من إخلاص العبادة كما قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ [الأحقاف: ٢١] وهم الرسل جـمـيـعـهـم ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ﴾ [الأحقاف: ٢١] وهذا هو معنى كلمة الإخلاص الذي اجتمعت عليه الرسل فقوله: ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ﴾ هو معنى (لا إله)، وقوله: ﴿إِلاَّ اللَّهَ﴾ هو المستثنى في كلمة الإخلاص.

فهذا هو تحقيق معناها بحمد الله: إنذار الرسل جميعهم أممهم عن الشرك في العبادة وأن يخلصوها لله وحده لا شريك له.

ففيما ذكرناه في هذه الآيات في معناه كاف واف شاف ولله الحمد والمنة، وأما تعريف العبادة فقد قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في الكافية:

وعبادةُ الرحمن غايةُ حبه | مع ذلِّ عابِــده هما قطبــان
وعليهما فلكُ العبادة دائرٌ | ما دارَ حتى قامت القطبـــان
ومدارُه بالأمرِ أمرُ رسولِه | لا بالهوى والنفسِ والشيطان

فذكر أصل العبادة التي يصلح العمل مع حصولها إذا كان على السنة، فذكر قطبيها وهما غاية المحبة لله في غاية الذل له والغاية تفوت بدخول الشرك، وبه يبطل هذا الأصل؛ لأن المشرك لا بد أن يحب معبوده ولا بد أن يذل له، ففسد الأصل بوجود الشرك فيه، ولا تحصل الغاية فيهما إلا بانتفاء الشرك وقصر المحبة والتذلل على الله وحده، وبهذا تصلح جميع الأعمال المشروعة وهي المراد بقوله: وعليهما فلك العبادة دائر. والدائرة هي الأعمال ولا تصلح إلا بمتابعة السنة.

وهذا معنى قول الفضيل بن عياض - رحمه الله تعالى - في قول الله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك: ٢] قال: أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي، ما أخلصُه وأصوبُه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً. والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة.

وأما أقسام التوحيد فهي ثلاثة:

توحيد الإلهية: وهي العبادة كما تقدم، فهي تتعلق بأعمال العبد وأقواله الباطنة الظاهرة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة

والظاهرة. قلت: فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك بالله، وهذا هو الذي أرسلت الرسل وأنزلت الكتب بالإنذار عنه وترتبت عليه عقوبات الدنيا والآخرة في حق من لم يتب منه.

ويسمى هذا التوحيد إذا كان لله وحده توحيد القصد والطلب والإرادة، وهو الذي جحده المشركون من الأمم، وقد بعث الله نبينا محمداً ﷺ بالأمر به والنهي عما ينافيه من الشرك، فأبى المشركون إلا التمسك بالشرك الذي عهدوه من أسلافهم، فجاهدهم ﷺ على هذا الشرك وعلى إخلاص العبادة لله وحده كما قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ [ص: ٤، ٥] إلى قوله: ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [ص: ٦].

النوع الثاني: توحيد الربوبية: وهو العلم والإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه وهو المدبر لأمور خلقه جميعهم كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١] وقال: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا﴾ إلى قوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير، وهذا النوع قد أقرَّ به المشركون كما دلت عليه الآيات.

والنوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات: وهو أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه ووصفه به رسول الله ﷺ من صفات الكمال التي تعرِّف

بها سبحانه وتعالى إلى عباده ونفي مالا يليق بجلاله وعظمته، وهذا النفي أقسام ذكرها العلامة ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في الكافية الشافية، فأهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً يثبتون لله تعالى هذا التوحيد على ما يليق بجلال الله وعظمته إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل، وهذا النوع والذي قبله هو توحيد العلم والاعتقاد.

وأما تعريف التوحيد فقد ذكره ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في الكافية الشافية بقوله:

فالصدق والإخلاص ركنا ذلك التـ ... ـوحيد كالركنين للبنيان

وحقيقة الإخلاص توحيد المرا ... د فلا يزاحمه مراد ثاني

والصدق توحيد الإرادة وهو بذ ... ل الجهد لاكسلاً ولا متواني

ثم ذكر توحيد المتابعة فقال:

والسنة المثلى لسالكها فتو ... حيد الطريق الأعظم السلطاني

فلواحدٍ كن واحداً في واحد ... أعني سبيل الحق والإيمان

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ الإخلاص بمثل ما ذكره ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ فقال: الإخلاص محبة الله وإرادة وجهه.

وأما أقسام العلم النافع الذي يجب معرفته واعتقاده فهو يتضمن ما سبق ذكره وهو ثلاثة أقسام ذكرها العلامة ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في الكافية الشافية قال:

والعلم أقسام ثـلاث مالـها من رابع والحق ذو تبـيان

علم بأوصاف الإله وفعلـه وكذلك الأسماء للرحمن

والأمر والنهي الذي هو دينه وجزاؤه يوم المعاد الثاني

وبهذا تم الجواب عما أوردناه، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين

(طبعت عن نسخة كتبت بنجد سنة ١٣٤٥)

الرسالة السادسة

المسمَّاة أوثق عُرَى الإيمان

وهي جواب سؤال سئل عنه العلامة الشيخ سليمان ابن العلامة الشيخ عبدالله ابن شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله تعالى أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

السؤال: ما قولكم أدام الله النفع بعلومكم، في أهل بلد مُرْتَدِّين أو بادية وهم بنو عم ويجيء لهم ذكر عند الأمراء، فيتسبب في الدفع عنهم بعض أقاربهم ممن هو عند المسلمين حَمِيَّة دنيوية، إما بطرح نكال أو دفن نقائص المسلمين أو يشير بكف المسلمين عنهم؟ هل يكون هذا موالاة نفاق أو يصير كفراً؟ وإذا كان لا يقدر أن يتلفظ بكفرهم وسبِّهم ما حكمه؟ وكذلك إذا عرفت هذا من إنسان ماذا يجب عليك؟ أفتنا مأجوراً.

الجواب: الحمد لله رب العالمين. اعلم أولاً ـ أيَّدك الله تعالى بتوفيقه ـ أن أوثق عُرَى الإيمان الحب في الله والبغض في الله، وأن الله افترض على المؤمنين عداوة المشركين من الكفار والمنافقين وجفاة الأعراب الذين يُعرَفون بالنفاق ولا يؤمنون بالله ورسوله، وأن الله أمرهم بجهادهم والإغلاظ عليهم بالقول والفعل وتوعدهم الله تعالى باللعن والقتل بقوله: ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً﴾ [الأحزاب: ٦١] وقطع الموالاة بين المؤمنين وبينهم، وأخبر أن من تولاهم فهو منهم، وكيف

يدعي رجل محبة الله تعالى وهو يحب أعداءه الذين ظاهروا الشياطين على عدوانهم واتخذوهم أولياء من دون الله كما قيل:

تحب عدوي ثم تزعم أنني صديقك إن الود عنك لعازب

والجملة فالحب في الله والبغض في الله أصل عظيم من أصول الإيمان يجب على العبد مراعاته؛ ولهذا جاء في الحديث «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله»[1] ولذلك أكثر الله من ذكره في القرآن قال تعالى: ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران: ٢٨] قال بعض المفسرين: نُهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم أو صداقة قبل الإسلام أو غير ذلك من الأسباب التي يُتصادق بها ويتعاشر. وقوله: ﴿مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني أن لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكفار فلا تؤثروهم عليهم ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ أي: ومن يتولى الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية، يعني أنه منسلخ من ولاية الله رأساً، وهذا أمر معقول، فإن موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان ﴿إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ فرخص في موالاتهم إذا خافوهم فلم يحسنوا معاشرتهم إلا بذلك، وكانوا مقهورين لايستطيعون إظهار العداوة لهم، فحينئذ تجوز المعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة

(١) سيأتي له أنه رواه أحمد عن البراء بن عازب. أقول: وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس: «أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله» وهو أقوى في مراد المؤلف وموضوعه.

والبغضاء ينتظر زوال المانع كما قال تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦] قال ابن عباس ليس التقية بالعمل إنما التقية باللسان. قال أيضاً: نهى الله المؤمنين أن يلاطفوا الكفار ويتخذوهم وليجة من دون المؤمنين إلا أن يكون الكفار ظاهرين فيظهرون لهم اللطف ويخالفونهم في الدين، وذلك قوله تعالى: ﴿إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ ذكره ابن جرير وابن أبي حاتم. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ الآية [آل عمران: ١١٨]. قال القرطبي: لا تجعلوا خاصتكم وبطانتكم منهم. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] إلى آخر قوله: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦] قال حذيفة: ليَتَّقِ أحدكم أن يكون يهوديًا أو نصرانيًا وهو لا يشعر لهذه الآية ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ٥٢] قال المنافقون في مصانعة اليهود ومداخلتهم واسترضاعهم أولادهم إياهم. وقال علي - رضي الله عنه - في قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: أهل رقة على أهل دينهم ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وقال: أهلُ غِلْظَة على من خالفهم في دينهم وكذا نقل معناه عن غير واحد من السلف. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٥٧] وقال تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ والآية بعدها [المائدة: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التحريم: ٩] فقد أمر بجهاد الكفار والمنافقين مع دعواهم الإسلام، وأمر بالإغلاظ عليهم قولاً وفعلاً. وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - في الآية: جاهد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان. ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ قال: اذهب الرفق عنهم. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ قال: بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وليَلْقَه بوجه مُكْفَهِر أي: عابس متغير من الغيظ والبغض. ذكره ابن أبي حاتم، وجاء معناه في حديث مرفوع رواه البيهقي في الشعب. وقال تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ الآية [المجادلة:٢٢]. نفى سبحانه وتعالى الإيمان عمن هذا شأنه ولو كانت مودته ومحبته ومناصحته لأبيه وأخيه وابنه فضلاً عن غيرهم.

وقال تعالى: ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣] قال ابن عباس: ﴿وَلا تَرْكَنُوا﴾ قال: لا تميلوا. وقال عكرمة: إن تطيعوهم أو تودوهم أو تصطنعوهم، ومعنى تصطنعوهم أي: تولوهم الأعمال كمن يولي الفساق والفجار. وقال الثوري: ومن لاق لهم دواة أو برى لهم قلماً أو ناولهم قرطاساً دخل في هذا. قال بعض المفسرين في الآية: فالنهي متناول للانحطاط في هوّتهم والانقطاع إليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا بأعمالهم، والتشبه بهم

والتزيّي بزيّهم ومد العين إلى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم. وتأمل قوله: ﴿وَلا تَرْكَنُوا﴾ والركون هو الميل اليسير[1].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ إلى قوله: ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩]، وصح أن صدر هذه السورة نزلت في حاطب بن أبي بَلْتَعَة لما كتب إلى المشركين يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم. وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ الآية [المجادلة: ٢٢] أنها في أبي عبيدة بن الجراح لما قتل أباه يوم بدر كما رواه الطبراني وابن أبي حاتم والحاكم وغيرهم، وعن ابن جريج قال: حدِّثت أن أبا قحافة سبَّ النبي ﷺ فصكَّه أبو بكر صكَّةً سقط منها، فذُكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «أفعلت يا أبا بكر؟» فقال: والله لو كان السيف قريباً مني لضربته. فنزلت ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [المجادلة: ٢٢] رواه ابن المنذر وهذا - والله أعلم - في أول الإسلام، فإن أبا قحافة أسلم عام الفتح فلم يكن ليسب النبي ﷺ بعد الإسلام، وأبو بكر خرج مهاجراً من مكة ولم يعد إليها إلا بعد الإسلام في عمرة مع النبي ﷺ. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من أحب في الله، وأبغض في الله، وعادى في الله، ووالى في الله، فإنما تُنال ولاية الله بذلك. رواه ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم، وفي

---

(١) هذا التفسير ضعيف؛ لأن الركون مشتق من رُكن الشيء وهو جانبه القوي، وكل ما يقوى به الشيء فهو ركن، ومنه أركان الاسلام وقوله تعالى: ﴿أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] فالركون إلى الشيء هوالميل القوي الذي تسكن إليه النفس وتطمئن وتعتز، وهذا المعنى يوافق تفسيرعكرمة.

حديث رواه أبو نعيم وغيره عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «أوحى الله إلى نبي من الأنبياء أن قل لفلان العابد أما زهدك في الدنيا فتعجَّلْتَ راحةَ نفسك، وأما انقطاعك إليَّ فتعزَّزت به، فما عملت فيما لي عليك؟ قال: يارب، ومالك عليَّ؟ قال: هل واليت لي وليًّا أو عاديت فيَّ عدوا؟».

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣] فعقد تعالى الموالاة بين المؤمنين وقطعهم من ولاية الكافرين، وأخبر أن الكفار بعضهم أولياء بعض وإن لم يفعلوا ذلك وقع من الفتنة والفساد الكبير شيء عظيم وكذلك يقع، فهل يتم الدين أو يقام علم الجهاد وعلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالحب في الله والبغض في الله والمعاداة في الله والموالاة في الله؟ ولو كان الناس متفقين على طريقة واحدة ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء لم يكن فرقانًا بين الحق والباطل ولا بين المؤمنين والكفار، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، والآيات في هذا كثيرة.

وأما الأحاديث فروى أحمد عن البراء بن عازب: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله». وفي حديث مرفوع: «اللهم لا تجعل للفاجر عندي يداً ولا نعمة فيودُّه قلبي فإني وجدت فيما أوحي إلي ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]» رواه ابن مردويه وغيره. وعن أبي ذر مرفوعاً: «أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله» رواه أبو داود ورواه أحمد مطولاً، وفي

الصحيحين عن ابن مسعود - رضي الله عنه - مرفوعاً: «المرء مع من أحب». وعن ابن مسعود مرفوعا: «لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي» رواه ابن حبان في صحيحه. وعن علي - رضي الله عنه - مرفوعاً: «لا يحبُّ رجل قوماً إلا حُشِر معهم» رواه الطبراني بإسناد جيد قاله ابن المنذر، وقد روى أحمد معناه عن عائشة بإسناد جيد أيضاً عنها مرفوعا «الشرك أخفى من دبيب الذر على الصفا في الليلة الظلماء وأدناه أن تحب على شيء من الجور أو تبغض على شيء من العدل، وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله؟ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ الآية [آل عمران: ٣١] » رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد. فقد جعل النبي ﷺ في هذا الحديث الحب على شيء من الجور وإن قل، والبغض على شيء من العدل وإن قل من الشرك، فليحذر أشد الحذر من موادة أعداء الله من الكفار والمنافقين، وعن بريدة مرفوعًا: «لا تقولوا للمنافق سيد فإنه إن لم يكن سيداً فقد أسخطتم ربكم عز وجل» رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح، ورواه الحاكم ولفظه: «إذا قال الرجل للمنافق ياسيدي فقد أغضب ربه عز وجل» وقال: صحيح الإسناد، وعن ابن مسعود مرفوعا: «مثل الذي يعين قومه على غير الحق كمثل بعير تردَّى في بئر فهو ينزع بذنبه» رواه أبو داود وابن حبان، قال ابن المنذر: ومعنى الحديث أنه وقع في الإثم، وهلك البعير إذا تردَّى في بئر فصار ينزع بذنبه فلا يقدر على الخلاص، والأحاديث في ذلك كثيرة.

فصل

في ذكر الآثار عن السلف

وهي كثيرة فنذكر منها بعضها. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩] والآية بعدها. قال ابن عباس: في الآية رجال من المسلمين يواصلون رجالاً من اليهود لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية فأنزل الله فيهم ينهاهم عن بطانتهم لخوف الفتنة عليهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾ [آل عمران: ١١٨] قال: هم المنافقون. رواه ابن أبي حاتم، وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه قيل له: إن هنا غلاماً من أهل الحيرة حافظاً كاتباً فلو اتخذته كاتباً قال: قد اتخذت إذاً بطانة من دون المؤمنين. رواه ابن أبي شيبة، وعن الربيع: لا تتخذوا بطانة، قال: لا تستدخلوا المنافقين. تتولونهم دون المؤمنين، وفي تفسير القرطبي في الكلام على هذه الآية: نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين بهذه الآية أن يتخذوا من الكافرين واليهود وأهل الأهواء دخلاء وولائج يفاوضونهم في الآراء ويسندون إليهم أمورهم، ويقال: كل من كان على خلاف دينك ومذهبك لا ينبغي أن تخادنه. قال القائل شعراً:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل». وروي عن ابن

مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: اعتبروا الناس بأخدانهم. ثم بين المعنى الذي لأجله ورد النهي عن المواصلة قال: ﴿لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾ يعني: فساداً، يعني لا يتركون فسادكم. قال: وقد مر أبو موسى الأشعري على عمر ـ رضي الله عنه ـ بحساب فدفعه إلى عمر فأعجبه، فقال لأبي موسى: أين كاتبك يقرأ هذا الكتاب على الناس؟ فقال: إنه لايدخل المسجد. فقال لم؟ أجنب هو؟ قال: إنه نصراني. قال: فانْتَهَرَه وقال: لا تُدْنهم وقد أقصاهم الله، ولا تكرمهم وقد أهانهم الله، ولا تأمنهم وقد خَوَّنهم الله.

ومن كتاب الإمام محمد بن وضاح قال: سئل ابن [1] جاء في الأثر: من جالس صاحب بدعة فقد مشى في هدم الإسلام، وقال الأوزاعي: كانت أسلافكم تشتد عليهم -أي على أهل البدع- ألسنتهم، وتشمئز منهم قلوبهم، ويحذِّرون الناس بدعتهم، وقال الحسن: لا تجالس صاحب بدعة فإنه يُمرض قلبك، وقال إبراهيم: لا تجالسوا أهل البدع ولا تكلّموهم فإني أخاف أن ترتدَّ قلوبكم. روى هذه الآثار ابن وضاح.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: اعلم ـ رحمك الله تعالى ـ أن كلام السلف في معاداة أهل البدع والضلالة، فإذا كان هذا كلام السلف وتشديدهم في معاداة أهل الضلالات ونهيهم عن مجالستهم فما ظنك بمجالسة الكفار والمنافقين وجُفَاة الأعراب الذين لا يؤمنون بالله ورسوله، والسعي في مصالحهم، والذبِّ عنهم، وتحسين حالهم، مع كونهم بين اثنتين: إما كافر أو منافق، ومن يهتم بمعرفة

---

(١) بياض بالأصل.

الإسلام منهم قليل؟ فهذا من رؤوسهم وأصحابهم وهو معهم يحشر يوم القيامة قال تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ الآية [الصافات:٢٢] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧] وقد تقدم الحديث: «لا يحب رجل قوماً إلا حُشِر معهم».

فصل

في التنبيه على حاصل ما تقدم

قد نهى الله سبحانه عن موالاة الكفار وشدَّد في ذلك، وأخبر أن من تولاهم فهو منهم. وكذلك جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ وأخبر النبي ﷺ أن من أحب قوماً حشر معهم. ويفهم مما ذكرنا من الكتاب والسنة والآثار عن السلف أمور مَنْ فعلها دخل في تلك الآيات وتعرَّض للوعيد بمسيس النار. نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه.

(أحدها) التولي العام (الثاني) المودة والمحبة الخاصة (الثالث) الركون القليل قال تعالى: ﴿وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً[1] ۝٧٤ إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٤، ٧٥] فإذا كان هذا الخطاب لأشرف مخلوق صلاة الله وسلامه عليه فكيف بغيره؟!

---

(١) لما كان الركونُ الميلَ القوي وُصف هنا بالقليل للدلالة على أن النبي ﷺ لولا تثبيت الله إياه بالعصمة لقارب أن يركن إليهم قليلاً من الركون لا كثيراً ولا ركوناً مطلقاً؛ لأن فطرته الزكية وعقله الكامل كافيان لحفظه من هذا وذاك بل من مقاربته، وفي هذا دليل على أن العقاب على الركون قليلاً مفروض فرضاً على أمر بعيد الوقوع أشد البعد، ليعتبر المؤمنون بذلك، وهذا التعبير عن إعجاز القرآن الذي لا يوجد في كلام أحد من الخلق ما يقاربه في بلاغته.

(الرابع) مداهنتهم ومداراتهم. قال الله تعالى ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]. (الخامس) طاعتهم فيما يتولون وفيما يشيرون كما قال تعالى: ﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] وقال تعالى: ﴿وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ﴾ الآيات [القلم: ١٠] (السادس) تقريبهم في الجلوس والدخول على أمراء الإسلام (السابع) مشاورتهم في الأمور (الثامن) استعمالهم في أمر من أمور المسلمين أي أمر كان إمارة أو عمالة أو كتابة أو غير ذلك (التاسع) اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين (العاشر) مجالستهم ومزاورتهم والدخول عليهم (الحادي عشر) البشاشة لهم والطلاقة (الثاني عشر) الإكرام العام (الثالث عشر) استئمانهم وقد خوَّنهم الله (الرابع عشر) معاونتهم في أمورهم ولو بشيء قليل كَبرْيِ القلم وتقريب الدواة ليكتبوا ظلمهم (الخامس عشر) مناصحتهم (السادس عشر) اتباع أهوائهم (السابع عشر) مصاحبتهم ومعاشرتهم (الثامن عشر) الرضا بأعمالهم والتشبه بهم والتَّزَيِّي بزِيِّهم (التاسع عشر) ذكر ما فيه تعظيم لهم كتسميتهم سادات وحكماء كما يقال للطواغيت «السيد فلان» أو يقال لمن يدعي علم الطب «الحكيم» ونحو ذلك (العشرون) السُّكْنى معهم في ديارهم كما قال ﷺ: «من جامع المشركين وسكن معهم فإنه مثلهم» رواه أبو داود.

إذا تبين هذا فلا فرق في هذه الأمور بين أن يفعلها مع أقربائه منهم أو مع غيرهم كما في آية المجادلة، وحينئذ فالذي يتسبب بالدفع عنهم حميَّة إما بطرح نكال أو دفن نقائص المسلمين أو يشير بكفِّ المسلمين عنهم من

أعظم الموالين المحبين للكفار من المرتدِّين والمنافقين وغيرهم، خصوصاً المرتدين ينبغي أن يكون الغلظة عليهم أشد من الكافر الأصلي؛ لأن هذا عادى الله على بصيرة وعادى رسوله ﷺ بعد ما عرف الحق ثم أنكره وعاداه والعياذ بالله، فإذا كان من أعان ظالماً فقد شاركه في ظلمه فكيف بمن يعين الكفار والمنافقين على كفرهم ونفاقهم؟ وإذا كان من أعان ظالماً مسلماً في خصومة ظلم عند حاكم يكون شريكاً للظالم فكيف بمن يعين الكفار والمنافقين على كفرهم ونفاقهم؟ وإذا كان من أعان ظالماً مسلماً في خصومة ظلم عند حاكم يكون شريكاً للظالم فكيف بمن يعين الكفار ويذبُّ عنهم عند الأمراء؟ وإذا كان الحرامية الذين يأخذون أموال الناس إذا بذلوا للأمير مالاً على أن يكف عنهم فهو رئيسهم فما ظنك بمن يُسِرُّ إلى الكفار بالمودة ويُعْلِمهم أنه يحبهم ليواصلوه ويكرموه كما نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - وغيره؟ ولكنَّ طرْح النكال إن كان عن مسلم مظلوم فالشفاعة فيه والسعي في إسقاطه بالرأي ونحوه حسن. وإن كان عن مُرْتَدٍّ فلا لَعًا لعثرته ولا كرامة، ويكفي في ذلك ما رواه أحمد والترمذي وحسَّنه وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال: لما كان يوم بدر جيء بالأسرى وفيهم العباس فقال رسول الله ﷺ: «ما تأمرون في هؤلاء الأسرى» فقال أبو بكر: قومك يا رسول الله وأهلك فاستَبْقِهم لعل الله، يتوب عليهم، وفي حديث أنس عن أحمد: نرى أن تعفو عنهم وتقبل منهم الفداء. رجع الحديث إلى ابن

مسعود فقال عمر: يا رسول الله، كذبوك وأخرجوك وقاتلوك قدمهم فاضرب أعناقهم، فدخل النبي ﷺ ولم يرد عليهم شيئاً، فخرج رسول الله ﷺ وقال: «يا أبا بكر مثلك مثل إبراهيم ـ عليه السلام ـ قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦] ومثلك يا عمر كمثل نوح قال: ﴿رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] أنتم عالة فلا يَنْفَلِتَنَّ أحد منهم إلا بفداء أو ضرب عنق» فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧] الآيتين مختصراً. وفي حديث أنس فأنزل الله تعالى: ﴿لَوْلا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ الآية [الأنفال: ٦٨] وفي حديث ابن عمر عن أبي نعيم: فلقي رسول الله ﷺ عمر فقال: «كاد أن يصيبنا في خلافك شَرّ». وفي رواية عند ابن المنذر وابن مردويه فقال رسول الله ﷺ: «إن كاد ليمسنا في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم، ولو نزل عذاب ما أفلت إلا عمر»، فإذا كان هذا في رأي للصديق ـ رضي الله عنه ـ الذي اجتهد فيه ونصح لله ولرسوله ﷺ فما ظنك بمن يفعل ذلك مع قريبه حميةً دنيوية لا لغرض دين، ولا يقصد وجه الله بذلك بل لا يقصدإلا الدنيا؟

فان قيل: فالنبي ﷺ لم يذم أبا بكر عن التشبيه، بل شبهه بإبراهيم وعيسى وميكائيل عليهم السلام، وشبه عمر بجبريل ونوح وموسى عليهم السلام.

قيل: المراد في الموافقة في أهل اللين والرحمة لا في خصوص هذه

المسألة، فإن الصواب فيها مع عمر قطعاً بكتاب الله تعالى، ومع ذلك توعَّد الله في أخذ الفداء بالعذاب لولا ما سبق من كتاب الله أنه رأي للصديق - رضي الله عنه - الذي اجتهد فيه، فكيف بمن ينصح لهم ويرفق بهم ويرى الكف عن القتال، ويشير بإسقاط النكال عنهم من غير مسوغ شرعي بل لمجرد المحبة الدنيوية؟

وأما من يشير بكفِّ المسلمين عنهم فإن كان مراده بذلك تأليفهم على الدخول في الإسلام أو دخلوا فيه أو واعدوه بالدخول فيه عن قريب وكانت المصلحة في تركهم قليلة ونحوه يجوز ذلك، وإن كان المراد به ألا يتعرض المسلمون لهم بشيء لا بقتال ولا نكال وإغلاظ ونحو ذلك فهو من أعظم أعوانهم، وقد حصلت له موالاتهم مع بُعد الديار، وتباعد الأقطار، كما قيل:

سهم أصاب وراميه بذي سَلَمٍ مَنْ بالعراق لقد أبعدت مرماك

وأما من يشير بترك نقائص المسلمين لهم إن كانوا مرتدين فهذا عند الفقهاء مخطئ آثم؛ لأنه يجب على المرتد ضمان ما أتلفه للمسلمين في حال الردة، خصوصاً مَنْ تكررت منه الردة مراراً فإنه لا يقصد بذلك في هذا الزمان إلا الإغارة والنهب لا غير فترك ذلك له من أعظم المعاونة على الإثم والعدوان. ولهذا لما صار هذا أمراً سائغاً عند بعض الناس انفتحت للبدوان أبواب الردة وأتوها مهطعين من كل وجه، ولو كان لهذا مصلحة في بعض الأوقات رآها بعض الأمراء فلا يجب طرد ذلك لكل أحد في

كل زمان فاعلم ذلك.

وأما قول السائل: هل يكون هذا موالاة نفاق أم يكون كفراً؟

فالجواب: إن كانت الموالاة مع مساكنتهم في ديارهم والخروج معهم في قتالهم ونحو ذلك فإنه يحكم على صاحبها بالكفر كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]: وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] وقال النبي ﷺ: «من جامع المشركين وسكن معهم فإنه مثلهم» وقال: «أنا بريء من مسلم بين أظهر المشركين» رواهما أبو داود، وإن كانت الموالاة لهم في ديار الإسلام إذا قدموا إليهم ونحو ذلك فهذا عاصٍ آثم متعرض للوعيد. وإن كانت موالاتهم لأجل دينهم يجب عليه من التعزير والهجر والأدب ونحوه ما يزجر أمثاله. وإن كانت الموالاة لأجل دينهم فهو مثلهم، ومن أحب قوماً حشر معهم. ولكن ليتفكر السائل في قوله: حمية دنيوية. يمكن هذا لإبلاغ المحبة في قلوبهم، وإلا فلو كان يبغضهم في الله وما يعاديهم لكان أقرَّ شيء لعينه ما يسخطهم، ولكن كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

أتحب أعداء الحبيب وتدَّعي حبًا له ما ذاك في إمكان

وأما قول السائل: فإن كان ما يقدر من نفسه أن يتلفَّظ بكفرهم وسبهم ما حكمه؟

فالجواب: لا يخلو ذلك عن أن يكون شاكًا في كفرهم أو جاهلاً به، أو يقرّ بأنهم كفرة هم وأشباههم ولكن لا يقدر على مواجهتهم وتكفيرهم، أو يقول: أقول غيرهم كفار لا أقول إنهم كفار. فإن كان شاكًا في كفرهم أو جاهلاً بكفرهم بيِّنتَ له الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على كفرهم. فإن شك بعد ذلك وتردد فإنه كافرٌ بإجماع العلماء على أن من شك في كفر الكفار فهو كافر، وإن كان يقرُّ بكفرهم ولا يقدر على مواجهتهم بتكفيرهم فهو مداهن لهم ويدخل في قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]وله حكم أمثاله من أهل الذنوب. وإن كان يقول: أقول غيرهم كفار ولا أقول هم كفار، فهذا حكم منه بإسلامهم، إذ لا واسطة بين الكفر والإسلام، فإن لم يكونوا كفاراً فهم مسلمون، وحينئذ فمن سمَّى الكفر إسلاماً أو سمَّى الكفار مسلمين فهو كافر فيكون هذا كافراً.

وأما قوله: إذا عرفت هذا من إنسان ماذا يجب عليك؟

فالجواب: يجب عليك أن تنصحه وتدعوه إلى الله سبحانه وتعالى وتعرِّفه قبيح ما ارتكبه، فإن تاب فهذا هو المطلوب، وإن أصرَّ وعاند فله حكم ما ارتكبه إن كفراً فكافر، وإن كان معصية أو إثمًا فعاصٍ آثم يجب الإنكار عليه وتأديبه وهجره وإبعاده حتى يتوب. وقد هجر النبي ﷺ من تخلَّف عن غزوة واحدة ونهى عن كلامهم والسلام عليهم فكيف بمن يوالي الكفار ويظهر لهم المودة؟

إهـ ما نقلناه من تأليف الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى وعفا عنهم أجمعين.

الرسالة السابعة

في حكم موالاة أهل الإشراك

للشيخ الإمام سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب
رحمهم الله أجمعين



اعلم - رحمك الله تعالى - أن الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم خوفاً منهم ومداراة لهم ومداهنة لدفع شرهم فإنه كافر مثلهم، وإن كان يكره دينهم ويبغضهم ويحب الإسلام والمسلمين، هذا إذا لم يقع منه إلا ذلك، فكيف إذا كان في دار مَنَعة واستدعى بهم ودخل في طاعتهم وأظهر الموافقة على دينهم الباطل وأعانهم عليه بالنصرة والمال، ووالاهم وقطع الموالاة بينه وبين المسلمين، وصار من جنود القباب والشرك وأهلها بعدما كان من جنود الإخلاص والتوحيد وأهله، فإن هذا لا يشك مسلم أنه كافر من أشد الناس عداوة لله تعالى ورسوله ﷺ، ولا يُستثنى منه ذلك إلا المكره وهو الذي يستولي عليه المشركون فيقولون له: اكفر أو افعل كذا وإلا فعلنا بك وقتلناك، أو يأخذونه فيعذبونه حتى يوافقهم فيجوز له الموافقة باللسان مع طمأنينة القلب والإيمان. وقد أجمع العلماء على أن من تكلم بالكفر هازلاً أنه يكفر، فكيف بمن أظهر الكفر خوفاً وطمعاً في الدنيا، وأنا أذكر بعض الأدلة على ذلك بعون الله تعالى وتأييده.

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ

تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠] فأخبر تعالى أن اليهود والنصارى وكذلك المشركون لا يرضون عن النبي ﷺ حتى يتبع ملتهم ويشهد أنهم على حق. ثم قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠] وفي الآية الآخرى ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥]فإذا كان النبي ﷺ لو يوافقهم على دينهم ظاهراً من غير عقيدة القلب لكن خوفاً من شرهم ومداهنة كان من الظالمين، فكيف بمن أظهر لعبَّاد القبور والقباب أنهم على حق وهدى مستقيم فإنهم لا يرضون إلا بذلك؟

الدليل الثاني: قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧] فأخبر تعالى أن الكفار لا يزالون يقاتلون المسلمين حتى يردوهم عن دينهم إن استطاعوا، ولم يرخص في موافقتهم خوفاً على النفس والمال والحرمة، بل أخبر عمن وافقهم بعد أن قاتلوه ليدفع شرهم أنه مرتد، فإن مات على ردَّته بعد أن قاتله المشركون فإنه من أهل النار الخالدين فيها فكيف بمن وافقهم من غير قتال؟ فإذا كان من وافقهم بعد أن قاتلوه لا عذر له عرفت أن الذين يأتون إليهم يسارعون في الموافقة لهم من غير خوف ولا قتال أنهم أولى بعدم العذر وأنهم كفار مرتدُّون.

الدليل الثالث: قوله تبارك وتعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ

مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران: ٢٨] فنهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء وأصدقاء وأصحاباً من دون المؤمنين وإن كانوا خائفين منهم، وأخبر أن من فعل ذلك فليس من الله في شيء، أي: لا يكون من أولياء الله تعالى الموعودين بالنجاة في الآخرة ﴿إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ وهو أن يكون الإنسان مقهوراً معهم لا يقدر على عداوتهم فيظهر لهم المعاشرة والقلب مطمئن بالبغضاء والعداوة، فكيف بمن اتخذهم أولياء من دون المؤمنين من غير عذر، استحباب الحياة الدنيا على الآخرة والخوف من المشركين وعدم الخوف من الله، فما جعل الله الخوف منهم عذراً بل قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩] فأخبر تعالى أن المؤمنين إن أطاعوا الكفار فلا بد أن يردُّوهم على أعقابهم عن الإسلام، فإنهم لا يقنعون منهم بدون الكفر، وأخبر أنهم إن فعلوا ذلك صاروا من الخاسرين في الدنيا والآخرة ولم يرخص في موافقتهم وطاعتهم خوفاً منهم، وهذا هو الواقع فإنهم لا يقنعون ممن وافقهم إلا بشهادة أنهم على حق وإظهار العداوة والبغضاء للمسلمين وقطع اليد منهم ثم قال: ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠] فأخبر تعالى أن الله مولى المؤمنين وناصرهم وهو خير الناصرين، ففي ولايته وطاعته غنية وكفاية

عن طاعة الكفار. فيا حسرة على العباد الذين عرفوا التوحيد ونشؤوا فيه ودانوا به زماناً، كيف خرجوا عن ولاية رب العالمين وخير الناصرين إلى ولاية القباب وأهلها ورضوا بها بدلاً عن ولاية من بيده ملكوت كل شيء؟ بئس للظالمين بدلاً.

الدليل الخامس: قوله تعالى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ١٦٢] فأخبر تعالى أنه لا يستوي من اتبع رضوان الله، ومن اتبع ما يسخطه ومأواه جنهم يوم القيامة. ولا ريب أن عبادة الرحمن وحدها ونصرها وكون الإنسان من أهلها من رضوان الله، وأن عبادة القباب والأموات ونصرها والكون من أهلها مما يسخط الله، فلا يستوي عند الله من نصر توحيده ودعوته بالإخلاص وكان مع المؤمنين، ومن نصر الشرك ودعوة الأموات وكان مع المشركين. فإن قالوا: خفنا. قيل لهم: كذبتم، وأيضاً فما جعل الله الخوف عذراً في اتباع ما يسخطه واجتناب ما يرضيه، وكثير من أهالي الباطل إنما يتركون الحق خوفاً من زوال دنياهم، وإلا فيعرفون الحق ويعتقدونه ولم يكونوا بذلك مسلمين.

الدليل السادس: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِم قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ [النساء: ٩٧] أي: في أي فريق كنتم؟ أفي فريق المسلمين أم في فريق المشركين؟ فاعتذروا عن

كونهم ليسوا في فريق المسلمين بالاستضعاف، فلم تعذرهم الملائكة وقالوا لهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ [النساء: ٩٧] ولا يشك عاقل أن البلدان الذين خرجوا عن المسلمين صاروا مع المشركين وفي فريقهم وجماعتهم، هذا مع أن الآية نزلت في أناس من أهل مكة أسلموا واحتبسوا عن الهجرة، فلما خرج المشركون إلى بدر أكرهوهم على الخروج معهم فخرجوا خائفين فقتلهم المسلمون يوم بدر، فلما علموا بقتلهم تأسَّفوا وقالوا: قتلنا إخواننا، فأنزل الله فيهم هذه الآية، فكيف بأهل البلدان الذين كانوا على الإسلام فخلعوا ربْقَتَه من أعناقهم وأظهروا لأهل الشرك الموافقة على دينهم ودخلوا في طاعتهم وآووهم ونصروهم، وخذلوا أهل التوحيد واتبعوا غير سبيلهم وخطَّؤوهم وظهر فيهم سبهم وشتمهم وعيبهم والاستهزاء بهم وتسفيه رأيهم في ثباتهم على التوحيد والصبر عليه وعلى الجهاد فيه وعاونوهم على أهل التوحيد طوعاً لا كرهاً واختياراً لا اضطراراً، فهؤلاء أولى بالكفر والنار من الذين تركوا الهجرة شحًا بالوطن وخوفاً من الكفار وخرجوا في جيشهم مكرهين خائفين.

فإن قال قائل: هلا كان الإكراه على الخروج عذراً للذين قُتلوا يوم بدر؟ قيل: لا يكون عذراً؛ لأنهم في أول الأمر لم يكونوا معذورين إذا أقاموا مع الكفار، فلا يعذرون بعد ذلك بالإكراه؛ لأنهم السبب في ذلك حيث قاموا معهم وتركوا الهجرة.

الدليل السابع: قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] فذكر الله تعالى أنه نزل على المؤمنين في الكتاب أنهم إذا سمعوا آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره، وأن من جلس مع الكافرين بآيات الله المستهزئين بها في حال كفرهم واستهزائهم فهو مثلهم، ولم يفرق بين الخائف وغيره إلا المكره. هذا وهم في بلد واحد في أول الاسلام فكيف بمن كان في سعة الاسلام وعزّه وبلاده فدعا الكافرين بآيات الله المستهزئين بها إلى بلاده واتخذهم أولياء وأصحابًا جلساء وسمع كفرهم واستهزاءهم وأقرّهم وطرد أهل التوحيد وأبعدهم؟

الدليل الثامن: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١] فنهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء وأخبر أن من تولاهم من المؤمنين فهو منهم وهكذا حكم من تولى الكفار من المجوس وعُبَّاد الأوثان فهو منهم، فإن جادل مجادل في أن عبادة القباب ودعاء الأموات مع الله ليس بشرك وأن أهلها ليسوا بمشركين بان أمره، واتضح عناده وكفره، ولم يفرِّق تبارك وتعالى بين الخائف وغيره، بل أخبر تعالى أن الذين في قلوبهم مرض يفعلون ذلك خوفاً من الدوائر. وهكذا حال هؤلاء المرتدين خافوا من الدوائر لما في قلوبهم من عدم الإيمان بوعد الله الصادق بالنصر لأهل التوحيد

فبادروا وسارعوا إلى أهل الشرك خوفاً أن تصيبهم دائرة. قال الله تعالى: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢].

الدليل التاسع: قوله تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة: ٨٠] فذكر الله تعالى أن موالاة الكفار موجبة لسخط الله والخلود في العذاب بمجردها، وإن كان الإنسان خائفاً إلا من أكره بشرطه، فكيف إذا اجتمع ذلك مع الكفر الصريح وهو معاداة التوحيد وأهله والمعاونة على زوال دعوة الله بالإخلاص وعلى تثبيت دعوة غيره؟

الدليل العاشر: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨١] فذكر تعالى أن موالاة الكفار منافية للإيمان بالله والنبي ﷺ وما أنزل إليه. ثم أخبر أن سبب ذلك كون كثير منهم فاسقين، ولم يفرق بين من خاف الدائرة وبين من لم يخف، وهكذا حال كثير من هؤلاء المرتدين قبل ردتهم، كثير منهم فاسقون فجرَّهم ذلك إلى موالاة الكفار، والردة عن الإسلام. نعوذ بالله من ذلك.

الدليل الحادي عشر: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١] وهذه الآية نزلت لما قال المشركون: تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل الله، فأنزل الله تعالى

هذه الآية، فإذا كان من أطاع المشركين في تحليل الميتة مشركاً من غير فرق بين الخائف وغيره إلا المكره، فكيف بمن أطاعهم في تحليل موالاتهم والكون معهم ونصرهم والشهادة أنهم على حق واستحلال دماء المسلمين وأموالهم والخروج عن جماعة المسلمين إلى جماعة المشركين؟ فهؤلاء أولى بالكفر والشرك ممن وافقهم على أن الميتة حلال.

الدليل الثاني عشر: قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥] وهذه الآية نزلت في عالم عابد في زمان بني إسرائيل يقال له (بلعام) وكان يعلم الاسم الأعظم. قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس لما نزل بهم موسى ـ عليه السلام ـ يعني بالجبارين أتاه بنو عمه وقومه فقالوا: إن موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وإنه إن يظهر علينا يهلكنا فادعُ الله أن يرد عنا موسى ومن معه، قال: إني إن دعوت ذهبت دنياي وآخرتي. فلم يزالوا به حتى دعا عليهم فسلخه الله مما كان عليه فذلك قوله تعالى: ﴿فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥].

وقال ابن زيد: كان هواه مع القوم يعني الذين حاربوا موسى وقومه، فذكر تعالى أمر هذا المنسلخ من آيات الله تعالى بعد أن أعطاه الله تعالى إياها وعرفها وصار من أهلها ثم انسلخ منها، أي ترك العمل بها وذكر في انسلاخه منها ما معناه: أنه مظاهرة المشركين ومعاونتهم برأيه والدعاء على موسى ـ عليه السلام ـ ومن معه أن يردَّهم الله عن قومه خوفاً على

قومه وشفقة عليهم، مع كونه يعرف الحق ويشهد به ويتعبد، ولكن صده عن العمل به متابعة قومه وعشيرته وهواه وإخلاده إلى الأرض، فكان هذا انسلاخاً من آيات الله تعالى وهذا هو الواقع من هؤلاء المرتدين وأعظم، فإن الله أعطاهم آياته التي فيها الأمر بالتوحيد ودعوته وحده لا شريك له والنهي عن الشرك به ودعوة غيره، والأمر بموالاة المؤمنين ومحبتهم ونصرتهم والاعتصام بحبل الله جميعاً والكون مع المؤمنين، والأمر بمعاداة المشركين وبغضهم وجهادهم وفراقهم، والأمر بهدم الأوثان وإزالة القحاب واللواط والمنكرات، وعرفوها وأقروا بها ثم انسلخوا من ذلك كله فهو أولى بالانسلاخ من آيات الله والكفر والردة من بلعام أو هو مثله.

الدليل الثالث عشر: قوله تعالى: ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣] فذكر تعالى أن الركون إلى الظلمة من الكفار والظالمين موجب لمسيس النار، ولم يفرِّق بين من خاف منهم وغيره إلا المكره، فكيف بمن اتخذ الركون إليهم ديناً ورأياً حسناً وأعانهم بما قدر عليه من مال ورأي وأحب زوال التوحيد وأهله، واستيلاء أهل الشرك عليهم؟ فإن هذا أعظم الكفر والركون.

والدليل الرابع عشر: قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ

لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [النحل: ١٠٦، ١٠٧] فحكم تعالى حكماً لا يبدل؛ أنّ من رجع عن دينه إلى الكفر فهو كافر؛ سواء كان له عذر خوفاً على نفس أو مال أو أهل أم لا، وسواء كفر بباطنه أو بظاهره دون باطنه، وسواء كفر بفعاله ومقاله أو بأحدهما دون الآخر، وسواء كان طامعاً في دنيا ينالها من المشركين أم لا؛ فهو كافر على كل حال، إلا المكره وهو في لغتنا المغصوب، فإذا أكره الإنسان على الكفر وقيل له: اكفر وإلا قتلناك أو ضربناك أو أخذه المشركون فضربوه ولم يمكنه التخلُّص إلا بموافقتهم جاز له موافقتهم في الظاهر بشرط أن يكون قلبه مطمئناً بالإيمان، أي ثابتاً عليه معتقداً له، فأما إن وافقهم بقلبه فهو كافر ولو كان مكرهًا.

وظاهر كلام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ أنه في الصور الأولى لا يكون مكرهاً حتى يعذبه المشركون، فإنه لما دخل عليه يحيى بن معين وهو مريض فسلم عليه لم يرد عليه السلام، فما زال يعتذر ويقول حديث عمار وقال الله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦] فقلب أحمد وجهه إلى الجانب الآخر فقال يحيى: لا يقبل عذراً. فلما خرج يحيى قال أحمد: يحتج بحديث عمار، وحديث عمار: مررت بهم وهم يسبُّونك فنهيتهم فضربوني. وأنتم قيل لكم: نريد أن نضربكم. فقال يحيى: والله ما رأيت تحت أديم السماء أفقه في دين الله تعالى منك[1].

ثم أخبر تعالى أن هؤلاء المرتدين الشارحين صدورهم بالكفر وإن

---

(١) يحيى بن معين من أقران أحمد في علم الحديث ونقد رواته، وكان أحمد يقول: يحيى أعلمنا بالرجال. وإنما كان أحمد أفقه منه كما هو مشهور عندهم. وقد لان يحيى حين دعي إلى القول بخلق القرآن متأولاً.

كانوا يقطعون على الحق ويقولون ما فعلنا هذا إلا خوفاً، فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم.

ثم أخبر تعالى أن سبب هذا الكفر والعذاب ليس بسبب الاعتقاد للشرك أو الجهل أو البغض للدين أو محبة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظًا من حظوظ الدنيا فآثره على الدين وعلى رضى رب العالمين. فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [النحل: ١٠٧] فكفَّرهم تعالى وأخبر أنه لا يهديهم مع كونهم يعتذرون بمحبة الدنيا. ثم أخبر تعالى أن هؤلاء المرتدين لأجل استحباب الدنيا على الآخرة هم الذين طُبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأنهم هم الغافلون. ثم أخبر خبراً مؤكداً محققاً أنهم في الآخرة هم الخاسرون.

الدليل الخامس عشر: قوله تعالى عن أهل الكهف: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢٠] فذكر تعالى عن أهل الكهف أنهم ذكروا عن المشركين أنهم إن قهروكم وغلبوكم فهم بَيْن أمرين: إما أن يرجموكم، أي: يقتلوكم شر قتلة بالرجم، وإما أن يعيدوكم في ملتهم ودينهم ﴿وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ أي: وإن وافقتموهم على دينهم بعد أن غلبوكم وقهروكم فلن تفلحوا إذاً أبد. فهذا حال من وافقهم بعد أن غلبوه فكيف بمن وافقهم وراسلهم من بعيد وأجابهم إلى ماطلبوا من غير غلبة ولا إكراه ومع ذلك يحسبون أنهم مهتدون؟

الدليل السادس عشر: قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ [الحج: ١١] فأخبر تعالى أن من الناس من يعبد الله على حرف، أي: على طرف ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ ﴾ أي نصر وعز وصحة وسعة وأمن وعافية ونحو ذلك ﴿ اطْمَأَنَّ بِهِ ﴾ أي: ثبت وقال هذا دين حسن ما رأينا فيه إلا خيراً ﴿ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ﴾ أي: خوف ومرض وفقر ونحو ذلك ﴿ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ﴾ أي ارتد عن دينه ورجع إلى أهل الشرك، فهذه الآية مطابقة لحال المنقلبين عن دينهم في هذه الفتنة، يعبدون الله على حرف، أي: على طرف ليسوا ممن يعبد الله على يقين وثبات، فلما أصابتهم هذه الفتنة انقلبوا عن دينهم، وأظهروا موافقة المشركين وأعطوهم الطاعة وخرجوا عن جماعة المسلمين إلى جماعة المشركين فهم معهم في الآخرة كما هم معهم في الدنيا فخسروا الدنيا والآخرة ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ هذا مع أن كثيراً منهم في عافية ما أتاهم من عدو وإنما ساء ظنهم بالله فظنوا أنه يديل الباطل وأهله على الحق وأهله فأرداهم سوء ظنهم بالله كما قال تعالى فيمن ظن به ظن السوء: ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [فصلت: ٢٣] وأنت يا من منَّ عليه الله بالثبات على الإسلام احذر أن يدخل في قلبك شيء من الرَّيب أو تحسين أمر هؤلاء المرتدين، أو أن موافقتهم للمشركين وإظهار طاعتهم رأي حسن حذراً على الأنفس والأموال والمحارم، فإن

هذه الشبهة هي التي أوقعت كثيراً من الأولين والآخرين في الشرك بالله ولم يعذرهم الله بذلك، وإلا فكثير منهم يعرفون الحق ويعتقدونه بقلوبهم وإنما يدينون بالشرك للأعذار الثمانية التي ذكرها الله تعالى في كتابه وإلا ببعضها فلم يعذر بها أحداً ولا ببعضها فقال: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

الدليل السابع عشر: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥ - ٢٨] فذكر الله تعالى عن المرتدين على أدبارهم أنهم من بعد ما تبين لهم الهدى ارتدوا على علم ولم ينفعهم علمهم بالحق مع الردة، وغرَّهم الشيطان بتسويله وتزيين ما ارتكبوه من الردة، وهكذا حال هؤلاء المرتدين في هذه الفتنة غرَّهم الشيطان وأوهمهم أن الخوف عذر لهم في الردة، وأنهم بمعرفة الحق ومحبة الشهادة به لا يضرهم ما فعلوه، ونسوا أن كثيراً من المشركين يعرفون الحق ويحبونه ويشهدون به، ولكن يتركون متابعته والعمل به محبة للدنيا وخوفًا على الأنفس والأموال والمآكل والرياسات. ثم قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ﴾

فأخبر تعالى أن سبب ما جرى عليهم من الردة وتسويل الشيطان وإملائه لهم هو قولهم للذين كرهوا ما نزل الله: سنطيعكم في بعض الأمر. فإذا كان من وعد المشركين الكارهين لما أنزل الله بطاعتهم في بعض الأمر كافر وإن لم يفعل ما وعدهم به، فكيف بمن وافق المشركين الكارهين لما أنزل الله من الأمر بعبادته وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه من الأنداد والطواغيت والأموات وأظهر أنهم على هدى، وأن أهل التوحيد مخطئون في قتالهم، وأن الصواب في مسالمتهم والدخول في دينهم الباطل؟ فهؤلاء أولى بالردة من أولئك الذين وعدوا المشركين بطاعتهم في بعض الأمر.

ثم أخبر عن حالهم الفظيع عند الموت ثم قال: ﴿ذلك﴾ الأمر الفظيع عند الوفاة ﴿بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

ولا يستريب مسلم أن اتِّباع المشركين والدخول في جملتهم، والشهادة أنهم على حق، ومعاونتهم على زوال التوحيد وأهله، ونصرة القباب والقحاب واللواط من اتباع ما يسخط الله، وكراهة رضوانه وإن ادعوا أن ذلك لأجل الخوف فإن الله تعالى ماعذر أهل الردة بالخوف من المشركين، بل نهى عن خوفهم. فأين هذا ممن يقول ماجرى منَّا شيء ونحن على ديننا؟

الدليل الثامن عشر: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ

لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر: ١١]
فعقد تعالى الأخوة بين المنافقين والكفار وأخبر أنهم يقولون لهم في السر ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ أي: لئن غلبكم محمد ﷺ وأخرجكم من بلادكم ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ أي: لا نسمع من أحد فيكم قولاً ولا نعطي فيكم طاعة ﴿وَإِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ أي: إن قاتلكم محمد ﷺ لننصركم ونكون معكم. ثم شهد تعالى أنهم كاذبون في هذا القول. فإذا كان وعد المشركين في السر بالدخول معهم ونصرهم والخروج معهم إن أجلوا نفاقاً وكفراً وإن كان كذباً فكيف بمن أظهر ذلك صادقاً وقدم عليهم ودخل في طاعتهم ودعا إليها ونصرهم وانقاد لهم وصار من جملتهم وأعانهم بالمال والرأي؟ هذا مع أن المنافقين لم يفعلوا ذلك إلا خوفا من الدوائر كما قال تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢] فكذا حال كثير من المرتدين في هذه الفتنة فإن عذر كثير منهم هو هذا العذر الذي ذكره الله تعالى عن الذين في قلوبهم مرض ولم يعذرهم به قال الله تبارك وتعالى:
﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٢، ٥٣] ثم قال تعالى:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

فأخبر تعالى أنه لابد عند وجود المرتدين من وجود المحبين المحبوبين المجاهدين، ووصَفَهم بالذلة والتواضع للمؤمنين، والعزة والغلظة والشدة على الكافرين، بضدِّ من كان تواضعُه وذلُّه ولينُه لعُبَّاد القباب وأهل القحاب واللواط، وعزته وغلظته على أهل التوحيد والإخلاص. فكفى بهذا دليلاً على كفر من وافقهم وإن ادعى أنه خائف فقد قال تعالى: ﴿وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾ [المائدة، ٥٤] وهذا بضد من يترك الصدق والجهاد خوفًا من المشركين ثم قال تعالى: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المائدة، ٥٤] أي: في توحيده صابرين على ذلك ابتغاء وجه ربهم لتكون كلمة الله هي العليا ﴿وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾ [المائدة، ٥٤] أي: لا يبالون بمن لامهم وآذاهم في دينهم، بل يمضون على دينهم يجاهدون فيه غير ملتفتين للوم أحد من الخلق ولا لسخطه ولا رضاه، إنما همتهم وغاية مطلوبهم رضى سيدهم ومعبودهم والهرب من سخطه، وهذا بخلاف من كانت همته وغاية مطلوبه رضا عباد القباب وأهل القحاب واللواط رجاءهم والهرب مما يسخطهم فإن هذا غاية الضلال والخذلان.

ثم قال تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤] فأخبر تعالى أن هذا الخير العظيم والصفات الحميدة لأهل الإيمان الثابتين على دينهم عند وقوع الفتن ليس بحولهم ولا بقوتهم وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ

الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥] فأخبر تعالى خبراً بمعنى الأمر بولاية الله تعالى ورسوله والمؤمنين وفي ضمنه النهي عن موالاة أعداء الله ورسوله والمؤمنين، ولا يخفى أي الحزبين أقرب إلى الله ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فالمتولي لضدهم واضع للولاية في غير محلها، مستبدل بولاية الله ورسوله والمؤمنين المقيمين للصلاة المؤتين للزكاة ولاية أهل الشرك والأوثان والقباب. ثم أخبر تعالى أن الغلبة لحزبه ولمن تولاهم فقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥].

الدليل التاسع عشر: قوله تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ الآية [المجادلة: ٢٢] فأخبر تعالى أنك لا تجد من كان يؤمن بالله واليوم الآخر يوادُّ من حادَّ الله ورسوله ولو كان أقرب قريب، وأن هذا مناف للإيمان مضاد له لا يجتمع هو والإيمان إلا كما يجتمع الماء والنار وقد قال تعالى في غير موضع آخر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣].

ففي هاتين الآيتين البيان الواضح أنه لا عذر لأحد في الموافقة على الكفر خوفاً على الأموال والآباء والأبناء والأزواج والعشائر ونحو ذلك مما يتعذر به كثير من الناس إذا كان لم يرخص لأحد في موادتهم

واتخاذهم أولياء بأنفسهم خوفاً منهم وإيثاراً لمرضاتهم، فكيف بمن اتخذ الكفار الأباعد أولياء وأصحاباً وأظهر لهم الموافقة على دينهم خوفاً على بعض هذه الأمور ومحبته لها، ومن العجب استحسانهم لذلك واستحلالهم له فجمعوا من الردة استحلال الحرام.

الدليل العشرون: قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [الممتحنة: ١] فأخبر تعالى أن من تولى أعداء الله وإن كانوا أقرباء فقد ضل سواء السبيل، أي: أخطأ الصراط المستقيم وخرج عنه إلى الضلالة، فأين هذا ممن يدعي أنه على الصراط المستقيم لم يخرج عنه؟ فإن هذا تكذيب لله ومن كذَّب الله فهو كافر، واستحلال لما حرم الله من ولاية الكفار ومن استحلّ محرماً فهو كافر، ثم ذكر تعالى شبهة من اعتذر بالأرحام والأولاد فقال: ﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الممتحنة: ٣] فلم يعذر تعالى من اعتذر بالأرحام والأولاد والخوف عليها ومشقة مفارقتها، بل أخبر أنها لا تنفع يوم القيامة ولا تغني من عذاب الله شيئاً كما قال في الآية الأخرى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

الدليل الحادي والعشرون: من السنة ما رواه أبو داود وغيره عن سمرة ابن جندب ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «من جامع المشرك

وسكن معه فإنه مثله» فجعل ﷺ في هذا الحديث من جامع المشركين أي اجتمع معهم وخالطهم وسكن معهم مثلهم، فكيف بمن أظهر لهم الموافقة على دينهم وآواهم وأعانهم؟ فإن قالوا: خفنا. قيل لهم: كذبتم، وأيضاً فليس الخوف بعذر كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠] فلم يعذر تبارك وتعالى من يرجع عن دينه عند الأذى والخوف فكيف بمن لم يُصبْه أذى ولا خوف وإنما جاؤوا بالباطل محبة له وخوفاً من الدوائر والأدلة على هذا كثيرة، وفي هذا كفاية لمن أراد الله هدايته.

وأما من أراد الله فتنته وضلالته فكما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧] ونسأل الله الكريم المنان أن يحيينا مسلمين، وأن يتوفانا مسلمين، وأن يلحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، برحمته وهو أرحم الراحمين.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

آمين

تمت، وبعدها ست مسائل سئل عنها الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى أيضاً وعفا عنا وعنهم أجمعين وعن سائر المسلمين آمين.

الرسالة الثامنة

في حكم السفر إلى بلاد الشرك والإقامة فيها للتجارة وإظهار علامات النفاق وموالاة الكفار

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي مسائل سئل الشيخ سليمان بن عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب فأجاب:

المسألة الأولى: هل يجوز للمسلم أن يسافر إلى بلد الكفار الحربية لأجل التجارة أم لا؟

الجواب: الحمد لله، إن كان يقدر على إظهار دينه ولا يوالي المشركين جاز له ذلك، فقد سافر بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وغيره من الصحابة إلى بلدان المشركين لأجل التجارة ولم ينكر ذلك النبي ﷺ كما رواه أحمد في مسنده وغيره، وإن كان لا يقدر على إظهار دينه ولا على عدم موالاتهم لم يجز له السفر إلى ديارهم كما نص على ذلك العلماء وعليه تُحمل الأحاديث التي تدل على النهي عن ذلك؛ ولأن الله تعالى أوجب على الإنسان العمل بالتوحيد وفرض عليه عداوة المشركين فما كان ذريعة وسبباً إلى إسقاط ذلك لم يجز، وأيضاً فقد يجره ذلك إلى موافقتهم وإرضائهم كما هو الواقع كثيراً ممن يسافر إلى بلدان المشركين من فساق المسلمين. نعوذ بالله من ذلك.

المسألة الثانية: هل يجوز للإنسان أن يجلس في بلد الكفار وشعائر الكفر ظاهرة لأجل التجارة؟

الجواب عن هذه المسألة: هو الجواب عن التي قبلها سواء، ولا فرق في ذلك بين دار الحرب أو دار الصلح فكل بلد لا يقدر المسلم على إظهار دينه فيها لا يجوز له السفر إليها.

المسألة الثالثة: هل يُفَرَّق بين المدة القريبة مثل شهر أو شهرين والمدة البعيدة؟

الجواب: إنه لا فرق بين المدة القريبة والبعيدة، فكل بلد لا يقدر على إظهار دينه فيها ولا على عدم موالاة المشركين لا يجوز له المقام فيها ولا يوماً واحداً إذا كان يقدر على الخروج منها.

المسألة الرابعة: في معنى قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] وقوله في الحديث: «من جامع المشرك وسكن معه فانه مثله».

الجواب: إن معنى الآية على ظاهرها، وهو أن الرجل إذا سمع آيات الله يُكفر بها ويُستهزأ بها فجلس عند الكافرين المستهزئين من غير إكراه ولا إنكار ولاقيام عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره فهو كافر مثلهم وإن لم يفعل فعلهم؛ لأن ذلك يتضمن الرضا بالكفر والرضا بالكفر كفر، وبهذه الآية ونحوها استدل العلماء على أن الراضي بالذنب كفاعله، فإن ادَّعى أنه يكره ذلك بقلبه لم يقبل منه؛ لأن الحكم على

الظاهر وقد أظهر الكفر فيكون كافراً، ولهذا لما وقعت الردة بعد موت النبي ﷺ وادعى أناس أنهم كرهوا ذلك لم يقبل منهم الصحابة ذلك بل جعلوهم كلهم مرتدين إلا من أنكر بلسانه وقلبه، وكذلك قوله في الحديث: «من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله» على ظاهره، وهو أن الذي يدعي الإسلام ويكون مع المشركين في الاجتماع والنصرة والمنزل معهم بحيث يعده المشركون منهم فهو كافر مثلهم وإن ادعى الإسلام، إلا أن كان يظهر دينه ولا يوالي المشركين.

ولهذا لما ادعى بعض الناس الذين أقاموا بمكة بعد ما هاجر النبي ﷺ فادعوا الإسلام إلا أنهم أقاموا في مكة يعدُّهم المشركون منهم، وخرجوا معهم يوم بدر كارهين للخروج فقُتلوا فظن بعض الصحابة أنهم مسلمون وقالوا: قتلنا إخواننا فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ الآية [النساء: ٩٧]. قال السدي وغيره من المفسرين: إنهم كانوا كفاراً ولم يعذر الله تعالى إلا المستضعفين.

المسألة الخامسة: هل يقال لمن أظهر علامات النفاق ممن يدعي الإسلام إنه منافق أم لا؟

الجواب: إنه من ظهرت منه علامات النفاق الدالة عليه كارتداده عند التحزيب على المؤمنين وخذلانهم عند اجتماع العدو كالذين قالوا: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ﴾ [آل عمران: ١٦٧] الآية. وكونه إذا غلب المشركون التجأ معهم وإن غلب المسلمون التجأ إليهم، ومدحه

للمشركين بعض الأحيان وموالاتهم من دون المؤمنين وأشباه هذه العلامات التي ذكر الله أنها علامات للنفاق وصفات للمنافقين، فإنه يجوز إطلاق النفاق عليه وتسميته منافقاً، وقد كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يفعلون ذلك كثيراً كما قال حذيفة ـ رضي الله عنه ـ: إن الرجل ليتكلم بالكلمة في عهد رسول الله ﷺ فيكون بها منافقاً. وكما قال عوف ابن مالك ـ رضي الله عنه ـ لذلك المتكلم بذلك الكلام القبيح: كذبت ولكنك منافق. وكذلك قال عمر في قصة حاطب: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق - وفي رواية- دعني أضرب عنقه فإنه منافق. وأشباه ذلك كثير، وكذلك قال أسيد بن حضير لسعد بن عبادة لما قال ذلك الكلام: كذبت ولكنك منافق تجادل على المنافقين. ولكن ينبغي أن يعرف أنه لا تلازم بين إطلاق النفاق عليه ظاهراً وبين كونه منافقاً باطناً، فإذا فعل علامات النفاق جاز تسميته منافقاً لمن أراد أن يسميه بذلك وإن لم يكن منافقاً في نفس الأمر؛ لأن بعض هذه الأمور قد يفعلها الإنسان مخطئاً لا علم عنده أو لمقصد يخرج به عن كونه منافقا، فمن أطلق عليه النفاق لم ينكر عليه كما لم ينكر النبي ﷺ على أسيد بن حضير تسميته سعداً منافقاً مع أنه ليس بمنافق، ومن سكت لم ينكر عليه، بخلاف المذبذب الذي ليس مع المسلمين ولا مع المشركين فإنه لا يكون إلا منافقاً.

واعلم أنه لا يجوز إطلاق النفاق على المسلم بالهوى والعصبية، أو لكونه يشاحن رجلاً في أمر دنيا أو يبغضه لذلك، أو لكونه يخالف في

بعض الأمور التي لا يزال الناس فيها مختلفين، فليحذر الإنسان أشد الحذر، فإنه قد صح في ذلك الحديث عن النبي ﷺ فيمن رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله. وإنما يجوز من ذلك ما كانت العلامات مُطَّردة في النفاق كالعلامات التي ذكرنا وأشباهها، بخلاف مثل الكذبة والفجرة ونحو ذلك وكان قصد الإنسان ونيته إعلاء كلمة الله تعالى ونصر دينه.

المسألة السادسة: في الموالاة والمعاداة هل هي من معنى (لا إله إلا الله) أو من لوازمها؟

الجواب: أن يقال: الله أعلم، لكنَّ حَسْبَ المسلم أن يعلم أن الله افترض عليه عداوة المشركين وعدم موالاتهم، وأوجب عليه محبة المؤمنين وموالاتهم، وأخبر أن ذلك من شروط الإيمان ونفى الإيمان عمن يواد من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم.

وأما كون ذلك من معنى (لا إله إلا الله) أو لوازمها فلم يكلِّفنا الله بالبحث عن ذلك وإنما كلَّفنا بمعرفة أن الله تعالى فرض ذلك وأوجبه وأوجب العمل به، فهذا هو الفرض والحتم الذي لا شك فيه، ومن عرف أن ذلك من معناها أو من لازمها فهو حسن وزيادة خير، ومن لم يعرفه فلم يكلف بمعرفته لاسيما إذا كان الجدال والمنازعة فيه مما يفضي إلى شر واختلاف ووقوع فرقة بين المؤمنين الذين قاموا بواجبات الإيمان، وجاهدوا في سبيل الله وعادوا المشركين ووالوا المسلمين، فالسكوت عن

ذلك متعين، وهذا ما ظهر لي على أن الاختلاف قريب من جهة المعنى.
والله تعالى أعلم، ولله الحمد والمنة. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. آمين.

الرسالة التاسعة

في معنى كلمة التوحيد وتضمنها الكفر بما يعبد من دون الله

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل العالم العلامة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بـ «أبابطين» - رحمه الله تعالى - عن معنى (لا إله إلا الله) وعمن قالها ولم يكفر بما يعبد من دون الله، وهل من قالها ودعا نبيًا أو وليًا هل تنفعه أو هو مباح الدم والمال ولو قالها؟

أجاب رحمه الله تعالى وعفا عنه: معنى (لا إله إلا الله) عند جميع أهل اللغة وعلماء التفسير والفقهاء كلهم يفسرون الإله بالمعبود والتألُّه التعبد. وأما العبادة فعرَّفها بعضهم بأنه ما أمر به شرعا من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي. والمأثور عن السلف تفسير العبادة بالطاعة، فيدخل في ذلك فعل المأمور وترك المحظور من واجب ومندوب، وترك المنهي عنه من محرم ومكروه فمن جعل نوعاً من أنواع العبادة لغير الله كالدعاء والسجود والذبح والنذر وغير ذلك فهو مشرك. و(لا إله إلا الله) متضمنة للكفر بما يعبد من دونه، لأن معنى (لا إله الا الله) إثبات العبادة لله وحده والبراءة من كل معبود سواه، وهذا معنى الكفر بما يعبد من دونه؛ لأن معنى الكفر بما يعبد من دونه البراءة منه واعتقاد بطلانه.

وهذا معنى الكفر بالطاغوت في قول الله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦] والطاغوت اسم لكل معبود سوى الله كما في قوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله». فقوله: وكفر بما يعبد من دون الله فالظاهر أن هذا زيادة إيضاح؛ لأن (لا إله إلا الله) متضمنة الكفر بما يعبد من دون الله. ومن قال (لا إله إلا الله) ومع ذلك يفعل الشرك الأكبر كدعاء الموتى والغائبين وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات، والتقرب إليهم بالنذور والذبائح فهذا مشرك شاء أم أبى، والله لا يغفر أن يشرك به، ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار. ومع هذا الفعل مشرك ومن فعله فهو كافر.

ولكن على ما قال الشيخ لا يقال «فلان كافر» حتى يبيّن له ماجاء به الرسول ﷺ فإن أصرَّ بعد البيان حُكم بكفره وحَلَّ دمه وماله. وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٣٩] أي: شرك ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] فإذا كان في بلد وثن يعبد من دون الله قوتلوا لأجل هذا الوثن أي: لإزالته وهدمه وترك الشرك حتى يكون الدين كله لله، والدعاء دين سماه الله دينًا كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] أي: الدعاء.

وقال ﷺ: «بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له» فمتى كان شيء من العبادة مصروفاً لغير الله فالسيف مسلول على ذلك. والله أعلم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

الرسالة العاشرة

في معنى كلمة التوحيد، له أيضًا

بسم الله الرحمن الرحيم

سأل بعض الإخوان الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين - رحمة الله تعالى علينا وعليه - عن معنى (لا إله إلا الله) وما تنفي وما تثبت.

فأجاب رحمه الله تعالى: وما سألت عنه من معنى (لا إله إلا الله) وما تثبت وما تنفي، فأول واجب على الإنسان معرفة معنى هذه الكلمة. قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] وقال: ﴿وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ [الزخرف: ٨٦] أي بـ (لا إله إلا الله) ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم، فأفْرَضُ الفرائض معرفة معنى هذه الكلمة ثم التلفظ بمقتضاها، فالإله هو المعبود، والتأله التعبد[1] لا معبود إلا الله نفت الإلهية عمن سوى الله وأثبتتها لله تعالى وحده.

فإذا عرفت أن الإله هو المعبود والإلهية هي العبادة والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأفعال فالإله هو المعبود المطاع، فمن جعل شيئاً من العبادة لغير الله فهو مشرك وذلك كالسجود والدعاء والذبح والنذر وكذلك التوكل والخوف والرجاء

(١) بياض بالأصل، وما سقط هنا يعلم مما تكرر مرارا في هذه المجموعة.

وغير ذلك من أنواع العبادة الظاهرة والباطنة. وإفراد الله سبحانه بالعبادة ونفيها عمن سواه هو حقيقة التوحيد وهو معنى (لا إله إلا الله) فمن قال (لا إله إلا الله) بصدق ويقين أخرجت من قلبه كل ما سوى الله محبة وتعظيماً، وإجلالاً ومهابة، وخشية وتوكلاً، فلا يصير في قلبه محبة لما يكرهه الله ولا كراهة لما يحبه، وهذا حقيقة الإخلاص الذي قال فيه ﷺ: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه دخل الجنة أو حرم الله عليه النار». قيل للحسن البصري: إن ناساً يقولون: من قال (لا إله إلا الله) دخل الجنة. فقال: من قال (لا إله إلا الله) فأدَّى حقها وفرضها إلخ، وغالب من يقول (لا إله إلا الله) إنما يقولها تقليداً ولم يخالط الإيمان بشاشة قلبه فلا يعرف الإخلاص فيها، ومن لا يعرف ذلك يُخشى عليه أن يُصرف عنها عند الموت، وفي غالب من يفتن القبور[1] أمثال هؤلاء كما في الحديث «سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته». نسأل الله أن يثبتنا وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة. والله أعلم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) كذا في الأصل، وفيه تحريف وسقط من النساخ، والمعنى: أن غالب من يفتن في القبور عند السؤال أمثال هؤلاء. وأشار إلى مافي حديث أسماء في الصحيحين من أن المنافق والمرتاب إذا سئل: «ماعلمك بهذا الرجل؟ يعني النبي ﷺ قال: «لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته».

الرسالة الحادية عشرة

في تعريف العبادة، وتوحيدها، والإخلاص، والنسب بينها، ومعنى الإله، ومعنى الطاغوت، الذي أمِرْنا بالكفر به

وله أيضاً

بسم الله الرحمن الرحيم

ما قولكم ـ دام فضلكم ـ في تعريف العبادة؟ وتعريف توحيد العبادة وأنواعه؟ وتعريف الإخلاص؟ وما بين الثلاثة من العموم والخصوص؟ وهل هو مطلق أو وجهي؟ وما معنى الإله؟ وما معنى الطاغوت الذي أمِرْنا باجتنابه والكفر به؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين. أما العبادة في اللغة فهي من الذل، يقال: بعير معبَّد، أي: مذلل، وطريق معبَّد إذا كان مذللاً قد وطأته الأقدام، وكذلك الدِّيْن أيضاً من الذل يقال: دنته فدانَ، أي: ذللته فذل.

وأما تعريفها في الشرع: فقد اختلفت عباراتهم في تعريفها والمعنى واحد[1]. فعرفها طائفة بقولهم: هي ما أمر به شرعاً من غير اطراد عرفي

(١) التحقيق ان المعنى الكلي الجامع لكل ما ذكروه ولا يصح شيء بدونه أن العبادة كل عمل من أعمال القلب واللسان والجوارح يعده صاحبه قربة لمن له سلطان غيبي فوق إدراك العقل غير مقيد بالأسباب المسخرة للناس فيستطيع أن ينفع ويضر من غير طريق الأسباب التي ينفع أو يضر بها بعض الناس بعضًا، والإله المعبود هو صاحب هذا السلطان الغيبي سواء كان له من ذاته لذاته وهو رب العالمين كلهم وهو المعبود بحق- أو كان له بما يعتقد من قربه من الرب تعالى وتأثيره في إرادته بحيث يفعل الرب لأجله أو يمكنه من الفعل- وهذا هو المعبود بالباطل؛ لأن الرب لا يشرك في فعله ولا في حكمه أحدًا. وكتبه محمد رشيد رضا.

ولا اقتضاء عقلي، وعرفها طائفة بأنها: كمال الحب مع كمال الخضوع، وقال أبو العباس رحمه الله تعالى: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضاء بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه وأمثال ذلك، فالدين كله داخل في العبادة. انتهى.

ومن عرفها بالحب مع الخضوع فلأن الحب التام مع الذل التام يتضمن طاعة المحبوب والانقياد له والخضوع لمحبوبه، فالعبد هو الذي ذلله الحب فبحسب محبة العبد لربه وذله له تكون طاعته فمحبة العبد لربه وذله له يتضمن عبادته وحده لا شريك له، والعبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

ليس العبادة غير توحيد المحبة	مع خضوع القلب والأركان
والحب نفس وفاقه فيما يحب	وبغض مالا يرتضي بجنان
ووفاقه نفس اتباعك أمره	والقصد وجه الله ذي الإحسان

فعرف العبادة بتوحيد المحبة مع خضوع القلب والجوارح، فمن

أحب شيئاً وخضع له فقد تعبَّد قلبه له فلا تكون المحبة المنفردة عن الخضوع عبادة ولا الخضوع بلا محبة عبادة، فالمحبة والخضوع ركنان للعبادة فلا يكون أحدهما عبادة بدون الآخر، فمن خضع لإنسان مع بغضه له لم يكن عابداً له، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له كما يحب ولده وصديقه [1]؛ ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون أعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة الكاملة والذل التام إلا الله سبحانه وتعالى.

إذا عرف ذلك فتوحيد العبادة هو إفراد الله سبحانه بأنواع العبادة المتقدم تعريفها وهو نفس العبادة المطلوبة شرعا ليس أحدهما دون الآخر؛ ولهذا قال ابن عباس: كل ماورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد. وهذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون.

وأما العبادة من حيث هي: فهي أعم من كونها توحيداً عمومًا مطلقًا فكل موحِّد عابد لله وليس كل من عبد الله يكون موحدًا؛ ولهذا يقال عن

(١) لكن هنالك حبٌّ مقترنٌ بالخضوع والذل والطاعة ولا يسمى عبادة إلا من باب التجوز، وهو حب العاشق المتبول لمعشوقه، فحبه هذا لا يعد شركًا بالله تعالى فهو ليس عبادة حقيقة؛ لأن العاشق لا يعتقد أن لمعشوقه سلطاناً بقدرته على التصرف في الكون من غير طريق الأسباب المسخرة للناس.

المشرك إنه يعبد الله مع كونه مشركاً كما قال الخليل ﷺ: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٤، ٧٥، ٧٧] وقال أيضاً عليه السلام: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧] فاستثنى الخليلُ ربه من معبوديهم فدل على أنهم يعبدون الله سبحانه[1].

فإن قيل: ما معنى النفي في قوله سبحانه: ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣] قيل: إنما نفى عنهم الاسم الدال على الوصف والثبوت ولم ينف وجود الفعل الدال على الحدوث والتجدد، وقد نبه ابن القيم - رحمه الله تعالى - على هذا المعنى اللطيف في بدائع الفوائد فقال: لما انجر كلامه على سورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١].

«وأما المسألة الرابعة وهو أنه لم يأت النفي في حقهم إلا باسم الفاعل وفي جهته جاء بالفعل المستقبل تارة وباسم الفاعل أخرى، وذلك - والله أعلم - لحكمة بديعة، وهي أن المقصود الأعظم براءته من معبوديهم بكل وجه وفي كل وقت، فأتى أولاً بصيغة الفعل الدالة على الحدوث والتجدد، ثم أتى في هذا النفي بعينه بصيغة اسم الفاعل الدالة على الوصف والثبوت فأفاد في النفي الأول أن هذا لا يقع مني، وأفاد في الثاني أن هذا ليس وصفي ولا شأني، فكأنه قال: عبادة غير الله لا تكون فعلاً لي ولا وصفاً، فأتى بنفيين مقصودين بالنفي، وأما في حقهم

(١) لو كانوا يعبدونهم وحدهم ولا يعبدون الله تعالى لما سميت عبادتهم شركاً به سبحانه. وقد قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

فإنما أتى بالاسم الدال على الوصف والثبوت دون الفعل، أي الوصف الثابت اللازم للعابد لله منتف عنكم فليس هذا الوصف ثابتاً لكم وإنما يثبت لمن خص الله وحده بالعبادة لم يشرك معه فيها أحداً، وأنتم لما عبدتم غيره فلستم من عابديه وإن عبدتموه في بعض الأحيان، فإن المشرك يعبد الله ويعبد معه غيره كما قال أهل الكهف: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ [الكهف: ١٦] أي اعتزلتم معبوديهم إلا الله فإنكم لم تعتزلوه وكذا قول المشركين عن معبوديهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣] فهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره لم ينف عنهم الفعل لوقوعه ونفى الوصف؛ لأن من عبد غير الله لم يكن ثابتاً على عبادة الله موصوفاً بها، فتأمل هذه النكتة البديعة كيف تجد في طيِّها أنه لا يوصف بأنه عابد لله وإن عبده ولا المستقيم على عبادته إلا من انقطع إليه بِكُلِّيَّته وتبتل إليه تبتيلاً لم يتلفت إلى غيره ولم يشرك به أحداً في عبادته، وأنه إن عبده وأشرك به غيره فليس عابداً لله ولا عبداً له، وهذا من أسرار هذه السورة العظيمة الجليلة التي هي إحدى سورتي الإخلاص التي تعدل ربع القرآن كما جاء في بعض السنن، وهذا لا يفهمه كل أحد ولا يدركه إلا من منحه الله فهماً من عنده، فله الحمد والمنة». انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

وأما الإخلاص: فحقيقته أن يخلص العبد لله في أقواله وأفعاله وإرادته ونيته، وهذه هي الحنيفية، ملة إبراهيم ﷺ التي أمر الله بها عباده

كلهم ولا يقبل من أحد غيرها وهي حقيقة الإسلام ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] وهي ملة إبراهيم التي من رغب عنها فهو من أسفه السفهاء ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠] وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على اشتراط الإخلاص للأعمال والأقوال الدينية وأن الله لا يقبل منها إلا ما كان خالصاً وابْتُغي به وجهه؛ ولهذا كان السلف الصالح يجتهدون غاية الاجتهاد في تصحيح نياتهم، ويرون الإخلاص أعز الأشياء وأشقّها على النفس، وذلك لمعرفتهم بالله وما يجب له وبعلل الأعمال وآفاتها، ولا يهمهم العمل لسهولته عليهم وإنما يهمهم سلامة العمل وخلوصه من الشوائب المبطلة لثوابه أو المنقصة له، قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: أمر النية شديد، وقال سفيان الثوري: ما عالجت شيئاً أشد عليَّ من نيَّتي لأنها تنقلب علي، وقال يوسف بن أسباط: تخليص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد، وقال سهل بن عبد الله: ليس على النفس شيء أشق من الإخلاص لأنه ليس لها فيه نصب، وقال يوسف بن الحسين: أعز شيء في الدنيا الإخلاص ولم أجتهد إلا في إسقاط الرياء عن قلبي وكأنه ينبت فيه على لون آخر، فيجب على من نصح نفسه أن يكون اهتمامه بتصحيح نيته وتخليصها من الشوائب فوق اهتمامه بكل شيء؛ لأن الأعمال بالنيات ولكل امرئ مانوى.

وأما ما بين الثلاثة من العموم والخصوص وهل هو وجهي أو مطلق فقد قدمنا أن العبادة من حيث هي أعم من توحيد العبادة عموماً مطلقاً،

وأن العبادة المطلوبة شرعاً هي نفس توحيد العبادة . ودل كلام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ أن توحيد العبادة أعم من الإخلاص حيث قال :

فَلواحَدٍ كُنْ واحداً في واحد ... أعني سبيل الحق والإيمان

هذا وثاني نوعي التوحيد تو ... حيد العبادة منك للرحمان

ألاّ تكون لغيره عبداً ولا ... تعبد بغير شريعة الإيمان

فتقوم بالإخلاص والإيمان والـ ... إحسان في سرٍّ وفي إعلان

والصدق والإخلاص ركنا ذلك التو ... حيد كالركنين للبنيان

إلى أن قال رحمه الله تعالى :

وحقيقة الإخلاص توحيد المر ... اد فلا يزاحمه مراد ثاني

والصدق توحيد الإرادة وهو بذ ... ل الجهد لاكسلاً ولا متواني

والسنة المثلى لسالكها فتو ... حيد الطريق الأعظم السلطاني

فقوله رحمه الله تعالى : والصدق والإخلاص ركنا ذلك التوحيد جعل الإخلاص أحد ركني توحيد العبادة والصدق ركنه الآخر وفسر الصدق بما ذكر ، وقال في بعض كلامه : ومقام الصدق جامع للإخلاص . فعرَّفنا ـ رحمه الله تعالى ـ أن توحيد العبادة أعم من الإخلاص ولم يذكر إلا عموماً مطلقاً . وأما العموم الوجهي فالظاهر أن المراد به إذا كان أحد الشيئين أعم من وجه ، وأخص من وجه ، والعموم الذي بين مطلق العبادة وبين توحيد العبادة والإخلاص مطلق لا وجهي .

وأما الإله فهو الذي تألهه القلوب بالمحبة والخضوع والخوف والرجاء وتوابع ذلك من الرغبة والرهبة والتوكل والاستغاثة والدعاء والذبح والنذر والسجود وجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة، فهو إله بمعنى مألوه أي: معبود، وأجمع أهل اللغة أن هذا معنى «الإله» قال الجوهري: أله بالفتح إلهة أي عبد عبادة، قال: ومنه قولنا: «الله» وأصله إلاه على (فَعَّال) بمعنى (مفعول) لأنه مألوه بمعنى: معبود، كقولنا: إمام فعَّال بمعنى مفعول لأنه مؤتم به، قال: والتأليه التعبيد، والتأله التنسُّك والتعبد. قال رؤبة: * سجن واسترجعن من تألهي * انتهى.

وقال في القاموس: أله إلهة وألوهة عبد عبادة، ومنه لفظ الجلالة؛ واختلف فيه على عشرين قولاً - يعني في لفظ الجلالة - قال: وأصله إله بمعنى: مألوه وكل ما اتخذ معبوداً إله عند متخذه. قال: والتأله التنسك والتعبد. انتهى.

وجميع العلماء من المفسرين وشُرَّاح الحديث والفقه وغيرهم يفسرون الإله بأنه المعبود، وإنما غلط في ذلك بعض أئمة المتكلمين فظن أن الإله هو القادر على الاختراع، وهذه زلة عظيمة وغلط فاحش إذا تصوره العامي العاقل تبين له بطلانه، وكأن هذا القائل لم يستحضر ما حكاه الله عن المشركين في مواضع من كتابه ولم يعلم أن مشركي العرب وغيرهم يقرون بأن الله هو القادر على الاختراع وهم مع ذلك مشركون.

ومن أبعد الأشياء أن عاقلاً يمتنع من التلفظ بكلمة «يقرُّ» بمعناها

ويعترف به ليلاً ونهاراً سرًا وجهاراً هذا ما لا يفعله من له أدنى مسكة من عقل، قال أبو العباس رحمه الله تعالى: وليس المراد هو القادر على الاختراع كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين، حيث ظن أن الألوهية هي القدرة على الاختراع وأن من أقرَّ بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا الله فإن المشركين كانوا مقرين بهذا التوحيد كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] وقال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ الآيات [المؤمنون: ٨٤، ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦] قال ابن عباس رضي الله عنهما: تسألهم من خلق السموات والأرض؟ فيقولون: الله، وهم مع هذا يعبدون غيره، وهذا التوحيد من التوحيد الواجب لكن لا يحصل به الواجب ولا يخلص بمجرده عن الإشراك الذي هو أكبر الكبائر الذي لا يغفره الله، بل لا بد أن يخلص لله الدين فلا يعبد إلا إياه فيكون دينه لله، والإله هو المألوه الذي تألهه القلوب فهو إله بمعنى مألوه لا بمعنى آله. انتهى.

وقد دل صريح القرآن على معنى الإله وأنه هو المعبود كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٨] قال المفسرون: هي كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) باقية في عقبه، أي:

ذريته. قال قتادة: لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحِّده، والمعنى جَعْل هذه الموالاة والبراءة من كل معبود سواه كلمةٌ باقيةٌ في ذرية إبراهيم يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض، وهي كلمة (لا إله إلا الله) فتبين أن موالاة الله سبحانه بعبادته والبراءة من كل معبود سواه هو معنى (لا إله إلا الله).

إذا تبين ذلك فمن صرف لغير الله شيئاً من العبادة المتقدم تعريفها كالحب والتعظيم والخوف والرجاء والدعاء والتوكل والذبح والنذر وغير ذلك فقد عبد ذلك الغير واتخذه إلهًا وأشركه مع الله في خالص حقه، وإن فر من تسمية فعله ذلك تألهاً وعبادة وشركاً، ومعلوم عند كل عاقل أن حقائق الأشياء لا تتغير بتغير أسمائها فلما سمى الزنا والربا والخمر بغير أسمائها لم يخرجها تغيير الاسم عن كونها زنًا ورباً وخمراً ونحو ذلك. ومن المعلوم أن الشرك إنما حُرِّم لقبحه في نفسه وكونه متضمناً مسبة الرب وتنقُّصه وتشبيهه بالمخلوقين فلا تزول هذه المفاسد بتغيير اسمه كتسميته توسلاً وتشفعاً وتعظيماً للصالحين وتوقيراً لهم ونحو ذلك، فالمشرك مشرك شاء أم أبى، كما أن الزاني زان شاء أم أبى، والمرابي مُرَابٍ شاء أم أبى، وقد أخبر النبي ﷺ أن طائفة من أمته يستحلّون الربا باسم البيع ويستحلون الخمر باسم آخر غير اسمها، وذمَّهم على ذلك، فلو كان الحكم دائراً مع الاسم لا مع الحقيقة لم يستحق الذم، وهذه من أعظم مكايد الشيطان لبني آدم قديماً وحديثاً

أخرج لهم الشرك في قالب تعظيم الصالحين وتوقيرهم وغيَّر اسمه بتسميته إياه توسلاً وتشفعاً ونحو ذلك. والله الهادي إلى سواء السبيل.

وأما تعريف الطاغوت: فهو مشتق من (طغا) وتقديره طغوت، ثم قُلبت الواو ألفاً، قال النحويون: وزنه (فَعَلُوت) والتاء زائدة، وقال الواحدي: قال جميع أهل اللغة: الطاغوت كلُّ ما عبد من دون الله يكون واحداً وجمعاً ويذكر ويؤنث، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠] فهذا في الواحد، وقال تعالى في الجمع: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] وقال في المؤنث: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ [الزمر: ١٧] قال: ومثله في أسماء الفلك يكون واحداً وجمعاً ومذكراً ومؤنثاً. قال: قال الليث وأبو عبيدة والكسائي وجماهير أهل اللغة: الطاغوت كل ما عُبد من دون الله، وقال الجوهري: الطاغوت الكاهن والشيطان وكل رأس في الضلال، وقال مالك وغير واحد من السلف والخلف: كل ما عُبد من دون الله فهو طاغوت. وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وابن عباس - رضي الله عنهما - وكثير من المفسرين: الطاغوت الشيطان. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: وهو قول قوي جداً فإنه يشمل كل ما عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان والتحاكم إليها والاستنصار بها، وقال الواحدي عند قول الله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١] كل معبود من دون

الله فهو جبت وطاغوت، قال ابن عباس في رواية عطية: الجبت الأصنام، والطاغوت تراجمة الأصنام الذين يكونون بين أيديهم يعبرون عنها الكذب ليضلوا الناس، وقال في رواية الوالبي: الجبت الكاهن، والطاغوت الساحر، وقال بعض السلف في قوله سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠] إنه كعب بن الأشرف، وقال بعضهم: حُيَي بن أخطب، وانما استحقا هذا الاسم لكونهما من رؤوس الضلال، ولإفراطهما في الطغيان وإغوائهما الناس، ولطاعة اليهود لهما في معصية الله، فكل من كان بهذه الصفة فهو طاغوت، قال ابن كثير رحمه الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠] لما ذكر ما قيل: إنها نزلت فيمن طلب التحاكم إلى كعب بن الأشرف أو إلى حاكم الجاهلية وغير ذلك، قال: والآية أعم من ذلك كله، فإنها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكم إلى ماسواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت ههنا.

فتحصَّل من مجموع كلامهم - رحمهم الله تعالى - أن اسم الطاغوت يشمل كل معبود من دون الله، وكل رأس من الضلال يدعو إلى الباطل ويحسِّنه، ويشمل أيضاً كل من نصَّبه الناس للحكم بينهم بأحكام الجاهلية المضادة لحكم الله ورسوله، ويشمل أيضاً الكاهن والساحر وسَدَنَة الأوثان إلى عبادة المقبورين وغيرهم بما يكذبون من الحكايات المضلة للجُهّال الموهمة أن المقبور ونحوه يقضي حاجة من

توجه إليه وقصده، وأنه فعل كذا وكذا مما هو كذب أو من فعل الشياطين؛ ليوهموا الناس أن المقبور ونحوه يقضي حاجة من قصده فيوقعهم في الشرك الأكبر وتوابعه. وأصل هذه الأنواع كلها وأعظمها الشيطان، فهو الطاغوت الأكبر.

والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على محمد

وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً

هذا ما جمعه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن

المعروف ب «أبابطين» شكر الله سعيه.

آمين

كتاب

الكلمات النافعة
في المكفِّرات الواقعة

جمع الشيخ العالم العلامة

الشيخ عبدالله ابن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ابن الشيخ سليمان بن علي، مفتي الديار النجدية في زمنه

رحمهم الله تعالى، ورفع درجاتهم

آمين

فهرس مفصل لكتاب الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة

صفحة

صفحة

صفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي بعثه رحمة للعالمين، وحجة على المعاندين، الذي أكمل به الدين، وختم به الأنبياء والمرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فهذه فصول وكلمات نقلتها من كلام العلماء المجتهدين من أصحاب الأئمة الأربعة الذين هم أئمة أهل السنة والدين، في بيان بعض الأفعال والأقوال المكفِّرة للمسلم المخرجة له من الدين، وأن تلفظه بالشهادتين وانتسابه إلى الإسلام وعمله ببعض شرائع الدين لا يمنع من تكفيره وقتله وإلحاقه بالمرتدين.

والسبب الحامل على ذلك أن بعض من ينتسب إلى العلم والفقه من أهل هذا الزمان غلط في ذلك غلطًا فاحشاً قبيحاً، وأنكر على من أفتى به من أهل العلم والدين إنكاراً شنيعاً، ولم يكن لهم بإنكار ذلك مستند صحيح لا من كلام الله ولا من كلام رسوله ولا من كلام أئمة العلم والدين، إلا أنه خلاف عاداتهم وأسلافهم، عياذاً من الجهل والخذلان والتعصب.

وأذكر من ذلك ما مست إليه الحاجة وغلط فيه من غلط من المنسوبين إلى العلم في هذا الزمان، الذين غلبت عليهم الشقاوة والجهل والتعصب والخذلان، لما جبلوا عليه من مخالفة الكتاب والسنة، وعمل السلف والأئمة المهديين، وحب الرياسة وشهوات الدنيا، والطمع فيما في أيدي الناس والفسقة المعاندين، نسأل الله أن يوفقنا لما يرضاه من العمل، ويجنبنا لما يسخطه من الزلل، إنه لا يخيب من رجاه، ولا يرد سؤال من دعاه، فنقول وبالله التوفيق.

اعلم أن هذه المسائل من أهم ما ينبغي للمؤمن الاعتناء بها؛ لئلا يقع في شيء منها وهو لا يشعر، وليتبين له الإسلام والكفر حتى يتبين له الخطأ من الصواب، ويكون على بصيرة في دين الله ولا يغتر بأهل الجهل والارتياب، وإن كانوا هم الأكثرين عدداً، فهم الأقلون عند الله وعند رسوله والمؤمنين قدراً. وقد اعتنى العلماء- رضي الله عنهم- بذلك في كتبهم وبوبوا لذلك في كتب الفقه في كل مذهب من المذاهب الأربعة وهو (باب حكم المرتد) وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، وذكروا أنواعاً كثيرة، كل نوع منها يكفر به المسلم ويبيح دمه وماله، وسأذكر - إن شاء الله تعالى - من ذلك ما يكفي ويشفي لمن هداه الله وألهمه رشده، وأجعل كلام كلٍّ طائفة من أتباع الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد على حدة؛ ليسهل ذلك على من أراد الاطلاع عليه، ونبدأ بكلامهم في الشرك الأكبر وتكفيرهم لأهله حين وقع في زمانهم

من بعض المنتسبين إلى الإسلام والسنة؛ لأنه هو المهم فنقول:

أما كلام الشافعية فقال ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في (كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر):

الكبيرة الأولى: الكفر أو الشرك أعاذنا الله تعالى منه، ولما كان الكفر أعظم الذنوب كان أحق أن يبسط الكلام عليه وعلى أحكامه قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[النساء:١١٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان: ١٣] وقال تعالى: ﴿مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾[المائدة:٧٢] وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت.
ثم ذكر أحاديث كثيرة ثم قال:

تنبيهات

منها بيان الشرك وذكر جملة من أنواعه لكثرة وقوعها في الناس وعلى ألسنة العامة من غير أن يعلموا أنها كذلك، فإذا بانت لهم فلعلهم أن يجتنبوها لئلا تحبط أعمال مرتكبي ذلك ويخلدوا في أعظم العذاب وأشد العقاب، ومعرفة ذلك أمر مهم جداً، فإن من ارتكب مكفراً تحبط جميع أعماله ويجب عليه قضاء الواجب منها عند جماعة من الأئمة كأبي حنيفة ومع ذلك فقد توسع أصحابه في المكفرات وعدوا منها جملاً

مستكثرة جداً وبالغوا في ذلك أكثر من بقية أئمة المذاهب. هذا مع قولهم بأن الردة تحبط جميع الأعمال وبأن من ارتد بانت منه زوجته وحرمت عليه، فمع هذا التشديد بالغوا في الاتساع في المكفرات، فتعين على كل ذي مسكة في دينه أن يعرف ما قالوه حتى يجتنبه ولا يقع فيه فيحبط عمله ويلزمه قضاؤه وتبين منه زوجته عند هؤلاء الأئمة، بل عند الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ أن الردة وإن لم تحبط العمل لكنها تحبط ثوابه فلم يبق الخلاف بينه وبين غيره إلا في القضاء فقط. ثم ذكر أنواع الكفر نوعاً نوعاً وسيأتي بقية كلامه ـ إن شاء الله تعالى ـ في ذلك، لكن تأمل ـ رحمك الله ـ قوله: لكثرة وقوعها في الناس على ألسنة العامة من غير أن يعلموا أنها كذلك. وأن الشرك والردة قد وقع فيه كثير من أهل زمانه يتبين لك مصداق ما قلنا إن شاء الله تعالى.

وقال النووي في شرح مسلم: وأما الذبح لغير الله فالمراد به أن يذبح باسم غير الله كمن ذبح للصنم أو للصليب أو لموسى أو عيسى أو للكعبة ونحو ذلك. وكل هذا حرام. ولا تحل هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً نص عليه الشافعي واتفق عليه أصحابنا، فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله والعبادة له كان ذلك كفراً، فإن كان الذابح قبل ذلك مسلماً صار بالذبح مرتداً. انتهى.

فتأمل قوله: فإن قصد مع ذلك... إلخ تجده صريحاً في أن المسلم إذا قصد بالذبح لغير الله تعظيم المذبوح له غير الله والعبادة له أنه يصير كافراً مرتداً. والله أعلم.

فصل

وأما كلام الحنفية فقال في كتاب تبيين المحارم المذكورة في القرآن: (باب الكفر) وهو الستر وجحود الحق وإنكاره وهو أول ما ذكر في القرآن العظيم من المعاصي، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ الآية [البقرة: ٦] وهو أكبر الكبائر على الإطلاق فلا كبيرة فوق الكفر، إلى أن قال: واعلم أن مايلزم به الكفر أنواع: نوع يتعلق بالله سبحانه، ونوع يتعلق بالقرآن وسائر الكتب المنزلة، ونوع يتعلق بنبينا ﷺ وسائر الأنبياء والملائكة والعلماء، ونوع يتعلق بالأحكام، فأما ما يتعلق بالله سبحانه وتعالى إذا وصف الله سبحانه بما لا يليق به بأن شبَّه الله سبحانه بشيء من المخلوقات، أو نفى صفاته، أو قال بالحلول والاتحاد، أو معه قديم غيره، أو معه مدبر مستقل غيره، أو اعتقد أنه لا يعلم الجزئيات، أو سخر باسم من أسمائه، أو أمر من أوامره، أو وعيده، أو وعده، أو أنكرهما، أو سجد لغير الله تعالى، أو سبَّ الله سبحانه، أو ادَّعى أن له ولداً وصاحبة، أو أنه متولِّد بشيء كائن عنه، أو أشرك بعبادته شيئاً من خلقه، أو افترى على الله سبحانه وتعالى الكذب بادعاء الإلهية والرسالة، أو نفى أن يكون خالقه ربه وقال: ليس لي ربٌّ، أو قال لذرة من الذرات: هذه خلقت عبثاً ومهملاً. وما أشبه ذلك مما لا يليق به ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[الإسراء: ٤٣] يكفر في هذه الوجوه كلِّها بالإجماع سواء فعله عمداً أو هزلاً، ويُقْتَل إن أصر على ذلك، وإن تاب تاب الله عليه وسلم من القتل. انتهى كلامه بحروفه.

فتأمل -رحمك الله- تصريحه بأن من أشرك في عبادة الله غيره أنه يكفر بالإجماع ويقتل إن أصر على ذلك، والعبادة التي لا تصلح إلا لله ولا يجوز أن يشرك معه فيها غيره أنواع: منها الدعاء لجلب خير أو دفع ضر، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن:١٨] وقال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] وقال: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾ الآية [الرعد: ١٤]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾[الشرح: ٨] وقال رسول الله ﷺ لابن عباس: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله».

ومن أنواع العبادة الصلاة فلا يصلى إلا لله، ولا يسجد ولا يركع إلا لله وحده، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾الآية [الأنعام: ١٦٢]، وقال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] أي: أخلص لربك الصلاة والنحر لا شريك له في ذلك، وقال النبي ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله» وقد قرن الله بين هاتين العبادتين الصلاة والنسك في هاتين الآيتين فإذا كان من صلى لغير الله وركع لغير الله أو سجد لغير الله فقد أشرك في عبادة الله غيره، فكذلك من ذبح القربان لغير الله فقد أشرك في عبادة الله غيره.

ومن أنواع العبادة أيضاً الخشية فلا تجوز الخشية إلا لله وحده[1] قال الله

---

(١) المراد بالخشية الخاصة به تعالى وكذا الخوف بعدها نوع خاص منهما كأن يكون عن عقيدة دينية كخشية الله والخوف منه لسلطانه الغيبي أو ترجيح خشية غيره والخوف منه على ما كان =

تعالى: ﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾[المائدة: ٤٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[النور: ٥٢] فجعل الطاعة لله ولرسوله وجعل الخشية والتقوى لله وحده.

ومن أنواع العبادة التوكل وهو إسناد العبد أمره إلى الله وحده لا شريك له في جميع أموره الدينية والدنيوية، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[آل عمران: ١٢٢] وقال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[المائدة: ٢٣] فمن توكل على غير الله فقد أشرك في عبادة الله غيره.

ومن أنواع العبادة الاستعانة قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٤] وقال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] وقال النبي ﷺ لابن عباس: «إذا استعنت فاستعن بالله» فمن استعان بغير الله فقد أشرك في عبادة الله غيره.

= لله تعالى في القلب والعمل بأن ينتهك حرمة دينه خوفاً من إغضاب زيد أو رجاء في خير من عمرو، وأما الخشية والخوف الطبيعيان فلا يعدان شركا ولا معصية إذا لم يترتب عليهما ترك واجب ولا فعل معصية فقد أثبت الله ذلك للمؤمنين ولغيرهم أيضاً كقوله تعالى لأكرم رسله ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧] وقوله حكاية عن نبيه زكريا: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي﴾ [مريم: ٥] وقوله: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ [طه: ٦٧] ومثل هذا القيد يعتبر في الاستعانة ونحوها.

ومن أنواع العبادة النذر فلا ينذر إلا لله وحده، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾[البقرة: ٢٧٠]وقال تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً ﴾[الإنسان: ٧] وقال النبي ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه».

والحاصل أن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من أقوال العباد وأفعالهم مما أمرهم به في كتابه على لسان رسوله ﷺ، وقد صرح هذا الحنفي في كتابه الذي قدمته لك أن من أشرك في عبادة الله غيره فهو كافر بالإجماع سواء فعله عمداً أو هزلاً، وأنه يقتل إن أصر على ذلك، وإن تاب تاب الله عليه وسلم من القتل والله أعلم.

وذكر أيضاً أن ما يكون فعله كفراً بالاتفاق إذا فعله المسلم تحبط جميع أعماله ويلزمه إعادة الحج ولا يلزمه إعادة الصلاة والصوم؛ لأنهما يسقطان عن المرتد ويكون وطؤه مع امرأته حراماً وزناً، وإن أتى بكلمة الشهادة بحكم العادة ولم يرجع عما قاله لا يرتفع الكفر. والله أعلم.

وقال الشيخ قاسم في شرح الدرر: النذر الذي يقع من أكثر العوام بأن يأتي إلى قبر بعض الصلحاء قائلاً ياسيدي فلان إن رُدَّ غائبي أو عوفي مريضي أو قضيت حاجتي فلك من الذهب والطعام أو الشمع كذا باطل إجماعاً لوجوه: (منها) أن النذر للمخلوق لا يجوز (ومنها) أن ذلك كفر، إلى أن قال: وقد ابتلي الناس بذلك ولاسيما في مولد أحمد

البدوي. اهـ. فصرح بأن هذا النذر كفر يكفر به المسلم. والله أعلم.

ومن كلام الشافعية أيضاً ما قاله الإمام المحقق ناصر السنة شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم محدث الشام المعروف بأبي شامة في كتاب (الباعث على إنكار البدع والحوادث): ومن هذا ما قد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد[1] ومواضع مخصوصة في كل بلد يحكي لهم حاك أنه رأى في منامه بها أحداً ممن شهر بالصلاح والولاية فيحافظون عليه مع تضييعهم فرائض الله تعالى وسننه ويظنون أنهم متقربون بذلك، ثم يتجاوزون ذلك إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم فيعظمونها ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لهم وهي بين عيون وشجر، وحائط وحجر.

وفي مدينة دمشق - صانها الله تعالى - مواضع متعددة كعوينة الحمى خارج باب توما، والعمود المخلق داخل باب الصغير والشجرة اليابسة خارج باب النصر في نفس قارعة الطريق سهل الله قطعها واجتثاثها من أصلها، فما أشبهها بذات أنواط الواردة في الحديث الذي رواه محمد بن إسحاق وسفيان بن عيينة عن الزهري عن سنان بن أبي سنان عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين وكانت لقريش شجرة خضراء عظيمة يأتونها كل سنة فيعلقون عليها سلاحهم ويعكفون عندهاويذبحون لها -وفي رواية- خرجنا مع النبي ﷺ قبل حنين

(١) تخليقها تضميخها بالخلوق؛ وهو نوع من الطيب، والمراد تطييبها مطلقاً.

وللمشركين سدرة يعكفون عليها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها «ذات أنواط» فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله وفي الرواية الأول: وكانت تسمى ذات أنواط فمررنا بشجرة عظيمة خضراء فتنادينا من جنبتي الطريق ونحن نسير إلى حنين يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال النبي ﷺ: «هذا كما قال قوم موسى لموسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾[الأعراف: ١٣٨] لتركبن سنن من كان قبلكم» أخرجه الترمذي بلفظ آخر والمعنى واحد وقال: هذا حديث حسن صحيح. قال الإمام أبو بكر الطرطوشي في كتابه: «فانظروا ـ رحمكم تعالى أينما وجدتم ـ سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأنها ويرجون البرء والشفاء من قبلها وينوطون بها أسلحتهم ويضربون عليها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها».

قلت: ولقد أعجبني ما صنعه الشيخ أبو إسحاق الحينبائي - رحمه الله تعالى - أحد الصالحين ببلاد أفريقية في المائة الرابعة حكى عنه صاحبه الصالح أبو عبد الله محمد بن أبي العباس المؤدب أنه كان إلى جانبه عين تسمى عين العافية قد افتتنوا بها يأتونها من الآفاق من تعذر عليه نكاح أو ولد قال: امضوا بي إلى عين العافية فتعرف بها الفتنة قال أبو عبد الله: فأنا في السحر ذات ليلة إذ سمعت أذان أبي إسحاق نحوها فخرجت فوجدته قد هدمها وأذن الصبح عليها ثم قال: اللهم، إني هدمتها لك فلا ترفع لها رأساً. فما رفع لها رأس إلى الآن.

قلت: وأدهى من ذلك وأمرُّ إقدامهم على قطع الطريق السابلة يجيزون في أحد الأبواب الثلاثة القديمة العادية التي هي من بناء الجن في زمن نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام أو من بناء ذي القرنين وقيل فيها غير ذلك ما يؤذن بالتقدم على ما نقلناه في كتاب تاريخ مدينة دمشق- حرسها الله تعالى - وهو الباب الشمالي ذكره لهم بعض من لا يوثق به في أحد شهور سنة ست وثلاثين وستمائة أنه رأى مناماً يقتضي أن ذلك المكان دفن فيه بعض أهل البيت، وقد أخبرني عنه ثقة أنه اعترف له أنه افتعل ذلك فقطعوا طريق المنارة فيه وجعلوا الباب بكماله أصل مسجد مغصوب وقد كان الطريق يضيق بسالكيه فتضاعف الضيق والحرج على من دخل ومن خرج ضاعف الله عذاب من تسبب في بنائه، وأجزل ثواب من أعان على هدمه وإزالته وإعدامه اتباعاً لسنة النبي ﷺ في هدم مسجد الضرار المرصد لأعدائه من الكفار.

قلت: فلم ينظر الشرع إلى كونه مسجداً وهدمه لمن قصد به السوء والردى وقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ﴾ الآية [التوبة: ١٠٨] أسأل الله الكريم معافاته من كل ما يخالف رضاه، وألا يجعلنا ممن أضله فاتخذ إلهه هواه. انتهى.

فتأمل -رحمك الله تعالى -كلام هذا الإمام وتصريحه بأن الذي تفعله العامة في زمانه في العمد والشجر والمواضع المخصوصة أنه مثل فعل المشركين بذات أنواط وكذلك تصريح أبي بكر الطرطوشي وكان من

أئمة المالكية بأن كل شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأنها فهي ذات أنواط، وكذلك تأمل قوله، ولقد أعجبني ما فعله الشيخ أبو إسحاق ببلاد أفريقية في المائة الرابعة في هدمه تلك العين التي تسمى عين العافية لما رأى الناس يقصدونها ويتبركون بها يتبين لك أن الشرك قد حدث في هذه الأمة من زمان قديم، وأن أهل العلم - رضي الله عنهم - ينكرون ذلك أشد الإنكار، ويهدمون ما قدروا عليه مما يفتتن به الناس، وأن هذا مما حدث بعد القرون الثلاثة المفضلة، وأن ذلك ليس من الدين بإجماع أهل العلم ويجب على من قدر على ذلك إزالته فويل للأمراء والقضاة القادرين على إزالته والنهي عنه.

وتأمل أيضاً كلام أبي شامة في المسجد الذي بني على قارعة الطريق وتمنيه هدمه وإزالته وتشبيهه إياه بمسجد الضرار، وكان أبو شامة -رحمه الله تعالى- في أوائل القرن السابع. معلوم أن الأمر لا يزيد إلا شدة والله أعلم. فهذا ما وقفنا عليه من كلام الشافعية والحنفية في هذه المسألة.

فصل

وأما كلام الحنابلة فقال الإمام أبو الوفا بن عقيل: لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم وهم عندي كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج أو كتب الرقاع فيها: يا مولاي، افعل بي كذا. وكذا إلقاء الخرق

على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى. انتهى كلامه. فتأمل قوله: وهم عندي كفار بهذه الأوضاع وتشبيهه إياهم بمن عبد اللات والعزى.

وقال الشيخ تقي الدين في الرسالة السنية لما ذكر حديث الخوارج ومروقهم من الدين وأمره ﷺ بقتالهم قال: فإذا كان على عهد رسول الله ﷺ وخلفائه ممن انتسب إلى الإسلام من مرق مع عبادته العظيمة فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضاً من الإسلام وذلك بأسباب منها الغلو الذي ذمه الله تعالى في كتابه حيث قال: ﴿لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ الآية [النساء: ١٧١]، وعلي بن أبي طالب -رضي الله عنه- حرق الغالية من الرافضة فأمر بأخاديد خدت لهم عند باب كندة فقذفهم فيها واتفق الصحابة على قتلهم، لكن ابن عباس مذهبه أن يقتلوا بالسيف بلا تحريق، وهو قول أكثر العلماء وقصتهم معروفة عند العلماء، وكذلك الغلو في بعض المشايخ بل الغلو في علي بن أبي طالب بل الغلو في المسيح ونحوه، فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الإلهية مثل أن يقول ياسيدي فلان انصرني أو أغثني أو ارزقني أو اجبرني أو أنا في حسبك أو نحو هذه الأقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل فإن الله تعالى إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده لا يجعل معه إله آخر، والذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل المسيح والملائكة والأصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق أوتنزل المطر أوتنبت النبات وإنما كانوا يعبدونهم أو يعبدون

قبورهم أو صورهم ويقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾[الزمر: ٣] ويقولون: ﴿هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾[يونس: ١٨] فبعث الله رسله تنهى أن يدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾الآية [الإسراء: ٥٦-٥٧] قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون المسيح وعزيراً والملائكة إلى أن قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل: ٣٦] وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء: ٢٥] وكان ﷺ يحقق التوحيد ويعلمه أمته حتى قال رجل: ما شاء الله وشئت قال: «أجعلتني لله نداً ؟! بل ما شاء الله وحده» ونهى عن الحلف بغير الله وقال: «من حلف بغير الله فقد أشرك» وقال في مرض موته: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما فعلوا وقال: «اللهم، لا تجعل قبري وثناً يعبد» ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يشرع بناء المساجد على القبور ولا الصلاة عندها؛ وذلك لأن من أكبر أسباب عبادة الأوثان كان تعظيم القبور، ولهذا اتفق العلماء على أن من سلَّم على النبي ﷺ عند قبره أنه لا يتمسح بحجرته ولا يقبلها لأنه إنما يكون لأركان بيت الله فلا يشبه بيت المخلوق ببيت الخالق، كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه الذي لا يقبل الله عملاً إلا به ويغفر لصاحبه

ولا يغفر لمن تركه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[النساء: ٤٨] ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[البقرة: ٢٥٥] وقال ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» والإله هو الذي يألهه القلب عبادة واستعانة ورجاء له وخشية وإجلالاً. انتهى كلامه.

فتأمل أول الكلام وآخره وتأمل كلامه فيمن دعا نبياً أو ولياً مثل أن يقول: يا سيدي فلان أغثني ونحوه أنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل تجده صريحاً في تكفير أهل الشرك وقتلهم بعد الاستتابة وإقامة الحجة عليهم، وإن من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الإلهية فقد اتخذه إلهاً مع الله؛ لأن الإله هو المألوه الذي يألهه القلب أي يقصده بالعبادة والدعوة والخشية والإجلال والتعظيم، وإن زعم أنه لا يريد إلا الشفاعة والتقرب عند الله؛ لأنه بين أن هذا هو مطلوب المشركين الأولين واستدل على ذلك بالآيات الصريحات القاطعات. والله أعلم.

وقال -رحمه الله تعالى- في كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم): وكانت الطواغيت الكبار التي تُشدُّ لها الرحال ثلاثة: اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، وكل واحد منها لمصر من أمصار العرب، فكانت اللات لأهل الطائف، ذكروا أنه كان في الأصل رجلاً صالحًا يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره، وأما العزّى فكانت لأهل مكة

قريباً من عرفات وكان هناك شجرة يذبحون عندها ويدعون، وأما مناة فكانت لأهل المدينة وكانت حذو قديد من ناحية الساحل.

ومن أراد أن يعرف كيف كانت أحوال المشركين في عبادة أوثانهم ويعرف حقيقة الشرك الذي ذمه الله تعالى وأنواعه حتى يتبين له تأويل القرآن فلينظر إلى سيرة النبي ﷺ وأحوال العرب في زمانه وما ذكره الأزرقي في أخبار مكة وغيره من العلماء، ولما كان للمشركين شجرة يعلقون عليها أسلحتهم ويسمونها ذات أنواط قال بعض الناس: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال: «الله أكبر إنها السنن، لتركبن سنن من كان قبلكم» فأنكر ﷺ مجرد مشابهتهم في اتخاذ شجرة يعكفون عليها معلقين عليها سلاحهم، فكيف بما هو أطم من ذلك من الشرك بعينه - إلى أن قال: فمن ذلك أمكنة بدمشق مثل مسجد يقال له: مسجد الكف يقال إنه كف علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - حتى هدم الله ذلك الوثن، وهذه الأمكنة كثيرة موجودة في أكثر البلاد في الحجاز منها مواضع. انتهى كلامه.

فتأمل - رحمك الله تعالى - كلام هذا الإمام في اللات والعزى ومناة؛ وجعله بعينه هذا الذي يفعل بدمشق وغيرها من البلاد من ذلك، وتأمل قوله على حديث ذات أنواط وتدبره فإنه نافع جداً.

وقال رحمه الله تعالى في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾[البقرة: ١٧٣] ظاهره أن ما ذبح لغير الله سواء لفظ به أو لم يلفظ

وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه للحم وقال فيه: باسم المسيح ونحوه، كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى الله كان أزكى مما ذبحناه للحم وقلنا عليه: باسم الله، فإن عبادة الله بالصلاة والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور، والعبادة لغير الله أعظم كفراً من الاستعانة. فلو ذبح لغير الله متقرباً إليه لحرم، وإن قال: باسم الله كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال لكن يجتمع في الذبيحة مانعان، ومن هذا ما يفعل بمكة وغيرها من الذبح للجن. انتهى كلامه.

فتأمل - رحمك الله تعالى - هذا الكلام وتصريحه فيه بأن من ذبح لغير الله من هذه الأمة فهو كافر مرتد لا تباح ذبيحته؛ لأنه يجتمع فيها مانعان (الأول) أنها ذبيحة مرتد، وذبيحة المرتد لا تباح بالإجماع (والثاني) أنها مما أهلَّ به لغير الله، وقد حرم الله ذلك في قوله: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾[الأنعام: ١٤٥] وتأمل قوله: ومن هذا ما يفعل بمكة وغيرها من الذبح للجن. والله أعلم.

فصل

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى- في شرح المنازل في باب التوبة: «وأما الشرك فهو نوعان أكبر وأصغر (فالأكبر) لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وهو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله بل أكثرهم يحبون

آلهتهم أعظم من محبة الله، ويغضبون لتنقص معبوديهم من المشايخ أعظم مما يغضبون إذا انتقص أحد رب العالمين، وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا منهم جهرة، وترى أحدهم قد اتخذ ذكر إلهه ومعبوده على لسانه إن قام وإن قعد وإن عثر وإن استوحش، وهو لا ينكر ذلك ويزعم أنه باب حاجته إلى الله وشفيعه عنده، وهكذا كان عباد الأصنام سواء، وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم، وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم، فأولئك كانت آلهتهم من الحجر، وهؤلاء اتخذوها من البشر، قال الله تعالى حاكياً عن أسلاف هؤلاء: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[الزمر: ٣].

«فهذه حال من اتخذ من دون الله ولياً يزعم أنه يقربه إلى الله زلفى، وما أعز من يتخلص من هذا بل ما أعز من لا يعادي من أنكره، والذي قام بقلوب هؤلاء المشركين وسلفهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله، وهذا عين الشرك، وقد أنكر الله عليهم ذلك في كتابه وأبطله وأخبر أن الشفاعة كلها له. وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً﴾[الإسراء: ٥٦] وقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾[سبأ: ٢٢-٢٣] والقرآن مملوء من أمثال هذه الآية ولكن أكثر الناس

لا يشعر بدخول الواقع تحته، ويظنه في قوم قد خلوا ولم يُعقِّبوا وارثاً، وهذا هو الذي يحول بين المرء وبين فهم القرآن كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنما تنقض عُرَى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية». وهذا لأنه إذا لم يعرف الشرك وما عابه القرآن وذمه وقع فيه وأقره وهو لا يعرف أنه الذي عليه أهل الجاهلية فتنتقض بذلك عرى الإسلام، ويعود المعروف منكراً والمنكر معروفاً، والبدعة سنة والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد، ويبدع بتجريد متابعة الرسول ﷺ ومفارقة الأهواء والبدع، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عياناً فالله المستعان.

«ومن أنواعه: طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً لمن استغاث به أو سأله أن يشفع له إلى الله. وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده، فإن الله تعالى لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، والله لم يجعل سؤال غيره سبباً لإذنه، وإنما السبب لإذنه كمال التوحيد فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن، والميت محتاج إلى من يدعو له كما أوصانا النبي ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم ونسأل لهم العافية، والمغفرة، فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة، وجعلوا قبورهم أوثاناً تعبد، فجمعوا بين الشرك بالمعبود، وتغيير دينه، ومعاداة أهل التوحيد ونسبتهم إلى التنقص بالأموات، وهم قد تنقصوا

الخالق بالشرك وأولياءه الموحدين بذمهم ومعاداتهم وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا وأنهم أمروهم به، وهؤلاء أعداء الرسل في كل زمان ومكان وما أكثر المستجيبين لهم! ولله در خليله إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ﴾ الآية [إبراهيم: ٣٥، ٣٦] وما نجا من شَرَك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله وتقرب بمقتهم إلى الله» انتهى كلامه رحمه الله.

فتأمل -رحمك الله- كلام هذا الإمام وتصريحه بأن من دعا الموتى وتوجه إليهم واستغاث بهم ليشفعوا له عند الله فقد فعل الشرك الأكبر الذي بعث محمد ﷺ بإنكاره وتكفير من لم يتب منه وقتاله ومعاداته، وأن هذا قد وقع في زمانه وأنهم غيروا دين الرسول ﷺ وعادوا أهل التوحيد الذين يأمرونهم بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له.

وتأمل قوله أيضا: وما أعز من يتخلص من هذا! بل ما أعز من لا يعادي من أنكره يتبين لك الأمر إن شاء الله تعالى ولكن تأمل- أرشدك الله تعالى - قوله: وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من عادى المشركين لله إلى آخره. يتبين لك أن الإسلام لا يستقيم إلا بمعاداة أهل هذا الشرك فإن لم يعادهم فهو منهم وإن لم يفعله. والله أعلم.

وقال - رحمة الله عليه - في كتاب (زاد المعاد في هدي خير العباد) في الكلام على غزوة الطائف وما فيها من الفقه قال: وفيها أنه لا يجوز

إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً، فإنها شعائر الكفر، والشرك، وهي أعظم المنكرات فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة ألبتة، وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثاناً وطواغيت تعبد من دون الله. والأحجار التي تقصد للتعظيم والتبرك والنذر والتقبيل لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته. وكثير منها بمنزلة اللات، والعزى ومناة الثالثة الأخرى، أو أعظم شركا عندها وبها. والله المستعان.

ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تخلق أو ترزق وتحيي وتميت، وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ما كان يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم، فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم، وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة، وأخذوا مأخذهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم، وصار المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والسنة بدعة والبدعة سنة، ونشأ في ذلك الصغير، وهرم عليه الكبير، وطمست الأعلام. واشتدت غربة الإسلام، وقلّ العلماء، وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر واشتد البأس. وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، ولكن لا تزال طائفة من الأمة المحمدية قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

«ومنها جواز صرف الإمام الأموال التي تصير إلى هذه المشاهد

والطواغيت في الجهاد ومصالح المسلمين كما أخذ النبي ﷺ أموال اللات وأعطاها أبا سفيان يتألفه بها وقضى منها دين عروة والأسود، وكذلك الحكم في أوقافها، فإن وقفها والوقف عليها باطل، ومال ضائع، فإن الوقف لا يصح إلا في قربة، وهذا مما لا يخالف فيه أحد من أئمة الإسلام، ومن اتبع سبيلهم. والله أعلم» انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

فتأمل -رحمك الله تعالى- هذا الكلام وما فيه من التصريح بأن هذا الذي يفعل عند المشاهد والقباب التي على القبور في كثير من البلدان أنه هو الشرك الأكبر الذي فعله المشركون، وأن كثيراً منها بمنزلة اللات والعزى، ومناة، بل أعظم شركاً من شرك أهل اللات والعزى ومناة، وتصريحه بأنهم فعلوا فعل المشركين، واتبعوا سبيلهم حذو القذة بالقذة وتأمل قوله: وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم والله أعلم.

وقال الشيخ تقي الدين -رحمه الله تعالى- لما سئل عن قتال التتار مع التمسك بالشهادتين ولما زعموا من اتباع أصل الإسلام فقال: كل طائفة ممتنعة عن التزام شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة من هؤلاء القوم أو غيرهم فإنه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه، وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين وملتزمين بعض شرائعه، كما قاتل أبو بكر والصحابة -رضي الله عنهم- مانعي الزكاة، وعلى ذلك اتفق الفقهاء بعدهم مع سابقة مناظرة عمر لأبي بكر -رضي الله عنهما- فاتفق الصحابة على القتال على

حقوق الإسلام عملاً بالكتاب والسنة، وكذلك ثبت عن النبي ﷺ من عشرة أوجه الحديث عن الخوارج والأمر بقتالهم، وأخبر أنهم شر الخلق والخليقة مع قوله: «تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم» فعلم أن مجرد الاعتصام بالإسلام مع عدم التزام شرائعه ليس بمسقط للقتال، فالقتال واجب حتى يكون الدين كله لله، وحتى لا تكون فتنة، فمتى كان الدين لغير الله فالقتال واجب، فأيما طائفة ممتنعة امتنعت عن بعض الصلوات المفروضات، أو الصيام، أو الحج، أو عن التزام تحريم الدماء والأموال، أو الخمر، أو الزنا، أو الميسر، أو نكاح ذوات المحارم، أو عن التزام جهاد الكفار، أو ضرب الجزية على أهل الكتاب، أو غير ذلك من التزام واجبات الدين أو محرماته التي لا عذر لأحد في جحودها أو تركها التي يكفر الواحد بجحودها، فإن الطائفة الممتنعة تقاتل عليها وإن كانت مقرة بها، وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء، وإنما اختلف الفقهاء في الطائفة الممتنعة إذا أصرت على ترك بعض السنن كركعتي الفجر أو الأذان أوالإقامة عند من لا يقول بوجوبها ونحو ذلك من الشعائر فهل تقاتل الطائفة الممتنعة على تركها أم لا؟

فأما الواجبات أو المحرمات المذكورة ونحوها فلا خوف في القتال عليها، وهؤلاء عند المحققين من العلماء ليسوا بمنزلة البغاة الخارجين عن الإمام أو الخارجين عن طاعته، كأهل الشام مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه- فإن أولئك خارجون عن طاعة إمام معين

أوخارجون عليه لإزالة ولايته، وأما المذكورون فهم خارجون عن الإسلام بمنزلة مانعي الزكاة وبمنزلة الخوارج الذين قاتلهم علي بن أبي طالب - رضي الله عنه-، ولهذا افترقت سيرته - رضي الله عنه- في قتاله أهل البصرة وأهل الشام وفي قتاله لأهل النهروان فكانت سيرته مع البصريين والشاميين سيرة الأخ مع أخيه. ومع الخوارج بخلاف ذلك، وثبتت النصوص عن النبي ﷺ بما استقرعليه إجماع الصحابة من قتال الصديق - رضي الله عنه- لمانعي الزكاة، وقتال علي للخوارج. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

فتأمل - رحمك الله تعالى - تصريح هذا الإمام في هذه الفتوى بأن من امتنع عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة كالصلوات الخمس والصيام والزكاة أو الحج، أو ترك المحرمات كالزنا أو تحريم الدماء والأموال أو شرب الخمر والمسكرات أو غير ذلك أنه يجب قتال الطائفة الممتنعة عن ذلك حتى يكون الدين كله لله، ويلتزموا جميع شرائع الإسلام، وأن ذلك مما اتفق عليه الفقهاء من سائر الطوائف من الصحابة فمن بعدهم، وأن ذلك عمل بالكتاب والسنة. فتبين لك أن مجرد الاعتصام بالإسلام مع عدم التزام شرائعه ليس بمسقط للقتال، وأنهم يقاتلون قتال كفر وخروج عن الإسلام كما صرح به في آخر الفتوى بقوله: وهؤلاء عند المحققين من العلماء ليسوا بمنزلة البغاة الخارجين على الإمام بل هم خارجون عن الإسلام بمنزلة مانعي الزكاة. والله أعلم.

وقال الشيخ -رحمه الله تعالى- في آخر كلامه على كفر مانعي الزكاة: والصحابة لم يقولوا هل: أنت مقر بوجوبها أو جاحد لها؟ هذا لم يعهد عن الصحابة بحال، بل قال الصدِّيق لعمر رضي الله عنهما: والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. فجعل المبيح للقتال مجرد المنع لا جحد الوجوب[1] وقد روي أن طوائف منهم كانوا يقرون بالوجوب لكن يخلون بها، ومع هذا فسيرة الخلفاء فيهم سيرة واحدة وهي قتل مقاتلتهم، وسبي ذراريهم، وغنيمة أموالهم والشهادة على قتلاهم بالنار وسموهم جميعهم أهل الردة، وكان من أعظم فضائل الصديق عندهم أن ثبته الله على قتالهم ولم يتوقف كما توقف غيره حتى ناظرهم فرجعوا إلى قوله.

«وأما قتال المقرين بنبوة مسيلمة فهؤلاء لم يقع بينهم نزاع في قتالهم، وهذه حجة من قال: إن قاتلوا الإمام عليها كفروا وإلا فلا. فإنَّ كفر هؤلاء وإدخالهم في أهل الردة قد ثبت باتفاق الصحابة المستند إلى نصوص الكتاب والسنة، بخلاف من لم يقاتل الإمام عليها فإن في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قيل له: منع ابن جميل فقال: «ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيراً فأغناه الله» فلم يأمر بقتله ولا حكم بكفره، وفي

(١) إن ترك إقامة الصلاة وأداء الزكاة ونحوهما هو ترك للإسلام من أصله، فقد فسروه بالعمل بما جاء به النبي ﷺ فعلاً للواجبات، وتركاً للمحرمات، ويذكرون هذا في كتب العقائد التي يدرسونها في جميع مدارسهم كجوهرة التوحيد التي تقرأ في الأزهر وغيره، وترك بعض المعلوم قطعاً من الدين كترك كله، فإن الكفر بالبعض كالكفر بالكل، كما ثبت في نص القرآن. وهذه المسألة خاصة بالجماعات وأما الأفراد فلهم أحكام مفصَّلة معروفة في كتب الفقه.

السنن من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جدِّه عن النبي ﷺ: «ومن منعها فإنا آخذوها وشطر إبله» الحديث. انتهى.

فتأمل كلامه وتصريحه بأن الطائفة الممتنعة عن أداء الزكاة إلى الإمام أنهم يقاتلون ويحكم عليهم بالكفر والردة عن الإسلام وتسبى ذراريهم، وتغنم أموالهم وإن أقروا بوجوب الزكاة، وصلوا الصلوات الخمس، وفعلوا جميع شرائع الإسلام غير أداء الزكاة، وإن ذلك ليس بمسقط للقتال لهم والحكم عليهم بالكفر، والردة، وإن ذلك قد ثبت بالكتاب والسنة واتفاق الصحابة رضي الله عنهم. والله أعلم.

وقال الشيخ -رحمه الله تعالى- في كتاب (الصارم المسلول على شاتم الرسول): قال الإمام إسحاق بن راهويه أحد الأئمة - يعدل بالشافعي وأحمد -: أجمع المسلمون أن من سب الله أو رسوله أو دفع شيئاً مما أنزل الله أنه كافر بذلك وإن كان مقراً بكل ما أنزل الله. وقال محمد بن سحنون أحد الأئمة من أصحاب مالك: أجمع العلماء على أن شاتم الرسول ﷺ كافر. وحكمه عند الأئمة القتل ومن شك في كفره كفر. قال ابن المنذر: أجمع عوام أهل العلم على أن على من سبه القتل. وقال الإمام أحمد فيمن سبه يقتل، قيل: فيه أحاديث؟ قال: نعم، منها حديث الأعمى الذي قتل المرأة وقول ابن عمر: من شتم النبي ﷺ قتل، وعمر بن عبدالعزيز يقول: يقتل، وقال في رواية عبد الله: لا يستتاب فإن خالد بن الوليد قتل رجلاً شتم النبي ﷺ ولم يستتبه. انتهى.

فتأمل - رحمك الله تعالى - كلام إسحاق بن راهويه ونقله الإجماع على أن من سب الله أو سب رسوله ﷺ أو دفع شيئاً مما أنزل الله فهو كافر، وإن كان مقراً بكل ما أنزل الله - يتبين لك أن من تلفظ بلسانه بسب الله تعالى أو بسب رسوله ﷺ، فهو كافر مرتد عن الإسلام، وإن أقر بجميع ما أنزل الله، وإن كان هازلاً بذلك لم يقصد معناه بقلبه كما قال الشافعي - رضي الله عنه -: من هزل بشيء من آيات الله فهو كافر، فكيف بمن هزل بسب الله تعالى أو بسب رسوله ﷺ، ولهذا قال الشيخ تقي الدين: قال أصحابنا وغيرهم: من سب الله كفر مازحاً أوجاداً لقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ الآية [التوبة: ٦٥] قال: وهذا هو الصواب المقطوع به. إهـ.

ومعنى قول إسحاق رحمه الله تعالى: أو دفع شيئاً مما أنزل الله أن يدفع ويرد شيئاً مما أنزل الله في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من الفرائض أو الواجبات أو المسنونات أو المستحبات بعد أن يعرف أن الله أنزله في كتابه أو أمر به رسوله ﷺ أو نهى عنه، ثم دفعه بعد ذلك فهو كافر مرتد وإن كان مقراً بكل ما أنزل الله من الشرع إلا ما دفعه وأنكره لمخالفته لهواه أو عادة أهل بلده، وهذا معنى قول العلماء رضي الله عنهم: من أنكر فرعاً مجمعاً عليه فقد كفر[1] فاذا كان من أنكر النهي عن الأكل بالشمال

(١) زاد العلماء في هذه المسألة أن يكون المجمع عليه معلوماً من الدين بالضرورة، فإذا كان من أمور العادات الدنيوية لا يكفر بجحده ولا بإنكاره فضلاً عن تركه وإذا كان من أمور الدين الخفية غير معلوم للجمهور بالضرورة فلا تكفير فيه، ومثلوا له بإرث بنت الابن مع بنت الصلب السدس فإطلاقه للقاعدة وما فرعه عليها فيه ما علمت .

أو النهي عن إسبال الثياب بعد معرفته أن الرسول ﷺ نهى عن ذلك فهو كافر مرتد ولو كان من أعبد الناس وأزهدهم، فكيف بمن أنكر إخلاص العبادة لله وحده، وإخلاص الدعوة والاستغاثة والنذر والتوكل وغير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله وحده ولا يصلح منها شيء لملك مقرب ولا نبي مرسل، التي أرسل الله جميع رسله وأنزل جميع كتبه لأجل معرفتها، والعمل بها التي هي أعظم شعائر الإسلام الذي هو معنى (لا إله إلا الله)، فمن أنكر ذلك وأبغضه وسبه وسب أهله وسماهم الخوارج فهو الكافر حقا، الذي يجب قتاله حتى يكون الدين كلُّه لله بإجماع المسلمين كلهم. والله سبحانه وتعالى أعلم.

فصل

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - في الإغاثة: قال ﷺ: «لا تتخذوا قبري عيداً» وقال: «اللهم، لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وفي اتخاذها أعياداً من المفاسد العظيمة ما يغضب لأجله من في قلبه وقار لله وغيرة على التوحيد ولكن

* ما لجرح بميت إيلام*.

منها: الصلاة إليها، والطواف بها، واستلامها، وتعفير الخدود على ترابها[1]، وعبادة أصحابها، وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء

(١) هذا الكلام ملخص ومختصر من «إغاثة اللهفان» وليس بنصه.

الديون وتفريج الكربات التي كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم. وكل من شمَّ أدنى رائحة من العلم يعلم أن من أهم الأمور سدّ الذريعة إلى ذلك، وأنه ﷺ أعلم بعاقبة ما نهى عنه، وما يؤول إليه، وإذا لعن من اتخذ قبور الأنبياء مساجد يعبد الله فيها، فكيف بملازمتها واعتياد قصدها؟ ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القول، وما أمر به ونهى عنه وما عليه أصحابه، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم رأى أحدهما مضاداً للآخر، فنهى عن اتخاذها مساجد، وهؤلاء يبنون عليها المساجد. ونهى عن تسريجها، وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل عليها. ونهى أن تتخذ عيداً وهؤلاء يتخذونها أعياداً. وأمر بتسويتها كما في صحيح مسلم عن علي رضي الله عنه، وهؤلاء يرفعونها ويجعلون عليها القباب. ونهى عن تجصيص القبر والبناء عليه كما في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه. ونهى عن الكتابة عليها كما رواه الترمذي في صحيحه عن جابر. ونهى ألاّ يزاد عليها غير ترابها كما رواه أبو داود عن جابر، وهؤلاء يتخذون عليها الألواح ويكتبون عليها القرآن ويزيدون على ترابها بالجص والآجر والأحجار، وقد آل الأمر بهؤلاء الضلاّل المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجّاً، وصنفوا لها (مناسك حج المشاهد) ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام، ودخول في دين عباد الأصنام. فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه الرسول ﷺ لأمته وما شرعه هؤلاء. والنبي ﷺ أمر بزيارة القبور لأنها تذكر الآخرة، وأمر الزائر أن

يدعو لأهل القبور ونهاه أن يقول هجراً فهذه الزيارة التي أذن الله فيها لأمته وعلمهم إياها هل تجد فيها شيئا مما يعتمده أهل الشرك والبدع أم تجدها مضادة لما هم عليه من كل وجه؟

وما أحسن ما قال الإمام مالك: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها. ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم عوضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك. ولقد جرَّد السلف الصالح التوحيد، وحموا جانبه حتى كان أحدهم إذا سلم على النبي ﷺ ثم أراد الدعاء جعل ظهره إلى جدار القبر ثم دعا. وقد نص على ذلك الأئمة الأربعة أنه يستقبل القبلة للدعاء حتى لا يدعو عند القبر فإن الدعاء عبادة.

وبالجملة فالميت قد انقطع عمله، فهو محتاج إلى من يدعو له؛ ولهذا شرع في الصلاة عليه من الدعاء ما لم يشرع مثله للحي، ومقصود الصلاة على الميت الاستغفار له والدعاء له. وكان ﷺ يقف على القبر بعد الدفن فيقول: «سلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل» فبدل أهل البدع والشرك قولاً غير الذي قيل لهم، فبدلوا الدعاء له بدعائه نفسه والشفاعة له والاستشفاع به، والزيارة التي شرعت إحساناً إلى الميت إلى الزيارة بسؤال الميت [1] والإقسام به على الله وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذي هو مخ العباد وحضور القلب عندها وخشوعه أعظم منه في المساجد.

وذكر ابن إسحاق عن أبي العالية قال: لما فتحنا (تستر) وجدنا في

(١) عبارة الإغاثة هنا: «وقصدوا بالزيارة التي شرعها رسول الله ﷺ إحساناً إلى الميت وإحسانا إلى الزائر بسؤال الميت» إلخ.

بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف فحملنا المصحف إلى عمر فدعا كعباً فنسخه بالعربية فأنا أول رجل من العرب قرأه، قرأته مثل ما أقرأ القرآن. فيه[1] سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد، قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة فلما كان الليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه عن الناس أن لا ينبشوه. قلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم أبرزوا السرير فيمطرون. قلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: دانيال. قلت: منذ كم مات؟ قال: من ثلاثمائة سنة. قلت: ما تغير منه شيء؟ قال: لا، إلا شعيرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض ولا تأكلها السباع. ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره لئلا يُفتَتَن به، ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف وعبدوه فهم قد اتخذوا من قبور مَن لا يدانيه أوثاناً وجعلوا لها سدنة.

وقد أنكر الصحابة ما هو دون هذا بكثير، فقطع عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ الشجرة التي بويع رسول الله ﷺ تحتها. ولما رأى عمر الناس يذهبون فسأل عن ذلك فقيل: مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ يصلون فيه، فقال: إنما كان أهلك من كان قبلكم بمثل هذا، كانوا يتبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعاً فمن أدركته الصلاة منكم في هذه المساجد فليصل، ومن لا فليمض ولا يتعمدها.

وقد أنكر رسول الله ﷺ على الصحابة لما سألوه شجرة يعلقون عليها

(١) في الإغاثة هنا أن خالد بن دينار الراوي عن أبي العالية سأله: ما كان فيه؟ قال: سيرتكم... إلخ.

أسلحتهم بخصوصها، ثم ذكر حديث ذات أنواط . فإذا كان اتخاذ الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف حولها اتخاذ إله مع الله وهم لا يعبدونها ولا يسألونها فما الظن بالعكوف حول القبر ودعائه والدعاء عنده والدعاء به؟ وأي نسبة للفتنة بشجرة إلى الفتنة بالقبر لو كان أهل الشرك والبدع يعلمون؟ ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم في هذا الباب وغيره علم أن بين السلف وبينهم أبعد مما بين المشرق والمغرب . والأمر ـ والله ـ أعظم مما ذكرنا . وفي صحيح البخاري عن أم الدرداء قالت : دخل عليَّ أبو الدرداء مغضباً فقلت : ما لك؟ فقال : والله ما أعرف فيهم شيئاًمن أمر محمد ﷺ إلا أنهم يصلون جميعاً . إهـ .

فتأمل - رحمك الله تعالى - كلام الشيخ -رحمه الله تعالى- وتصريحه بأن عبادة الأوثان قد وقعت في زمانه وتصريحه بعد ذكره لقصة دفن دانيال بأن أهل زمانه المتأخرين قد اتخذوا من قبور مَا لا يدانيه في المرتبة والفضل والصلاح أوثاناً، وأنهم لو وجدوه لجالدوا عليه بالسيوف، وعبدوه من دون الله، يتبين لك ما أصبح غالب الناس اليوم فيه من عبادة غير الله ودعائهم والاستغاثة بهم من الشدائد وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، والإخلاص لهم في العبادات، في أوقات الشدائد عند ركوبهم في البحر وغيره الذي لم يفعله المشركون الأولون كما أخبر الله عنهم بقوله : ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[العنكبوت : ٦٥] وقوله : ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ

عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠-٤١].

فتأمل - رحمك الله تعالى - ما ذكر الله تعالى عن هؤلاء المشركين من إخلاص الدعوة لله في أوقات الشدائد ثم تأمل ما يفعله المشركون في زماننا مما ذكرت لك، يتبين لك غربة الإسلام الذي جاء به النبي ﷺ في هذه الأزمان.

فإذا كان هذا كلام أهل العلم وتصريحهم بأن الشرك بالله غلب على أكثر النفوس، وأن القليل الذي تخلص منه بل القليل من لا يعادي من أنكر الشرك، فما ظنك بزمانك هذا؟ ومعلوم أن الأمر لا يزداد إلا شدة وغربة، وفي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه» أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس -رضي الله عنه- ولكن الأمر كما قال الشيخ -رحمه الله تعالى-، ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله ﷺ وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم في هذا الباب وغيره علم أن بينهما أبعد مما بين المشرق والمغرب، وهذه هي الفتنة التي قال فيها ابن مسعود رضي الله عنه: كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير، وينشأ فيها الصغير، يتخذها الناس سنَّة إذا غيرت قيل غيرت السنة؟ والله أعلم.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: والناس قد ابتلوا بالأنصاب والأزلام

فالأنصاب للشرك والأزلام لطلب علم ما استأثر الله به، هذه للعلم وتلك للعمل . ودين الله تعالى مضاد لهذا وهذا . وعمّى الصحابة قبر دانيال بأمر عمر رضي الله عنه، ولما بلغه أن الناس ينتابون الشجرة التي بويع رسول الله ﷺ تحتها أرسل فقطعها . قال عيسى بن يونس هو عندنا من حديث ابن عون عن نافع، فإذا كان هذا فعله في الشجرة التي ذكرها الله في القرآن وبايع تحتها الصحابة رسول الله ﷺ فماذا حكمه فيما عداها؟ وأبلغ من ذلك أن رسول الله ﷺ هدم مسجد الضرار ففيه دليل على هدم المساجد التي هي أعظم فساداً منه كالمبنية على القبور وكذلك قبابها فتجب المبادرة إلى هدم ما لعن رسول الله ﷺ فاعله . والله يقيم لدينه من ينصره ويذب عنه، وكان بدمشق كثير من هذه الأنصاب فيسر الله سبحانه كسرها على يدي شيخ الإسلام، وحزب الموحدين وكان العامة يقولون لشيء منها إنه يقبل النذر أي يقبل العبادة من دون الله، فالنذر عبادة يتقرب بها الناذر إلى المنذور له، ولقد أنكر السلف التمسح بحجر المقام الذي أمر الله أن يتخذ منه مصلى، قال قتادة في الآية : إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئاً ما تكلفته الأمم قبلها ذكر لنا من رأى أثر أصابعه فما زالت هذه الأمة تمسحه حتى اخلولق .

وأعظم الفتنة بهذه الأنصاب فتنة أصحاب القبور وهي أصل فتنة عباد الأصنام كما ذكر الله في سورة نوح في قوله : ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ الآية [نوح: ٢٣] ذكر السلف

في تفسيرها أن هؤلاء أسماء رجال صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم. وتعظيم الصالحين إنما هو باتباع الصالحين واتباع ما دعوا إليه دون اتخاذ قبورهم أعياداً وأوثاناً، فأعرضوا عن المشروع واشتغلوا بالبدع. ومن أصغى إلى كلام الله وتفهمه أغناه عن البدع والآراء، ومن بعد عنه فلا بد أن يتعوض عنه بما لاينفعه كما أن من عمر قلبه بمحبة الله وخشيته والتوكل عليه أغناه عن محبة غيره وخشيته والتوكل عليه، والمعرض عن محبة الله عبد الصور شاء أم أبى والمعرض عن اتباع السنة مبتدع شاء أم أبى.

وهذه الأمور المبتدعة عند القبور (أنواع) أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت خاصة كما يفعله كثير وهؤلاء من جنس عباد الأصنام؛ ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت كما يتمثل لعباد الأصنام؛ وهذا يحصل للمشركين وأهل الكتاب وكذلك السجود للقبر وتقبيله والتمسح به.

(والنوع الثاني) أن يسأل الله به، وهذا يفعله كثير من المتأخرين وهو بدعة إجماعاً. (والنوع الثالث) أن يظن أن الدعاء عنده مستجاب وأنه أفضل من الدعاء في المسجد، فيقصد القبر لذلك فهذا أيضاً من المنكرات إجماعاً، وما علمت فيها نزاعاً بين أئمة الدين وإن كان كثير من المتأخرين يفعله.

وبالجملة فأكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأوثان، ولم يتخلص

منها إلا الحنفاء أتباع ملة إبراهيم. وعبادتها في الأرض من قبل نوح عليه السلام وهياكلها ووقوفها وسدنتها وحجابها والكتب المصنفة في عبادتها طبّق الأرض، قال إمام الحنفاء عليه السلام: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾[إبراهيم: ٣٥-٣٦]وكفى في معرفة أنهم أكثر أهل الأرض ما صح عن النبي ﷺ: أن بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون. وقد قال الله تعالى: ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا﴾[الإسراء: ٨٩] وقال: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[الأنعام: ١١٦] وقال: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[يوسف: ١٠٣] وقال: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢] ولو لم تكن الفتنة بعبادة الأصنام عظيمة لما قدم عبادها على بذل نفوسهم وأموالهم وأبنائهم دونها وهم يشاهدون مصارع إخوانهم وما حل بهم ولا يزيدهم ذلك إلا حباً لها وتعظيماً ويوصي بعضهم بعضاً بالصبر عليها. والله أعلم.

فتأمل- رحمك الله - كلام الشيخ في الأنصاب والأزلام والقباب المبنية على القبور وأنه يجب المبادرة إلى هدمها وأنها أعظم ضرراً من مسجد الضرار الذي قال الله تعالى في أهله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ﴾[التوبة: ١٠٧] وأمر رسول الله ﷺ بهدمه وتحريقه ونهى الله نبيه عن الصلاة فيه، وقوله: والله يقيم لدينه من ينصره ويذب عنه. وكان بدمشق

كثير من هذه الأنصاب فيسَّر الله تعالى كسرها على يد شيخ الإسلام وحزب الله الموحدين، ومراده بذلك الشيخ تقي الدين بن تيمية - رحمه الله تعالى- فإنه هدم مواضع كثيرة بدمشق مما يعبده العامة من دون الله وينذرون له ويقولون: إنه يقبل النذر، أي يقبل العبادة وذلك لأن النذر عبادة لله قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾[الإنسان: ٧] وقال: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ الآية [البقرة: ٢٧٠].

فإذا عرفت أن النذر عبادة وصرفته لغير الله فقد أشركت في عبادة الله غيره، وقد أقام الله تعالى في زماننا هذا وهو آخر القرن الثاني عشر من الهجرة النبوية من بعث الله به دين الإسلام وإخلاص العبادة لله وحده بعد اندراسه، وهو الشيخ الإمام العالم، ذو الفضل والمكارم والأخلاق السنية، والأعمال المرضية السنية، محيي السنة النبوية، وقامع البدعة الشركية، محمد بن عبدالوهاب، أسكنه الله الجنة التي هي أحسن المآب، وبرد مضجعه وأجزل له الثواب، فنصر الله به الدين القويم، وبين بسببه صراطه المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين، والصديقين والشهداء والصالحين، وأزال الله به الشرك وعبادة الأوثان من أرض نجد محل الكفر والطغيان، ويسر الله كسر تلك الأوثان على يده وأيدي أتباعه من الموحدين وحزب الله المفلحين، وكان قبل ذلك في كل أرض وبلد من أرض نجد أوثان وأشجار تعبد من دون الله وينذر لها ويذبح لها القربان ويعظمونها أعظم من تعظيم الله، كقبر زيد بن الخطاب في الجبيلة، وشجرة في قرية من بلد الدرعية، وشجرة أخرى لأهل الطرفية وغار

يقال له غار بنت الأمير في أسفل بلد الدرعية وقبر يقال له قبر المغربي.
وأعظم من ذلك عبادتهم (تاج) و(شمسان) مع شهادتهم عليهم بالفجور ولكن يزعمون أنهم أولياء لا تضرهم الذنوب ويهابونهم أعظم مما يهابون الله، ومنهم من يدعو الجن ويذبح لهم، وفي كل بلد من ذلك شيء عظيم فأزال الله ذلك كله بشيخ الإسلام وأقام الله به الحجة على أهل زمانه، وعرف التوحيد جميع عدوانه، وأقروا أنه دين الله ورسوله، وأن الذي هم عليه الشرك بالله، ولم يزدهم ذلك إلا بغضاً له وعداوة، وسعوا في إزالته وعداوته بكل ممكن حسداً له لما أظهر الله الدين على يده، حتى أظهره الله عليهم ونصره ونصر أتباعه على من خذلهم وخالفهم، مع ضعفهم وقلة عددهم وقوة عدوهم وكثرتهم، وأدخل الله جميع أهل نجد في الإسلام ودانوا به واجتمعوا عليه حاضرتهم وباديتهم فالحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله ونسأل الله العظيم المنان أن يثبتنا على الإسلام وألاّ يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا وأن يعيذنا من التفرق والاختلاف إنه على كل شيء قدير.

وقال الشيخ تقي الدين ـ رحمه الله تعالى ـ في ردِّه على ابن البكري في مسألة الاستغاثة: العبادات مبناها على الاتباع لا على الابتداع، فليس لأحد أن يشرع من الدين مالم يأذن به الله قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾[الشورى: ٢١] وفي الصحيحين عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «من أحدث في أمرنا هذا

ما ليس منه فهو رد» وفي لفظ في الصحيح: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» وفي الصحيح وغيره: «يقول الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك. من عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء، وهو كله للذي أشرك» ولهذا قال الفقهاء: العبادات مبناها على التوقيف كما في الصحيحين عن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه قبَّل الحجر الأسود وقال: «والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبِّلك ما قبَّلتك». والله سبحانه أمرنا باتباع الرسول وطاعته وموالاته ومحبته وضمن لنا بطاعته ومحبته وإكرامه محبته لنا ومغفرته وهدايتنا وإدخالنا الجنة فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[آل عمران: ٣١] وقال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾[النور: ٥٤] وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[النساء: ١٣] وأمثال ذلك في القرآن كثير ولا ينبغي لأحد أن يخرج في هذا الباب عما مضت به السنه وكان عليه سلف الأمة.

وبالجملة فمعنا أصلان عظيمان (أحدهما) ألا نعبد إلا الله (والثاني) ألا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بعبادة مبتدعة، وهذان الأصلان هما تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله كما قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[الملك: ٢] قال الفضيل بن عياض: أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل

حتى يكون خالصاً صواباً ، والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة ، وذلك تحقيق قوله تعالى : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[الكهف : ١٠] وجاءت السنة أن يسأل الله بأسمائه وصفاته فيقال : أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ياذا الجلال ياحي يا قيوم ، وأسألك بأنك أنت الله لا إله إلاأنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. وكذلك قوله : اللهم إني أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الأعظم وجدك الأعلى وكلماتك التامة. مع أن هذا الدعاء الثاني في جواز الدعاء به قولان للعلماء ، وقال الشيخ أبو الحسن القدوري : قال بشر بن الوليد سمعت أبا يوسف يقول قال أبو حنيفة رحمه الله : لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به وأكره أن يقول بمعاقد العز من عرشك أو بحق خلقك . وهو قول أبي يوسف ، قال أبو يوسف بمعقد العز من عرشك هو الله فلا أكره هذا وأكره بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت والمشعر الحرام ، قال القدوري : المسألة بخلقه لا تجوز ؛ لأنه لا حق للمخلوق على الخالق فلا تجوز يعني وفاقاً ، وقال البلدجي في شرح المختار : ويكره أن يدعو الله إلا به ، فلا يقول : أسألك بحق فلان أو بملائكتك أو بأنبيائك ونحو ذلك ؛ لأنه لاحق للمخلوق على الخالق ، أو يقول في دعائه أسألك بمعقد العز من عرشك ، وعن أبي يوسف أنه يجوز . قلت : وهذا من أبي حنيفة وأبي يوسف وغيرهما يقتضي المنع أن يسأل الله تعالى بغيره .

وأما سؤال الميت والغائب نبياً كان أو غير نبي فهو من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين لم يأمر الله تعالى به ولا رسوله ﷺ ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ولااستحبه أحد من أئمة المسلمين، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام فإن أحداً منهم ما كان يقول: إذا نزلت به ترة أو عرضت له حاجة لميت يا سيدي فلان أنا في حسبك أو اقض حاجتي كما يقوله بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى والغائبين، ولاأحد من الصحابة استغاث بالنبي ﷺ بعد موته ولا بغيره من الأنبياء لا عند قبورهم ولا إذا بعدوا عنها ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأنبياء ولا الصلاة عندها، ولما قحط الناس في زمان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ استسقى بالعباس وتوسل بدعائه وقال: اللهم، إنا كنا نتوسل إليك إذا أجدبنا بنبيِّنا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعمِّ نبينا فاسقنا. فيسقون كما ثبت ذلك في صحيح البخاري، وكذلك معاوية ـ رضي الله عنه ـ لما استسقى بأهل الشام توسل بيزيد بن الأسود الجرشي فهذا الذي ذكره عمر ـ رضي الله عنه ـ توسُّل منهم بدعاء النبي ﷺ وشفاعته في حياته؛ ولهذا توسلوا بعده بدعاء العباس ودعاء يزيد بن الأسود وهذا هو الذي ذكره الفقهاء في كتاب الاستسقاء فقالوا: يستحب أن يستسقى بالصالحين وإذا كانوا من أقارب رسول الله ﷺ فهو أفضل.

وقد كره العلماء كمالك وغيره أن يقوم الرجل عند قبر النبي ﷺ يدعو لنفسه وذكروا أن هذا من البدع التي لم يفعلها السلف، وقد قال الله

تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً ۝٥٦ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ الآية [الإسراء: ٥٧]، قال: عيسى ابن مريم وعزير والملائكة[1] وكذلك عن إبراهيم النخعي قال: كان ابن عباس يقول في قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾[الإسراء: ٥٧] هو عزير والمسيح والشمس والقمر، وكذلك شعبة روى عن السدي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: عيسى وأمه والعزير، وعن عبد الله بن مسعود قال: نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم الجنيون والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم فنزلت هذه الآية، ثبت ذلك عنه في صحيح البخاري، وهذه الأقوال كلها حق فإن الآية تعم كل من كان معبوده عابداً لله سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر، والسلف -رضي الله عنهم- في تفسيرهم يذكرون جنس المراد بالآية على نوع التمثيل كما يقول الترجمان لمن سأله: ما معنى لفظ الخبز؟ فيريه رغيفاً فيقول هذا، فالإشارة إلى نوعه لا إلى عينه وليس مرادهم بذلك تخصيص نوع دون نوع مع شمول الآية للنوعين، فالآية خطاب لكل من دعا دون الله مدعواً وذلك المدعو يبتغي إلى الله الوسيلة ويرجو رحمته

---

(١) هذا بيان للذين يبتغون إلى ربهم الوسيلة لا للوسيلة نفسها فهي القربة، والمعنى أن أولئك الذين تدعونهم لكشف الضر عنكم يبتغون إلى ربهم ما يقربهم إليه، أيهم أقرب إلى الله كالمسيح وعزير والملائكة ويرجون رحمته ويخافون عذابه، فأنتم أحوج إلى دعائه وحده وابتغاء الوسيلة إليه.

ويخاف عذابه، فكل من دعا ميتاً أو غائباً من الأنبياء والصالحين سواء كان بلفظ الاستغاثة أو غيرها فقد تناولته هذه الآية كما تناول من دعا الملائكة والجن، ومعلوم أن هؤلاء كلهم يكونون وسائط فيما يقدره الله تعالى بأفعالهم، ومع هذا فقد نهى الله تعالى عن دعائهم وبين أنهم لا يملكون كشف الضر عن الداعين ولا تحويله، لا يرفعونه بالكلية ولا يحولونه من موضع إلى موضع كتغيير صفته أو قدره؛ ولهذا قال (ولا تحويلا) فذكر نكرة تعم أنواع التحويل فكل من دعا ميتاً أو غائباً من الأنبياء والصالحين أو دعا الملائكة أو دعا الجن فقد دعا من لا يغيثه ولا يملك كشف الضر عنه ولا تحويله.

وقد قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦] وقد نص الأئمة كأحمد وغيره على أنه لا يجوز الاستعاذة بمخلوق. وهذا مما استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق قالوا: لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه استعاذ بكلمات الله وأمر بذلك؛ ولهذا نهى العلماء عن التعازيم والتعاويذ التي لا يعرف معناها خشية أن يكون فيها شرك.

ومما يبين حكمة الشريعة وعظم قدرها وأنها كما قيل كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق؛ أن الذين خرجوا عن المشروع زين لهم الشيطان أعمالهم حتى خرجوا إلى الشرك، فطائفة من هؤلاء يصلون للميت ويستدبر أحدهم القبلة ويسجد للقبر، ويقول أحدهم: القبلة قبلة

العامة وقبر الشيخ فلان قبلة الخاصة، وهذا يقوله من هو أكثر الناس عبادة وزهداً وهو شيخ متبوع ولعله من أمثل أتباع شيخه يقوله في شيخه وآخر من أعيان الشيوخ المتبوعين أصحاب الصدق والاجتهاد في العبادة والزهد يأمر المريد أول ما يتوب أن يذهب إلى قبر الشيخ فيعكف عليه عكوف أهل التماثيل عليها. وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادة القبور في الرقة والخشوع والدعاء وحضور القلب ما لا يجده أحدهم في مساجد الله التي أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وآخرون يحجون القبور، وطائفة صنفوا كتاب «مناسك حج المشاهد» كما صنف أبو عبد الله محمد بن النعمان الملقب بالمفيد أحد شيوخ الإمامية كتاباً في ذلك وذكر فيه من الحكايات المكذوبة على أهل البيت ما لا يخفى كذبه على من له معرفة بالنقل، وآخرون يسافرون إلى قبور المشايخ وإن لم يسموا ذلك منسكاً وحجاً فالمعنى واحد. ومن هؤلاء من يقول: وحق النبي الذي تحج إليه المطايا، فيجعل الحج إلى النبي لا إلى بيت الله عز وجل وكثير من هؤلاء أعظم قصده من الحج قصد قبر النبي ﷺ لا حج البيت، وبعض الشيوخ المشهورين بالدين والزهد والصلاح صنف كتابا سمَّاه (الاستغاثة بالنبي ﷺ في اليقظة والمنام) وهذا الضال استعان بهذا الكتاب، وقد ذكر في مناقب هذا الشيخ أنه حج مرة وكان قبر النبي ﷺ منتهى قصده ثم رجع ولم يذهب إلى مكة وجعل هذا من مناقبه، فإن كان هذا مستحباً فينبغي لمن يجب عليه حج البيت إذا حج أن يجعل المدينة

منتهى قصده ولا يذهب إلى مكة فإنه زيادة كلفة ومشقة مع ترك الأفضل، وهذا لا يقوله عاقل.

وبسبب الخروج عن الشريعة صار بعض أكابر الشيوخ عند الناس ممن يقصده الملوك والقضاة والعلماء والعامة على طريقة ابن سبعين قيل عنه: إنه كان يقول: البيوت المحجوجة ثلاثة: مكة، وبيت المقدس، والبد الذي للمشركين بالهند، وهذا لأنه كان يعتقد أن دين اليهود حق ودين النصارى حق[1] وجاءه بعض إخواننا العارفين قبل أن يعرف حقيقته. فقال له: أريد أن أسلك على يديك، فقال: على دين اليهود أو النصارى أو المسلمين؟ فقال له: واليهود والنصارى ليسوا كفارا؟ فقال: لا تشدد عليهم لكن الإسلام أفضل.

ومن هؤلاء من يرجح الحج إلى المقابر على الحج إلى البيت، ومنهم من يرجح الحج إلى البيت لكن قد يقول أحدهم: إنك إذا زرت قبر الشيخ مرتين أو ثلاثا كان كحجَّة، ومن الناس من يجعل مقبرة الشيخ بمنزلة عرفات يسافرون إليها وقت الموسم فيعرفون بها كما يعرف المسلمون بعرفات كما يفعل هذا في المغرب والمشرق، ومنهم من يجعل السفر إلى المشهد والقبر الذي يعظمه أفضل من الحج، ويقول أحدهم - أحد المريدين - وقد حج سبع حجج إلى بيت الله العتيق: أتبيعني زيارة

(١) هذا التعليل لا يكفي بل يزاد عليه ماهو أظهر في المقام وهو: ودين بوذية الهند وغيرها حق أي عنده فإن لفظ البد مأخوذ من بوده (بالمهملة وبالمعجمة) بل هو وأمثاله يقولون: إن عباد الشمس والقمر والأوثان والأصنام كلهم يعبدون الله؛ إذ لا موجود غيره فيعبد.

قبر الشيخ بالحجج السبع؟ فشاور الشيخ فقال: لو بعته لكنت مغلوباً، ومنهم من يقول: من طاف بقبر الشيخ سبعاً كان كحجة، ومنهم من يقول: زيارة المغارة الفلانية ثلاث مرات كحجَّة، ومنهم من يحكي عن الشيخ الميت أنه قال: كل خطوة إلى قبري كَحجَّة، ويوم القيامة لا أبيع بحجة، وأنكر بعض الناس ذلك فتمثل له الشَيطان بصورة الشيخ في منامه وزجره عن إنكار ذلك.

وهؤلاء وأمثالهم صلاتهم ونسكهم لغير الله رب العالمين، فليسوا على ملة إمام الحنفاء وليسوا من عمار مساجد الله الذين قال الله فيهم ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[التوبة: ١٨] فعُمَّار مساجد الله لا يخشون إلا الله، وعُمَّار المقابر يخشون غير الله، ويرجون غير الله حتى إن طائفة من أرباب الكبائر الذين لا يخشون الله فيما يفعلونه من القبائح كان إذا رأى قبة الميت أو الهلال الذي على رأس القبة فيخشى من فعل الفواحش[1] ويقول أحدهم لصاحبه: ويحك، هذا هلال القبة فيخشون المدفون تحت الهلال ولا يخشون الذي خلق السموات والأرض وجعل أهلة السماء مواقيت للناس والحج.

وهؤلاء إذا نوظروا خوفوا مناظرهم كما صنع المشركون بإبراهيم قال تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾[الأنعام: ٨٠] إلى قوله: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[الأنعام: ٨١] قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم

(١) كذا في الأصل ولعله محرَّف، ويستقيم الإعراب بأن يقول: كانوا إذا رأوا القبة أو الهلال يخشون من فعل الفواحش ويقول أحدهم... إلخ.

بظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[الأنعام: ٨٢].

وآخرون قد جعلوا الميت بمنزلة الإله والشيخ الحي التعلق به كالنبي، فمن الميت تطلب قضاء الحاجات، وكشف الكربات، وأما الحي فالحلال ما حلّله والحرام ما حرّمه؛ وكأنهم في أنفسهم قد عزلوا الله عن أن يتخذوه إلهاً، وعزلوا محمداً ﷺ أن يتخذوه رسولاً، وقد يجيء الحديث العهد بالإسلام أو التابع لهم الحسن الظن بهم أو غيره يطلب من الشيخ الميت إما دفع ظلم ملك يريد أن يظلمه أو غير ذلك فيدخل ذلك السادن فيقول: قد قلت للشيخ والشيخ يقول للنبي، والنبي يقول لله والله قد بعث رسولاً إلى السلطان فلان. فهل هذا إلا محض دين المشركين والنصارى وفيه من الكذب والجهل ما لا يستجيزه كل مشرك ونصراني ولا يروج عليه.

ويأكلون من النذور والمنذور وما يؤتى به إلى قبورهم ما يدخلون به في قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[التوبة: ٣٤] يعرضون بأنفسهم ويمنعون غيرهم إذ التابع لهم يعتقد أن هذا هو سبيل الله ودينه، فيمتنع بسبب ذلك من الدين الحق الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه والله تعالى لم يذكر في كتابه المشاهد بل ذكر المساجد وأنها خالصة له قال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾[الأعراف: ٢٩] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾ الآية [التوبة: ١٨]. وقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ

وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ الآية [النور: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ﴾ الآية [الحج: ٤٠]. ولم يذكر بيوت الشرك كبيوت الأصنام والمشاهد، ولا ذكر بيوت النار؛ لأن الصوامع والبيعَ لأهل الكتاب، فالممدوح من ذلك ما كان مبنياً قبل النسخ والتبديل، كما أثنى على اليهود والنصارى والصابئين الذين كانوا قبل النسخ والتبديل يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون الصالحات. فبيوت الأوثان وبيوت النيران وبيوت الكواكب وبيوت المقابر لم يمدح الله شيئاً منها ولم يذكر ذلك إلا في قصة من لعنهم النبي ﷺ. قال تعالى ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾[الكهف: ٢١] فهؤلاء الذين اتخذوا مسجداً على أهل الكهف كانوا من النصارى الذين لعنهم النبي ﷺ حيث قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» - وفي رواية- «والصالحين» ودعاء المقبورين من أعظم الوسائل إلى ذلك. وقد قدم بعض شيوخ الشرق وتكلم معي في هذا فبينت له فساد هذا فقال: أليس قد قال النبي ﷺ: «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور» فقلت: هذا مكذوب باتفاق أهل العلم لم يروه عن النبي ﷺ أحد من علماء الحديث. وبسبب هذا وأمثاله ظهر مصداق قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟».

وهؤلاء الغلاة المشركون إذا حصل لأحدهم مطلوبه ولو من كافر لم يقبل على الرسول بل يطلب حاجته من حيث يظن أنها تقضى، فتارة يذهب إلى ما يظنه قبر رجل صالح ويكون فيه قبر كافر أو منافق، وتارة يعلم أنه كافر أو منافق، ويذهب إليه كما يذهب قوم إلى كنيستهم أو إلى مواضع يقال لهم أنها تقبل النذر فهذا يقع فيه عامتهم، وأما الأول فيقع فيه خاصتهم حتى إن بعض أصحابنا المباشرين لقضاء القضاة لما بلغه أني أنهى عن ذلك صار عنده من ذلك شبهة ووسواس لما يعتقده من الحق فيما أذكره ولما عنده من المعارضة لذلك قال لبعض أصحابنا سراً: أنا جرَّبت إجابة الدعاء عند قبر بالقرافة فقال له ذلك الرجل: فأنا أذهب معك إليه لتعرف قبر من هو. فذهب إليه فوجدا مكتوباً عليه (قبر علي) فعرفوا أنه إما رافضي، وإما إسماعيلي، وكان بالبلد جماعة كثيرون يظنون في العبيديين أنهم أولياء الله الصالحون فلما ذكرت لهم أن هولاء كانوا منافقين زنادقة وخيار من فيهم الرافضة، جعلوا يتعجبون ويقولون: نحن نذهب بالفَرَس التي فيها مغل إلى قبورهم فتشفى عند قبورهم. فقلت لهم: هذا من أعظم الأدلة على كفرهم. وطلبت طائفة من سياسيي الخيل فقلت: أنتم بالشام ومصر إذا أصاب الخيل المغل أين تذهبون بهم؟ فقالوا: في الشام نذهب بها إلى قبور اليهود والنصارى، وإذا كنا بأرض الشمال نذهب بها إلى القبور التي ببلاد الإسماعيلية كالعليقة والمنيعة ونحوهما. وأما في مصر فنذهب بها إلى دير هنا للنصارى ونذهب إلى قبور هؤلاء الأشراف وهم يظنون أن العبيديين أشراف لما أظهروا أنهم من

أهل البيت. فقلت: هل تذهبون بها إلى قبور صالحي المسلمين مثل: الليث ابن سعد، والشافعي، وابن القاسم، ونفيسة، وغير هؤلاء؟ فقالوا لا. فقلت لأولئك: اسمعوا، إنما يذهبون بها إلى قبور الكفار والمنافقين وبينت لهم سبب ذلك فقلت: لأن هؤلاء يعذبون في قبورهم والبهائم تسمع أصواتهم كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح، فإذا سمعت ذلك فزعت؛ فبسبب الرعب الذي يحصل لها تنحل بطونها فتروث فإن الفزع يقتضي الإسهال فتعجبوا من ذلك. وهذا المعنى كثيراً ما كنت أذكره للناس ولم أعلم أن أحداً قاله ثم وجدته قد ذكره بعض العلماء.

والمقصود هنا أن كثيراً من الناس يعظم قبر من يكون في الباطن كافراً أو منافقاً، ويكون هذا عنده والرسول من جنس واحد لاعتقاده أن الميت يقضي حاجته إذا كان رجلاً صالحاً. وكلا هذين عنده من جنس من يستغيث به، وكم من مشهد يعظمه الناس وهو كذب بل يقال إنه قبر كافر كالمشهد الذي بسفح جبل لبنان الذي يقال إنه قبر نوح فإن أهل المعرفة يقولون: إنه قبر بعض العمالقة، وكذلك مشهد الحسين الذي بالقاهرة وقبر أبي بن كعب الذي في دمشق اتفق العلماء أنه كذب. ومنهم من قال: هما قبران لنصرانيين، وكثير من المشاهد فيها وعندها شياطين تضل بسببها من تضل.

ومنهم من يرى في المنام شخصاً يظن أنه المقبور ويكون ذلك شيطاناً

تصوَّر بصورته، أو بغير صورته؛ كالشياطين التي تكون بالأصنام وكالشياطين الذين يتمثلون لمن يستغيث بالأصنام والموتى والغائبين وهذا كثير في زماننا وغيره، مثل أقوام يرصدون بعض التماثيل التي بالبرابي بديار مصر بأخميم وغيرها، يرصدون التمثال مدة لايتطهرون طهور المسلمين، ولا يصلون صلاة المسلمين، ولا يقرؤون. حتى يتعلق الشيطان تلك الصورة فيراها تتحرك فيطمع فيها سمعه أو غيرها، فيرى شيطاناً قد خرج له فيسجد لذلك الشيطان، حتى يقضي بعض حوائجه، وقد يمكنه من فعل الفاحشة به حتى يقضي حوائجه، ومثل هؤلاء كثير في شيوخ الترك الكفار يسمونه «البُوَى» وهو المتخنث إذا طلبوا منه بعض هذه الأمور أرسلوا له من ينكحه، وينصبون له حركات عالية في ليلة ظلماء وقربوا له خبزاً وميتة وغنوا غناء يناسبه بشرط ألا يكون عندهم من يذكر الله ولا هناك شيء فيه شيء من ذكر الله، ثم يصعد ذلك الشيخ المفعول به في الهواء ويرون الدف يطير في الهواء ويضرب من مدَّ يده إلى الخبز، ويضرب الشيطان بآلات اللهو وهم يسمعون ويغني لهم الأغاني التي كانت تغنيها آباؤهم الكفار، ثم قد يغيب وكذلك الطعام، فيرونه وقد نقل إلى بيت البوى وقد لا يغيب ويقرِّبون له ميتة يحرقونها بالنار ويقضي بعض حوائجهم[1].

ومثل هذا كثير جداً للمشركين فالذي يجري عند المشاهد من جنس ما

---

(١) قد ثبت بالاختبار أن بعض هذه الأعمال التي تسند إلى شياطين الجن كانت من خزعبلات شياطين الإنس وخيلهم ثم ظهر بطلانها فلم يعد يقصدها أحد.

يجري عند الأصنام، وقد ثبت بطرق متعددة أن ما يشرك به من دون الله من صنم وقبر وغير ذلك قد يكون عنده شياطين تضل من أشرك به، وأن تلك الشياطين لا يقضون إلا بعض أغراضهم، و إنما يقضونها إذا حصل منهم من الشرك والمعاصي ما يحبه الشيطان، فمنهم من يأمر الداعي أن يسجد له ومنهم من يأمره بالفواحش وقد يفعلها الشيطان وقد ينهاه عما أمر الله به من التوحيد والإخلاص والصلوات الخمس وقراءة القرآن ونحو ذلك، والشياطين تغوي الإنسان بحسب ما تطمع منه فإن كان ضعيف الإيمان أمرته بالكفر، وإلا أمرته بما هو فسق أو معصية، وإن كان قليل العلم أمرته بما لا يعرف أنه مخالف للكتاب والسنة، وقد وقع في هذا النوع كثير من الشيوخ الذين لهم نصيب وافر من الدين والزهد والعبادة لكن لعدم علمهم بحقيقة الدين الذي بعث الله به رسوله طمعت فيهم الشياطين حتى أوقعوهم فيما يخالف الكتاب والسنة، وقد جرى لغير واحد من أصحابنا المشايخ يستغيث بأحدهم بعض أصحابه فيرى الشيخ قد جاء في اليقظة حتى قضى ذلك المطلوب، وإنما هي شياطين تتمثل للمشركين الذين يدعون غير الله، والجن بحسب الإنس فالكافر للكافر والفاجر للفاجر والجاهل للجاهل وأما أهل العلم والإيمان فاتباع الجن لهم كاتباع الإنس يتبعونهم فيما أمر الله تعالى به ورسوله.

وقد حدّثني بعض الثقات عن هذا الشخص يعني أن البكري الذي جوّز في كتابه الاستغاثة بالرسول ﷺ في كل ما يستغاث بالله أنه كان

يقول: إن النبي ﷺ علم مفاتيح الغيب التي قال فيها النبي ﷺ: «خمس لا يعلمها إلا الله ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[لقمان: ٣٤] وأظنه ذكر عنه أنه قال (علمها) بعد أن أخبر أنه لا يعلمها إلا الله، وآخر من جنسه يباشر التدريس وينسب إلى الفتيا كان يقول: إن النبي ﷺ يعلم ما يعلمه الله ويقدر على ما يقدر الله عليه، وإن هذا السر انتقل بعده إلى الحسن ثم انتقل في ذرية الحسن إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي وقالوا: هذا مقام القطب الغوث الفرد الجامع، وكان شيخ آخر معظم عند أتباعه يدَّعي هذه المنزلة ويقول: إنه المهدي الذي بشّر به النبي - صلى الله عليه وسلم - وإنه يزوج عيسى بابنته وأن نواصي الملوك والأولياء بيده يولي من يشاء ويعزل من شاء وإن الرب يناجيه دائما وإنه الذي يمد حملة العرش، وحيتان البحر، وقد عزَّرته تعزيراً بليغاً في يوم مشهود بحضرة من أهل المسجد الجامع يوم الجمعة بالقاهرة فعرفه الناس وانكسر بسببه أشباهه من الدجاجلة.

ومن هؤلاء من يقول: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٨-٩] أن الرسول ﷺ هو الذي يُسبَّح بكرةً وأصيلاً، ومنهم من يقول: نحن نعبد الله ورسولَه فيجعلون الرسول معبوداً، ومنهم من يأتي قبر الميت الرجل أو المرأة الذي يحسن الظن لنفسه فيقول:

اغفر لي وارحمني ولا توقفني على زلة، ونحو هذا الكلام إلى أمثال هذه الأمور التي يتخذ فيها المخلوق إلهاً.

ولما استقر هذا في نفوس عامتهم تجد أحدهم إذا سئل عمن ينهاهم: ما يقول هذا؟ فيقول: فلان عنده ما ثَمَّ إلا الله؛ لما استقر في نفوسهم أنهم يجعلون مع الله إلهاً آخر، وهذا كله وأمثاله وقع ونحن بمصر. وآخر يقول معظماً لمن يدعو إلى التوحيد: قد جعل الآلهة إلهاً واحداً.

وهؤلاء الضالون مستخفون بتوحيد الله ويعظمون دعاء غير الله من الأموات وإذا أمروا بالتوحيد ونهوا عن الشرك استخفوا به كما أخبر تعالى عن المشركين بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً﴾ الآية [الفرقان: ٤١] فاستهزؤوا بالرسول لما نهاهم عن الشرك، وقال تعالى عن المشركين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾[الصافات: ٣٥-٣٦] قال تعالى: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾[الصافات: ٣٧] وقال تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[ص: ٤-٥] وذكر ـ رحمه الله ـ أشياء كثيرة.

وما زال المشركون يُسفِّهون الأنبياء ويصفونهم بالجنون والضلال والسفاهة كما قال قوم نوح لنوح وعاد لهود عليهما السلام: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ﴾[الأعراف: ٧٠] فأعظم ما سفَّهوه لأجله وأنكروه هو التوحيد، وهكذا تجد من عليه شبه من هؤلاء من بعض الوجوه إذا رأى

من يدعو إلى توحيد الله وإخلاص الدين له وألا يعبد الإنسان إلا الله ولا يتوكل إلا عليه، استهزأ بذلك لما عنده من الشرك، وكثير من هؤلاء يخربون المساجد فتجد المسجد الذي بني للصلوات الخمس معطلاً مخرباً ليس له كسوة إلا من الناس، وكأنه خان من الخانات والمشهد الذي بني على الميت فعليه الستور وزينة الذهب والفضة والرخام والنذور تغدو وتروح إليه فهل هذا إلا من استخفافهم بالله وآياته ورسوله وتعظيمهم للشرك؟ فإنهم اعتقدوا أن دعاء الميت الذي بني له المشهد والاستغاثة به أنفع لهم من دعاء الله تعالى، والاستغاثة به في البيت الذي بني لله ـ عز وجل ـ ففضلوا البيت الذي بني لدعاء المخلوق، وإذا كان لهذا وقف ولهذا وقف كان وقف الشرك أعظم عندهم منه مضاهاة لمشركي العرب الذين ذكر الله حالهم في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٦] كما يجعلون لله زرعاً وماشية ولآلهتهم زرعاً وماشية، فإذا أصيب نصيب آلهتهم أخذوا من نصيب الله تعالى فوضعوه فيه وقالوا: الله غني وآلهتنا فقيرة، فيفضلون ما يجعل لغير الله على ما يجعل لله، وهكذا هؤلاء الوقوف والنذور التي تبذل عندهم للمشاهد أعظم مما تبذل عندهم للمساجد ولعمار المساجد والجهاد في سبيل الله، وهؤلاء إذا قصد أحدهم القبر الذي يعظمه بكى عنده وخضع، ويدعو ويتضرع ويحصل له من الرقة والتواضع والعبودية وحضور القلب مالا يحصل له في

الصلوات الخمس والجمعة وقيام الليل وقراءة القرآن، فهل هذا إلا من حال المشركين المبتدعين، لا الموحدين المخلصين المتبعين لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ؟

ومثل هذا أنه إذا سمع أحدهم سماع الأبيات يحصل له من الحضور والخشوع والبكاء مالا يحصل له مثله عند سماع آيات الله تعالى، فيخشع عند سماع المبتدعين المشركين. ولا يخشع عند سماع المتقين المخلصين، بل إذا سمعوا آيات الله اشتغلوا بها[1] وكرهوها واستهزؤوا بها وبمن يقرؤها ما يحصل له[2] به أعظم نصيب من قوله: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة: ٦٥] وإذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية، وألسن لاغية، كأنهم صم وعمي، وإذا سمعوا الأبيات حضرت قلوبهم وسكتت ألسنتهم وسكنت حركاتهم حتى لا يشرب العطشان منهم ماء.

ومن هؤلاء من إذا كانوا في سماعهم فأذن المؤذن قال: نحن في شيء أفضل مما دعانا إليه، ومنهم من يقول: كنا في الحضرة فإذا قمنا إلى الصلاة صرنا إلى الباب، وقد سألني بعضهم عمن قال: ذلك من هؤلاء الشيوخ الضلال فقلت: كذب، وكان في حضرة الشيطان فصار على باب الله، فإن البدع والضلال فيها من حضور الشيطان ما قد فصل في غير هذا الموضع.

والذين يجعلون دعاء الموتى من الأنبياء والأئمة والشيوخ أفضل من

---

(١) لعل أصله «اشتغلوا عنها».

(٢) السياق يقتضي «لهم».

دعاء الله أنواع متعددة ، منهم من تقدّم ، ومنهم من يحكي أنواعاً من الحكايات : (حكاية) أن بعض المريدين استغاث بالله فلم يغثه واستغاث بشيخه فأغاثه (وحكاية) أن بعض المأسورين في بلاد العدو دعا الله فلم يخرجه فدعا بعض المشايخ الموتى فجاءه فأخرجه إلى بلاد الإسلام (وحكاية) أن بعض الشيوخ قال لمريده : إذا كانت لك إلى الله حاجة فتعال إلى قبري . وآخر قال : فتوسل إلى الله بي ، وآخر قال : قبر فلان هو الترياق المجرب . فهؤلاء وأشباههم يرجحون هذه الأدعية على أدعية المخلصين لله مضاهاة لسائر المشركين .

وهؤلاء يتمثل لكثير منهم صورة شيخه الذي يدعوه فيظنه إياه أو ملكاً على صورته وإنما هو شيطان أغواه . ومن هؤلاء من إذا نزلت به شدة لا يدعو إلا شيخه ولا يذكر إلا اسمه ، قد لهج به كما يلهج الصبي بذكر أمه فيستنصر به أحدهم فيقول : يا فلان ، وقد قال الله تعالى للموحدين : ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[البقرة : ٢٠٠] .

ومن هؤلاء من يحلف بالله ويكذب ، ويحلف بشيخه وإمامه ويصدق ولا يكذب ، فيكون شيخه عنده وفي صدره أعظم من الله ، فإذا كان دعاء الموتى مثل الأنبياء والصالحين يتضمن هذا الاستهزاء بالله وآياته ورسوله فأي الفريقين أحق بالاستهزاء بالله وآياته ورسوله؟ : من كان يأمر بدعاء الموتى والاستغاثة بهم مع ما يترتب على ذلك من الاستهزاء بالله وآياته

ورسوله؟ أو من كان يأمر بدعاء الله وحده لا شريك له كما أمرت رسله ويوجب طاعة الرسول ﷺ ومتابعته في كل ما جاء به.

وأيضاً فإن هؤلاء الموحدين من أعظم الناس إيجاباً لرعاية جانب الرسول ﷺ تصديقًا له فيما أخبر وطاعة له فيما أمر واعتناء بمعرفة ما بعث به والتمييز بين ما روي عنه من الصحيح والضعيف والصدق والكذب واتباع ذلك دون ما خالفه عملاً بقوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣] وأما أولئك الضلال أشباه المشركين والنصارى فعمدتهم إما أحاديث ضعيفة أو موضوعة أو منقولات عمن لا يحتج بقوله: إما أن تكون كذباً عليه وإما أن يكون غلطاً منه إذ هي نقل غير مصدق عن قائل غير معصوم.

وإن اعتصموا بشيء مما ثبت عن الرسول ﷺ حرَّفوا الكلم عن مواضعه وتمسكوا بمتشابهه وتركوا محكمه كما يفعله النصارى وكما فعل هذا الضال؛ أخذ لفظ الاستغاثة، وهي تنقسم إلى: الاستغاثة بالحي، وبالميت. والاستغاثة بالحي تكون فيما يقدر عليه ومالا يقدر عليه فجعل حكم ذلك كله واحداً ولم يكفه حتى جعل السؤال بالشخص من مسمى الاستغاثة أيضاً، ولم يكفه ذلك حتى جعل الطالب إنما طلب من الله لا منه. فالمستغيث به مستغيث بالله ثم جعل الاستغاثة بالله بكل ميت[1] من

---

(١) كذا في الأصل والمراد أنه جعل الاستغاثة بكل ميت من نبي وصالح جائزة؛ لأنها استغاثة بالله على رأيه.

نبي وصالح جائزة، واحتج على هذه الدعوى العامة الكلية التي أدخل فيها من الشرك والضلال ما لا يعلمه إلا ذو الجلال بقضية خاصة جزئية كسؤال الناس للنبي ﷺ في الدنيا والآخرة أن يدعو الله لهم وتوجههم إلى الله بدعائه وشفاعته. ومعلوم أن هذا الذي جاءت به السنة حق لا ريب فيه.[1] لكن لا يلزم من ذلك ثبوت جميع تلك الدعاوى العامة وإبطال نقيضها؛ إذ الدعوى الكلية لا تثبت بدليل جزئي لا سيما عند الاختلاف والتباين، وهذا كمن يريد أن يثبت حل جميع أنواع الملاهي لكل أحد والتقرب بها إلى الله بكون جاريتين غنتا عند عائشة ـ رضي الله عنها ـ في بيت النبي ﷺ يوم عيد مع كون وجهه كان مصروفاً إلى الحائط لا إليهما، أو يحتج على استماع كل قول بقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾[الزمر: ١٨] ولا يدري أن القول هنا هو القرآن كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون:١٨] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾الآية [الأنعام: ٦٨] وإلا فمسلم لا يسوغ استماع كل قول. ونهي الله عز وجل عن الجلوس مع الخائضين في آياته وخوضهم نوع من القول فقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ

---

(١) طلب الدعاء من المؤمن الحي مشروع بالإجماع ولو من الأعلى للأدنى كما علم النبي ﷺ أمته أن يدعوا الله بأن يؤتيه الوسيلة والفضيلة إلخ وكما قال: ﷺ لعمر: لا تنسنا من دعائك يا أخي. وأما طلب الدعاء من الميت فغير مشروع مطلقاً ولم يطلبه أحد من النبي ﷺ بعد وفاته لا من الصحابة ولا من غيرهم. ومن أدلة ذلك استسقاء عمر والصحابة بالعباس كما في البخاري وغيره، وأما طلب الشفاعة من ﷺ يوم القيامة بعد طلبها من غيره من أولي العزم من الرسل فلا حجة فيه على طلبها في الدنيا وقد غفل المصنف عن هذا هنا، وسيأتي معناه في كلامه.

الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾[الأنعام: ٦٨]، وقال: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ الآية [النساء: ١٤٠] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ الآية [القصص: ٥٥] وهذا الضال يجوز عنده أن يستغاث بالرسول في كل ما يستغاث بالله على معنى أنه وسيلة من وسائل الله تعالى في طلب الغوث، وهذا عنده ثابت للصالحين، وهو ثابت عند هذا الضال بعد موته ثبوتها في حياته؛ لأنه عند الله في مزيد دائم لا ينقص جاهه فدخل عليه الخطأ من وجوه:

(الأول) أنه جعل المتوسل به بعد موته في الدعاء مستغيثاً به وهذا لا يعرف في لغة أحد من الأمم لا حقيقة ولا مجازاً مع دعواه الإجماع على ذلك فإن المستغاث به هو المسؤول المطلوب منه لا المسؤول به.

(الثاني) ظنه أن توسل الصحابة به، في حياته كان توسلاً بذاته لا بدعائه وشفاعته فيكون التوسل به بعد موته كذلك وهذا غلط لكنه يوافقه طائفة من الناس بخلاف الأول فإني ما علمت أحداً وافقه عليه.

(الثالث) أنه أدرج سؤاله أيضاً في الاستغاثة به، وهذا صحيح جائز في حياته وهو قد سوّى في ذلك بين محياه ومماته ﷺ وهنا أصاب في لفظ الاستغاثة لكن أخطأ في التسوية بين المحيا والممات، وهذا ما علمته ينقل عن أحد من العلماء لكنه موجود في كلام بعض الناس مثل الشيخ يحيى الصرصري ففي شعره قطعة منه، والشيخ محمد بن النعمان له

كتاب المشتغيثين بالنبي عليه السلام في اليقظة والمنام، وهذا الرجل قد نقل منه فيما يغلب على ظني. وهؤلاء لهم صلاح ودين لكنهم ليسوا من أهل العلم العالمين بمدارك الأحكام، الذين يؤخذ بقولهم في شرائع الإسلام، ومعرفة الحلال والحرام وليس لهم دليل شرعي ولانقل عن عالم مرضي بل عادة جروا عليها كما جرت عادة كثير من الناس؛ بأنه يستغيث بشيخه في الشدائد ويدعوه. وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم ولهم فضل وعلم وزهد إذا نزل به أمر خطا إلى جهة الشيخ عبدالقادر خطوات معدودة واستغاث به، وهذا يفعله كثير من الناس؛ ولهذا لما نبه من نبه من فضلائهم تنبهوا وعلموا أن ما كانوا عليه ليس من دين الإسلام بل هو مشابهة لعباد الأصنام لكن هؤلاء كلهم من يعد نفي هذا والنهي عنه كفراً[1]. إلا مثل هذا الأحمق الضال، الذي حاق به وبيل النكال، فإنه من غلاة أهل البدع الذين يبتدعون القول، ويكفِّرون من خالفهم فيه كالخوارج والروافض والجهمية، فإن هذا القول الذي قاله لم يوافقه عليه أحد من علماء المسلمين لا الأولين ولا الآخرين، وقد طاف بجوابه على علماء مصر ليوافقه واحد منهم فما وافقوه، وطلب منهم أن يخالفوا الجواب الذي كتبته فما خالفوه، وقد كان بعض الناس يوافقه على جواز التوسل بالنبي الميت لكنهم لم يوافقوه على تسميته استغاثة ولا على كفر من أنكر الاستغاثة به ولا جعل هذا من السب، بل عامتهم وافقوا على منع الاستغاثة به بمعنى أنه يطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله، وما علمت

(١) قوله: «لكن هؤلاء كلهم. . . إلخ» لا يخلو من تحريف، فليتأمل ما أصله.

عالماً نازع في أن الاستغاثة بالنبي وغيره من المخلوقين بهذا المعنى لا تجوز، مع أن قوماً كان لهم غرض وفيهم جهل بالشرع قاموا في ذلك قياماً عظيماً واستغاثوا بمن كان له غرض من ذوي السلطان، وجمعوا الناس وعقدوا مجلساً عظيماً ضل فيه سعيهم، وظهر فيه جهلهم، وخاب فيه قصدهم، وظهر فيه الحق لمن يعاونهم من الأعيان، وتمنوا أن ما فعلوه ما كان؛ لأنه كان سبباً لظهور الحق مع الذي عادوه وقاموا عليه، وسبباً لانقلاب الخلق إليه، وكانوا كالحامل حتفه بظلفه[1] والجادع مارنَ أنفه بكفه، مع فرط تعصبهم وكثرة جمعهم وقوة سلطانهم، ومكايد شيطانهم، وهذه الطريقة التي سلكها هذا وأمثاله هي طريقة أهل البدع الذين يجمعون بين الجهل والظلم فيبتدعون بدعة مخالفة للكتاب والسنة وإجماع الصحابة ويكفرون من خالفهم في بدعتهم كالخوارج المارقين وكذلك الروافض الذين كفَّروا من خالفهم من الصحابة وجمهور المؤمنين حتى كفَّروا أبا بكر وعمر وعثمان ومن والاهم وأئمة السنة والجماعة.

وأهل العلم والإيمان فيهم العلم والعدل والرحمة، فيعلمون الحق الذي يكونون به موافقين للسنة سالمين من البدعة، ويعدلون فيمن خرج عنها ولو ظلمهم كما قال تعالى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ الآية [النساء: ١٣٥] وقال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ الآية [المائدة: ٨] فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفِّرون من خالفهم وإن كان ذلك المخالف يكفِّرهم؛ لأن

---

(١) المثل «كالباحث عن حتفه بظلفه».

الكفر حكم شرعي فليس للإنسان أن يعاقب بمثله كمن كذب عليك وزنى بأهلك ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله؛ لأن الكذب والزنا حرام لحق الله وكذلك التكفير حق لله؛ فلا يكفر إلا من كفَّره الله ورسوله، وأيضاً فإن تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها وإلا فليس كل من جهل شيئاً من الدين يكفر؛ ولهذا لما استحل طائفة من الصحابة والتابعين الخمر كقدامة بن مظعون وأصحابه وظنوا أنها تباح لمن عمل صالحاً على ما فهموه من آية المائدة اتفق علماء الصحابة كعمر وعلي وغيرهما على أنهم يستتابون، فإن أصروا على الاستحلال كفروا، وإن أقروا به جلدوا، فلم يكفِّرهم بالاستحلال ابتداءً لأجل الشبهة التي عرضت لهم حتى يتبين لهم الحق، فإذا أصروا على الجحود كفروا.

وقد ثبت في الصحيحين حديث الذي قال لأهله: إذا أنا مت فاسحقوني ثم ذُرُّوني في اليم، فو الله لئن قَدر الله عليَّ ليُعذِّبني عذاباً ما عذَّبه أحداً من العالمين. فأمر الله البَرَّ فرد ما أَخذ منه؛ وأمر البحر فرد ما أخذ منه وقال: ما حملك على ما فعلت؟ قال: خشيتك يارب، فغفر له. فهذا اعتقد أنه إذا فعل ذلك لا يقدر الله على إعادته، وأنه لا يعيده أوجوز ذلك وكلاهما كفر، لكن كان جاهلاً لم يتبين له الحق بياناً يكفر بمخالفته فغفر الله له.

ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين نفوا أن يكون الله تعالى فوق العرش: أنا لو وافقتكم كنت كافراً لأني أعلم أن قولكم كفر،

وأنتم عندي لا تكفرون لأنكم جهال، وكان هذا خطاباً لعلمائهم وقضاتهم وشيوخهم وأمرائهم.

وهو قد احتج بحديث الأعمى الذي قال: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة. وهذا الحديث لاحجة فيه لوجهين: (أحدهما) أنه ليس هو استغاثة بل توجهاً به (والثاني) أنه إنما توجه بدعائه وشفاعته فإنه طلب من النبي ﷺ الدعاء وقال في آخره: «اللهم، فشفّعه فيّ» فعلم أنه شفع له فتوسل بشفاعته لا بذاته كما كان الصحابة يتوسلون بدعائه في الاستسقاء وكما توسلوا بدعاء العباس بعد مماته. وكذلك في أول الحديث أنه طلب من النبي ﷺ أن يدعو له، فيدل الحديث على أن النبي ﷺ شفع له ودعا له، وأن النبي ﷺ أمره أن يدعو الله تعالى وأن يسأله قبول شفاعته. وقوله: يا محمد، إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه لتُقضَى خطابٌ لحاضر في قلبه؛ كما نقول في صلاتنا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. كما يستحضر الإنسان من يحبه ويبغضه في قلبه ويخاطبه وهذا كثير.

وما ذكره من توسل آدم وحكاية المنصور فجوابها من وجهين: (أحدهما) أن هذا لا أصل له ولا تقوم به حجة ولا إسناد لذلك (والثاني) أنه لم يدل على التوسل بذاته ولا على الاستغاثة، وأما اشتكاء البعير إليه فهذا كاشتكاء الآدمي إليه، وما زال الناس يستغيثون به في حياته كما يستغيثون به يوم القيامة. وقد قلنا: إنه إذا طلب منه ما يليق بمنصبه فهذا لا نزاع فيه والطلب منه في حياته والاستغاثة به في حياته فيما يقدر عليه

لم ينازع فيها أحد. فما ذكره لا يدل على مورد النزاع، ولكن هذا أخذ لفظ الاستغاثة ومعناها العام فجعل يشبه به، وهذا إنما يليق بمن قال: لا يستغيث به أحد حياً ولا ميتاً في شيء من الأشياء، ومعلوم أن العاقل لا يقول هذا في آحاد العامة فضلاً عن الصالحين، فضلاً عن الأنبياء والمرسلين فضلاً عن سيد الأولين والآخرين، فإنه ما من أحد إلا يمكن أن يستغاث به في بعض الأشياء فكيف أفضل الخلق وأكرمهم على الله، ولكن النفي عاد إلى الشيئين: إلى الاستغاثة به بعد الموت وأن يطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

وأما قول هؤلاء الجهال فهو يستلزم الردة عن الدين، والكفر برب العالمين، ولا ريب أن أصل قول هؤلاء هو من باب الشرك بالله الذي هو الكفر الذي لا يغفره الله تعالى فإن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه: ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ الآية [نوح: ٢٣] وقد قال غير واحد من السلف: هذه أسماء قوم صالحين كانوا في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم عبدوهم، وقد ذكروا ذلك بعبارات متقاربة في كتب الحديث والتفسير وقصص الأنبياء كما ذكره البخاري في صحيحه وجماعة من أهل الحديث والتفسير وقصص الأنبياء كما ذكره البخاري في صحيحه وجماعة من أ هل الحديث، وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ الآية [الكهف: ١١٠] فيقول أهل الضلال: هذا يقوله هو نفسه وأما نحن فليس لنا أن نقول: هو بشر، بل نقول: كما قال فلان وفلان. ومن زعم أن محمداً بشر كله

فقد كفر. وهذا يقوله قوم منهم، وهو تشبه بقول النصارى في المسيح، ويقولون: هو ليس بشراً كله بل المسيح عندهم اسم يتناول اللاهوت والناسوت والإلهية والبشرية به جميعاً، وهذا يقوله طائفة من غلاة الصوفية والشيعة، يقولون باتحاد اللاهوت والناسوت في الأنبياء والصالحين كما تقول النصارى في المسيح.

ونحن نعلم بالضرورة أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يشرع لأمته أن يدعوا أحداً من الأموات لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم بلفظ الاستغاثة ولا غيرها كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا إلى ميت ونحو ذلك بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور، وإن ذلك من الشرك الذي حرَّمه الله ورسوله ﷺ ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين لهم ما جاء به الرسول مما يخالفه؛ ولهذا ما بينت هذه المسألة قط لمن يعرف دين الإسلام إلا تفطن لها وقال: هذا أصل دين الإسلام، وكان بعض أكابر الشيوخ العارفين من أصحابنا يقول: هذا أعظم ما بينته لنا؛ لعلمه بأن هذا أصل الدين وكان هذا وأمثاله في ناحية أخرى يدَّعون الإسلام ويدْعون الأموات ويسألونهم ويستجيرون بهم ويفزعون إليهم، وربما كان ما يفعلونه بالأموات أعظم؛ لأنهم إنما يقصدون الميت في ضرورة نزلت بهم فيدعون دعاء المضطر راجين قضاء حاجاتهم بدعائه والدعاء به عند قبره، بخلاف عبادتهم لله ودعائهم إياه فإنهم يفعلون في كثير من الأوقات على

وجه التكلف والعادة حتى إن العدو الخارج عن شريعة الإسلام لما قدم دمشق خرجوا يستغيثون بالموتى عند القبور التي يرجون عندها كشف ضرهم. قال بعض الشعراء

يا خائفين من التتر لوذوا بقبر أبي عمر

أو قال: عوذوا بقبر أبي عمر ينجيكم من الضرر

فقلت لهم: هؤلاء الذين تستغيثون بهم لو كانوا معكم في القتال لانهزموا كما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد فإنه قضي أن العسكر ينكسر لأسباب اقتضت ذلك، ولحكمة كانت لله عز وجل في ذلك، ولهذا كان أهل المعرفة بالدين والمكاشفة لم يقاتلوا في تلك المرة لعدم القتال الشرعي الذي أمر الله به ورسوله، فلما كان بعد ذلك جعلنا نأمر بإخلاص الدين لله والاستغاثة به، وإنهم لايستغيثون إلا إياه، لايستغيثون بملك مقرب ولا نبي مرسل. فلما أصلح الناس أمورهم وصدقوا في الاستغاثة بربهم نصرهم على عدوهم نصراً لم يتقدم نظيره، ولم يهزم التتار مثل هذه الهزيمة قبل ذلك أصلاً لما صح من توحيد الله وطاعة رسوله ما لم يكن قبل ذلك. فإن الله ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد كما قال تعالى في يوم بدر: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ الآية [الأنفال: ٩].

وروي أن النبي ﷺ يوم بدر كان يقول: «يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث» وفي لفظ: «أصلحْ لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي

طرفة عين ولا إلى أحد من خلقك» وهؤلاء يدعون الميت والغائب فيقول أحدهم : بك أستغيث، بك أستجير، أغثنا أجرنا. ويقول: أنت تعلم ذنوبي، ومنهم من يقول للميت: اغفر لي وارحمني وتب علي ونحو ذلك، ومن لم يقله من عقلائهم فإنه يقول: أشكو إليك ذنوبي وأشكو إليك عدوي وأشكو إليك جور الولاة، وظهور البدع، وجدب الزمان وغير ذلك، فيشكو إليه ما حصل من ضرر في الدين أو الدنيا، ومقصوده بالشكوى أن يشكيه فيزيل ذلك الضرر، وقد يقول مع ذلك: أنت تعلم ما نزل بنا من الضرر وأنت تعلم ما فعلته من الذنوب، فيجعل الميت أو الحي الغائب عالماً بذنوب العباد وجزئياتهم التي يمتنع أن يعلمها بشر حي أو ميت[1] ثم منهم من يطلق سؤاله والشكوى ظانا أنه يقضي حاجته كما يخاطب بذلك ربه بناء على أنه يمكنه ذلك بطريق من الطرق، وأنه وسيلة وسبب وإن كان السائل لا يعلم وجه ذلك، وعقلاؤهم يقولون مقصودنا أن يسأل الله لنا ويشفع لنا، ويظنون أنهم إذا سألوه بعد موته أنه يسأل الله لهم فإنه يسأل ويشفع كما يسأل ويشفع لما سأله الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ الاستسقاء وغيره، وكما يشفع يوم القيامة إذا سئل الشفاعة، ولا يعلمون أن سؤال الميت أو الغائب غير مشروع ألبتة ولم يفعلهما أحد من الصحابة بل عدلوا عن سؤاله وطلب الدعاء منه إلى سؤال غيره وطلب الدعاء منه، وأن الرسول ﷺ وسائر الأنبياء والصالحين وغيرهم لا يطلب

---

(١) لخواص مشركي زماننا عبارة مألوفة في ذلك هي قولهم عند القبر: العارف لا يعرف. سمعها بعض أصحابنا من قاض شرعي متوجه إلى القبر الحسيني المزور بمصر بغاية الخشوع.

منه من بعد موته من الأمور ما كان يطلب منه في حياته. والله أعلم. إهـ ملخصاً.

فتأمل -رحمك الله تعالى- كلامه ساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر وسنة بعد سنة لعلك أن تعرف دين الإسلام الذي بعث الله به جميع رسله وأنزل به جميع كتبه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل: ٣٦] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء: ٢٥] وقال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ الآية [الزخرف: ٢٠٠].

ثم تأمل ما ذكره الشيخ - رحمه الله تعالى - من أنواع الشرك الأكبر الذي قد وقع في زمانه لمن يدَّعي العلم والمعرفة وينتصب للفتيا والقضاء، لكن لما نبههم الشيخ على ذلك وبين لهم أن هذا هو الشرك الذي حرمه الله ورسوله تنبهوا وعرفوا أن ما هم عليه شرك وضلال، وانقادوا للحق وأن بعضهم لما بين له ذلك قال: هذا أحسن ما بينته لنا- يتبين لك غربة الإسلام، وهذا مصداق ما تواترت به الأحاديث عن رسول الله أنه قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم» الحديث.

وتأمل أيضاً ما وقع من هذا الرجل وتجويزه الاستغاثة بغير الله، وأنه يجوز الاستغاثة بالنبي ﷺ في كل ما يستغاث الله به، واحتجاجه على ذلك بمتشابه القرآن والسنة ويكفِّر من قال: لا يستغاث إلا بالله، وبالأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، من كشف الشدائد، وإنزال الفوائد.

ثم تأمل رد الشيخ -رحمه الله تعالى- بالآيات المحكمات، والبراهين القاطعات، ومن الأحاديث الصريحات، يتبين لك الأمران هداك الله، وتنزاح عنك الشبهة التي أدخلت كثيراً من الناس النار، وهي الاغترار بما عليه الآباء والأجداد، وما استمر عليه عمل كثير من أهل البلاد.

ومن أعجب ما ذكره الشيخ -رحمه الله تعالى- عن هؤلاء المشركين في زمانه أن أحدهم يسجد للقبر ويستدبر القبلة ويقول أحدهم: القبلة قبلة العامة، وقبر الشيخ فلان قبلة الخاصة، قال رحمة الله عليه: هذا يقوله من هو أكثر الناس عبادة وزهداً وهو شيخ متبوع. قلت كالذي يشاهد اليوم في زماننا يفعل في مشهد علي وغيره من المشاهد والمساجد المبنية على القبور[1] ويجدون عند عبادة القبور من الرقة والخشوع والبكاء أعظم مما يجدون في بيوت الله، بل إذا قام أحدهم في الصلاة بين يدي الله تعالى نقرها نقر الغراب، ومنهم من يحلف بالله اليمين الغموس كاذباً فإذا قيل له: احلف بتربة فلان أو بفلان. أبى أن يحلف كاذباً فيكون فلان أو تربته والشيخ فلان أعظم في صدره من الله (فإنا لله وإنا إليه راجعون) ما أعظمها من مصيبة! تالله إنها فتنة عمَّت فأعمت، وربَت على القلوب والأسماع فأصمَّت.

(١) استقبال القبور عند الدعاء لا يزال كثيراً في جميع البلاد التي بنيت فيها القبور وبنيت عليها المساجد والقباب. وأما استقبالها في الصلاة مع عدم الموافقة لاستقبال القبلة فقليل. أخبرني الشريف محمد شرف عدنان باشا أنه رأى رجلاً يصلي في مسجد الطائف مستقبلاً قبر ابن عباس فظن أنه أعمى فأمر رجلاً بتحويله إلى القبلة فحاول الرجل ذلك فامتنع عليه المصلي وإذا هو بصير متعمد لاستقبال القبر فقال له الشريف: أخرجه من المسجد فإنه مشرك.

وتأمل أيضا -رحمك الله تعالى- قول الشيخ رحمه الله تعالى: وهذا ما علمته ينقل عن أحد من العلماء لكنه موجود في كلام بعض الناس مثل الشيخ يحيى الصرصري والشيخ محمد بن النعمان، وإن هؤلاء وأشباههم ليسوا من أهل العلم العالمين بمدارك الأحكام الذين يؤخذ بقولهم في شرائع الإسلام، ومعرفة الحلال من الحرام، فإن الشيخ يحيى الصرصري الحنبلي في شعره قطعة من دعوة الرسل والاستغاثة بهم كذلك غيره من المصنفين في الزيارة، فإياك أن تغتر بذلك أو تقلدهم في ذلك فإنه ليس لهم في ذلك مستند صحيح لا من كتاب ولا سنة، ولانقل عن عالم مرضي، بل كما قال الشيخ رحمه الله تعالى: عادة جروا عليها فلا يقتدى بهم في ذلك، وإنما يقتدى في الدين بكلام رب العالمين وكلام رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين.

فهل تجد أحد الصحابة أو التابعين لهم بإحسان أتى رسول الله ﷺ بعد موته واستغاث به أو استشفع به إلى ربه، وقال: يا رسول الله، اشفع لي إلى ربك واقض ديني أو فرِّج كربتي أو انصرني أو اغفر لي ذنبي؟ بل جردوا التوحيد لله تعالى وحموا جانبه؛ ولهذا كان عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ وغيره من الصحابة إذا سلم على النبي ﷺ يقف فيقول: السلام عليك يارسول الله، ثم يقف فيقول: السلام عليك يا أبا بكر، ثم يقف فيقول: السلام عليك يا أبت. وإذا أراد أحدهم الدعاء جعل ظهره إلى جدار القبر، واستقبل القبلة اذا أراد أنه يدعو حتى لا يدعو عند القبر. وذكر الإمام أحمد وغيره أنه يستقبل القبلة

ويجعل القبر عن يساره لئلا يستدبره وذلك بعد تحيته والصلاة والسلام عليه، ثم يدعو لنفسه، وذكروا أنه إذا حيَّاه وصلى عليه يستقبل وجهه بأبي هو وأمي ﷺ فإذا أراد الدعاء جعل الحجرة عن يساره واستقبل القبلة ودعا الله.

وذكر أصحاب مالك أنه يدنو من القبر فيسلِّم على النبي ﷺ ثم يدعو مستقبلاً القبلة يوليه ظهره وقيل: لا يوليه ظهره، وإنما اختلفوا لما فيه من استدباره ﷺ فأما إذا جعل الحجرة عن يساره فقد زال المحذور بلا خلاف وقال مالك في المبسوط: لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ ولكن يصلي ويسلم. فهذا هو هدي السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان والأئمة الأربعة، وما أحسن ماقال الإمام مالك رحمه الله تعالى: لن يصلح آخرهذه الأمة إلا ما أصلح أولها، ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم عوضوا عن ذلك بما أحدثوا من البدع والشرك وغيره؛ ولهذا كرهت الأئمة استلام القبر وتقبيله وبنوا بناء منعوا الناس أن يصلوا إليه. والله أعلم.

وتأمل أيضاً قول الشيخ -رحمه الله تعالى- في آخر الكلام: ولا ريب أن أصل قول هؤلاء هو الشرك الأكبر والكفر الذي لايغفره الله إلا بالتوبة منه، وإن ذلك يستلزم الرِّدة عن الدين، والكفر برب العالمين. كيف صرح بكفر من فعل هذا أوردته عن الذين إذا قامت عليه الحجة من الكتاب والسنة ثم أصر على فعل ذلك؟ وهذا لا ينازع فيه من عرف دين الإسلام الذي بعث الله به رسوله محمداً ﷺ. والله أعلم.

فصـــل

وقال في الإقناع وشرحه: (باب حكم المرتد) وهو الذي يكفر بعد إسلامه نطقاً أو اعتقاداً أو شكاً أو فعلاً ولو مميزاً فتصح ردته كإسلامه لا مكرها لقوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾[النحل: ١٠٦] ولو هازلاً لعموم قوله تعالى: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾ا لآية [المائدة:٥٤] وأجمعوا على وجوب قتل المرتد فيمن أشرك بالله تعالى وكفر بعد إسلامه لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[النساء: ١١٦] أوجحد ربوبيته أو وحدانيته كفر؛ لأن جاحد ذلك مشرك بالله تعالى، أو جحد صفة من صفاته أو اتخذ له صاحبة أو ولداً كفر، أو ادَّعى النبوة أو صدّق من ادعاها بعد النبي ﷺ كفر، لأنه مكذب لقوله تعالى: ﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] أو جحد نبياً أو كتاباً من كتب الله أو شيئاً منه، أوجحد الملائكة أو واحداً ممن ثبت أنه ملك كفر لتكذيبه القرآن، أوجحد البعث كفر، أو سب الله ورسوله كفر، أو استهزأ بالله وكتبه أو رسله كفر، لقوله: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ﴾ الآية [التوبة: ٦٥].

قال الشيخ: أو كان مبغضاً لرسوله أو لما جاء به اتفاقاً أو جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر إجماعاً؛ لأن ذلك كفعل عابدي الأصنام قائلين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[الزمر: ٣] أو أتى بقول أو فعل صريح في الاستهزاء بالدين الذي

شرعه الله كفر للآية السابقة، أو سخر بوعد الله أو وعيده فهو كافر؛ لأنه كالاستهزاء بالله، أو لم يكفِّر من دان بغير الإسلام، أو شك في كفرهم، إلى أن قال: ومن قال: أنا محتاج إلى محمد ﷺ في علم الظاهر دون علم الباطن أو قال: إن من الأولياء من يسعه الخروج عن شريعته كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر، ومن سب الصحابة رضي الله عنهم أو واحداً منهم واقترن بسبه دعوى أن علياً إله أو أن جبريل غلط فلا شك في كفر هذا بل لاشك في كفر من توقف في تكفيره، وأما من لعن أو قبَّح مطلقاً فهذا محل الخلاف توقف أحمد في تكفيره وقتله.

ويحرم تعلم السحر وتعليمه وفعله وهو عقد ورقى وكلام يتكلم به، أو يكتبه أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور أو عقله أو قلبه من غير مباشرة، وله حقيقة فمنه ما يقتل ومنه ما يمرض ومنه ما يأخذ الرجل عن امرأته ومنه ما يفرق بين المرء وزوجته ومنه ما يبغض أحدهما إلى الآخر ويحبب بين اثنين، ويكفر بتعلُّمه وفعله سواء اعتقد تحريمه أو إباحته كالذي يركب الجماد من مكة وغيرها فيطير به في الهواء.

وأمَّا الذي يعزم على الجن ويزعم أنه يجمعها فتطيعه فلا يكفر ويعزر تعزيراً بليغاً دون القتل وكذلك الكاهن والعرَّاف- والكاهن هو الذي له رئيّ من الجن يأتيه بالأخبار، والعرَّاف الذي يخرص كالمنجِّم- والضارب بحصى أو شعير والنظر في ألواح الأكتاف إذا لم يعتقد إباحته وأنه لا يعلم به الأمور المغيبة عزر ويكف عنه وإلا كفر، وقال في شرحه عند قوله

أنا محتاج إلى محمد في عالم الظاهر . . . إلخ . قال : وقد عمَّت به البلوى في زمنه في مصر والشام . والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين ، صلاة وسلاماً دائمين متلازمين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، آمين .

كتب في آخر النسخة التي طبعنا عنها ما نصه

تم نقل ذلك من نسخة ما عليها أثر تصحيح وفيها تحريف

وبعض الغلط وذلك في سنة ١٣٤٥ بقلم الفقير إلى

الله عبد الله بن إبراهيم الربيعي غفر

الله له ولوالديه ولمشايخه

ولجميع المسلمين

آمين

كتاب

قرة عيون الموحِّدين
في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين

وهو تعليق للعلامة الشيخ عبدالرحمن ابن الشيخ
حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب

على كتاب التوحيد

لجده المذكور
سمّاه نجله العلامة الشيخ عبداللطيف بهذا الاسم
وهو خاتم مجموعة التوحيد النجدية

قد وضعنا عبارة الأصل بين هلالين أو علامتين لتمييزها وأشرنا في ذيل
الصحائف إلى أرقامها لتسهيل مراجعتها

فهرس مفصل لكتاب قُرَّة عيون الموحدين

صفحة

صفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وأعن يا كريم

قوله في كتاب التوحيد: (بسم الله الرحمن الرحيم): الكلام على البسملة بيِّن مذكور في الشرح، والبداءة بها سنة كما فعل البخاري وغيره من العلماء اتباعاً للسنة في مراسلات النبي ﷺ للملوك وغيرهم، وفي الأمر بالبداءة بها حديث.

(قوله: كتاب التوحيد): المراد بالتوحيد توحيد العبادة وكل رسول يفتتح دعوته لقومه بهذا التوحيد ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[الأعراف: ٨٥] كما في سورة الأعراف وهود وغيرهما.

قوله: وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [البقرة: ٢٠٠] . دلت الآية على أن الله تعالى خلق الخلق لحكمة عظيمة وهي القيام بما وجب عليهم من عبادته وحده بترك عبادة ما سواه، ففَعَل الأول وهو خلقهم ليفعلوا هم الثاني وهي العبادة. قال شيخ الإسلام: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. وقال أيضاً. والعبادة اسم يجمع كمال الحب لله ونهايته وكمال الذل لله ونهايته، فالحب الخلي عن ذل والذل الخلي عن حب لا يكون عبادة وإنما العبادة، ما يجمع كمال الأمرين. وقال أيضاً: وأما ما خلقوا له من محبة الله تعالى ورضاه فهو إرادته الدينية فذلك مذكور في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦] .

قوله: وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل: ٣٦] يخبر تعالى أنه بعث في كل قرن وطائفة من الأمم رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة ما زينه الشيطان لهم وأوقعهم فيه من عبادة ما سواه فمنهم من هدى الله ووحد الله تعالى بالعبادة وأطاع رسله، ومنهم من حقَّت عليه الضلالة فأشرك مع الله غيره بعبادته ولم يقبل هدى الله الذي جاءت به الرسل كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وهذا التوحيد الذي خُلقوا له ودعوا إليه هو توحيد الإلهية توحيد القصد والطلب، وأما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الأفعال فهو توحيد العلم والاعتقاد، وأكثر الأمم قد أقرُّوا به لله، وأما توحيد الإلهية فأكثرهم قد جحدوه كما قال تعالى عن قوم هود لما قال لهم: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[المؤمنون: ٣٢] ﴿قالوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ﴾[الأعراف: ٧٠] وقال مشركو قريش: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[ص: ٥٠] وهذه الآية وهي قوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل: ٣٦] وهذه الآية[1] تبين معنى الآية قبلها وكذلك الآيات بعدها[2]، وإن المراد بالعبادة التي خلقوا لها هي العبادة الخالصة التي لم يلبسها شرك بعبادة شيء سوى

---

(١) هذا تكرار يحسن مثله إذا طال الفصل بين المسند والمسند إليه.

(٢) قوله: «قبلها . . . إلخ» يعني قبلها وبعدها في كلام المتن.

الله كائنًا ما كان، فلا تصح الأعمال إلا بالبراءة من عبادة كل ما يُعبد من دون الله. والله تعالى خلق الثقلين ليعبدوه فمنهم من فعل، ومنهم من أشرك وكفر. كما قال تعالى في هذه الآية: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾[النحل: ٣٦] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[النساء: ٦٤] يبين أن حكمة الرب في خلقه للجن والإنس لا تقتضي أن كلاً يفعل ماخلق له وأرسلت الرسل لأجله ولهذه الحكمة أهلك الله من لم يعبده وحده ولم يقبل ما جاءت به رسله، وشرع قتالهم لنبيه ﷺ وأتباعه فمنهم من أطاع وهم الأقلون، ومنهم من عصى وهم الأكثرون.

وهذا التوحيد هو دين الإسلام الذي لايقبل الله من أحد ديناً سواه كما قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف عليهم السلام: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠] وهذا هو الدين الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، وأمر الرسل أن يقيموه، كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[الشورى: ١٣] وقال نبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾ [الرعد: ٣٦] فأمره أن يعبده وحده وأن يدعو الأمة إلى ذلك، والقرآن كله في هذا التوحيد وبيانه وجزائه والرد على من جحده كما قال تعالى: ﴿قَدْ

جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

وفي حديث معاذ الذي رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح قال: «قلت يا رسول الله، دلَّني على عمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار. فقال: سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسَّره الله عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان ـ وذكر الحج ـ ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله» فدل على أن الإسلام هو التوحيد والفرائض من حقوقه، وقد أجمع الفقهاء على أن الإسلام شرط لصحة الصلاة وغيرها من الأعمال، وهو مقتضى الشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله. فمعنى شهادة أن لا إله إلا الله نفي الشرك، والبراءة منه وممن فعله، وإخلاص العبادة لله وحده، والإيمان بالرسول وطاعته. وهو معنى الآية الثالثة وهي قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] أي: أمر ووصَّى، فقوله: ﴿ألا تعبدوا﴾ فيه معنى (لا إله) وقوله: ﴿إلا إياه﴾ فيه معنى (إلا الله) وهذا هو معنى كلمة الإخلاص كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ

﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ ولا نُشرك به شَيْئاً﴾ [آل عمران: ٦٤] فقوله: ﴿ألا نعبد﴾ فيه معنى (لا إله)، وقوله: ﴿إلا الله﴾ هو المستثنى في كلمة الإخلاص. فسبحان الله! كيف خفي هذا مع بيانه ووضوحه على الأذكياء من متأخري هذه الأمة؟

قال: وقول الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦]. وهذه الآية تبين العبادة التي خلقوا لها أيضاً، فإنه تعالى قرن الأمر بالعبادة التي فرضها بالنهي عن الشرك الذي حرمه وهو الشرك في العبادة، فدلت هذه الآية على أن اجتناب الشرك شرط في صحة العبادة فلا تصح بدونه أصلاً كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٥، ٦٦] فتقديم المعمول يفيد الحصر، أي: بل الله فاعبده وحده لا غيره كما في فاتحة الكتاب ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] وقرر تعالى هذا التوحيد بقوله: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١] والدين هو العبادة بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:

والأمر والنهي الذي هو دينه   وجزاؤه يوم المعاد الثاني

وتقدم أن أصله وأساسه توحيد العبادة فلا تغفل عما تقدم.

قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: ١٥١] أي: حرم عليكم الشرك الذي نهاكم عنه بقوله: ﴿أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ فالشرك أعظم ذنب عصي الله به أكبره وأصغره.

وقد وقع الأكثر من متأخري هذه الأمة في هذا الشرك الذي هو أعظم المحرمات، كما وقع في الجاهلية قبل مبعث النبي ﷺ عبدوا القبور والمشاهد والأشجار والأحجار والطواغيت والجن، كما عبد أولئك اللات والعُزَّى ومناة وهُبَل وغيرها من الأصنام والأوثان، واتخذوا هذا الشرك ديناً ونفروا إذا دعوا إلى التوحيد أشد نفرة واشتد غضبهم لمعبوداتهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦] وقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات ٣٥، ٣٦] علموا أن (لا إله إلا الله) تنفي الشرك الذي وقعوا فيه، وأنكروا التوحيد الذي دلت عليه فصار أولئك المشركون أعلم بمعنى هذه الكلمة (لا اله الا الله) من أكثر متأخري هذه الأمة، لا سيما أهل العلم منهم الذين لهم دراية في بعض الأحكام وعلم الكلام فجهلوا توحيد العبادة فوقعوا في الشرك المنافي له وزيّنوه، وجهلوا توحيد الأسماء والصفات وأنكروه، فوقعوا في نفيه أيضاً وصنفوا فيه الكتب؛ لاعتقادهم أن ذلك حق وهو باطل،

وقد اشتدت غربة الإسلام حتى عاد المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، فنشأ على هذا الصغير، وهرم عليه الكبير، وقد قال النبي ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ» وقد قال ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة. قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»، وهذا الحديث قد صُحح من طرق كما ذكره العماد ابن كثير وغيره من الحفاظ وهوفي السنن وغيرها، ورواه محمد بن نصر في كتاب (الاعتصام)، وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ بعد القرون الثلاثة.

فلهذا عمَّ الجهل بالتوحيد الذي هو أصل دين الإسلام، فإن أصله ألا يعبد إلا الله وألا يعبد إلا بما شرع، وقد تُرك هذا وصارت عبادة الأكثرين مشوبة بالشرك والبدع، لكن الله تعالى وله الحمد لم يُخْل الأرض من قائم له بحججه، وداع إليه على بصيرة، لكيلا تبطل حجج الله وبيناته التي أنزلها على أنبيائه ورسله، فله الحمد والشكر على ذلك.

وأما قول عبد الله بن مسعود: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً﴾ الآية [الأنعام: ١٥٣].

قوله: التي عليها خاتمه، شبه هذه الوصية بوصية كتبت فختمت أي: فلم تغير ولم تبدل، أراد أن النبي ﷺ لم يزل يدعو الأمة من حين بعثه الله

تعالى إلى أن توفاه - صلوات الله وسلامه عليه- إلى ما تضمنته هذه الآيات المحكمات أمراً ونهيا كما قال تعالى عن خليله عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ الآيات [البقرة: ١٣٢].

قوله: وعن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟ فساقه المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ هنا لتضمنه معنى الآيات التي تقدمت وذلك قوله: «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً» قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:

حق الإله عبادة بالأمر لا ... بهوى النفوس فذاك للشيطان
من غير إشراك به شيئاً هما ... سبب النجاة فحبذا السببان
لم ينج من غضب الإله وناره ... إلا الذي قامت به الأصلان
والناس بعد فمشرك بإلهه ... أو ذو ابتداع أو له الوصفان

وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً. ليس على الله حق واجب بالعقل كما تزعم المعتزلة، لكنْ هو سبحانه أحق ذلك على نفسه تفضلاً وإحساناً على الموحدين المخلصين الذين لم يلتفتوا في

إرادتهم ومهماتهم ورغباتهم ورهبانهم إلى أحد سواه، ولم يتقربوا بما يقولونه ويعملونه من الطاعات إلا إليه وحده. والله أعلم.

(قوله: باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب): الباب هو: المدخل إلى الشيء. قوله: (وما يكفر من الذنوب) (ما) مصدرية أي: وتكفيره الذنوب. ويجوز أن تكون موصولة والعائد محذوف أي: والذي يكفره من الذنوب[1]. والمراد بالتوحيد توحيد العبادة وهو إفراد الله تعالى بأنواع العبادة الباطنة والظاهرة كالدعاء والذبح والنذر ونحوه كما قال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر:١٤] وقال تعالى: ﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥].

قوله: وقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[الأنعام: ٨٢].

واللبس: الخلط، والمراد بالظلم هنا الشرك الأكبر لما ثبت في حديث ابن مسعود وغيره مرفوعاً: «إنما هو الشرك، ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]» أراد أن من لم يجتنب الشرك لم يحصل له أمن ولا اهتداء بالكُلِّية. وأما من سلم منه فيحصل له من الأمن والاهتداء بحسب مقامه في الإسلام والإيمان فلا يحصل الأمن التام والاهتداء التام إلا لمن لم يلق الله بكبيرة مصراً عليها، وأما إن كان للموحد ذنوب لم يتب منها حصل له من الأمن

(١) هذا هو المراد بدليل بيان الإبهام في الموصولة بقوله: من الذنوب، والمصدرية ليست مبهمة.

والاهتداء بحسب توحيده وفاته منه بقدر معصيته كما قال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢] فالظالم لنفسه هو الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فهو تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء أخذه بذنبه ونجاّه بتوحيده من الخلود في النار. وأما المقتصد فهو الذي عمل بما أوجب الله عليه وترك ما حرم عليه فقط وهذه حال الأبرار. وأما السابق فهو الذي حصل له كمال الإيمان باستفراغه وسْعَه في طاعة الله علماً وعملاً، فهذان لهم الأمن التام والاهتداء التام في الدنيا والآخرة، فالكل للكل والحصة للحصة؛ لأن كمال الإيمان يمنع صاحبه من المعاصي وعقوباتها فلم يلق ربه بذنب يعاقب له كما قال تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧] وهو الذي ذكرته في معنى هذه الآية هو ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ وابن القيم ـ رحمه الله ـ في معناها، وهو الذي دل عليه القرآن وهو قول أهل السنة والجماعة خلافاً لأهل البدع من الخوارج والمعتزلة ونحوهم.

قوله: (عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال[1]: قال رسول الله ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل».

---

(١) الحديث في الصفحة (٢١) من كتاب التوحيد.

قوله: (من شهد) لا ريب أن الشهادة لا تكون شهادة إلا إذا كانت عن علم ويقين وصدق، وأما مع الجهل والشك فلا تعتبر ولا تنفع، فيكون الشاهد والحالة هذه كاذباً لجهله بمعنى الذي شهد به. وقد تضمنت هذه الكلمة العظيمة نفياً وإثباتًا فنفت الإلهية عن كل ما سوى الله بقولك: (لا إله) وأثبتت الإلهية لله وحده بقولك: (إلا الله) قال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨] فكم ضلَّ بسبب الجهل بمعناها من ضل وهم الأكثرون! فقلبوا حقيقة المعنى فأثبتوا الإلهية المنفية لمن نفيت عنه من المخلوقين أرباب القبور والمشاهد والطواغيت والأشجار والأحجار والجن وغير ذلك، واتخذوا ذلك دينا وشبهوا وزخرفوا، واتخذوا التوحيد بدعة وأنكروه على من دعاهم إليه، فلم يعرفوا منها ما عرف أهل الجاهلية من كفار قريش ونحوهم[1] فإنهم عرفوا معناها وأنكروا ما دلت عليه من الإخلاص كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ

(١) سبب ذلك أن عرب الجاهلية هم أهل لغة القرآن الفصحاء فلا يجهلون شيئاً من معنى التوحيد الذي قرره. وأما هؤلاء الذين فشا فيهم شرك العبادة فليسوا من أهل ملكة هذه اللغة وإنما يدينون بالاصطلاحات التي تلقاها بعضهم من بعض من كلامية وعامية، وإذا كان مثل الفخر الرازي من أكبر أئمة متكلميهم وأصوليهم أخطأ في فهم معنى الإله في تفسير ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ [الأعراف: ١٣٨] فما الظن بمن دونه من علمائهم دع عامهم ودهماءهم؟ هل يستغرب منهم الجهل بأن من دعا ميتاً أو صالحاً حياً فيما لا يُدعى فيه إلا الله أو طاف بقبره ونذر له يكون عابداً له ومتخذاً له إلها؟

اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦] والمشركون من أواخر هذه الأمة أنكروا ما أنكره أولئك على من دعاهم إلى ترك عبادة ما كانوا يعبدونه من دون الله من القبور والمشاهد والطواغيت ونحوها فأولئك عرفوا هذا المعنى وأنكروه، وهؤلاء جهلوا هذا المعنى وأنكروه؛ لهذا تجده يقول: لا إله إلا الله، وهو يدعو مع الله غيره.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: الإله هو الذي تألهه القلوب محبة وإجلالاً، وإنابة وإكراماً، وتعظيماً وذلاً، وخضوعاً وخوفاً، ورجاءً وتوكلاً.

وقال الوزير أبو المظفر - رحمه الله تعالى - في (الإفصاح) قوله: شهادة أن لا إله إلا الله يقتضي أن يكون الشاهد عالماً بأن لا إله إلا الله كما قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] قال: واسم الله مرتفع بعد (إلا) من حيث أنه الواجب له الإلهية فلا يستحقها غيره سبحانه. قال: وجملة الفائدة في ذلك أن تعلم أن هذه الكلمة مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، فإنك لما نفيت الإلهية وأثبت الإيجاب لله كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله.

وقال ابن رجب - رحمه الله تعالى -: الإله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالاً، ومحبةً، وخوفاً، ورجاءً، وتوكلاً عليه، وسؤالاً منه، ودعاءً له ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل، فمن أشرك مخلوقاً في

شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان قدحاً في إخلاصه في قول (لا إله إلا الله) وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك.

وقال البقاعي: (لا إله إلا الله) أي: انتفى نفياً عظيماً أن يكون معبود بحق غير الملك الأعظم، قال: وهذا العلم هو من أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة، وإنما يكون علماً إذا كان نافعاً، وإنما يكون نافعاً إذا كان مع الإذعان والعمل بما تقتضيه وإلا فهو جهل صرف.

قلت: وهؤلاء المتأخرون جهلوا معنى الإله وقلبوا حقيقة المعنى إلى معنى توحيد الربوبية وهو القدرة على الاختراع فأثبتوا ما نفته (لا إله إلا الله) من الشرك وأنكروا ما أثبتته من إخلاص العبادة لله جهلاً منهم وقد قال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢] قال محيي الدين النووي: اعلم أن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضُيِّع من أزمان متطاولة ولم يبق في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جدًا وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه وإذا كثر الخبث عمَّ العقاب الصالح والطالح.

قوله: في هذه الأزمان يعني القرن الخامس والسادس، وإذا كان كذلك فما الظن بالقرن العاشر وما بعده وقد استحكم فيها الغربة؟ ولشيخنا محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير هذه الكلمة كلام بديع واضح لم يسبق إلى مثله فليراجع لمسيس الحاجة إليه.

قوله في الحديث: «وحده لا شريك له»[1] تأكيد لمعنى (لا إله إلا الله)

---

(١) أي: حديث عبادة بن الصامت الذي هو بصدد التعليق.

الذي دلت عليه ووضعت له من باب اللف والنشر المقدم والمؤخر وهو بيان لمعنى هذه الكلمة؛ لأنها دلت بجملتها على التوحيد فـ (لا إله) تنفي الشرك في العبادة قليله وكثيرة وبينه بقوله: (لاشريك له) في إلهيته وهي العبادة.

وقوله: «وحده» هو معنى (إلا الله) فهو الإله الحق وحده دون كل ما سواه من أهل السموات والأرض كما دلت على ذلك الآيات المحكمات ومتواتر الأحاديث فتدبر هذا البيان يطلعك على بطلان قول من يقول بجواز دعوة غير الله، والله تعالى يقول لنبيه: ﴿فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣] وغيرها من الآيات الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى، فقوله: (وحده) تأكيد للإثبات وقوله: (لا شريك له) تأكيد للنفي.

وقوله: «وأن محمداً عبده ورسوله» أي: وشهد أن محمداً عبده ورسوله أي: بصدق ويقين، وذلك يقتضي اتباعه وتعظيم أمره ونهيه ولزوم سنته ﷺ وأن لا تعارض بقول أحد؛ لأن غيره ﷺ يجوز عليه الخطأ والنبي ﷺ قد عصمه الله تعالى وأمرنا بطاعته والتأسي به والوعيد على ترك طاعته بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ الآية [الأحزاب: ٣٦] وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

وقد وقع من التفريط في المتابعة وتركها وتقديم أقوال من يجوز عليهم الخطأ على قوله ﷺ لا سيما من العلماء كما لا يخفى[1].

قوله: «وأن عيسى عبد الله ورسوله» فيه بيان الحق الذي يجب اعتقاده كما في الآيات المحكمات وما فيها من الرد على كفار النصارى وهم ثلاث طوائف: طائفة قالوا: إن عيسى هو الله، وطائفة قالوا: ابن الله، وطائفة قالوا: ثالث ثلاثة، يعنون عيسى وأمه. فبين تعالى في كتابه الحق وأبطل الباطل فقال: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ [النساء: ١٧١] والآيات بعدها، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧] في مواضع من سورة المائدة، وأخبر تعالى عما قاله المسيح عليه السلام وهو في المهد فقال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ

---

(١) قوله: (وقد وقع... إلخ) سقط منه فاعل «وقع»، ولعله: «كثيرون لا سيما من العلماء»... إلخ.

وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [مريم: ٢٧ - ٣٨] فبين تعالى الصراط المستقيم الذي من سلكه نجا ومن خرج عنه هلك وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٩، ٦٠] فبين تعالى الصراط المستقيم بياناً شافياً ووافياً وأقام حججه على توحيده فأحق الحق وأبطل الباطل ولو كره المشركون.

قوله: «وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه» أي قوله: (كن) فخلقه (بكن) فكان، ففيه إثبات صفة الكلام لله تعالى خلافاً للجهمية أيضاً.

قوله: «وروح منه» أي: من الأروح التي استخرجها من صلب آدم عليه السلام وأخذ عليها العهد على أنه تعالى ربهم وإلههم كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ الآيات [الأعراف: ١٧٢]. وروح عيسى من تلك الأرواح التي خلقها الله تعالى، وذكر ابن جرير عن وهب ابن منبه قال: نفخ جبريل في جيب درع مريم حتى وصلت النفخة إلى الرحم فاشتملت. وعن السدي أن النفخة دخلت في صدرها فحملت، وقال ابن جريج: يقولون: إنما نفخ في جيب درعها وكما انتهى مختصراً فجبريل نفخ والله خلق بقول (كن) فكان كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] فسبحان من لا يخلق غيره ولا يعبد سواه! وقد أورد بعض النصارى على بعض علماء المسلمين قول الله تعالى: (وروح منه) فقال في الجواب: هذا ليس خاصًا بعيسى - عليه السلام - بل المخلوقات كذلك كلها كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] أي: خلقاً وإيجاداً، وعيسى كذلك خلقه وأوجده كسائر مخلوقاته، وفي هذا الحديث الرد على اليهود أعداء الله وأعداء أنبيائه ورسله فإنهم كانوا هم والنصارى في طرفي نقيض فنسبوه إلى أنه ولد بغي - قاتلهم الله - فأكذبهم الله تعالى في كتابه وأبطل قولهم كما أبطل قول الغلاة من النصارى فيما تقدم من الآيات ونحوها.

فالنصارى غلوا في عيسى بن مريم - عليه السلام - أعظم الغلو والكفر والضلال، واليهود جفوا في حقه غاية الجفاء، وكلاهما قد ضل ضلالاً بعيداً؛ نبه الله تعالى في مواضع كثيرة من كتابه، وبين تعالى الحق والصدق ورفع قدر المسيح - عليه السلام - وجعله من أولي العزم الخمسة المذكورين في سورة الأحزاب والشورى وأمر نبيه ﷺ أن يصبر كما صبروا فقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] فهم أفضل الرسل على التحقيق والنبي ﷺ أفضلهم صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

قوله: «وإن الجنة حق» أعدها الله للمؤمنين يوم القيامة وما فيها من القصور والثمار والفواكه والنعيم المقيم والنظر إلى وجه الله الكريم كما

قال تعالى: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] وقال: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] «والنار حق» أعدها الله تعالى لمن كفر به وأشرك في إلهيته وربوبيته وألْحَد في أسمائه وصفاته. ومن لم يؤمن بالجنة والنار فقد كفر بالقرآن والرسل، فإن الله تعالى بين الجنة وما فيها أعد من النعيم المقيم، وذكر أنها دار المتقين وذكر النار وما فيها من العذاب وأنه أعدها لمن كفر به وأشرك.

قوله: «أدخله الله الجنة على ما كان من العمل» جواب (مَنْ) الشرطية أي: من شهد أن لا إله إلا الله . . . إلى آخره أدخله الله الجنة، أي: بإخلاصه وصدقه والإيمان برسوله وما أرسل به وخالف النصارى واليهود في الغلو والجفاء في حق عيسى وعلم يقيناً أنه عبد الله ورسوله وآمن بالجنة والنار، فمن كان ذلك أدخله الله الجنة وإن كان مقصراً وله ذنوب فهذه الحسنة العظيمة ترجح بجميع السيئات فتدبر هذا الحديث فإنه عظيم. والله أعلم.

قوله: (ولهما في حديث عتبان فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)[١].

قوله: ولهما أي البخاري ومسلم وهذا حديث طويل اختصره المصنف وذكر منه ما يناسب الترجمة وهو قوله: «من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» وهذا هو حقيقة معناها الذي دلت عليه هذه الكلمة

(١) هو في ص (٢١) من كتاب التوحيد.

من الإخلاص ونفي الشرك، والصدق والإخلاص متلازمان لا يوجد أحدهما بدون الآخر فإن من لم يكن مخلصا فهو مشرك ومن لم يكن صادقاً فهو منافق، والمخلص أن يقولها مخلصاً الإلهية لمن لا يستحقها غيره وهو الله تعالى، وهذا التوحيد هو أساس الإسلام الذي قال الخليل عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] وقالت بلقيس: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤] وقال الخليل عليه السلام: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[الأنعام: ٧٩] والحنيف هو الذي ترك الشرك رأسًا وتبرأ منه وفارق أهله وعاداهم وأخلص أعماله الباطنة والظاهرة لله وحده كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢] فإسلام الوجه هو إخلاص العبادة المنافي للشرك والنفاق، وهو معنى الآية ونحوها إجماعاً، فهذا هو الذي ينفعه قوله: (لا إله إلا الله) ولهذا قال تعالى: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢] وهذا بخلاف من يقولها وهو يدعو غير الله ويستغيث به من ميت أو غائب لا ينفع ولا يضر كما ترى عليه أكثر الخلق، فهؤلاء وإن قالوها فقد تلبسوا بما يناقضها فلا تنفع قائلها إلا بالعلم بمدلولها نفياً وإثباتاً، والجاهل بمعناها وإن قالها لا تنفعه لجهله بما وضعت له الوضع العربي الذي أريد منها من نفي الشرك، وكذلك إذا عرف معناها بغير تيقُّن له فإذا انتفى اليقين وقع الشك.

ومما قيدت به في الحديث قوله ﷺ: «غير شاك» فلا تنفع إلا من قالها بعلم ويقين لقوله صدقاً من قلبه خالصاً من قلبه، وكذلك من قالها غير صادق في قوله فإنها لاتنفعه لمخالفة القلب اللسان كحال المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، وكذلك حال المشرك فلا تقبل من مشرك لمنافاة الشرك للإخلاص ولما دلت عليه هذه الكلمة مطابقة فإنها دلت على نفي الشرك والبراءة منه والإخلاص لله وحده لا شريك له مطابقة، ومن لم يكن كذلك لم ينفعه قوله: (لا إله إلا الله) كما هو حال كثير من عبدة الأوثان يقولون: لا إله إلا الله وينكرون ما دلت عليه من الإخلاص ويعادون أهله وينصرون الشرك وأهله، وقد قال الخليل عليه السلام لأبيه وقومه: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٣٠] وهي (لا إله إلا الله) وقد عبر عنها الخليل بمعناها الذي وضعت له ودلت عليه وهو البراءة من الشرك وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له كما تقدم تقريره، وكذلك من قالها ولم يقبل ما دلت عليه من الإخلاص كما قوله لهذه الكلمة كذباً منه بل قد عكس مدلولها فأثبت ما نفته من الشرك ونفى ما أثبتته من الإخلاص.

فهذا الذي ذكرناه هو حال الأكثرين من هذه الأمة بعد القرون الثلاثة، وسبب ذلك الجهل بمعناها واتباع الهوى فيصدفه عن اتباع الحق وما بعث الله به رسله من توحيده الذي شرعه لعباده ورضيه لهم.

قوله: (عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: «قال موسى عليه السلام: يارب، علِّمني شيئاً أذكرك وأدعوك به. قال: قل يا موسى: «لا إله إلا الله». قال: يارب، كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى، لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله» رواه ابن حبان والحاكم وصححه الترمذي وحسنه)[1] فـ (لا) نافية للجنس نفياً عامّاً إلا ما استثني وخبرها محذوف تقديره: لا إله حق إلا الله. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢] فإلهيته تعالى هي الحق وكل ما سواه من الآلهة فإلهيته باطلة كما في هذه الآية ونظائرها. فهذه كلمة عظيمة هي العروة الوثقى كلمة التقوى وكلمة الإخلاص، وهي التي قامت بها السموات والأرض، وشرعت لتكميلها السنة والفرض، ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وبها ظهر الفرق بين المطيع والعاصي من العباد. فمن قالها وعمل بها صدقاً وإخلاصاً، وقبولاً ومحبة وانقياداً، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل، وفي الحديث الصحيح: «أفضل الدعاء يوم عرفه، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير». وفي حديث عبدالله بن عمرو مرفوعاً: «يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينتشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر ثم يقال: أتنكر من هذا شيئا؟ فيقول: لا يا

---

(١) هو في ص ٢١ أيضاً.

رب. فيقال: ألك عذر أو حسنة؟ فيهاب الرجل فيقول: لا. فيقال: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك، فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: يارب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تُظلم. فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة» رواه الترمذي وحسنه.

قوله: لو أن السموات السبع وعامرهن غيري، أي: كل من في السموات والأرض وقوله: (غيري) استثني ممن في السموات نفسه؛ لأنه العلي الأعلى تعالى وتقدس كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] علو القهر وعلو القدرة وعلو الذات، فالثلاثة كلها صفته ودلت على كماله كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ الآية [الفرقان: ٥٩] في سبعة مواضع في كتابه، كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] وقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] وقال تعالى﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وأمثال هذه الآيات. فمن سلب علو الله تعالى على خلقه فقد خالف صريح الكتاب والسنة وألحد في أسمائه وصفاته، ومعنى هذه الكلمة نفي الإلهية عن كل شيء سوى ما استثني بها وهو الله تعالى وفيه النص على

أن الأرضين سبع كالسموات. لكن هذه الكلمة العظيمة لا يحصل رجحانها إلا في حق من أتى بقيودها التي قيدت بها في الكتاب والسنة، وقد ذكر سبحانه في سورة (براءة) وغيرها كثيراً ممن يقولها ولم ينفعهم قولها كحال أهل الكتاب والمنافقين على كثرتهم وتنوّعهم في نفاقهم فلم تنفعهم مع ما قام بهم من ترك تلك القيود، فمنهم من يقولها جاهلاً بما وضعت له وبما دلت عليه من نفي الشرك والبراءة منه والصدق والإخلاص وغيرها كعدم القبول ممن دعا إليها علماً وعملاً، وترك الانقياد بالعمل بما تقتضيه كحال أكثر من يقولها قديماً وحديثاً، ولكن في أواخر هذه الأمة أكثر. ومنهم من يمنعه من محبتها والعمل بها ما قام بقلبه من كبر أو هوى أو غير ذلك من الأسباب وهي كثيرة منها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

وأما أهل الإيمان الخُلَّص فهم الذين أتوا بهذه الكلمة واجتمعت لهم قيودها التي قيدت بها علماً ويقيناً وصدقاً وإخلاصاً ومحبةً وقبولاً وانقياداً، وعادوا فيه ووالوا فيه وأحبوا فيه وأبغضوا فيه، وقد ذكرهم تعالى في مواضع من سورة (براءة) وغيرها وخصَّهم بالثناء عليهم، والعفو عنهم وأعدّ لهم جنته وأنجاهم من النار كما قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ

اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١] وقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠] فهؤلاء ومن اتبعهم بإحسان هم أهل لا إله إلا الله، وغير هذه من الآيات في الثناء عليهم وما أعد لهم في الدار الآخرة، فمن تدبر القرآن وعرف تفاوت الخلق في محبة ربهم وتوحيده والعمل بطاعته والهرب من معصيته وإيثار ما يحبه تعالى رغبة وعملاً، وترك ما يكرهه خشيةً ورجاء، واعتبر الناس بأحوالهم وأقوالهم وأعمالهم ونياتهم وإراداتهم وما هم عليه من التفاوت البعيد تبين له خطأ المغرورين كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني».

قوله: (وللترمذي وحسّنه عن أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يا بن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة»)[1].

في هذا الحديث ما يبين معنى (لا إله إلا الله) الذي رجحت بجميع المخلوقات، وجميع السيئات، وإن ذلك هو ترك الشرك قليله وكثيره، وذلك يقتضي كمال التوحيد فلا يسلم من الشرك إلا من حقق توحيده

---

(١) الحديث في الصفحة ٢٢ وليس في أوله ذكر مخرجه؛ لأنه لم يوجد في النسخ التي طبعنا عنها، فالظاهر أنه كان عند صاحب التعليق نسخة أصح منها.

وأتى بما تقتضيه كلمة الإخلاص من العلم واليقين والصدق والإخلاص والمحبة والقبول والانقياد وغير ذلك مما تقتضيه تلك الكلمة العظيمة كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

قوله (باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب)[1] أي: ولا عذاب، وتحقيقه تصفيته وتخليصه من شوائب الشرك والبدع والإصرار على الذنوب، فمن كان كذلك فقد حقق توحيده، وتحقيق التوحيد عزيز في الأمة لا يوجد إلا في أهل الإيمان الخُلَّص الذين أخلصهم الله واصطفاهم من خلقه كما قال تعالى في يوسف عليه السلام: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤] وفي قراءة (المخلصين) وهم في صدر هذه الأمة كثيرون وفي آخرها هم الغرباء وقد قلوا وهم الأعظمون قدراً عند الله. وقال تعالى عن خليله عليه السلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٨، ٧٩] أي: أخلصت ديني وأفردت عبادتي للذي فطر السموات والأرض، أي: خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق ﴿حَنِيفًا﴾ أي: في حال كوني حنيفاً، أي: مائلاً عن الشرك إلى التوحيد؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ونظائر هذه الآية في القرآن كثير كقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ

---

(١) ص ٢٣.

خَليلاً﴾ [النساء: ١٢٥] وقال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢].

قال العماد ابن كثير -رحمه الله تعالى- في الآية: يقول تعالى مخبراً عمن أسلم وجهه لله أي: أخلص له العمل وانقاد لأوامره واتبع شرعه؛ ولهذا قال: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: في عمله واتباع ما أمر به وترك ما عنه زجر، فدلت هذه الآية العظيمة على أن كمال الإخلاص إنما يوجد بترك الشرك والبراءة منه وممن فعله كما تقدم في الباب قبل هذا.

قوله وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠] قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى: يمدح تعالى عبده ورسوله وخليله إبراهيم إمام الحنفاء بتبرئته من المشركين ومن اليهودية والنصرانية والمجوسية. و(الأمة) هو الإمام الذي يقتدى به و(القانت) هو الخاشع المطيع، و(الحنيف) المنحرف قصداً عن الشرك إلى التوحيد؛ ولهذا قال: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وقال مجاهد: كان إبراهيم أمة أي: مؤمناً وحده والناس كلهم إذ ذاك كفار.

قلت: وكلا القولين حق، فقد كان الخليل -عليه السلام- كذلك، وقول مجاهد والله أعلم: لما كان الخليل كذلك في ابتداء دعوته ونبوته ورسالته عليه السلام، فمدحه الله تعالى بتبرئته من المشركين كما قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾ الآيات [مريم: ٤١، ٤٢]، وقوله: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾

[الصافات: ٨٣، ٨٤] فهذا - والله أعلم - كان في ابتداء دعوته عليه الصلاة والسلام ولم يكن إذ ذاك على وجه الأرض مسلم غيره وبذلك جاء الحديث.

وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠] فقد فارق المشركين بالقلب واللسان والأركان وأنكر ما كانوا عليه من الشرك بالله في عبادته، وكسر الأصنام وصبر على ما أصابه في ذات الله وهذا هو تحقيق التوحيد وهو أساس الدين ورأسه كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١] وأنت تجد أكثر من يقول (لا إله إلا الله) ويدعي الإسلام يفعل الشرك بالله في عبادته بدعوة من لا يضر ولا ينفع من الأموات والغائبين والطواغيت والجن وغيرهم ويحبهم ويواليهم، يخافهم ويرجوهم، وينكر على من دعا إلى عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، ويزعم أن ذلك بدعة وضلالة، ويعادي من عمل به وأحبه وأنكر الشرك وأبغضه، وبعضهم لا يعد التوحيد علماً ولا يلتفت إليه لجهله به وعدم محبته. فالله المستعان.

وقوله: وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧] إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٩] قال العماد ابن كثير -رحمه الله تعالى- أي: من إحسانهم وعملهم الصالح مشفقون من الله خائفون وجلون من مكره بهم كما قال الحسن البصري: المؤمن من جمع إحساناً وشفقاً، والمنافق من جمع إساءة وأمناً

﴿والذين هم بآيات ربهم يؤمنون﴾ أي: يؤمنون بآيات الله الكونية والشرعية لقوله تعالى عن مريم: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢] أي: أيقنت أن ما كان فهو من قدر الله، وقضائه وما شرعه الله، وإن كان أمرًا فهو ما يحبه الله ويرضاه، وإن كان نهيًا فهو ما يكرهه ويأباه، وإن كان خبراً فهو حق كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٩] أي: لا يعبدون معه غيره بل يوحدونه ويعلمون أنه لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لا يتخذ صاحبة ولا ولداً وأنه لا نظير له. انتهى.

قلت: فترك الشرك يتضمن كمال التوحيد ومعرفته على الحقيقة ومحبته وقبوله والدعوة إليه كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾ [الرعد: ٣٦] وتضمنت هذه الآية كمال التوحيد وتحقيقه وبالله التوفيق، قوله: «عن حصين بن عبد الرحمن»[1] هو الحارثي من تابعي التابعين عن الشعبي «قال: كنت عند سعيد بن جبير» هو الوالبي مولاهم الفقيه[2] عن ابن عباس وخلق، قال اللالكائي: ثقة إمام حجة قتله الحجاج بن يوسف فما أمهله الله بعده. قوله: «فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ يعني كوكباً رجم به تلك الليلة يقال: البارحة لليلة الماضية إذا زالت الشمس وأما قبل الزوال فيقال: الليلة. قوله: «فقلت: أنا» أي: أنا رأيته «ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة» قال ذلك حذراً من الشرك لئلا يظن الحاضرون أنه

(١) هذا الحديث بدأ الشارح بشرحه من غير أن يذكره منفرداً أولاً على نسق ما تقدم.
(٢) كذا في الأصل والمراد أنه روى عن ابن عباس.

قام من الليل للعبادة فيكون قد ادعى لنفسه ما لم يفعله، فما أشد حذر التابعين ومن قبلهم من الشرك دقيقه وجليله والحذر من أن يحمد بما لم يفعله. فما أعز من سلم من الشرك كما سيأتي!

قوله: «قد أحسن من انتهى إلى ما سمع» فيه حسن الأدب مع العلم وأهله، وأن من فعل شيئاً سئل عن مسنده في فعله هل كان مقتدياً أم لا؟ ومن لم يكن معه حجة شرعية فلا عذر له بما فعله، ولهذا ذكر ابن عبد البر الإجماع على أن المقلِّد ليس من أهل العلم فتفطَّنْ لهذا.

قوله: ولكن[1] حديث حدثناه الشعبي قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: لا رُقْيَة إلا من عين أو حُمَة. هذا الحديث قد روي مرفوعاً، والشعبي اسمه عامر بن شراحيل الحميري الشعبي الإمام روى عن عمر وعلي وابن مسعود ولم يسمع منهم، وعن أبي هريرة وعائشة وجرير وابن عباس وخلق، قال الشعبي: ما كتبت سوداء في بيضاء، توفي سنة ثلاث ومائة. وبريدة هو ابن الحصيب بن عبدالله بن الحارث الأسلمي، أسلم قبل بدر وعمل على اليمن في أيام النبي ﷺ وسلم صحابي مشهور.

قوله: «لا رقية إلا من عين أو حمة» هذا ـ والله أعلم ـ في أول الأمر، ثم رخص في الرقى إذا كانت بحق، والله أعلم. قوله: «ولكن حدثنا ابن عباس هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم النبي ﷺ

(١) كلمة: (ولكن) ليست في الأصل.

حَبْر الأمة وترجمان القرآن دعا له النبي ﷺ فقال: «اللهم، فَقِّهْه في الدين وعلِّمْه التأويل» وصار آية في العلم والفهم وكثرة ما روى من الأحاديث على أنه من صغار الصحابة، لكن طلب الحديث من كبار الصحابة فحفظ الأكثر مما كان عندهم رضي الله عنهم أجمعين.

قوله: «إن النبي ﷺ قال: «عرضت علي الأمم» قلت: فالله أعلم متى عرضت، وعرضها أن الله تبارك وتعالى أراه مثالها إذا جاءت الأنبياء ومن تبعهم. فمن نجا بالإيمان بالله وما بعث به أنبياءه ورسله من دينه الذي شرعه لهم وهو عبادته وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه والأخذ بما أمرهم به وترك ما نهاهم عنه كما قال تعالى عن قوم نوح: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ [نوح: ٢، ٣] فعبادته توحيده وطاعته بامتثال ما أمرهم به وترك ما نهاهم عنه وطاعة رسوله. هذا هو الدين ألا يعبد إلا الله، وألا يعبد إلا بما شرع فعلاً وتركاً، وأن يقدم طاعة رسوله على ما يحبه ويهواه.

قوله: «فرأيت النبي ومعه الرهط» العشرة فما دون «والنبي ومعه الرجل والرجلان» أي: أتباعه «والنبي وليس معه أحد» أي: يبعث في قومه فلا يتبعه منهم أحد كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الحجر: ١٠، ١١] وفيه دليل على أن الناجي من الأمم هم القليل، والأكثر غلبت عليهم الطباع البشرية فعصوا الرسل فهلكوا كما قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن

فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الأنعام: ١١٦] وقال: ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٠٢] وقال: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾ [الروم: ٤٢] وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير، والناجون وإن كانوا أقل القليل فهم السواد الأعظم فإنهم الأعظمون قدراً عند الله وإن قلوا، فليحذر المسلم أن يَغْتَرَّ بالكثرة وقد اغترَّ بهم كثيرون حتى بعض من يدعي العلم اعتقدوا في دينهم ما يعتقده الجهال الضلال ولم يلتفتوا إلى ما قاله الله ورسوله.

قوله: «إذ رُفِع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي: هذا موسى وقومه» فيه فضيلة أتباع موسى من بني إسرائيل ممن آمن منهم بالرسل والكتب التي أنزلها الله التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وغيرها. وكانت بنو إسرائيل قبل التفرق كثيرين وفيهم الأنبياء ثم بعد ذلك حدث ما حدث من اليهود، وهذا الحديث يدل على أن التابع لموسى عليه السلام كثيرون جداً، وقد قال تعالى: ﴿ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الجاثية: ١٦] أي: في زمانهم وذلك أن في زمانهم وقبله ممن كفر بالله خلق لا يحصون كحزب جالوت وبُخْتَنَصَّر وأمثالهم، ففضل الله بني إسرائيل بالإيمان فصاروا أفضل أهل زمانهم، وحدث فيهم ما ذكر الله في سورة البقرة وغيرها من معصيتهم لأنبيائهم واختلافهم في دينهم، وقد ذكره الله تعالى محتجاً به على اليهود الذين كفروا بمحمد ﷺ فتدبر ما ذكره الله تعالى من أحوالهم بعد الاختلاف.

قوله: «ثم نظرت فإذا سواد عظيم» وفي رواية: «قد سدَّ الأفق فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب» فيه فضيلة هذه الأمة وأنهم أكثر الأمم تابعاً لنبيهم ﷺ وقد كثروا في عهد الصحابة رضي الله عنهم، وفي وقت الخلفاء الراشدين ومن بعدهم فملؤوا القرى والأمصار والقفار، وكثر فيهم العلم واجتمعت لهم الفنون في العلوم النافعة فما زالت هذه الأمة على السنة في القرون الثلاثة المفضلة، وقد قلُّوا في آخر الزمان. قال شيخنا -رحمه الله تعالى- في مسائله: وفيه فضيلة هذه الأمة بالكمِّيَّة والكيفيَّة[1] فالكمية الكثرة والعدد، والكيفية فضيلتهم في صفاتهم كما في هذا الحديث بقوله: «ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب».

قوله: «ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك» أي: الحاضرون في ذكر هذا الحديث وفيه أيضاً فضل الصحابة -رضي الله عنهم- في مذاكرتهم العلم وحرصهم على فهم ما حدثهم به نبيهم ﷺ حرصا على العمل به، وفيه جواز الاجتهاد فيما لم يكن فيه دليل؛ لأنهم قالوا ما قالوا باجتهادهم، ولم ينكر ﷺ ذلك عليهم لكن المجتهد إذا لم يكن معه دليل لا يجوز له أن يجزم بصواب نفسه بل يقال: لعل الحكم كذا وكذا كقول الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في هذا الحديث.

---

(١) هي المسألة التاسعة كما في ص٢٤.

قوله: فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه فقال: «هم الذين لا يَسْتَرقُون ولا يكتوون ولا يتطيَّرون وعلى ربهم يتوكلون» أي: لا يطلبون الرُّقية من أحد ولا يكتوون إذا كان فيهم ما يستشفى بالكي منه ولا يتطيرون، والطيرة شرك فتركوا الشرك رأساً ولم ينزلوا حوائجهم لأحد فيسألونه الرقية فما فوقها وتركوا الكي وإن كان يراد للشفاء، والحامل لهم على ذلك قوة توكلهم على الله وتفويضهم أمورهم إليه، وألا تتعلق قلوبهم بشيء سواه في ضمن ما دبَّره وقضاه فلا يرغبون إلا إلى ربهم ولا يرهبون إلا منه، ويعتقدون أن ما أصابهم بقدره واختياره لهم فلا يفزعون إلا إليه وحده في كشف ضرهم. قال تعالى عن يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

قوله: «فقام عكاشة بن محصن» صحابي مشهور شهد بدراً والمشاهد كلها مع النبي ﷺ وهو من بني أسد بن خزيمة قتله طليحة بن خويلد شهيداً، وكان قد سار مع خالد بن الوليد لقتال أهل الردة فقاتل بني أسد لردَّتهم عن الإسلام وكان فيهم طليحة وقد ادعى النبوة وصدقوه فأكرم الله عكاشة على يده لما كان كافراً، ثم بعد ذلك هداه الله إلى الإسلام وجاهد الفرس مع سعد بن أبي وقاص وصار له في الفرس وقائع معروفة في السير وكان ممن استشهد في قتالهم في وقعة الحيرة المشهورة.

قوله: «فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم» فيه أن شفاعة الحي لمن سأله الدعاء إنما كانت بدعائه، وبعد الموت قد تعذر ذلك بأمور

لا تخفى على من له بصيرة، فمن سأل ميتاً أو غائباً فقد سأل ما لا يقدر عليه، وكل من سأل أحداً ما لا يقدر عليه إلا الله فقد جعله نداً لله كما كان المشركون كذلك وقال تعالى: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢] إنه ربكم وخالقكم ومن قبلكم وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فلا ترغبوا عنه إلى غيره، بل أخصلوا له العبادة بجميع أنواعها فيما تطلبونه من قليل أو كثير.

قوله: «أنت منهم» لما كان يعلمه ﷺ من إيمانه وفضله وجهاده كما في الحديث: «لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

قوله: «ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: «سبقك بها عكاشة» والظاهر أنه أراد - صلوات الله وسلامه عليه - سد الذريعة لئلا يتتابع الناس بسؤال ذلك فيسأله من ليس أهلاً له. وذلك منه ﷺ تعريض كما لايخفى.

قوله: (باب الخوف من الشرك وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] [(١)]).

قال النووي رحمه الله تعالى: أما دخول المشرك النار فهو على عمومه فيدخلها ويخلد فيها، ولا فرق بين الكتابي اليهودي والنصراني وبين عَبَدَة الأوثان وسائر الكفرة، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عناداً وغيره، ولا بين من خالف ملة الإسلام وبين من انتسب إليها ثم حكم

(١) هو في ص ٢٥.

بكفره بجحده وغير ذلك. وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع به، لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مصراً عليها ومات على ذلك فهو تحت المشيئة، فإن عُفي عنه دخل الجنة أولاً وإلا عُذِّب في النار ثم أخرِج منها وأدخِل الجنة. انتهى.

قلت: هذا قول أهل السنة والجماعة لا اختلاف بينهم في ذلك، وهذه الآية من أعظم ما يوجب الخوف من الشرك؛ لأن الله تعالى قطع المغفرة عن المشرك وأوجب له الخلود في النار وأطلق ولم يقيد ثم قال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] فخصص وقيد فيما دون الشرك، فهذا الذنب الذي هذا شأنه لا يأمن أن يقع فيه فلا يرجى له معه نجاة، إن لم يتب منه قبل الوفاة.

قوله: (وقال الخليل عليه السلام: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] أي: إبراهيم - عليه السلام - خليل الرحمن، والخلة أخص من المحبة، ولهذا اختص بهذا الخليلان إبراهيم ومحمد - صلى الله عليهما وسلم - ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] وهذا أيضاً يخيف العبد، فإذا كان الخليل إمام الحنفاء الذي جعله الله أمة واحدة وابتلاه بكلمات فأتمهن وقال: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ [النجم: ٣٧] وأمر بذبح ولده فامتثل أمر ربه، وكسر الأصنام واشتد نكيره على أهل الشرك، ومع ذلك يخاف أن يقع في الشرك الذي هو عبادة الأصنام لعلمه أنه لا يصرفه عنه إلا الله بهدايته وتوفيقه لا بحوله هو وقوّته.

وما أحسن ما قال إبراهيم التيمي: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟ فهذا أمر لا يُؤمن الوقوع فيه وقد وقع فيه الأذكياء من هذه الأمة بعد القرون المفضلة فاتُّخذت الأوثان وعبدت، فالذي خافه الخليل - عليه السلام - على نفسه وبنيه وقع فيه أكثر الأمة بعد القرون المفضلة فبُنيت المساجد والمشاهد على القبور وصرفت لها العبادات بأنواعها واتُّخذ ذلك ديناً وهي أوثان وأصنام كأصنام قوم نوح واللات والعزى ومناة وأصنام العرب وغيرهم. فما أشبه ما وقع في آخر هذه الأمة بحال أهل الجاهلية من مشركي العرب وغيرهم، بل وقع ما هو أعظم من الشرك في الربوبية مما يطول عدُّه، فذكر - عليه السلام - السبب الذي أوجب له الخوف عليه وعلى ذريته بقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦] وقد ضلت الأمم بعبادة الأصنام في زمن الخليل وقبله وبعده، فمن تدبر القرآن عرف أحوال الخلق وما وقعوا فيه من الشرك العظيم الذي بعث الله أنبياءه ورسله بالنهي عنه والوعيد على فعله، والثواب على تركه. وقد هلك من هلك بإعراضه عن القرآن وجهله بما أمر الله به ونهى عنه. نسأل الله الثبات على الإسلام، والاستقامة على ذلك إلى أن نلقى الله على التوحيد إنه ولي ذلك والقادر عليه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وقال تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] رد أمرهم إلى الله كما رد عليه السلام، وقد بين الله تعالى فيما أنزله على نبيه محمد ﷺ وحكمه في أهل الشرك بأنه لا يغفره لهم

فلا معارضة، وقد بين حكمه فيهم في هذا الكتاب العزيز ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وقوله في الحديث لأصحابه ﷺ: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» فسئل عنه فقال: «الرياء»[1].

وهذا الحديث رواه الإمام أحمد والطبراني والبيهقي عن محمود بن لبيد، فإذا كان يخافه ﷺ على أصحابه الذين وحَّدوا الله بالعبادة ورغبوا إليه وإلى ما أمرهم به من طاعته فهاجروا وجاهدوا من كفر به وعرفوا ما دعاهم إليه نبيهم، وما أنزله الله في كتابه من الإخلاص والبراءة من الشرك فكيف لا يخاف من لا نسبة له إليهم في علم لولا عمل مما هو أكبر من ذلك، وقد أخبر ﷺ من أمته بوقوع الشرك الأكبر فيهم بقوله في حديث ثوبان الآتي ذكره: «حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان» وقد جرى ما أخبر به ﷺ وعمَّت به البلوى في أكثر الأقطار حتى اتخذوه ديناً من ظهور الآيات المحكمات، والأحاديث الصحيحة في النهي عنه والتخويف منه كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢] وقال: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ [الحج: ٣٠، ٣١] وهذا هو تحقيق التوحيد كما تقدم في الباب قبله. ثم قال تعالى محذراً عباده من الشرك: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]

(١) في ص ٢٥.

ومن لم تخوِّفه هذه الآيات وتزجره عن الشرك في العبادة إذا تدبرها فلا حيلة فيه.

قوله: (وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار» رواه البخاري)[1].

وهذا الحديث فيه التحذير من الشرك أيضاً والتخويف منه، والنِّدُّ: المثل والشبيه، فمن دعا ميتاً أو غائباً وأقبل إليه بوجهه وقلبه رغبة إليه ورهبة منه سواء سأله أو لم يسأله فهذا هو شرك الذي لا يغفره الله؛ ولهذا حرم الله تعالى اتخاذ الشفعاء وأنكره على من فعل ذلك أشد الإنكار لكونه ينافي الإخلاص الذي هو إقبال القلب والوجه على الله في كل ما يخافه العبد ويرجوه ويتقرب به ويدين به، ومن المعلوم أنه إذا التفت للشفيع يسأله فقد أعرض بوجهه وقلبه عن الله تعالى، وذلك ينافي الإخلاص ويأتي بيان ذلك في باب الشفاعة إن شاء الله تعالى.

قوله: (ولمسلم عن جابر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «من لقي الله لايشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار»)[1].

قوله: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً» هذا هو الإخلاص كما تقدم وقوله: «ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار» هذا هو الشرك فيمن لقي الله بالشرك دخل النار قل أو كثر، أما الشرك الأكبر فلا عمل معه ويوجب الخلود في النار كما تقدم في معنى الآيات، وأما الأصغر كيسير الرياء

(١) كلاهما في ص٢٥.

وقول الرجل: ما شاء الله وشئت، وقوله: مالي إلا الله وأنت، ونحو ذلك فهذا لا يكفر إلا برجحان السيئات بالحسنات. قال بعض العلماء: اقتصر على نفي الشرك لاستدعائه التوحيد بالاقتضاء واستدعائه إثبات الرسالة باللزوم، إذ من كذّب رسل الله فقد كذّب الله، ومن كذّب الله فهو مشرك فالمراد من مات حال كونه مؤمناً بجميع ما يجب الإيمان به إجمالاً في الإجمالي، وتفصيلاً في التفصيل. إهـ.

قوله: (باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله. وقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨] (١).

قال أبو جعفر ابن جرير: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: (قل) يا محمد (هذه) الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان، والانتهاء إلى طاعته وترك معصيته (سبيلي) وطريقتي ودعوتي (أدعو إلى الله) وحده لا شريك له (على بصيرة) بذلك ويقين علم مني به (أنا ومَنْ) يدعو إليه على بصيرة أيضاً (من اتبعني) وصدقني وآمن بي (وسبحان الله) يقول تعالى ذكره وقل: (سبحان الله) تنزيهاً لله وتعظيماً له من أن يكون له شريك في ملكه أو معبود سواه في سلطانه (وما أنا من المشركين) يقول: وأنا بريء من أهل الشرك به لست منهم ولا هم مني. إهـ

وهذه الآية تدل على أن أتباعه هم أهل البصائر الداعون إلى الله تعالى ومن ليس منهم فليس من أتباعه على الحقيقة والموافقة وإن كان من أتباعه

(١) ص ٢٦.

على الانتساب والدعوى قاله العلامة ابن القيم -رحمه الله- وقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾ [الرعد: ٣٦] ومازال النبي ﷺ وأصحابه يدعون إلى ما أمر الله به من الدعوة إلى توحيده في العبادة، والنهي عن الشرك به ويجاهدون على ذلك، والآيات في الأمر بذلك كثيرة جداً.

قوله: «عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فَلْيكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله» وكانوا يقولونها لكنهم جهلوا معناها الذي دلت عليه من إخلاص العبادة لله وحده وترك عبادة ما سواه، فكان قولهم (لا إله إلا الله) لا ينفعهم لجهلهم بمعنى هذه الكلمة كحال أكثر المتأخرين من هذه الأمة، فإنهم كانوا يقولونها مع ما كانوا يفعلونه من الشرك بعبادة الأموات والغائبين والطواغيت والمشاهد فيأتون بما ينافيها فيثبتون ما نفته من الشرك باعتقادهم وقولهم وفعلهم، وينفون ما أثبتته من الإخلاص كذلك، وظنوا أن معناها القدرة على الاختراع تقليداً للمتكلمين من الأشاعرة وغيرهم، وهذا هو توحيد الربوبية الذي أقرَّ به المشركون فلم يدخلهم في الإسلام كما قال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤] إلى قوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٩] وقوله: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ﴾ [يونس: ٣١] إلى قوله: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ

فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١] وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير. وهذا التوحيد قد أقرَّ به مشركو الأمم وأقر به أهل الجاهلية الذين بعث فيهم محمد ﷺ فلم يدخلهم في الإسلام؛ لأنهم قد جحدوا ما دلت عليه هذه الكلمة من توحيد الإلهية وهو إخلاص العبادة ونفي الشرك والبراءة منه كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] فهذا التوحيد هو أصل الإسلام، وقال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠] وقال: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٤٣]وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢] وقال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢، ٣] وأمثال هذه الآيات في بيان التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب في القرآن كثير، وسنذكر بعض ذلك إن شاء الله تعالى في هذا التعليق.

قوله: «فليكن أول» منصوب على أنه خبر (يكن) مقدم و (شهادة) اسمها مؤخر ويجوز العكس، وفيه دليل على أن توحيد العبادة هو أول واجب؛ لأنه أساس الملة وأصل دين الإسلام. وأما قول المتكلمين ومن تبعهم أن أول واجب معرفة الله بالنظر والاستدلال فذلك أمر فطري فطر

الله عليه عباده؛ ولهذا كان مفتتح دعوة الرسل أممهم إلى توحيد العبادة: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون: ٣٢] أي: لا تعبدوا إلا الله قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠] قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى: هذا يحتمل شيئين، أحدهما: أفي وجوده شك؟ فإن الفطَر شاهدة بوجوده ومجبولة على الإقرار به فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة. والمعنى الثاني: أفي إلهيته وتفرُّده بوجوب العبادة له شك؟ وهو الخالق لجميع الموجودات فلا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك، فإن غالب الأمم كانت مُقرَّة بالصانع ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنون أنها تنفعهم أو تقرِّبهم من الله زلفى. إهـ.

قلت: وهذا الاحتمال الثاني يتضمن الأول، وروى أبو جعفر بن جرير بسنده عن عكرمة ومجاهد وعامر أنهم قالوا: ليس أحد إلا وهو يعلم أن الله خلقه وخلق السموات والأرض فهذا إيمانهم. وعن عكرمة أيضاً: تسألهم من خلق السموات والأرض؟ فيقولون: الله، فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره، وتقدم أن (لا إله إلا الله) قد قُيِّدت بالكتاب والسنة بقيود ثقال منها العلم واليقين والإخلاص والصدق والمحبة والقبول والانقياد والكفر بما يعبد من دون الله فإذا اجتمعت هذه القيود لمن قالها نفعته هذه الكلمة وإن لم تجتمع هذه لم تنفعه والناس متفاوتون في

العلم بها والعمل فمنهم من ينفعه قولها ومنهم من لاينفعه كما لا يخفى.

قوله: «فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة» فيه دليل على أن المشرك لا يطالب بفعل الصلاة إلا إذا أسلم بتركه الشرك باطناً وظاهراً؛ لأن الإسلام شرط لصحة العبادة كما قال النووي -رحمه الله- ما معناه: إنه يدل على أن المطالبة بالفرائض في الدنيا لا يكون إلا بعد الإسلام ولا يلزم من ذلك ألا يكونوا مخاطبين بها، ويزاد في عذابهم في الآخرة والصحيح أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة المأمور به والمنهي عنه، وهذا قول الأكثرين.

قوله: «فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم». فيه أن الزكاة لا تنفع إلا من وحَّد الله وصلى الصلوات الخمس بشروطها وأركانها وواجباتها، والزكاة قرينة الصلوات في كتاب الله تعالى ويدل على هذه الجملة قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥] فمن أتى بهذه الأمور أتى ببقية الأركان لقوة الداعي إلى ذلك؛ لأن ذلك يقتضي الإتيان بها لزوماً قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥] قال أنس في الآية: توبتهم خلع الأوثان وعبادتهم ربهم وإقام الصلاة وإيتاء الزكاه، وعن ابن مسعود مرفوعاً«أمرت بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ومن لم يُزَكِّ فلاصلاة له» وقال ابن زيد: أبى الله أن تقبل الصلاة إلا بالزكاة، وفيه

بيان مصرف الزكاة.

قوله: «فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم» تحذير له من أن يتجاوز ما شرعه الله ورسوله في الزكاة وهو أخذها من أوساط المال؛ لأن ذلك سبب لإخراجها بطيب نفس ونية صحيحة وكل ما زاد على المشروع فلا خير فيه، وهذا أصل ينبغي التفطن له.

قوله: «واتق دعوة المظلم» يدل على أن العامل إذا زاد على المشروع صار ظالما لمن أخذ ذلك منه، ودعوة المظلوم مقبولة ليس بينها وبين الله حجاب يمنع قبولها، وفيه التحذير من الظلم مطلقاً، فعلى العامل أن يتحرَّى العدل فيما استعمل فيه فلا يظلم بأخذ زيادة على الحق ولا يحابي بترك شيء منه فعليه أن يقصد العدل من الطرفين. والله أعلم.

قوله: «عن سهل بن سعد»[1] أي: ابن مالك بن خالد الأنصاري الخزرجي الساعدي أبو العباس صحابي شهير وأبوه صحابي أيضاً مات سنة ثمان وثمانين وقد جاوز المائة.

قوله: «إن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: لأعْطيَنَّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه» الحديث فيه البشارة بالفتح وهو علم من أعلام النبوة وقد وقع كما أخبر رسول الله ﷺ.

قوله: «يحب الله ورسوله» قال شيخ الإسلام: ليس هذا الوصف

(١) الذي في كتاب التوحيد: و«لهما عن سهل بن سعد... إلخ» يعني الشيخين، وهو معطوف على قوله قبله: أخرجاه. أي الحديث السابق وسقطا من التعليق. والحديث في ص٢٦.

مختصًا بعلي ولا بالأئمة، فإن الله ورسوله يحب كل مؤمن تقي يحب الله ورسوله، لكن هذا الحديث من أحسن ما يحتج به على النواصب الذين لا يتولونه أو يكفِّرونه أو يفسِّقونه كالخوارج، لكن هذا الاحتجاج لا يتم على قول الرافضة الذين يجعلون النصوص الدالة على فضائل الصحابة كانت قبل ردَّتهم، فإن الخوارج تقول في علي مثل ذلك، لكن هذا باطل، فإن الله ورسوله لا يطلق مثل هذا المدح على من يعلم الله أنه يموت كافراً. وفيه إثبات صفة المحبة لله خلافاً للجهمية ومن أخذ عنهم، وفيه فضيلة أخرى لعلي -رضي الله عنه- بما خصه به من إعطاء الراية ودعوته أهل خيبر إلى الإسلام وقتالهم إذا لم يقبلوا، وقد جرى له -رضي الله عنه- في قتالهم كرامات مذكورة في السير والمغازي، وفيه مشروعية الدعوة إلى الإسلام الذي أساسه شهادة أن لا إله إلا الله لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ الآية [آل عمران: ١٠٤].

قوله: فقال: «أين علي بن أبي طالب؟» فقيل: هو يشتكي عينيه، قال المصنف رحمه الله تعالى: فيه الإيمان بالقدر لحصولها لمن لم يسع ومنعها عمن سعى.

قوله: فأرسل إليه أي: النبي ﷺ أرسل إليه من يأتيه به، وفي صحيح مسلم أن الذي جاء به سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وعن إياس بن سلمة عن أبيه أن الذي جاء به سلمة رضي الله عنه.

قوله: «فبصق في عينيه» أي: تفل. قوله: «ودعا له فبرأ» هو بفتح الراء والهمزة أي: عوفي في الحال عافية كاملة، وذلك بدعوة النبي ﷺ كما في الحديث، فدعا فاستجيب له عليه السلام وفيه علم من أعلام النبوة أيضاً، وذلك كله بالله ومن الله وحده وهو الذي يملك الضر والنفع، والعطاء والمنع، لا إله غيره ولا رب سواه.

قوله: «أُنْفُذْ» هو بضم الفاء والهمزة[1] قوله: «على رِسْلك» أمره أن يسير إليهم بأدب وأناة «حتى تنزل بساحتهم» الساحة هي ما قرب من حصونهم.

قوله: «ثم ادعهم إلى الإسلام» هذا هو شاهد الترجمة، وهكذا ينبغي لأهل الاسلام أن يكون قصدهم بجهادهم هداية الخلق إلى الإسلام والدخول فيه، وينبغي لولاة الأمر أن يكون هذا هو معتمدهم ومرادهم ونيتهم. قال شيخ الإسلام: دين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده فأصله في القلب، والخضوع لله وحده بعبادته دون ما سواه. فمن عبده وحده وعبد معه إلهاً آخر لم يكن مسلماً، ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلماً، وأما الإيمان فأصله تصديق القلب وإقراره ومعرفته.

(١) إنما تضم الهمزة في بدء الكلام، وهي همزة وصل تسقط إذا وقعت في أثناء الكلام.

قوله: «وأخبرْهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى» فيه مما أمر به وشرعه من حقوق لا إله إلا الله، وهذا يدل على أن الأعمال من الإيمان خلافاً للأشاعرة والمرجئة في قولهم: إنه القول. وزعموا أن الايمان هو مجرد التصديق وتركوا ما دل عليه الكتاب والسنة؛ لأن الدين ما أمر الله به فعلاً وما نهى عنه تركاً، وفيه الرد على المشركين المستدلين على الشرك بكرامات الأولياء لدلالتها على فضلهم، وأمير المؤمنين علي -رضي الله عنه- وقع له من الكرامات مالم يقع لغيره، وقد خدَّ الأخاديد وأضرمها بالنار وقذف فيها من غلا فيه أو اعتقد فيه بعض ما كان يعتقده هؤلاء المشركون مع أهل البيت وغيرهم، فصار من أشد الصحابة -رضي الله عنه- بُعْداً عن الشرك وشدة على من أشرك حتى أحرقهم بالنار.

وكذلك عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مع ما أعطي من الكرامات صار من أبعد الصحابة عن الشرك وذرائعه. وهؤلاء أفضل أهل الكرامات فما زادهم ذلك إلا قوة في التوحيد، وشدة على أهل الشرك والتنديد، كما جرى لعمر -رضي الله عنه- في الاستسقاء بالعباس وتعمية قبر دانيال لما وجده الصحابة في بيت مال الهرمزان، كما أن المعجزات إنما زادت الرسل قوة في الدعوة إلى التوحيد وشدة على أهل الشرك والإنكار عليهم وجهادهم، لكن قد يقع من الأحوال الشيطانية لمن استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر ربه ما قد يلتبس على الجهال الذين تلبَّسوا بالشرك ويظنون أن ذلك كرامات وهي من مكر الشيطان وإغوائه

لمن لم يعرف الحق من الباطل؛ وقد قال تعالى لنبيه محمد ﷺ:
﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣]
فكذلك يجب على كل أحد أن يطلب الحق من القرآن بتدبُّره فإنه الصراط المستقيم، ولا يلتفت إلى ما زخرفته الشياطين كما اغترَّ به من اغتر في هذه الأمة ومن قبلهم.

قوله: «وأخبرهم بما يجب عليه من حق الله تعالى» فيه من أداء الفرائض على الوجه الشرعي والنهي عن تعدِّي الحدود التي حدَّها الله بين الحلال والحرام، وذلك من الإيمان فالحلال ما أحلَّه الله والحرام ما حرَّمه الله، والدين ما شرعه الله، فإذا أخذ بالإسلام الذي هو التوحيد والإخلاص، وأحل ما أحله الله تعالى، وحرم ما حرمه الله تعالى، وأمر بذلك وجاهد عليه فقد قام بما وجب. وبالله التوفيق.

قوله: «فوالله» فيه جواز الحلف على ما أفتي به. قوله: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم» حُمْر - بسكون الميم - الإبل الحمر وهي أنفس الأموال عند العرب، وفيه الترغيب في الدعوة إلى الله وطلب الهداية لمن أراد الله هدايته ليحصل للداعي إلى الحق هذه الفضيلة العظيمة بهداية من اهتدى، فلا ينبغي التفريط في هذه المطالب العالية. وبالله التوفيق.

قوله: «يدوكون» أي: يخوضون، بيَّن المصنف -رحمه الله تعالى- معنى هذه اللفظة بأن المراد خوض السامعين في هذا الخير وتمني حصوله.

قوله: (باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله)[1] من عطف الدال على المدلول؛ لأن التوحيد هو معنى هذه الكلمة العظيمة؛ وذلك يتبين لما ساقه من الآيات والحديث لما فيها من زيادة البيان وكشف ما أشكل من ذلك، وإقامة الحجة على من غالط في معنى (لا إله إلا الله) من أهل الجهاد والإلحاد.

قوله: وقول الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧] أي: أولئك الذين يدعوهم أهل الشرك ممن لا يملك كشف الضر ولا تحويله من الملائكة والأنبياء والصالحين كالمسيح وأمه والعزير، فهؤلاء دينهم التوحيد، وهو بخلاف من دعاهم من دون الله ووصفهم بقوله: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ فيطلبون القرب من الله بالإخلاص له وطاعته فيما أمر، وترك ما نهاهم عنه. وأعظم القرب التوحيد الذي بعث الله به أنبياءه ورسله وأوجب عليهم العمل به والدعوة إليه، وهذا الذي يقرِّبهم إلى الله، أي: إلى عفوه ورضاه ووصف ذلك بقوله: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء:٥٧] فلا يرجون أحداً سواه ولا يخافون غيره، وذلك هو توحيده؛ لأن ذلك يمنعهم من الشرك ويوجب لهم الطمع في رحمة الله والهرب من عقابه، والداعي لهم والحالة هذه قد عكس الأمر وطلب منهم ما كانوا ينكرون من الشرك بالله في دعائهم لمن كانوا يدعونه من دون

---

(١) ص٢٨.

الله ففيه معنى قوله : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ [فاطر : ١٤] وقوله : ﴿ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ [الأحقاف : ٦] وتبين بهذه الآية أن الله تعالى أنكر على من دعا معه غيره من الأنبياء والصالحين والملائكة ومن دونهم، وأن دعاء الأموات والغائبين لجلب نفع أودفع ضر من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، وأن ذلك ينافي ما دلت عليه كلمة الإخلاص. فتدبر هذه الآية العظيمة يتبين لك التوحيد وما ينافيه من الشرك والتنديد، فإنها نزلت فيمن يعبد الملائكة والمسيح وأمه والعزير فهم المعنيون بقوله : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً ﴾ [الإسراء:٥٦] ثم بين تعالى أن هؤلاء المشركين قد خالفوا من كانوا يدعونه في دينه فقال : ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ [الإسراء : ٥٧] وقدَّم المعمول؛ لأنه يفيد الحصر؛ يعني يبتغون إلى ربهم الوسيلة لا إلى غيره وأعظم الوسائل إلى الله تعالى التوحيد الذي بعث الله به أنبياءه ورسله وخلق الخلق لأجله. ومن التوسل إليه التوسل بأسمائه وصفاته كما قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٨٠] وكما ورد في الأذكار المأثورة من التوسل بها في الدعوات كقوله : «اللهم، إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنَّان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام» وقوله : «اللهم إني أسألك بأنك أنت الله لا إله أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد» وغير ذلك من الأعمال الصالحة الخالصة

التي لم يَشُبْها شرك، فالتوسُّل إلى الله هو بما يحبه ويرضاه، لا بما يكرهه ويأباه من الشرك الذي نزَّه نفسه عنه بقوله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الطور: ٤٣] وقوله: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨] وقوله في الإنكار على من اتخذ الشفعاء: ﴿ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير يأمر عباده بإخلاص العبادة له، وينهاهم عن عبادة ما سواه، ويعظم عقوبته كما قد جرى على الأمم المكذبة للرسل فيما جاؤوهم به من التوحيد والنهي عن الشرك. فأوقع الله تعالى بهم ما أوقع كقوم نوح وعاد وثمود ونحوهم فإنهم عصوا الرسل فيما أمروهم به من التوحيد وتمسكوا بالشرك وقالوا لنوح: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ [هود: ٢٧] وقالوا لهود: ﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ الآيات [هود: ٥٣]، وقالوا لصالح: ﴿قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [هود: ٦٢] ، وقالوا لشعيب: ﴿أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾[هود: ٨٧] فتدبر ما قصَّ الله تعالى في كتابه مما دعا إليه الرسل وما أوقع بمن عصاهم فإن الله تعالى أقام به الحجة على كل مشرك إلى يوم القيامة، وأما ماورد في معنى الآية عن ابن مسعود قال: كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم.

قلت: وهذا لا يخالف ما تقدم؛ لأن هذه الآية حجة على كل من دعا

مع الله وليًا من الأولين والآخرين كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في هذه الآية، وهذه الأقوال كلها حق، فإن الآية تعم من كان معبوده عابداً لله سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر.

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ الآية [الزخرف: ٢٦، ٢٧]. الكلمة هي (لا إله إلا الله) بإجماع أهل العلم وقد عبَّر عنها الخليل ـ عليه السلام ـ بمعناها الذي أريد به فعبر عن المنفي بها بقوله: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ وعبر عما أثبتته بقوله: ﴿إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ فقصر العبادة على الله وحده ونفاها عن كل ما سواه ببراءته من ذلك، فما أحسن التفسير لهذه الكلمة وما أعظمه! قال العماد ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف: ٢٨] أي هذه الكلمة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الأوثان وهي: لا إله إلا الله، جعلها في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله من ذرية إبراهيم عليه السلام ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٨] أي: إليها، قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف: ٢٨] يعني (لا إله إلا الله) لا يزال في ذريته من يقولها. وقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] الأحبار هم العلماء، والرهبان هم العباد، وهذه الآية قد فسَّرها رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم، وذلك أنه لما جاء مسلماً دخل على رسول الله ﷺ فقرأ عليه هذه الآية،

قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم. قال: «بلى إنهم حرَّموا عليهم الحلال وحلَّلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم» رواه أحمد والترمذي وحسنه وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني من طرق. قال السدي: استنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١] فصار ذلك عبادة لهم وصاروا به لهم أرباباً من دون الله وقد قال تعالى: ﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠].

قوله: (والمسيح بن مريم) أي: اتخذوه ربًا بعبادتهم له من دون الله، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ [المائدة: ١١٦] إلى قوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة:١١٧] فمن تدبر هذه الآيات تبين له معنى (لاإله إلا الله) وتبين له التوحيد الذي جحده أكثرُ من يدَّعي العلم في هذه القرون وما قبلها من متأخري هذه الأمة، وقد عمَّت البلوى بالجهل به بعد القرون الثلاثة لما وقع الغلو في قبور أهل البيت وغيرهم وبنيت عليها المساجد، وبنيت لهم المشاهد، فاتسع الأمر وعظمت الفتنة في الشرك المنافي للتوحيد لما حدث الغلو في الأموات وتعظيمهم بالعبادة، فبهذه الأمور التي وقع فيها الأكثر

عاد المعروف منكراً والمنكر معروفاً، والبدعة سنة والسنة بدعة، نشأ على هذا الصغير، وهرم عليه الكبير، وقد قال ﷺ : «بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس» وفي رواية: «يصلحون ما أفسد الناس».

قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ١٦٥]. الأنداد: الأمثال والنظراء كما قال العماد ابن كثير وغيره من المفسرين، فكل مَنْ صرف من العبادة شيئًا لغير الله رغبة إليه أو رهبة منه فقد اتخذه نداً لله؛ لأنه أشرك مع الله فيما لا يستحقه غيره، قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: فتوحيد المحبوب ألا يتعدد محبوبه أي: مع الله بعبادته له، وتوحيد الحب ألا يبقى في قلبه بقية حب حتى يبذلها له، فهذا الحب وإن سمِّي عشقاً فهو غاية صلاح العبد ونعيمه وقرة عينه، وليس لقلب صلاح ولا نعيم إلا بأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وألا تكون محبته لغير الله، فلا يحب إلا لله، كما في الحديث الصحيح: «ثلاث من كن فيه» الحديث. ومحبة رسوله هي من محبته، ومحبة المرء إن كانت لله فهي من محبته، وإن كانت لغير الله فهي منقصة لمحبة الله مضعفة لها. ويصدق هذه المحبة بأن يكون كراهته لأبغض الأشياء إلى محبوبه وهو الكفر بمنزلة كراهته لإلقائه في النار أو أشد، ولا ريب أن هذا من أعظم المحبة فإن الإنسان لا يقدم على محبة نفسه شيئاً فإذا قدم محبة الإيمان بالله على نفسه بحيث لو خُيِّر بين الكفر وإلقائه في النار لاختار أن يلقى في النار ولا يكفر كان أحب إليه من نفسه، وهذه

المحبة هي فوق ما يجده العُشّاق من محبة محبوبهم. بل لا نظير لهذه المحبة كما لا مثل لمن تعلقت به وهي محبة تقتضي تقديم المحبوب فيها على النفس والمال والولد، وتقتضي كمال الذل والخضوع والتعظيم والإجلال والطاعة والانقياد ظاهراً وباطناً، وهذا لا نظير له في محبة المخلوق ولو كان المخلوف من كان؛ ولهذا من شرك بين الله وبين غيره في المحبة الخاصة كان شركاً لا يغفره الله كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥] والصحيح أن معنى الآية أن الذين آمنوا أشد حبًا لله من أصحاب الأنداد لأندادهم، كما تقدم أن محبة المؤمنين لربهم لا يماثلها محبة مخلوق أصلاً كما لا يماثل محبوبهم غيره، وكل أذى في محبة غيره فهو نعيم في محبته، وكل مكروه في محبة غيره فهو قرة عين في محبته. انتهى.

قال: (وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال: (لا إله إلا الله) وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل»).

قوله: «في الصحيح» أي: صحيح مسلم «عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه عن النبي ﷺ» فذكره، وأبو مالك اسمه سعد بن طارق كوفي، ثقة مات في حدود الأربعين.

قوله: «من قال: (لا إله إلا الله) وكفر بما يعبد من دون الله»[1]: اعلم

---

(١) ص ٢٩.

أن النبي ﷺ علق عصمة المال والدم بأمرين في هذا الحديث؛ الأول: قول (لا إله إلا الله) عن علم ويقين كما هو قيد في قولها في غير ما حديث، والثاني: الكفر بما يعبد من دون الله لكن ذكر في هذا الحديث «وكفر» تأكيداً لما دلت عليه؛ لأن المقام عظيم يقتضي التأكيد.

قوله: «حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل» فيه دليل أنه لا يحرم ماله ودمه إلا إذا قال: (لا إله إلا الله) وكفر بما يعبد من دون الله، فإن قالها ولم يكفر بما يعبد من دون الله فدمه وماله حلال لكونه لم ينكر الشرك ويكفر به، ولم ينفه كما نفته (لا إله إلا الله) فتأمل هذا الموضع فإنه عظيم النفع.

قال شيخنا: وهذا من أعظم ما يبين معنى (لا إله إلا الله) فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم دمه وماله حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه، فيالها من مسألة ما أجلها! ويا له من بيان ما أوضحه وحجة ما أقطعها للمنازع. ! انتهى.

قوله: «وحسابه على الله عز وجل» أي: الله تعالى هو الذي يتولى حسابه، فان كان صادقاً جزاه بجنات النعيم، وإن كان منافقاً عذَّبه العذاب الأليم، وأما في الدنيا فالحكم على الظاهر.

قوله: «وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب» فقد ذكر فيها

ـ رحمه الله تعالى ـ ما يبين التوحيد وما ينافيه، وما يقرب منه، وما يوصل إليه من الوسائل، وبيان ما كان عليه السلف من بُعْدهم عن الشرك في العبادة وشدة إنكارهم له وجهادهم على ذلك، وقد جمع هذا الكتاب على اختصاره من بيان التوحيد ما لا يُعذر أحد عن معرفته وطلبه بإقبال وتدبر، وكذلك الرد على أهم الأهواء جميعهم، فمن حفظه واستحضره وجد ذلك واستغنى به عن غيره في الرد على كل مبتدع فتدبره تجد ذلك بيناً، وسيأتي التنبيه على ذلك إن شاء الله تعالى.

قوله: (باب: من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء ودفعه)[1] أي: لرفعه إذا نزل ودفعه قبل أن ينزل، يعني إذا كان هذا هو القصد فتعلق قلبه به في دفع ضر مما قد نزل ومما لا ينزل قد صرحت الأحاديث بأن هذا من الشرك بالله.

قوله: (وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨] قال مقاتل: فسألهم النبي ﷺ فسكتوا؛ لأنهم لا يتعقدون ذلك فيها. قلت: فإذا كانت آلهتهم التي يدعون من دون الله لا قدرة لها على كشف ضر أراده الله بعبده، أو تمسك[2] رحمة أنزلها على عبده فيلزمهم بذلك أن يكون الله تعالى هو معبودهم وحده لزوماً لا محيد لهم عنه. وذكر تعالى مثل هذا السؤال عن خليله

---

(١) ص ٣٠.

(٢) كذا في الأصل وصوابه: أو إمساك.

إبراهيم لمن حاجّه في الله فقال: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨] فأقام تعالى الحجة على المشركين بما يبطل شركهم بالله وتسويتهم غيره به في العبادة بضرب الأمثال وغير ذلك، وهذا في القرآن كثير كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣] وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤٢) وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١ - ٤٣] وقال: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢٠، ٢١].

ذكر العماد ابن كثير -رحمه الله تعالى- في هذه الآية ما رواه ابن أبي حاتم عن قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس مرفوعاً: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجدْه تجاهك، تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، واذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لواجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك، ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك، جفَّت الصحف ورفعت الأقلام، واعمل لله بالشكر في اليقين، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأن النصر مع الصبر، وأن

الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً».

قوله: (عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر فقال: «ما هذه؟ فقال: من الواهنة، فقال: «انزعها؛ فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً» رواه أحمد بسند لا بأس به.

قوله: «عمران بن حصين» أي: ابن عبيد بن خلف الخزاعي أبو نجيد -بنون وجيم مصغر- صحابي ابن صحابي أسلم عام خيبر ومات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة.

قوله: «رأى رجلاً» في رواية الحاكم: دخلت على رسول الله ﷺ وفي عضدي حلقة صفر فقال: ما هذه؟ الحديث، فالمبهم في رواية أحمد هو عمران راوي الحديث.

قوله: «ما هذه؟» الظاهر أنه للإنكار عليه.

قوله: من الواهنة. قال أبو السعادات: الواهنة عرْق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها فيرقى منها، وقيل: هو مرض يأخذ فيَ العضد وهي تأخذ الرجال دون النساء، وإنما نهاه عنها لكونه يظن أنها تمنع عنه هذا الداء أو ترفعه، فأمره ﷺ بنزعها لذلك وأخبر أنها لا تزيده إلاوهناً، فإن المشرك يعامل بنقيض قصده؛ لأنه علّق قلبه بما لا ينفعه ولا يدفع عنه، فإذا كان هذا بحلقة صفر فما الظن بما هو أطمُّ وأعظم؟ كما وقع من عبادة القبور والمشاهد والطواغيت وغيرها، كما لا يخفى على من له أدنى مسكة من

(١) أي: من أجل مرض الواهنة وابتغاء شفائه بها.

عقل. قال المصنف رحمه الله تعالى: فيه شاهد لكلام بعض الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر، وأنه لم يعذر بالجهالة لقوله: «فإنك لو متَّ وهي عليك ما أفلحت أبداً» والفلاح هو الفوز والظفر والسعادة.

قوله: «رواه أحمد بسند لا بأس به» هو الإمام أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني أبو عبدالله المروزي ثم البغدادي، إمام أهل عصره وأعلمهم بالفقه والحديث، وأشدهم ورعاً، وهو الذي يقول فيه بعض أهل السنة: عن الدنيا ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه، أتته الدنيا فأباها، والشبه فنفاها، روى عن الشافعي وزيد بن هارون وعبد الرحمن ابن مهدي ويحيى القطان وابن عيينة وعبد الرازق وخلق لا يحصون. مات سنة إحدى وأربعين ومائتين وله سبع وسبعون سنة رحمه الله تعالى.

قوله: وله عن عقبة بن عامر مرفوعاً: «من علَّق تميمية فلا أتم الله له، ومن علَّق ودعة فلا ودع الله له» وفي رواية: «من علَّق تميمة فقد أشرك» عقبة بن عامر صحابي مشهور فقيه فاضل ولِّي إمارة مصر لمعاوية ثلاث سنين ومات قريباً من الستين.

وهذا الحديث فيه التصريح بأن تعليق التمائم شرك لما يقصده من علقها لدفع ما يضره أو جلب ما ينفعه، وهذا أيضاً ينافي كمال الإخلاص الذي هو معنى (لا إله إلا الله)؛ لأن المخلص لا يلتفت قلبه لطلب نفع أو دفع ضر من سوى الله كما تقدم في قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥] فكمال التوحيد لا يحصل إلا بترك ذلك وإن كان من الشرك الأصغر فهو عظيم، فإذا كان هذا قد خفي على

بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في عهد النبوة فكيف لا يخفى على من هو دونهم في العلم والإيمان بمراتب بعد ما حدث من البدع والشرك؟ كما في الأحاديث الصحيحة وتقدمت الإشارة إلى ذلك. وهذا مما يبين معنى (لا إله إلا الله) أيضاً، فإنها نفت كل الشرك قليله وكثيره كما قال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨].

قوله: «فلا أتم الله له» دعاء عليه، وكذلك قوله: «فلا ودع الله له» أي: لا جعله في دعة وسكون.

قوله: (ولابن أبي حاتم أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦].

ابن أبي حاتم هو الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس المرادي التميمي الحنظلي، صاحب (الجرح والتعديل) والتفسير وغيرها، مات سنة سبع وعشرين وثلاثمائة. وحذيفة هو ابن اليمان واسم اليمان حُسَيْل ـ بمهملتين ـ مصغَّر، ويقال «حِسْل» بكسر ثم سكون، العبسي بالموحدة حليف الأنصار صحابي جليل من السابقين ويقال له: صاحب السر وأبوه صحابي أيضا. مات حذيفة في أول خلافة علي سنة ست وثلاثين.

قوله: (رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦].

قوله: (رأى رجلا في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦].

فيه دليل على أن هذا شرك، وأن الصحابة - رضي الله عنهم - يستدلُّون بالآيات التي نزلت في الشرك الأكبر على الأصغر لدخوله في الشرك المنهي عنه في الآيات والأحاديث عمومًا وخصوصًا؛ لما قد عرفت أنه ينافي كمال الاخلاص. إذا كان مثل هذا وقد خافه ﷺ على الصحابة كماتقدم في قوله: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» فإذا كان يقع مثل هذا في تلك القرون المفضلة فكيف يؤمن أن يقع ما هو أعظم منه؟ لكن لغلبة الجهل به وقع منهم أعظم مما وقع من مشركي العرب وغيرهم في الجاهلية مما قد تقدم التنبيه عليه، حتى إن كثيراً من العلماء في هذه القرون اشتد نكيرهم على من أنكرالشرك الأكبر فصاروا هم والصحابة - رضي الله عنهم - في طرفي نقيض، فالصحابة ينكرون القليل من الشرك وهؤلاء ينكرون على من أنكر الشرك الأكبر، ويجعلون النهي عن هذا الشرك بدعة وضلالة، وكذلك كانت حال الأمم مع الأنبياء والرسل جميعهم فما بعثوا به من توحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له وحده، والنهي عن الشرك به، وقد بعث الله تعالى خاتم رسله محمداً ﷺ بذلك كما بعث به من قبله، فعكس هؤلاء المتأخرون ما دعا إليه رسول الله ﷺ مشركي العرب وغيرهم فنصر هؤلاء ما نهى عنه من الشرك غاية النصرة، وأنكروا التوحيد الذي بعث به غاية الإنكار، فإنه ﷺ لما قال لقريش: «قولوا: (لا إله إلا الله) تفلحوا» عرفوا معناه الذي وضعت له

وأريد منها فقالوا : ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ الآيات [ص: ٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥] وفي صحيح البخاري وغيره في سؤال هرقل لأبي سفيان عن النبي ﷺ قال له: فماذا يأمركم؟ قلت: يقول: «اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا واتركوا مايقول آباؤكم» ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والصلة.

قوله: (باب ما جاء في الرقى والتمائم)(١) أي من النهي عما لا يجوز من ذلك.

قوله: (في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ أنه كان مع النبي ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولاً ألا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت) هذا الحديث في الصحيحين، واسم أبي بشير قيس بن عبيد قاله ابن سعد. وقال ابن عبد البر: لا يوقف له على اسم صحيح، وهو صحابي شهد الخندق ومات بعد الستين ويقال: إنه جاوز المائة.

قوله: «فأرسل رسولاً» هو زيد بن حارثة روى ذلك الحارث بن أبي أسامة في مسنده. قاله الحافظ: قوله: «ألا يبقين» بفتح الياء والقاف، ويحتمل أن يكون بضم الياء المثناة وكسر القاف، والوتر بفتحتين واحد أوتار القوس، وكأن أهل الجاهلية إذا اخْلَوْلَق الوتر أبدلوه بغيره وقلدوا به الدواب اعتقاداً منهم بهذا أنه يدفع عن الدابة العين؛ ولهذا أمر ﷺ بقطع

---

(١) ص٣١.

الأوتار التي علقت على الإبل لما كان أهل الجاهلية يعتقدون ذلك فيها .

قوله : (أو قلادة إلا قطعت) يحتمل أن ذلك شك من الراوي ، ولأبي داود «ولا قلادة» بغير شك ، فعلى هذه الرواية تكون (أو) بمعنى الواو ، قال البغوي في شرح السنة : تأول مالك أَمْرَه ـ عليه السلام ـ بقطع القلائد على أنه من أجل العين ، وذلك أنهم كانوا يشدون تلك الأوتار والتمائم والقلائد ويعلقون عليها العوذ يظنون أنها تعصمهم من الآفات فنهاهم النبي ﷺ عنها وأعلمهم أن الأوتار لا تَرُدُّ من أمر الله شيئاً . قال أبو عبيد : كانوا يقلّدون الإبل أوتاراً لئلا تصيبها العين فأمرهم النبي ﷺ بإزالتها ؛ إعلاماً لهم بأن الأوتار لا ترد شيئًا .

قوله : (وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» رواه أحمد وأبو داود ، ولفظ أبي داود عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود أن عبد الله رأى في عنقي خيطاً فقال : ما هذا؟ قلت : خيط رقي لي فيه ، قالت : فأخذه فقطعه ثم قال : أنتم آل عبد الله الأغنياء عن الشرك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» . قال المصنف رحمه الله تعالى : لكن إذا كان المعلّق من القرآن فرخّص فيه بعض السلف وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه ، منهم ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ والمقصود بيان أن هذه الأمور الشركية وإن خفيت فقد نهى عنها رسول الله ﷺ وأصحابه لكمال عِلْمهم بما دلت عليه (لا إله إلا الله) من نفي الشرك قليله

وكثيره لتعلُّق القلب بغير الله في دفع ضر أوجلب نفع، وقد عمَّت البلوى بما هو أعظم من ذلك بأضعاف مضاعفة، فمن عرف هذه الأمور الشركية المذكورة في هذين البابين عرف ما وقع مما هو أعظم من ذلك كما تقدم بيانه، وفيه ما كان عليه رسول الله ﷺ من التحذير من الشرك والتغليظ في إنكاره وإن كان من الشرك الأصغر فهو أكبر من الكبائر وقد تقدم دليله في الباب قبل هذا.

قوله: (عن عبد الله بن عكيم مرفوعاً: «من تعلق شيئاً وكله إليه») رواه أحمد والترمذي، وعبد الله بن عكيم -بضم المهملة- مصغر، ويُكْنَى أبا معبد الجهني الكوفي. قال الخطيب: سكن الكوفة وقدم المدائن في حياة حذيفة وكان ثقة.

قوله: «من تعلق شيئاً وكل إليه» التعلق يكون بالقلب وينشأ عنه القول والفعل، وهو التفات القلب عن الله إلى شيء يعتقد أنه ينفعه أو يدفع عنه كما تقدم بيانه في الأحاديث في هذا الباب والذي قبله، وهو ينافي قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢] فإن كان من الشرك الأصغر فهو ينافي كمال التوحيد، وإن كان من الشرك الأكبر كعبادة أرباب القبور والمشاهد والطواغيت ونحو ذلك فهو كفر بالله، وخروج من دين الإسلام، ولا يصح معه قول ولا عمل.

قوله: «وكل إليه» أي: وكله الله إليه، إلى ما علق قلبه به من دون الله،

ومن وكله الله إلى غيره ضل وهلك، قال الإمام أحمد: حدثنا هشام بن قاسم حدثنا أبو سعيد المؤدب حدثنا من سمع عطاء الخراساني قال: لقيت وَهْب بن مُنَبِّه وهو يطوف بالبيت فقلت: حدِّثني بحديث أحفظه عنك في مقامي هذا وأوجز، قال: نعم، أوحى الله إلى داود عليه السلام: «يا داود، أما وعزتي وعظمتي لا يعتصم بي عبد من عبيدي دون خلقي أعرف ذلك من نيته فتكيده السموات السبع ومن فيهن والأرضون السبع ومن فيهن إلا جعلت له من بينهن فرجاً ومخرجاً، أما وعزتي وعظمتي ما يعتصم عبد من عبيدي بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماء من يده، وأَسَخْت الأرض من تحت قدميه ثم لا أبالي بأيِّ وادٍ هلك». وشاهد هذا في القرآن فتدبر.

قوله: (روى أحمد عن رويفع قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا رويفع، لعل الحياة تطول بك فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلَّد وتراً أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمداً بريء منه» رويفع هو ابن ثابت ابن السكن بن عدي بن الحارث الأنصاري نزل مصر وولي برقة، له ثمانية أحاديث. قال عبد الغني: ولِيَ طرابلس فافتتح أفريقية سنة سبع وأربعين. وقال ابن يونس: توفي ببرقة سنة ست وخمسين. قوله: «لعل الحياة تطول بك» فقد طالت حياته - رضي الله عنه - كما أخبر النبي ﷺ قوله: «فأخبر الناس أن من عقد لحيته» قال الخطابي: أما نهيه عن عقد اللحية فيفسر على وجهين؛ أحدهما: ما كانوا يفعلونه في الحرب كانوا

يعقدون لحاهم وذلك من زيّ بعض الأعاجم يفتلونها ويعقدونها، قال أبو السعادات: تكبراً أو عجباً. ثانيهما: أن معناه معالجة الشعر ليتعقَّد ويتجعَّد. انتهى. قلت: ويشبه هذا ما يفعله كثير من فتل أطراف الشارب فيترك أطرافه لذلك وهي بعضه، وفي حديث زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يأخذ من شاربه فليس منا» رواه أحمد والنسائي والترمذي وقال: صحيح، وفي الصحيح: «خالفوا المشركين احفو الشوارب واعفو اللحى» وذلك يدل على الوجود، وذكر ابن حزم الإجماع على أنه فرض فيتعين النهي عن ذلك.

قوله: «أو تقلد وتراً» فيه مع ما تقدم أنه شرك لما كانوا يقصدونه بتعليقه على الدواب وغيرها، قوله: «أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمداً بريء منه» هذا دليل على أن هذا والذي قبله من الكبائر؛ لأن قوله: «أن محمداً بريء منه» يدل على ذلك، وقال النووي رحمه الله تعالى: أي: بريء من فعله، فهذا التأويل بعيد لعود الضمير إلى (من)، وقد ورد النهي عن الاستنجاء بالروث والعظام في أحاديث صحيحة كما لا يخفى، منها ما رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود مرفوعاً: «لا تستنجوا بالروث ولا العظام فإنه زاد إخوانكم من الجن» ولما روى ابن خزيمة والدارقطني عن أبي هريرة نهى أن يُستنجى بعظم أو روث وقال: إنهما لا يطهران، وعنه لا يجزي الاستنجاء بهما كما هو ظاهر مذهب أحمد.

قوله: (وعن سعيد بن جبير قال: من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة) رواه وكيع، هذا عند أهل العلم له حكم الرفع؛ لأن مثل ذلك لا يقال بالرأي فيكون هذا مرسلاً؛ لأن سعيداً تابعي، فعلى هذا يجب النهي عن تعليق التمائم والترغيب في قطعها وأن ذلك مما يجب، وفيه مع ما تقدم أنه شرك، وبيان حال السلف ـ رضي الله عنهم ـ من تعظيم الشرك قليله وكثيره والنهي عنه، فلما اشتدت غربة الإسلام في أواخر هذه الأمة صار إنكار هذا وما هو أعظم منه أعظم المنكرات حتى عند من ينتسب إلى العلم كما لا يخفى، ووكيع هو ابن الجراح بن وكيع الكوفي ثقة إمام صاحب تصانيف منها الجامع وغيره روى عنه الإمام أحمد وطبقته، مات سنة سبع وتسعين ومائة.

قوله: (وله عن إبراهيم قال: كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن) إبراهيم هو الإمام إبراهيم بن يزيد النخعي الكوفي. يُكنى أبا عمران، ثقة من كبار الفقهاء، مات سنة ست وتسعين، وله خمسون سنة أو نحوها قوله: «كانوا يكرهون» أراد أصحاب عبد الله بن مسعود كعلقمة والأسود وأبي وائل والحارث بن سويد وعبيدة السلماني ومسروق والربيع بن خثيم وسويد بن غفلة وغيرهم وهم من سادات التابعين، وفي زمانهم كانوا يطلقون الكراهة على المحرَّم، وهذا القول الصحيح؛ لأن ما كان من غير القرآن قد تقدم النهي عنه بلا ريب، وأما إذا كان من القرآن فيتعين النهي عنه لأمور ثلاثة؛ منها: دخوله في عموم المنهي عنه. ومنها: كونه ذريعة إلى تعليق ما ليس من القرآن فيفضي إلى

عدم إنكارها. الثالث: أن تعليق القرآن يكون سبباً في امتهانه فلابد أن يدخل به الخلاء ونحوه. قال المصنف رحمه الله تعالى: والرقى هي التي تسمى العزائم، وخصَّ منه الدليل ما خلا من الشرك فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة، والتولة شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته، قال الحافظ: التولة بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففاً: شيء كانت المرأة تجلب به محبة زوجها وهو ضرب من السحر. والله أعلم.

قوله: (باب من تبرَّك بشجرة أو حجر ونحوهما) كبقعة وقبر ومشهد ونحو ذلك، و(من) اسم شرط والجواب محذوف تقديره: (فقد أشرك بالله) قوله: (وقول الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ﴾ الآيات [النجم: ١٩، ٢٠] هذه الأوثان الثلاثة هي أعظم أوثان أهل الجاهلية من أهل الحجاز. فاللات لأهل الطائف ومَن حولهم من العرب، والعزّى لقريش وبني كنانة، ومناة لبني هلال، وقال ابن هشام: كانت لهذيل وخزاعة، واللات بتخفيف التاء في قراءة الجمهور، وقرأ ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وحميد وأبو صالح ورويس عن يعقوب بتشديد التاء، فعلى الأولى قال الأعمش: سَمَّوْا اللات من الإله، والعزى من العزيز، وقال ابن كثير: اللات كانت صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت بالطائف له أستار وسدنة، وحوله فناء معظم عند أهل الطائف وهم ثقيف ومن تبعها، يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش، قاله ابن هشام، وعلى الثانية قال ابن عباس: كان رجلاً يلتُّ السويق للحاج فمات فعكفوا على قبره، ذكره البخاري.

قلت: ولا منافاة بين ما ذكره البخاري وغيره من عبادتهم الصخرة التي كان يلتُّ السويق عليها باسمه وعبادة قبره لما مات، وأما العزى فقال ابن جرير: كانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة بين مكة والطائف كانت قريش يعظمونها كما قال أبو سفيان، يوم أحُد: لنا العُزَّى ولا عُزّى لكم. قال رسول الله ﷺ: «قولو: الله مولانا ولا مولى لكم». ومناسبة هذه الآية للترجمة أن عبادة المشركين للعزى إنما كان بالتفات القلوب رغبة إليها في حصول ما يرجونه ببركتها من نفع أو دفع ضر فصارت أوثانًا تعبد من دون الله وذلك من شدة ضلال أهل الشرك وفساد عقولهم كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨] فصار عبادة القبور وعبادة الشجر والحجر هو شرك المشركين، وقد جرى ذلك وما هو أعظم منه في أواخر هذه الأمة.

قوله: (عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حُدَثَاء عهدٍ بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يارسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، إنها السنن. قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] لَتَرْكَبُنَّ سُنَن من كان قبلكم» رواه الترمذي وصححه.

قوله: «عن أبي واقد» هو صحابي مشهور مات سنة ثمان وستين وله خمس وثمانون سنة قوله: «خرجنا مع رسول الله ﷺ» يشير إلى أهل مكة ممن إسلامه قريب إذ ذاك، قوله: «إلى حنين» هو اسم واد بشرقي مكة معروف قاتل فيه رسول الله هوازن كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة: ٢٥] والوقعة مشهورة عند أهل المغازي والسير وغيرهم، وما جرى فيها من النصر وأخذ أموالهم وسبي ذراريهم ونسائهم كما في الآية الكريمة ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٦].

قوله: «ونحن حدثاء عهد بكفر» يشير إلى أهل مكة الذين أسلموا قريباً فلذلك خفي عليهم هذا الشرك المذكور في الحديث بخلاف من تقدم إسلامه. قوله: «وللمشركين سدرة يعكفون عندها» عبادة لها وتعظيمًا وتبركاً لما كانوا يعتقدونه فيها من البركة. قوله: «يقال لها: ذات أنواط» هو برفع التاء كما لا يخفى. قوله: «ينوطون بها أسلحتهم» أي: يعلقونها.

قوله: «فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم» أي: للمشركين ذات أنواط، ظنوا أن النبي ﷺ لو جعل لهم ذلك لجاز اتخاذها لحصول البركة لمن اعتقدها فيها وأنواط جمع نَوْط وهو مصدر سُمِّي به المنوط. قوله: «فقال النبي ﷺ: الله أكبر» تعظيماً لله تعالى: عن أن يجعل له شريك في عبادته التي هي حقه على عباده كما

قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يونس: ١٠٥] وقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ [الروم: ٤٣] وهو الإخلاص والشرك ينافي ذلك، وتقدم معنى الحنيف وتضمنت هاتان الآيتان وما في معناهما التوحيد الذي دلت عليه (لا إله إلا الله) نفياً وإثباتاً كما تقدم بيانه، فمن التفت قلبه إلى غير الله لطلب نفع أو دفع ضر فقد أشرك، والقرآن كله في تقدير هذا الأصل العظيم الذي هو أصل دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه.

قوله: «السُّنَن» بضم السين أي: الطرق يشير إلى الطرق التي تخالف دينه الذي شرعه تعالى لعباده.

قوله: «قلتم والذي نفسي بيده» حلف ﷺ على ذلك تأكيداً لهذا الخبر وتعظيماً له كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] وإن لم يسموها آلهة، أخبر أن التبرُّك بالأشجار يجعلها آلهة وإن لم يسموها آلهة؛ ولذلك شبه قولهم هذا بقول بني إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ فظهر بهذا الحديث أن التعلق على الأشجار والأحجار وغيرها لطلب البركة بها شرك في العبادة كشرك عباد الأصنام.

قوله: «لتركبن سنن من كان قبلكم» أي: اليهود والنصارى، وقد وقع كما أخبر به ﷺ في هذه الأمة فركبوا طريق من كان قبلهم ممن ذكرنا كما هو في الأحاديث الصحيحة كحديث «لتتبعن سنن من كان قبلكم حَذْو القذَّة بالقذَّة حتى لو دخلوا جحر ضَبٍّ لدخلتموه. قالوا: يا رسول

الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟» وهو في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفي رواية: «ومن الناس إلا أولئك؟».

قوله: (باب ما جاء في الذبح لغير الله، وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ﴾ الآية [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣][1].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون أنه أخلص لله صلاته وذبيحته؛ لأن المشركين يعبدون الأصنام ويذبحون لها، فأمره تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى. انتهى.

فالصلوات الخمس هي أعظم فرائض الاسلام بعد الشهادتين.

قوله: (وصلاتي) يشمل الفرائض والنوافل، والصلوات كلها عبادة، وقد اشتملت على نوعي الدعاء دعاء المسألة ودعاء العبادة، فما كان فيها من السؤال والطلب فهو دعاء مسألة، وما كان فيها من الحمد والثناء والتسبيح والركوع والسجود وغير ذلك من الأركان والواجبات فهو دعاء عبادة، وهذا هو التحقيق في تسميتها صلاة؛ لأنها اشتملت على نوعي الدعاء الذي هو صلاة لغةً وشرعاً. قرره شيخ الإسلام وابن القيم رحمهما الله تعالى.

قوله: (ونسكي) قال الثوري عن السدى عن سعيد بن جبير:

---

(١) ص ٣٤.

(نسكي): ذبحي وكذلك قال الضَّحَّاك. قوله: (ومحياي ومماتي) أي: ما آتيه في حياتي وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح (لله رب العالمين) خالصاً لوجهه ﴿لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٣] أي: من هذه الأمة، وهذا قول أئمة التفسير، والمقصود أن هذه الآية دلت على أن أقوال العبد وأعماله الباطنة والظاهرة لا يجوز أن يصرف منها شيء لغير الله كائناً من كان، فمن صرف منها شيئًا لغير الله فقد وقع فيما نفاه تعالى من الشرك بقوله: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩] والقرآن كله في تقريره هذا التوحيد في عبادته وبيانه ونفي الشرك والبراءة منه.

قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] قال شيخ الإسلام: أمره أن يجمع بين هاتين العبادتين وهما الصلاة والنسك الدالتان على القرب والتواضع والافتقار وحسن الظن وقوة اليقين وطمأنينية القلب إلى الله وإلى عدته، عكس أهل الكبر والنفرة وأهل الغنى عن الله الذين لا حاجة لهم في صلاتهم إلى ربهم والذين لا ينحرون له خوفاً من الفقر، ولهذا جمع بينهما في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي﴾ [الأنعام: ١٦٢] الآية، اهـ. وقد قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [المائدة: ٣] الآية.

قوله: (عن علي - رضي الله عنه - قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من

آوى محدثاً، لعن الله من غير منار الأرض» رواه مسلم) وعلي بن أبي طالب هو الإمام أبو الحسن الهاشمي ابن عم النبي ﷺ وزوج ابنته فاطمة الزهراء ـ رضي الله عنهما ـ كان من أسبق السابقين الأولين ومن أهل بدر وبيعة الرضوان وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ورابع الخلفاء الراشدين ومناقبه مشهورة ـ رضي الله عنه ـ قتله ابن ملجم الخارجي في رمضان، سنة أربعين. قال أبو السعادات: أصل اللعن الطرد والإبعاد من الله.

قوله: «من ذبح لغير الله» قال شيخ الإسلام: قوله: (وما أُهِلَّ به لغير الله) ظاهره أنه ما ذبح لغير الله مثل أن يقال هذا ذبيحة لكذا وإذا كان هذا هو المقصود فسواء لُفِظ به أو لم يلفظ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبح للحم، وقال فيه: باسم المسيح ونحوه، كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى الله كان أزكى وأعظم مما ذبحناه للحم وقلنا عليه باسم الله، فإذا حرم ما قيل فيه باسم المسيح والزهرة فلأن يحرم ما قيل فيه لأجل المسيح أو الزهرة أو قصد به ذلك أولى، فإن العبادة لغير الله أعظم كفراً من الاستعانة بغير الله، فعلى هذا فلو ذبح لغير الله متقرباً إليه يحرم وإن قال فيه: باسم الله كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة الذين يتقربون إلى الكواكب بالذبح، والبخور ونحو ذلك وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال. . . إلخ، ومن ذلك الذبح للجن.

قوله: «لعن الله من لعن والديه» يعني أباه وأمه وإن علوا. وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «من الكبائر شتم الرجل والديه. قالوا:

يا رسـول الله، وهل يشـتم الرجل والـديه؟ قـال: نعـم، يسبُّ أبا الرجل فيسُبُّ أباه ويسُبُّ أمه فيسُبُّ أمه».

قـوله: «لعن الله من آوى محدثاً» هو بفتح الهمزة ممدودة أي: ضَمَّه إليه وحماه، وأما محدثاً فقال أبو السعادات: يروى بكسر الدال وفتحها على الفاعل والمفعول فمعنى الكسر من نصر جانياً وآواه وأجاره من خصمه وحال بينه وبين أن يَقْتَصَّ منه، والفتح هو الأمر المبتدع نفسه ويكون معنى الإيواء فيه الرضا به والنصر فإنه إذا ارتضى بالبدعة وأقرَّ فاعلها ولم ينكر عليه فقد آواه، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: هذه الكبيرة تختلف مراتبها باختلاف مراتب الحدث في نفسه فكلما كان الحدث في نفسه أكبر كانت الكبيرة أعظم.

قوله: «لعن الله من غيَّر منار الأرض» بفتح الميم: علامات حدودها، وهي التي توضع لتمييز حقِّ الشركاء إذا اقتسموا ما بينهم في الأرض والدور. قال في النهاية: أي معالمها وحدودها. قلت: وذلك بأن يرفع ما جُعل علامة على تمييز حقه من حق شريكه فيأخذ من حق شريكه بعضه فهذا ظلم عظيم، وفي الحديث: «من ظلم شبراً من الأرض طَوَّقه من سبع أرضين يوم القيامة» فما أجهل أكثر الخلق حتى وقعوا بجهلهم وظلمهم فيما يضرهم في دنياهم وأخراهم! وذلك لضعف الإيمان بالمعاد والحساب على الأعمال والجنة والنار. نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

قوله: (عن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: «دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب. قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرِّب له شيئاً، فقالوا لأحدهما: قرِّب، قال: ليس عندي شيء أقرِّب، قالوا له: قرِّب ولو ذباباً، فقرَّب ذبابًا فخلَّوا سبيله فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب، فقال: ما كنت لأقرِّبَ لأحد شيئاً دون الله عز وجل، فضربوا عنقه فدخل الجنة». رواه أحمد).

قوله: «عن طارق بن شهاب» البجلي الأحمسي أبو عبد الله قال: أبو داود رأى النبي ﷺ ولم يسمع منه شيئاً. قال الحافظ: إذا ثبت أنه لقي النبي ﷺ فهو صحابي، وإذا ثبت أنه لم يسمع منه فروايته عنه مرسل صحابي وهو مقبول على الراجح، وكانت وفاته على ما جزم به ابن حبان سنة ثلاث وثمانين، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: قال الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبو معاوية الأعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب يرفعه قال: «دخل الجنة رجل في ذباب» الحديث.

قوله: «في ذباب» أي: من أجله. قوله «قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟» كأنهم ـ والله أعلم ـ تَقَالُّوا هذا العمل وهو تقريب الذباب للصنم[1] فبين لهم النبي ﷺ أن من فعل هذا وما هو أعظم منه وجبت له النار.

قوله: «مرَّ رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً فقالوا لأحدهما: قرب. فقال: ليس عندي شيء أقرب. قالوا له:

(١) أو استغربوا كون الشيء الواحد يكون سببا لدخول الجنة والنار.

قرب ولو ذباباً، فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار» ؛ لأنه قصد غير الله بقلبه أوانقاد بعمله فوجبت له النار، ففيه معنى حديث مسلم الذي تقدم في باب الخوف من الشرك عن جابر مرفوعاً: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار»، فإذا كان هذا فيمن قرب للصنم ذباباً فكيف بمن يَستَسْمِنُ الإبل والبقر والغنم ليتقرب بنحرها وذبحها لمن كان يعبده من دون الله من ميت أو غائب أو طاغوت أو مشهد أو شجر أو حجر أو غير ذلك؟ وكان هؤلاء المشركون في أواخر هذه الأمة يعدون ذلك أفضل من الأضحية في وقتها الذي شرعت فيه، وربما اكتفى بعضهم بذلك عن أن يضحي لشدة رغبته وتعظيمه ورجائه لمن كان يعبده من دون الله، وقد عمَّت البلوى بهذا وما هو أعظم منه.

قوله: «وقالوا للآخر: قرِّب، قال: ما كنت أقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل، فضربوا عنقه فدخل الجنة» ففيه معرفة قدر الشرك في قلوب أهل الإيمان ونفرتهم عنه وصلابتهم في الإخلاص كما في حديث أنس الذي في البخاري وغيره الآتي إن شاء الله تعالى: «ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان» وفيه «وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يُقذف في النار» وفيه تفاوت الناس في الإيمان؛ لأن هذا الرجل الذي قرَّب الذباب لم يكن له عمل يستحق به دخول النار قبل ما فعله مع هذا الصنم كما هو ظاهر الحديث. والله أعلم.

قوله: (باب: لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله) ص٣٥.

أشار - رحمه الله تعالى - إلى ما كان الناس يفعلونه في نجد وغيرها قبل دعوتهم إلى التوحيد من ذبحهم للجن لطلب الشفاء منهم لمرضاهم ويتخذون للذبح لهم مكاناً مخصوصاً في دورهم، فنفى الله سبحانه الشرك بهذه الدعوة الإسلامية، فلله الحمد على زوال الشرك والبدع والفساد بطلعة الداعي إلى توحيد رب العالمين.

قوله: (وقول الله تعالى: ﴿لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ الآية [التوبة: ١٠٨] أي: مسجد الضرار المذكور في قوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة: ١٠٧، ١٠٨] وهو مسجد (قبا) أُسِّس على التقوى من أول يوم قدم فيه ﷺ المدينة مهاجراً، وكان أهل مسجد الضرار قد بنوه قبل خروج النبي ﷺ إلى غزوة تبوك، فأتوه فسألوه أن يصلي فيه وذكروا له أنهم بنوه للضعفاء وأهل العلة في الليلة الشاتية فقال: «أنا على سفر ولكن إذا رجعنا إن شاء الله». فلما قَفَل - عليه السلام - راجعاً إلى المدينة ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعضه نزل الوحي بخبر المسجد فبعث إليه وهدمه قبل قدومه إلى المدينة - صلوات الله وسلامه عليه - وأنزل الله فيه هذه الآيات، ووَجْهُ مطابقة الآية للترجمة أن هذا المسجد لما أسس على معصية الله والكفر به صار محل غضب فنهى الله نبيه ﷺ أن يقوم فيه لوجود العلة المانعة وخرج مخرج الخصوص، والنهي

عام وما كان مثله من الأمكنة فإنهُ يعطي حكمه؛ لأن المعصية صيرته محلاً خبيثاً وأثرت فيه بالنهي عن العبادة فيه ويقابل ذلك المساجد وهي أشرف بقاع الأرض قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ﴾ الآية [النور: ٣٦، ٣٧] فما أحسن هذا القياس! ويأتي تقريره في الحديث في الباب إن شاء الله تعالى.

قوله: (عن ثابت بن الضحاك قال: نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة، فسأل النبي ﷺ فقال: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا: لا. قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا، فقال رسول الله ﷺ: أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم» رواه أبو داود وإسناده على شرطهما).

قوله: «عن ثابت بن الضحاك» أي: ابن خليفة الأشهلي صحابي مشهور روى عنه أبو قلابة وغيره، مات سنة أربع وستين. قوله: «ببوانة» بضم الباء، وقيل: بفتحها. قال البغوي: موضع في أسفل مكة دون يلملم. قال أبو السعادات: هضبة من وراء ينبع. قوله: «فهل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟» فيه المنع من الوفاء بالنذر إذا كان في المكان وثن ولو بعد زواله، قاله المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ وهو شاهد الترجمة. قوله: «فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟» قال شيخ الإسلام: العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائد إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر ونحوه، والمراد به هنا الاجتماع المعتاد من اجتماع أهل

الجاهلية فالعيد يجمع أموراً منها: يوم عائد ليوم الفطر ويوم الجمعة، ومنها اجتماع فيه، ومنها أعمال تتبع ذلك من العبادات والعادات، وقد يختص العيد بمكان بعينه، وقد يكون مطلقاً وكل من هذه الأمور قد يُسمَّى عيداً في الزمان كقول النبي ﷺ في يوم الجمعة: «إن هذا يوم جعله الله للمسلمين عيداً» وللاجتماع والأعمال كقول ابن عباس رضي الله عنه: شهدت العيد مع رسول الله ﷺ، والمكان كقول النبي ﷺ: «لاتتخذوا قبري عيدًا». وقد يكون لفظ (العيد) اسماً لمجموع اليوم والعمل فيه وهو الغالب كقول النبي ﷺ: «دعهما يا أبا بكر؛ فإن لكل قوم عيدًا» انتهى.

وقد أحدث هؤلاء المشركون أعياداً عند القبور التي تعبد من دون الله ويسمونها عيداً كمولد البدوي بمصر وغيره، بل هي أعظم؛ لما يوجد فيها من الشرك والمعاصي العظيمة، قال المصنف رحمه الله تعالى: وفيه استفصال المفتي والمنع من الوفاء بالنذر بمكان عيد الجاهلية ولو بعد زواله.

قلت: وفيه المنع من اتخاذ آثار المشركين محلاً للعبادة؛ لكونها صارت محلاً لما حرم الله من الشرك والمعاصي، والحديث وإن كان في النذر فيشمل كل ما كان عبادة لله، فلا تفعل في هذه الأماكن الخبيثة التي اتخذت محلاً لما يسخط الله تعالى، فبهذا صار الحديث شاهداً للترجمة، والمصنف ـ رحمه الله تعالى ـ لم يُرِد التخصيص بالذبح وإنما ذكر الذبح

كالمثال، وقد استشكل جعل محل اللات بالطائف مسجداً، والجواب ـ والله أعلم ـ أنه لو ترك هذا المحل في هذه البلدة لكان يُخشى أن تُفْتَتَنَ به قلوب الجهال فيرجع إلى جعله وثناً كما كان يفعل فيه أولاً، فَجعْله مسجداً والحالة هذه يُنْسي ما كان يفعل فيه ويذهب به أثر الشرك بالكلية، فاختص هذا المحل لهذه العلة وهي قوة المعارض. والله أعلم.

قوله: «فأوفِ بنذرك» وذلك لعدم المانع. قوله: «فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله» فالحديث دل على أن اتخاذ أماكن الشرك والمعاصي لا يجوز أن يعبد الله، فيها ونذر ذلك معصية لا يجوز الوفاء به. قوله: «ولا فيما لايملك ابن آدم» قال في شرح المصابيح: يعني إذا أضاف النذر إلى معين لا يملكه بأن قال: إن شفى الله مريضي فلله علي أن أعتق عبد فلان ونحو ذلك، فأما إذا التزم في الذمة بأن قال: إن شفى الله مريضي فلله علي أن أعتق رقبة، وهو في تلك الحال لا يملكها ولا قيمتها فإذا شفى الله مريضه ثبت ذلك في ذمته. قوله: «رواه أبو داود وإسناده على شرطهما» أي: البخاري ومسلم، وأبو داود اسمه سليمان بن الأشعث بن إسحاق ابن بشير بن شداد الأزدي السجستاني صاحب الإمام أحمد بن حنبل ومصنف السنن والمراسيل وغيرها، ثقة إمام حافظ من كبار العلماء، مات سنة خمس وسبعين ومائتين، رحمه الله تعالى.

قوله: (باب من الشرك النذر لغير الله وقول الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧].

قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى: أي يتعبدون الله تعالى فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر.

قوله: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة:٢٧٠] قال ابن كثير: يخبر تعالى بأنه عالم بجميع ما يعمله العاملون من النفقات والمنذورات، وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين به ابتغاء وجهه. قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: وأما النذر لغير الله كالنذر للأصنام والشمس والقمر والقبور ونحو ذلك فهو شرك، وقال فيمن نذر للقبور ونحوها دهناً لتنور به، ويقول: إنها تقبل النذر كما يقوله بعض المشركين فهذا النذر معصية باتفاق المسلمين لا يجوز الوفاء به، وكذلك إذا نذر مالاً للسدنة أو المجاورين العاكفين بتلك البقعة فإن فيهم شبهاً من السدنة التي كانت عند العزى ومناة يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله. والمجاورون هناك فيهم شبه من الذين قال فيهم الخليل عليه السلام: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢] فالنذر لأولئك السدنة والمجاورين في هذه البقاع نذر معصية وفيه شبه من النذر لسدنة الصلبان والمجاورين عندها. انتهى. وذلك لأن الناذر لله وحده علق رغبته به وحده لعلمه بأنه تعالى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع: فتوحيد القصد هو توحيد العبادة؛ ولهذا ترتب عليه وجوب الوفاء فيمانذره طاعة

لله، والعبادة إذا صرفت لغير الله صار ذلك شركاً بالله لالتفاته إلى غيره تعالى فيما يرغب فيه أو يرهب فقد جعله شريكاً لله في العبادة فيكون قد أثبت ما نفته (لا إله إلا الله) من إلهية غير الله. ولم يثبت ما أثبتته من الإخلاص، وكل هذه الأبواب التي ذكرها المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ تدل على أن من أشرك مع الله غيره بالقصد والطلب فقد خالف ما نفته (لا إله إلا الله) فعكس مدلولها فأثبت ما نفته ونفى ما أثبتته من التوحيد، وهذا معنى قول شيخنا. وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب. فكل شرك وقع أو قد يقع فهو ينافي كلمة الإخلاص وما تضمنته من التوحيد.

قال الرافعي في شرح المنهاج: وأما النذر للمشاهد التي على قبر ولي أو شيخ، أو على اسم من حلها من الأولياء، أو تردد في تلك البقعة أو المشهد أو الزاوية، أو تعظيم من دفن بها أو نسبت إليه أو بنيت على اسمه، فهذا النذر باطل غير منعقد، فإن معتقدهم أن لهذه الأماكن خصوصيات، ويرون أنها مما يدفع به البلاء، ويستجلب به النعماء، ويستشفى بالنذر لها من الأدواء، حتى إنهم لينذرون لبعض القبور السرج والشمع والزيت ويقولون: القبر الفلاني أو المكان الفلاني يقبل النذر، يعنون بذلك أنه يحصل به الغرَض المأمول من شفاء مريض أو قدوم غائب وسلامة مال وغير ذلك من أنواع نذر المجازاة، فهذا النذر على هذا الوجه باطل لا شك فيه، بل نذر الزيت والشمع ونحوهما

للقبور باطل مطلقاً، ومن ذلك نذرالشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ ولقبر غيره من الأنبياء والأولياء فإن الناذر لا يقصد بذلك إلا الإيقاد على القبر تبركاً وتعظيماً ظاناً أن ذلك قربة، فهذا مما لا ريب في بطلانه، والإيقاد المذكور محرم سواء انتفع به منتفع أم لا

وقال الشيخ قاسم الحنفي في شرح درر البحار: النذر الذي ينذره أكثر العوام على ماهو مشاهد كأن يكون لإنسان غائب أو مريض أو له حاجة فيأتي إلى بعض الصلحاء ويجعل على رأسه سترة ويقول: يا سيدي فلان، إن رد الله غائبي أو قضيت حاجتي فلك من الذهب كذا، أو من الطعام كذا، أو من الماء كذا، أو من الشمع والزيت كذا، فهذا النذر باطل بالإجماع لوجوه منها: أنه نذر لمخلوق والنذر للمخلوق لا يجوز؛ لأنه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق، ومنها: أن المنذور له ميت والميت لا يملك شيئاً، ومنها: أنه ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله عز وجل واعتقاد ذلك كفر . . . إلى أن قال: إذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وينقل إلى ضرائح الأولياء تقرباً إليهم فحرام بإجماع المسلمين. نقله عنه ابن نجيم في البحر الرائق، ونقله المرشدي في تذكرته وغيرهما عنه وزاد: وقد ابتلي الناس بهذا لا سيما في مولد البدوي.
وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي ـ رحمه الله ـ في الرد على من أجاز الذبح والنذر للأولياء: فهذا الذبح والنذر إن كان على اسم فلان فهو لغير الله تعالى فيكون باطلاً، وفي التنزيل ﴿ وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ

عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١]﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] والنذر لغير الله إشراك مع الله كالذبح لغيره. انتهى.

قوله: (وفي الصحيح عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه» قوله: « في الصحيح » أي: صحيح البخاري.

قوله: «عن عائشة» هي أم المؤمنين زوج النبي ﷺ وابنة الصديق ـ رضي الله عنه ـ وأعلم النساء بحديث رسول الله ﷺ، تزوجها النبي ﷺ وهي بنت سبع ودخل بها وهي ابنة تسع وأفضل أزواج النبي ﷺ إلا خديجة ففيها خلاف، بل لا يقال خديجة أفضل ولا عائشة أفضل. والتحقيق أن لخديجة من الفضائل في بدء الوحي ما ليس لعائشة من سبقها إلى الإيمان بالنبي ﷺ وتأييده في تلك الحال التي بدئ بالوحي فيها ! في صحيح البخاري وغيره، فما زالت كذلك حتى توفيت ـ رضي الله عنها ـ قبل الهجرة، ولعائشة من العلم بالأحاديث والأحكام ما ليس لخديجة لعلمها بأحوال النبي ﷺ ونزول القرآن وبيان الحلال والحرام. وكان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بعد وفاته ﷺ يرجعون إليها فيما أشكل عليهم من أحوال النبي ﷺ وحديثه صلوات الله وسلامه عليه ورضي عن أصحابه وأزواجه. توفيت سنة سبع وخمسين رضي الله عنهما.

قوله: «من نذر أن يطيع الله فليطعه» لأنه بنذره لله خالصاً فوجب عليه الوفاء به فصار عبادة، وقد أجمع العلماء على أن من نذر طاعة لشرط

يرجوه كـ: إن شفى الله مريضي فعلي أن أتصدق بكذا ونحو ذلك وجب عليه إن حصل له ما علق نذره على حصوله، إلا أن أبا حنيفة قال: لا يلزمه الوفاء إلا بما جنسه واجب بأصل الشرع كالصوم وأما ليس كذلك فلا يوجب عليه الوفاءبه.

قوله: «ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه» زاد الطحاوي: «وليكفر عن يمينه» وقد أجمع العلماء أنه لا يجوز الوفاء بنذر المعصية، واختلفوا هل تجب فيه كفارة يمين؟ على قولين، هما روايتان عن أحمد، إحداهما: تجب، وهو المذهب، وروي عن ابن مسعود وابن عباس وبه قال أبو حنيفة وأصحابه.

قوله: (باب من الشرك الاستعاذة بغير الله تعالى) ص٣٧.

الاستعاذة: الالتجاء والاعتصام، فالعائذ قد هرب إلى ربه والتجأ إليه مما يخافه عموماً وخصوصاً، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وما يقوم بالقلب من الالتجاء والاعتصام به والانطراح بين يدي الرب والافتقار إليه والتذلل له أمر لا تحيط به العبارة. انتهى. وقد أمر الله عباده في كتابه بالاستعاذة به في مواضع كقوله: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] وقال: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨] وفي المعوذتين وغير ذلك فهو عبادة لا يجوز أن تصرف لغير الله كغيرها من أنواع العبادة.

قوله: (وقول الله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن: ٦]) قال أبو جعفر بن جرير - رحمه الله تعالى - في تفسيره هذه الآية: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان رجال من الإنس يبيت أحدهم بالوادي في الجاهلية فيقول: أعوذ بعزيز هذا الوادي فزادهم ذلك إثماً، وقال بعضهم: فزاد الإنس الجن باستعاذتهم بالجن باستعاذتهم بعزيزهم جراءة عليهم وازدادوا هم بذلك إثماً، وقال مجاهد: فازداد الكفار طغياناً. وقال ابن زيد: وزادهم الجن خوفاً، وقد أجمع العلماء على أنه لاتجوز الاستعاذة بغير الله، وقال ملا علي قاري الحنفي رحمه الله: لا تجوز الاستعاذة بالجن فقد ذم الله الكافرين على ذلك وذكر الآية وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ﴾ الآية [الأنعام: ١٢٨] فاستمتاع الإنسي بالجني في قضاء حوائجه وامتثال أوامره وإخباره بشيء من المغيبات، واستمتاع الجني بالإنسي تعظيمه إياه واستعاذته به وخضوعه له، انتهى ملخصاً. قال المصنف رحمه الله تعالى: «وفيه أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية لا يدل على أنه ليس من الشرك».

قوله: (وعن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نزل منزلا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك» رواه مسلم.

خولة بنت حكيم بن أمية السلمية، يقال لها: أم شريك، ويقال: إنها هي الواهبة، وكانت قبلُ تحت عثمان بن مظعون، قال ابن عبد البر: وكانت صالحة فاضلة.

قوله: «أعوذ بكلمات الله التامات» شرع الله لأهل الإسلام أن يستعيذوا به لا كما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن، فشرع الله تعالى للمسلمين أن يستعيذوا بأسمائه وصفاته، قال القرطبي رحمه الله تعالى: قيل: معناه الكاملات التي لا يلحقها نقص ولا عيب كما يلحق كلام البشر، وقيل: معناه الكافية الشافية، وقيل: الكلمات هنا هي القرآن فإن الله أخبر عنه أنه هدى وشفاء، وهذا الأمر على جهة الإرشاد إلى ما يدفع به الأذى، وعلى هذا فحق المستعيذ بالله تعالى وبأسمائه وصفاته أن يَصدُق الله في التجائه إليه ويتوكل في ذلك عليه ويحضر ذلك في قلبه، فمن فعل ذلك وصل إلى منتهى طلبه ومغفرة ذنبه. قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: وقد نص الأئمة كأحمد وغيره على أنه لا يجوز الاستعاذة بمخلوق، وهذا مما استدلوا به على أن كلام الله ليس بمخلوق، قالوا: لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه استعاذ بكلمات الله وأمر بذلك؛ ولهذا نهى العلماء عن التعازيم والتعاويذ التي لا يعرف معناها خشية أن يكون فيها شرك. قال ابن القيم رحمه الله تعالى: ومن ذبح للشيطان ودعاه واستعاذ به وتقرب إليه بما يحب فقد عبده وإن لم يسم ذلك عبادة. ويسميه استخداماً، وصدق هو استخدام من الشيطان له فيصير من خدم الشيطان وعابديه؛ ولذلك يخدمه الشيطان لكن خدمة

الشيطان له ليست خدمة عبادة؛ فإن الشيطان لا يخضع له ولا يعبده كما يفعل هو به.

قوله: «من شر ما خلق» قال ابن القيم: من شر كل ذي شر في أي مخلوق قام به الشر من حيوان أو غيره إنسياً أو جنياً أو هامةً أو دابةً أو ريحاً أو صاعقةً أيّ نوع كان من أنواع البلاء في الدنيا والآخرة، و(ما) ههنا موصولة ليس إلا. وليس المراد بها العموم الإطلاقي، بل المراد التقييدي الوصفي، والمعنى: من شر كل مخلوق فيه شر لا من شر كل ماخلقه الله فإن الجنة والأنبياء والملائكة ليس فيهم شر، والشر يقال: على شيئين على الألم، وعلى ما يفضي إليه [(١)].

قوله: (باب من الشرك أن يستغيث بغير الله تعالى أو يدعو غيره).

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: الاستعانة هي طلب الغوث، وهو إزالة الشدة كالاستنصار طلب النصر والاستعانة طلب العون. إهـ.

قلت: فبين الاستغاثة والدعاء عموم وخصوص مطلق يجتمعان في مادة وهو دعاء المستغيث، وينفرد الدعاء الذي هو مطلق الطلب والسؤال من غير المستغيث، وقد نهى تعالى عن دعاء غيره الأخص والأعم في

---

(١) لابد أن يريد بالألم الحسي والمعنوي، ولو قال: الضرر لكان أعم. ولعله تفسير للشر في الحديث لا للشر المطلق، وقال الراغب: الشر الذي يرغب عنه كل الناس والخير ضده وقسّمهما إلى مطلق ومقيد. ويرد عليه ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ [البقرة ٢١٦] وأطلق في القرآن على العمل وعلى المكان وعلى الكفار وعلى الصم البكم الذين لا يعقلون الشيء وهو أعم الألفاظ.

كتابه كما يأتي بيانه، فكل ما قصد به غير الله مما لا يقدر عليه إلا الله كدعوة الأموات والغائبين فهو من الشرك الذي لا يغفره الله، والأدلة على ذلك من القرآن والسنة أكثر من أن تحصر.

وقوله: ﴿وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦] ففي هذه الآية النهي عن أن يدعى أحد من دونه تعالى، وأخبر تعالى أن غيره لا يضر ولا ينفع.

قوله: ﴿فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ والظلم في هذه الآية هو الشرك كما قال تعالى عن لقمان: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وقوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧] هذا في حق المستغيث، أخبر تعالى أنه هو الذي يتفضل على من سأله ولا يقدر أحد أن يمنعه شيئا من فضل الله عليه، فهو المعطي والمانع، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وفي هذا المعنى ما في حديث ابن عباس وفيه: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك» فمن تدبر هذه الآية وما في معناها علم أن ما وقع فيه الأكثر من دعوة غير الله هو الظلم العظيم، والشرك الذي لا يغفر.

وأنهم قد أثبتوا مانفته (لا إله إلا الله) من الشرك في الإلهية، ونفوا ما أثبتته من الإخلاص كما قال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢، ٣] والدين هو طاعة الله فيما أمر به وشرعه ونهى عنه وحرَّمه، وأعظم ما أمر به التوحيد والإخلاص وألا يقصد

العبد بشيء من عمله سوى الله تعالى الذي خلقه لعبادته، وأرسل بذلك رسله، وأنزل به كتبه ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥] وأعظم ما نهى عنه الشرك به في ربوبيته وإلهيته.

قوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦] فهذه الآية تبين وتوضح ما تقرر في الآية قبلها، فأخبر تعالى أنه لا أضل ممن يدعو أحداً من دونه كائناً من كان، وأخبر أن المدعو لا يستجيب لما طلب منه من ميت أو غائب أو ممن لا يقدرعلى الاستجابة مطلقاً من طاغوت ووثن، فليس لمن دعا غير الله إلا الخيبة والخسران، ثم قال تعالى: ﴿وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ [الأحقاف:٥] كما قال في آية يونس: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ﴾ [يونس: ٢٨] إلى قوله: (﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ [يونس: ٢٩] ثم قال: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٦] فلا يحصل للمشرك يوم القيامة إلا نقيض قصده، فيتبرأ منه ومن عبادته وينكر ذلك عليه أشد الإنكار، وقد صارالمدعو للداعي عدواً، ثم أخبر تعالى أن ذلك الدعاء عبادة بقوله: ﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ فدلت أيضاً على أن دعاء غير الله عبادة له وأن الداعي له في غاية الضلال، وقد وقع من هذا الشرك في هذه الأمة ما عم وطم حتى أظهر الله من يبينه بعد أن كان مجهولا عند الخاصة والعامة إلا من شاء الله تعالى، وهو في

الكتاب والسنة في غاية البيان، ولكن القلوب انصرفت إلى ما زين لها الشيطان، كما جرى للأمم مع الأنبياء والمرسلين لما دعوهم إلى توحيد الله جرى لهم من شدة العداوة ما ذكره الله تعالى كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٢، ٥٣] ويشبه هذه الآية في المعنى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤] أخبر تعالى أن ذلك الدعاء شرك بالله وأنه لا يغفره لمن لقيه به، فتدبر هذه الآيات وما في معناها كقوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٠] وهو في القرآن أكثر من أن يستقصى.

وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٦٢] وهذا مما أقر به مشركو العرب وغيرهم في جاهليتهم كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] أخبر تعالى أنهم يخلصون الدعاء له إذا وقعوا في شدة. قال أبو جعفر بن جرير رحمه الله تعالى: يقول تعالى: ﴿أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٦٢] يفعل هذه الأشياء بكم، وينعم عليكم وقوله: ﴿قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ يقول: تذكراً قليلاً من عظمة الله وأياديه عندكم تذكرون وتعتبرون حجج الله عليكم يسيراً فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته.

قوله: (روى الطبراني بإسناده، أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله»).

الطبراني هو الإمام الحافظ سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني صاحب المعاجم الثلاثة وغيرها، روى عن النسائي وإسحاق بن إبراهيم الديري وخلق كثير؛ مات سنة ستين وثلاثمائة، روى هذا الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

قوله: (فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: إن النبي ﷺ كان يقدر أن يغيثهم منه.

قلت: فلعله أراد أن النبي ﷺ كان يترك المنافقين أن يفعل بهم ما يستحقونه مخافة أن يفتتن بعض المؤمنين من قبيلة المنافق، وفي السنة ما يدل على ذلك كما فعل مع ابن أبي وغيره. وقيل: إن النبي ﷺ كان يقدر أن يغيثهم من ذلك المنافق فيكون نهيه ﷺ عن الاستغاثة به حماية لجناب التوحيد، وسداً لذرائع الشرك كنظائره مما للمستغاث به قدرة عليه مما كان يستعمل لغة وشرعاً مخافة أن يقع من أمته الاستغاثة بمن لا يضر ولا ينفع، ولا يسمع ولا يستجيب من الأموات والغائبين والطواغيت والشياطين والأصنام وغير ذلك، وقد وقع من هذا الشرك العظيم ما عمت به البلوى كما تقدم ذكره، حتى إنهم أشركوهم مع الله في ربوبيته وتدبير أمر خلقه كما أشركوهم معه في إلهيته وعبوديته، والوسائل لها حكم الغايات في النهي عنها. والله أعلم.

قوله: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١، ١٩٢] ص٣٩.

وهذا مما احتج به تعالى على المشركين لما وقع منهم من اتخاذ الشفعاء والشركاء في العبادة؛ لأنهم مخلوقون فلا يصلح أن يكونوا هم شركاء لمن هم خلقه وعبيده، وأخبر أنهم مع ذلك لا يستطيعون لهم نصراً أي لمن سألهم النصرة ﴿وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ فإذا كان المدعو لا يقدر أن ينصر نفسه فلأن لا ينصر غيره من باب الأولى فبطل تعلق المشرك بغير الله بهذين الدليلين العظيمين وهو كونهم عبيداً لمن خلقهم لعبادته والعبد لا يكون معبوداً.

الدليل الثاني: أنه لا قدرة لهم على نفع أنفسهم، فكيف يرجى منهم أن ينفعوا غيرهم؟! فتدبر هذه الآية وأمثالها في القرآن العظيم.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ إلى قوله ﴿وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤] ابتدأ تعالى هذه الآيات بقوله: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ [فاطر: ١٣] يخبر الخبير أن الملك له وحده والملوك وجميع الخلق تحت تصرفه وتدبيره؛ ولهذا قال: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣] فإن من كانت هذه صفته فلا يجوز أن يرغب في طلب نفع أو دفع ضر إلى أحد سواه تعالى وتقدس، بل يجب إخلاص الدعاء له الذي هو من أعظم أنواع العبادة، وأخبر تعالى أن ما يدعوه أهل الشرك لا يملك شيئاً، وأنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم ولو

فرض أنهم يسمعون فلا يستجيبون لداعيهم وأنهم يوم القيامة يكفرون بشركهم، أي: ينكرونه ويتبرؤون ممن فعله معهم، فهذا الذي أخبر به الخبير ﴿لا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥] وأخبر أن ذلك الدعاء شرك به وأنه لا يغفره لمن لقيه به، فأهل الشرك ما صدقوا الخبير ولا أطاعوه فيما حكم به وشرع، بل قالوا: إن الميت يسمع، ومع سماعه ينفع، فتركوا الإسلام والإيمان رأسا كما ترى عليه الأكثرين من جهلة هذه الأمة.

قوله: (في الصحيح عن أنس قال: شُجَّ النبي ﷺ يوم أحد وكسرت رباعيته. فقال: «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟» فنزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية [آل عمران: ١٢٨]، وفيه عن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: اللهم، العن فلانا وفلانا» بعد ما يقول: «سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد» فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾وفي رواية يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ وأسلم هؤلاء وحسن إسلامهم.

قوله: (في الصحيح) أي: الصحيحين، علَّقه البخاري عن حميد عن ثابت عن أنس، ووصله أحمد والترمذي والشافعي عن حميد عن أنس وقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] وقال تعالى: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]

والآيات في هذا المعنى كثيرة، والمقصود أن الذي له الأمر كله والملك كله لا يستحق غيره شيئاً من العبادة؛ ولهذا المعنى قال لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦] فالذي ليس له من الأمر شيء هو خيرة الله من خلقه ما زال يدعو الناس أن يخلصوا العبادة للذي له الأمر كله وهو الله تعالى فهذا دينه ﷺ الذي بعث به وأمر أن يبلغه أمته ويدعوهم إليه كما تقدم في باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، فإياك أن تتبع سبيلاً غير سبيل المؤمنين الذي شرعه الله ورسوله لهم وخصهم به.

قوله: (وفيه عن أبي هريرة قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] قال: يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا صفية عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً).

قوله: (وفيه) أي: في صحيح البخاري، واختلف في اسم أبي هريرة وصحح النووي أن اسمه عبد الرحمن بن صخر، وهو دوسي من حفاظ الصحابة، حفظ من الحديث ما لم يحفظه غيره كما في صحيح البخاري عن وهب بن منبه عن أخيه سمعت أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ يقول: ما من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثاً عنه مني إلا ما

كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب. مات سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة، وهذا الحديث له طرق كثيرة في الصحيحين والمسند والسنن وغيرها.

قوله: قال: «يا معشر قريش» -أو كلمة نحوها- «اشتروا أنفسكم» أي: بالإيمان بالله ورسوله واتِّباعه، فيماجاءكم به مما أنزل عليه من توحيد الله تعالى في العبادة وترك ما كنتم تعبدونه من دونه من الأوثان والأصنام فإنهم بعد ذلك الشرك صاروا عبيداً لمن لا يضر ولا ينفع، ولا يستجيب ولا يسمع إلا هو وهم قد عرفوا أن ماكانوا يفعلونه من عبادة غير الله شرك بالله فإنهم كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك. فسبحان الله كيف جاز في عقولهم أن المملوك يكون شريكاً لمالكه؟! وقد قال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [الروم: ٢٨، ٢٩].

قوله: «لا أغني عنكم من الله شيئا» هذا هو معنى ما تقدم من أنه تعالى هو المتصرف في خلقه بما شاء مما اقتضته حكمته في خلقه وعلمه بهم، والعبد لا يعلم إلا ما علَّمه الله، ولا ينجو أحد من عذابه وعقابه إلا بإخلاص العبادة له وحده، والبراءة من عبادة ما سواه. كما قال تعالى:

﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] والنبي ﷺ في هذا الحديث أنذر الأقربين نذارة خاصة وأخبر أنه لا يغني عنهم من الله شيئاً، وبلغهم وأعذر إليهم فأنذر قريشاً ببطونها، وقبائل العرب في مواسمها، وأنذر عمه وعمته وابنته وهم أقرب الناس إليه، وأخبر أنه لا يغني عنهم من الله شيئاً إذا لم يؤمنوا به ويقبلوا ماجاء به من التوحيد وترك الشرك به[١].

قوله: (سليني من مالي ما شئت) لأن هذا هو الذي يقدر عليه ﷺ وما كان أمره إلى الله سبحانه فلا قدرة لأحد عليه كما في الحديث. ولما مات أبو طالب وكان يحوط رسول الله ﷺ ويحميه ولم ينكر ملة عبدالمطلب من الشرك بالله وقال ﷺ: لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣] فأخبر أن أبا طالب من أصحاب النار لما مات على غير شهادة أن لا إله إلا الله فلم ينفعه حمايته النبي ﷺ من أن يكون من المشركين، ولا الاعتراف بأن النبي ﷺ على الحق بدون البراءة من الشرك؛ لأنه لم يبرأ من ملة أبيه فكل تعلق على غير الله من طلب شفاعة أو غيرها شرك بالله يكون عليه وبالاً في الدنيا والآخرة، والشفاعة لا تكون إلا لأهل الإخلاص خاصة كما قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١] والآيات في هذا المعنى كثيرة وكذلك الأحاديث.

---

(١) وسائر شرائع الاسلام.

والله أعلم، وسيأتي في باب الشفاعة إن شاء الله تعالى.

قوله: (باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أي: زال عنها الفزع، قاله ابن عباس وغيره، ذكر تعالى هذه الآية في سياق قوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٢٢] وقال ابن جرير: قال بعضهم: الذي فزع عن قلوبهم الملائكة قالوا: وإنما فُزِّع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله عز وجل بالوحي. قال ابن كثير: وهو الحق الذي لا مرية فيه لصحة الأحاديث فيه والآثار، وقال أبو حيان: تظاهرت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أن قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ [سبأ: ٢٣] إنما هي في الملائكة إذا سمعت الوحي إلى جبريل وأمر الله تعالى به سمعت كجر السلسلة الحديد على الصفوان؛ فتفزع عند ذلك تعظيماً وهيبة، قال: وبهذا المعنى من ذكر الملائكة في صدرالآيات تتسق هذه الآية على الأولى ومن لم يشعر أن الملائكة مشار إليهم من أول قوله: ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ لم تتصل له هذه الآية بما قبلها.

وهذه الآيات تقطع عروق الشك بأمور أربعة:

الأول: أنهم لا يملكون مثقال ذرة مع الله والذي لا يملك مثال ذرة في السموات والأرض لا ينفع ولا يضر، فهو تعالى هو الذي يملكهم ويدبرهم ويتصرف فيهم وحده.

الثاني: قوله: ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢] أي في السموات والأرض، أي: وما لهم شرك مثقال ذرة من السموات والأرض.

الثالث: قوله: ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ والظهير المعين، فليس لله معين من خلقه بل هو الذي يعينهم على ما ينفعهم لكمال غناه عنهم، وضرورتهم إلى ربهم فيما قل وكثر من أمور دنياهم وأخراهم.

الرابع: قوله: ﴿وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٣] فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه. وأخبر تعالى أن من اتخذ شفيعاً من دونه حرم شفاعة الشفعاء قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] لأن اتخاذ الشفعاء شرك لقوله تعالى في حقهم: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] والمشرك منفية الشفاعة في حقه كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨] وقال: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٤] وذلك أن متخذ الشفيع لا بد أن يرغب إليه ويدعوه ويرجوه ويخافه ويحبه لما يؤمله منه، وهذه من أنواع العبادة التي لا يصرف منها شيء لغير الله وذلك هو الشرك الذي ينافي الإخلاص.

وقوله: (في الصحيح عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله

ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣ - ٣٢] فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع بعضه فوق بعض- هكذا وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه- فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الكاهن أو الساحر، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا. فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء) ص٤٠.

قوله: «في الصحيح» أي صحيح البخاري، ففي هذا الحديث أن من عرف الله تعالى ذل له تعظيماً ومهابة وخوفاً لاسيما عند سماع كلامه تعالى؛ لأن قوله: «إذا قضى الله الأمر» أي: بكلامه ووحيه إلى جبريل.

وقوله: «في السماء» يدل على العلو، ففيه إثبات كلام الله وعلوه على خلقه على ما يليق بجلاله وعظمته إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل. وهذا الحديث ونحوه مما احتج به أهل السنة على الجهمية والأشاعرة والكلابية وغيرهم من أهل البدع ممن ألحد بالتعطيل في أسماء الله وصفاته.

قوله: «خضعاناً» مصدر خضع. قوله: «لقوله» صريح في أنهم

سمعوا قوله وأنه بصوت وأن ذلك ينفذ جميع الملائكة أي يسمعونه كلهم، قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ [سبأ: ٢٣ - ٣٢] أي: زال عنها الفزع.

قوله: «فيسمعهامسترق السمع» أي: الكلمة التي سمعتها الملائكة وتحدثوا بها، قوله: «ومسترق السمع بعضه فوق بعض هكذا وصفه سفيان» راوي الحديث وهو ابن عيينة بكفه. قوله: «فيسمع الكلمة» يعني: مسترق السمع «فيلقيها إلى من تحته من الشياطين ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن الحديث. قوله: «فيكذب معها» أي: الساحر أو الكاهن «مائة كذبة فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء» لقبول الناس.

قوله: (وعن النواس بن سمعان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: إذ أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة- أو قال رعدة- شديدة خوفاً من الله عز وجل فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجداً فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مرّ بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: (قال الحق وهو العلي الكبير) فيقولون كلهم: مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل) رواه ابن أبي حاتم بسنده عن النواس بن سمعان ـ بكسر السين ـ ابن خالد الكلابي، ويقال: الأنصاري صحابي، ويقال: إن أباه صحابي أيضاً.

قوله: «إذا أراد الله تعالى» فالإرادة صفة من صفات الله عز وجل وهي نوعان: شرعية وقدرية كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ الآية [الإسراء: ١٦] ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢] وقال: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] ونحو هذه الآيات.

قوله: «أن يوحي بالأمر» فيه بيان معنى ما تقدم في الحديث قبله من قوله: إذا قضى الله الأمر» قوله: «تكلم بالوحي» فيه التصريح أنه يتكلم بالوحي فيوحيه إلى جبريل عليه السلام، ففيه الرد على الأشاعرة في قولهم: إن القرآن عبارة عن كلام الله. قوله: «أخذت السموات منه رجفة ـ أو قال: رعدة ـ شديدة خوفاً من الله عز وجل» في هذه معرفة عظمة الله ويوجب للعبد شدة الخوف منه تعالى وفيه إثبات العلو. قوله: «فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا» هيبة وتعظيما لربهم وخشية لما سمعوا من كلامه تعالى وتقدس. قوله: «فيكون أول من يرفع رأسه جبريل» لأنه ملك الوحي عليه السلام. قوله: «فيكلمه الله منه وحيه بما أراد» فيه التصريح بأنه تعالى يوحي إلى جبريل بما أراده من أمره كما تقدم في أول الحديث، قوله: «ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها» وهذا أيضاً من أدلة علو الرب تعالى وتقدّس.

قوله: «ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول: (قال الحق وهو العلي الكبير) فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل» وهذا دليل بأنه تعالى قال ويقول. وأهل البدع من الجهمية

ومن تلقى عنهم كالأشاعرة جحدوا ما أثبته الله تعالى في كتابه وأثبته رسوله ﷺ في سنته من علوه وكلامه وغير ذلك من صفات كماله التي أثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله والمؤمنون من الصحابة والتابعين وتابعيهم من أهل السنة والجماعة على ما يليق بجلال الله وعظمته؛ تشبيهات اختلقوها ما أنزل الله بها من سلطان.

قوله: (باب الشفاعة)ص٤٢.

الشفاعة نوعان: النوع الأول: شفاعة منفية في القرآن، وهي الشفاعة للكافر والمشرك قال تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤] وقال: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨] وقال: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨] ونحو هذه الآيات كقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ [يونس: ١٨] يخبر تعالى أن من اتخذ هؤلاء شفعاء عند الله أنه لا يعلم أنهم يشفعون له بذلك وما لا يعلمه لا وجود له فنفى وقوع هذه الشفاعة وأخبر أنها شرك بقوله: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر:٣] إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣] فأبطل شفاعة من اتخذ شفيعًا يزعم أنه يقربه إلى الله وهو يبعده عنه وعن رحمته ومغفرته؛ لأنه جعل لله شريكاً يرغب إليه ويرجوه ويتوكل عليه ويحبه كما يحب الله تعالى أو أعظم.

النوع الثاني: الشفاعة التي أثبتها القرآن وهي خالصة لأهل الإخلاص وقيدها تعالى بأمرين؛ الأول: إذنه للشافع أن يشفع، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وإذنه تعالى لا يصدر إلا إذا رحم عبده الموحد المذنب فإذا رحمه تعالى أذن للشافع أن يشفع له. الثاني: رضاه عمن أذن للشافع أن يشفع فيه كما قال تعالى ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] فالإذن بالشفاعة بعد الرضا كما في هذه الآية وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد.

قوله: (وقول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١].

الإنذار هو الإعلام بأسباب المخالفة والتحذير منها. قوله: (به) أي: القرآن ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٥١] وهم أهل الإخلاص الذين لم يتخذوا لهم شفيعاً بل أخلصوا قصدهم وطلبهم وجميع أعمالهم لله وحده ولم يلتفتوا إلى أحد سواه فيما يرجون نفعه، ويخافون ضره، قال الفضيل بن عياض: ليس كل خلقه عاتب إنما عاتب الذين يعقلون.

قوله: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١] قال الزجاج: موضع «ليس» نصب على الحال كأنه قال متخلين من ولي وشفيع والعامل فيه يخافون.

قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٥١] أي فيعملون في هذه الدار عملاً ينجيهم الله به من عذاب يوم القيامة، وتركوا التعلق على الشفعاء وغيرهم لأنه ينافي الإخلاص الذي لا يقبل الله من أحد عملاً بدونه.

قوله: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤] دلت الآية على أن الشفاعة له سبحانه؛ لأنها لا تقع إلا لأهل التوحيد بإذنه سبحانه وتعالى كما قال تعالى في الآية السابقة، وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ الآية [يونس: ٣] فلا شفاعة إلا لمن هي له سبحانه ولا تقع إلا ممن أذن له فيها. فتدبر هذه الآيات العظيمة في اتخاذ الشفعاء.

وقوله: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٠٧] يبطل التعلق على غيره سبحانه؛ لأنه الذي انفرد بملك كل شيء فليس لأحد في ملكه مثقال ذرة دونه سبحانه وبحمده، والإسلام هو أن تسلم قلبك وجوارحك لله بالإخلاص كما في المسند عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه قال لرسول الله ﷺ: فبالذي بعثك بالحق ما بعثك به؟ قال: الإسلام. قال: وما الإسلام؟ قال: أن تسلم قلبك وأن توجه وجهك إلى الله، وأن تصلي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة» والآيات في بيان الإخلاص كثيرة وهو ألا يلتفت القلب ولا الوجه في جميع الأعمال كلها إلا لله وحده كما قال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ١٤] فأمره تعالى بإخلاص الدعاء له وحده، وأخبر أنه الدين الذي تصح معه

الأعمال وتقبل. قال شيخ الإسلام: الإخلاص محبة الله وإرادة وجهه.

قوله: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] تقدم معنى هذه الآية قوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [النجم: ٢٦] فإذا كان هذا في حق الملائكة الذين وصفهم تعالى بقوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٩] فظهر من هذه الآيات المحكمات ما بيَّن حقيقة الشفاعة المثبتة في القرآن التي هي ملك لله لا يملكها غيره، وقيد حصولها بقيدين كما في هذه الآية وغيرها كما تقدم قريباً: إذنه للشافع أن يشفع كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ورضاه عمن أراد رحمته ممن أذنب من الموحدين، فاختصت الشفاعة بأهل الإخلاص خاصة، وأن اتخاذ الشفعاء من دين المشركين قد أنكره الله عليهم فيما تقدم من الآيات.

قوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ الآيتين [سبأ: ٢٢، ٢٣] قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عوناً لله. ولم يبق إلا الشفاعة فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة أولا ثم يقال له: «ارفع رأسك، وقل تُسْمعَ، وسل تُعْطَه، واشفع تُشَفَّع» وقال له أبو هريرة رضي الله عنه: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: « من قال (لا إله إلا الله) خالصاً من قلبه » فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله، وحقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود. فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك؛ ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بيَّن النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه ـ رحمه الله تعالى ـ وفيه تحقيق لأمر الشفاعة وجمع للأدلة. والله تعالى أعلم.

قوله: (باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦] ص٤٤.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: يقول تعالى لرسوله ﷺ: إنك يا محمد لا تهدي من أحببت، أي: ليس إليك ذلك إنما عليك البلاغ والله يهدي من يشاء وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢] ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٧] وقال: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣] قلت: والمنفي ههنا هداية التوفيق والقبول، فإن أمر ذلك

إلى الله وحده وهو القادر عليه. وأما الهداية المذكورة في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] فإنها هداية الدلالة والبيان فهو المبين عن الله والدال على دينه وشرعه.

قوله: (في الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاء رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل فقال له: «يا عم، قل: (لا إله إلا الله) كلمة أحاج لك بها عند الله» فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه رسول الله ﷺ فأعادا، فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: (لا إله إلا الله)، فقال النبي ﷺ: «لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك» فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الآية [التوبة: ١١٣]، وأنزل في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص:٥٦].

قوله: «في الصحيح» أي الصحيحين، وابن المسيب هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي أحد العلماء والفقهاء الكبار السبعة من التابعين، اتفق أهل الحديث أن مراسيله أصح المراسيل، وقال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه، مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين، وأبوه المسيب صحابي بقي إلى خلافة عثمان رضي الله عنه، وكذلك جده حزن صحابي استشهد باليمامة.

قوله : «لما حضرت أبا طالب الوفاة» أي : علاماتها ومقدماتها . قوله : «جاءه رسول الله ﷺ» يحتمل أن يكون المسيب حضر مع الاثنين فإنهما من بني مخزوم وهو أيضاً مخزومي وكان الثلاثة إذ ذاك كفاراً، فقتل أبو جهل على كفره وأسلم الآخران. قوله : «يا عم، قل : (لا إله إلا الله)» أمره بقولها لعلم أبي طالب بأنها دلت على نفي الشرك بالله وإخلاص العبادة له وحده فإن من قالها من علم ويقين وقبول فقد أنكر الشرك وتبرأ منه، وكذلك الحاضرون يعلمون بما دلت عليه من نفي الشرك والبراءة منه؛ ولهذا عارضوا قول النبي ﷺ بقولهم : أترغب عن ملة عبد المطلب؟ لأن ملة عبد المطلب الشرك بعبادة الأوثان كما كانت قريش وغيرهم في جاهليتهم، كذلك قوله : «كلمة» قال القرطبي بالنصب على أنه بدل من «لا إله إلا الله» ويجوز الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف قوله : «أحاج لك بها عند الله» لأنه لو قالها في تلك الحال لقبلت منه ودخل بها الإسلام. قوله : فقالا له أترغب عن ملة عبد المطلب؟ ذكَّراه الحجة الملعونة التي يحتج بها المشركون على المرسلين كقول فرعون لموسى : ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَىٰ﴾ [طه : ٥١] كقوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف : ٢٣] قوله : «فأعاد عليه النبي ﷺ فأعادا» فيه مضرة أصحاب السوء والحذر من قربهم والاستماع لهم ففيه معنى قول الناظم :

إذا ما صحبت القوم فاصحب خيارهم

ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

قوله: «فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله» قال الحافظ هو تأكيد من الراوي في نفي وقوع ذلك من أبي طالب. قال المصنف رحمه الله تعالى: وفيه الرد على من زعم إسلام عبدالمطلب وأسلافه.

قوله: «فقال النبي ﷺ: لأستغفرن لك ما لم أنْهَ عنك» اللام لام القسم. قال النووي: فيه جواز الحلف من غير استحلاف.

قال ابن فارس: مات أبو طالب ولرسول الله ﷺ تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوماً، وتوفيت خديجة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ بعد موت أبي طالب بثمانية أيام.

قوله: «فأنزل الله عز وجل ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣] والظاهر أن هذه الآية نزلت في أبي طالب، فإن الإتيان بالفاء المفيدة للترتيب في قوله، فأنزل الله بعد قوله: (لأستغفرنَّ لك مالم أُنْهَ عنك) يفيد ذلك، وقد ذكر العلماء لسبب نزول هذه الآية أسبابا أخر فلا منافاة. الآية الواحدة قد يتعدد نزولها. وفيه تحريم الاستغفار للمشركين وموالاتهم ومحبتهم.

قوله: (باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين) ص٤٦.

قد أنذر ﷺ أمته من الغلو وأبلغ في الإنذار تحذيراً عما وقع من جهلة هذه الأمة كما سيأتي ذكره.

قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ الآية [النساء: ١٧١]، الغلو هو الإفراط في التعظيم بالقول والاعتقاد، أي: لا ترفعوا المخلوق عن منزلته التي أنزله الله، والخطاب وإن كان لأهل الكتاب فهو تحذير لهذه الأمة أن يفعلوا مع نبيهم ﷺ كما فعلت النصارى مع المسيح وأمه واليهود مع العزير، وقد وقع ذلك الشرك في العبادة في هذه الأمة نظماً ونثراً كما في كلام البوصيري والبرعي وغيرهما، وفيما فعلوه من الغلو والشرك محادَّة لله ولكتابه ولرسوله ﷺ، فأين ما وقع فيه هؤلاء الجهلة من قول من قال للنبي ﷺ: أنت سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا. فكره ذلك ﷺ أشد الكراهة. كما سيأتي في الكلام على هذا الحديث إن شاء الله تعالى، وقول القائل: ما شاء الله وشئت، فقال: «أجعلتني لله نداً؟ بل ما شاء الله وحده».

قال شيخ الإسلام: ومن تشبَّه من هذه الأمة باليهود والنصارى وغلا في الدين بإفراط فيه أو تفريط فقد شابههم. قال: وعلي -رضي الله عنه- حرَّق الغالية من الرافضة فأمر بأخاديد خدت لهم عند باب كندة فقذفهم فيها، واتفق الصحابة على قتلهم، لكن ابن عباس مذهبه أن يقتلوا بالسيف من غير تحريق، وهو قول أكثر العلماء.

قوله: (في الصحيح عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣] قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلك أولئك أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت).

قوله: (في الصحيح) أي: صحيح البخاري وهذا الأثر اختصره المصنف رحمه الله، والذي في البخاري عن ابن عباس صارت الأوثان التي في قوم نوح في العرب بعد، أما (ود) فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما (سواع) فكانت لهذيل، وأما (يغوث) فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما (يعوق) فكانت لهمدان، و أما (نسر) فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين في قوم نوح. . إلى آخره.

قوله: أن انصبوا - بكسر المهملة - قوله: أنصاباً جمع نصب وهي الأصنام التي صوروها على صور الصالحين.

قوله: «ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسِي العلم عبدت» الذي في البخاري ونسخ العلم فلعل الذي هنا رواية، فصارت هذه الأصنام بهذا التصوير على صور الصالحين سلّماً إلى عبادتها، وكل ما عبد من دون الله من قبر أو مشهد أو صنم أو طاغوت فالأصل في عبادته هو الغلو كما لا يخفى على ذوي البصائر كما جرى لأهل مصر وغيرهم،

فإن أعظم آلهتهم أحمد البدوي وهو لا يُعْرَف له أصل ولافضل ولا علم ولا عبادة، ومع هذا فصار أعظم آلهتهم مع أنه لا يُعْرَف إلا أنه دخل المسجد يوم الجمعة فبال فيه ثم خرج ولم يصل، ذكره السخاوي عن أبي حيان فزين لهم الشيطان عبادته فاعتقدوا أنه يتصرف في الكون ويطفئ الحريق وينجي الغريق، وصرفوا له الإلهية والربوبية وعلم الغيب، وكانوا يعتقدون أنه يسمعهم ويستجيب لهم من الديار البعيدة وفيهم من يسجد على عتبة حضرته، وكان أهل العراق ومن حولهم كأهل عمّان يعتقدون في عبدالقادرالجيلاني كما يعتقد أهل مصر في البدوي وعبدالقادر من متأخري الحنابلة وله كتاب الغنية. وغيره ممن قبله وبعده من الحنابلة من هو أفضل منه في العلم والزهد لكن فيه زهد وعبادة، وفتنوا به أعظم فتنة كما جرى من الرافضة مع أهل البيت، وسبب ذلك الغلو دعوى أن له كرامات وقد جرت الكرامات لمن هو خير منه وأفضل كبعض الصحابة والتابعين، وهكذاحال أهل الشرك مع من فتنوا به. وأعظم من هذا عبادة أهل الشام لابن عربي وهو إمام أهل الوحدة الذين هم أكفر أهل الأرض. وأكثر من يعتقد فيه هؤلاء لا فضل له ولا دين كأناس بمصروغيره، وجرى في نجد قبل هذه الدعوة مثل هذا وفي الحجاز واليمن وغيرهما من عبادة الطواغيت والأشجار والأحجار والقبور ما عمّت به البلوى كعبادتهم للجن وطلبهم الشفاعة منهم والأصل في ذلك الغلو تزيين الشيطان.

وذكر أهل السير أن التلبية من عهد إبراهيم عليه السلام(لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك) حتى كان عمرو بن لحي الخزاعي فبينما هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه فقال: لبيك لا شريك لك فقال الشيخ: إلا شريكاً هو لك. فأنكر ذلك عمرو وقال: ما هذا؟! فقال الشيخ: تملكه وما ملك. فإنه لا بأس بهذا، فقالها عمرو فدانت بها العرب.

قوله: (وعن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله» أخرجاه).

قوله: «عن عمر» هو ابن الخطاب بن نُفَيْل - بنون وفاء - مصغر، العدوي أمير المؤمنين وأفضل الصحابة بعد الصديق رضي الله عنه، ولي الخلافة عشر سنين ونصفاً فامتلأت الدنيا عدلاً وفتحت في أيامه ممالك كسرى وقيصر، واستشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة.

قوله: «لا تطروني» الإطراء هو الغلو كما «أطرت النصاى ابن مريم» كما قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] قوله: «إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله» أمرهم ﷺ ألا يتجاوزوا هذا القول، وقد أمر الله عباده بالصلاة والسلام عليه؛ لأن أشرف مقامات الأنبياء العبودية الخاصة والرسالة.

قوله: (قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والغلو! فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو») هذا الحديث ذكره المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ بدون ذكر راويه، وقد رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس، وهذا لفظ رواية أحمد عن ابن عباس، قال شيخ الإسلام: هذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال.

قوله: «ولمسلم عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثا. قال الخطابي: المتنطع: المتعمق في الشيء المتكلف في البحث عنه على مذهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم الخائضين فيما لاتبلغه عقولهم، وقال أبو السعادات: هم المتعمقون الغالون في الكلام، المتكلمون بأقصى حلوقهم، وقال النووى: فيه كراهة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف الفصاحة واستعمال وحشي اللغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم.

قوله: «قالها ثلاثاً» أي قال هذه الكلمة ثلاث مرات مبالغة في التعليم والإبلاغ فقد بلَّغ البلاغ المبين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. ووجه مناسبة هذا الحديث للترجمة أن الغلو من التنطع والزيادة لما فيه من الخروج إلى ما يوصل إلى الشرك بالله.

قوله: (**باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟**)[1] فكل ما كان وسيلة إلى الشرك فهو حرام لكونه يوقع في الشرك بالله وعبادة ما سواه كما في الأحاديث.

(١) ص ٤٨.

قوله: (في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور . . . الحديث) قوله: « في الصحيح» أي الصحيحين.

قوله: «إن أم سلمة» هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم القرشية المخزومية، تزوجها النبي ﷺ بعد أبي سلمة سنة أربع، وقيل ثلاث وكانت قد هاجرت مع أبي سلمة إلى الحبشة توفيت سنة اثنتين وستين. قوله: «ذكرت لرسول الله ﷺ» وفي الصحيحين أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا ذلك لرسول الله. والكَنيسة ـ بفتح الكاف وكسر النون ـ متعبّد النصارى. قوله: «رأتها بأرض الحَبشة وما فيها من الصور» لأن أم سلمة هاجرت مع زوجها أبي سلمة إلى الحبشة ثم رجعا إلى مكة فهاجرا منها إلى المدينة، والحبشة دينهم النصرانية وفيهم من أسلم. قوله: «فقال: أولئك. . .» بكسر الكاف خطاب للمرأة. قوله: «إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح» هذا ـ والله أعلم ـ شك من الراوي[1] قوله: «أولئك شرار الخلق عند الله» ولم يذكر غير بناء المساجد والتصوير لكونه ذريعة إلى عبادة من بنوا عليه المسجد وصوروا صورته فبذلك صاروا شرار الخلق، فانظر إلى ما وقع في هذه الأمة من ذرائع الشرك والوقوع فيه مما هو أعظم من هذا كالبناء على القبور وتعظيمها وعبادتها، ومع ذلك يعتقدونه ديناً وهو الشرك الذي حرّمه الله وأرسل

(١) ترك الشارح هنا من الحديث جملتين، هما: قوله ﷺ: «بنوا على قبره مسجداً، وصوّروا فيه تلك الصور».

الرسل وأنزل الكتب بالنهي عنه.

قوله: فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين فتنة القبور وفتنة التماثيل. هذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ لم يذكره المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ لأن ذلك معلوم عند من يقرأ هذا الكتاب.

قوله: (ولهما عنها قالت: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا. أخرجاه).

الخميصة: كساء له أعلام. والشاهد للترجمة قوله: ﷺ: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» فلعنهم ﷺ على تحري الصلاة عندها وإن كان المصلي إنما يصلي لله، فمن كان يصلي عند القبور ويتخذها مساجد فهو ملعون؛ لأنه ذريعة إلى عبادتها فكيف إذا عبد أهل القبور والغائبين بأنواع العبادة وسألهم ما لا قدرة لهم عليه؟ وهذا هو الغاية التي يكون اتخاذ القبور مساجد ذريعة إليها، واللعنة ليست مختصة باليهود والنصارى بل تعم من فعل فعلهم وما هو أعظم منه وهذا هو الذي أراده ﷺ من لعنة اليهود والنصارى على هذا الفعل تحذيراً لأمته أن يفعلوا ما فعلته اليهود والنصارى فيقع بهم من اللعنة ما وقع بهم. قوله[1]: ولولا ذلك. أي: ما كان يحذر من اتخاذ قبر

(١) الضمير للمصنف. وهو يصح. وان كان القول لعائشة ـ رضي الله عنها ـ أي: قوله الذي نقله من حديث عائشة حكاية عنها.

النبي ﷺ مسجدا لأبرز قبره مع قبور أصحابه بالبقيع.

قوله: غير أنه خُشي أن يتخذ مسجداً. روي بفتح الخاء وضمها؛ فعلى الفتح يكون هو الذي خشي ﷺ وأمرهم أن يدفنوه في المكان الذي قبض فيه، وعلى رواية الضم يحتمل أن يكون الصحابة هم الذين خافوا أن يقع ذلك من بعض الأمة فلم يبرزوا قبره خشية أن يقع ذلك من بعض الأمة غلواً وتعظيماً لما أبدى وأعاد من النهي والتحذير ولعن فاعله.

قال القرطبي: ولهذا بالغ المسلمون في سدِّ الذريعة في قبر النبي ﷺ فأعلوا حيطان تربته وسدّوا المداخل إليها وجعلوها محدقة بقبره ﷺ خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة إذا كان مستقبل المصلين فتصور الصلاة إليه بصورة العبادة فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره. إهـ قلت: فبذلك صان الله قبره وقبل دعوته بقوله: «اللهم، لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

قوله: «ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك».

قوله: عن جندب بن عبد الله. أي ابن سفيان البجلي وينسب إلى

جده، صحابي مشهور مات بعد الستين، قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: أما بناء المساجد على القبور فقد صرح عامة الطوائف بالنهي عنه للأحاديث الصحيحة وصرح أصحابنا وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريمه، قال: ولا ريب في القطع بتحريمه ثم ذكر الأحاديث في ذلك -إلى أن قال: وهذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين والملوك وغيرهم تتعين إزالتها بهدم أو غيره، هذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء المعروفين.

قوله: (فقد نهى عنه في آخر حياته ثم إنه لعن ـ وهو في السياق ـ من فعله، والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يبن مسجد وهو معنى قولها خشي أن يتخذ مسجداً: فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجداً كما قال ﷺ: «جُعِلَت لي الأرض مسجداً وطهوراً»).

هذا ذكره شيخنا وهو من تقرير شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمهما الله تعالى ـ على هذه الأحاديث.

قوله: (ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود مرفوعاً: «أن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد» ورواه أبو حاتم في صحيحه).

قلت: وقد وقع هذا في الأمة كثيراً كما وقع في أهل الجاهلية قبل مبعث النبي ﷺ كما لا يخفى على ذوي البصائر، وقد زاد هؤلاء

المتأخرون من هذه الأمة على ما وقع من أهل الجاهلية من هذا الشرك بأمور؛ منها: أنهم يخلصون عند الاضطرار لغير الله وينسون الله ومنها أنهم يعتقدون أن آلهتهم من الأموات يتصرفون في الكون دون الله وجمعوا بين نوعي الشرك في الإلهية والربوبية، وقد سمعنا ذلك منهم مشافهة، ومن ذلك قول ابن كمال من أهل عمان وأمثاله: إن عبد القادر الجيلاني يسمع من دعاه ومع سماعه ينفع، فزعم أنه يعلم الغيب وهو ميت، فلقد ذهب عقل هذا وضل فكفر بما أنزله الله في كتابه كقوله: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤] فما صدقوا الخبير فيما أخبر به عن آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، ولا آمنوا بما أنزله الله في كتابه بل بالغوا وعاندوا في ردِّه وكذبوا وألحدوا وكابروا المعقول والمنقول فالله المستعان.

قوله: [(١)] (باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يُصيِّرها أوثاناً تعبد من دون الله. روى مالك في الموطأ: أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم، لا تجعل قبري وثناً يُعْبَد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»).

وذلك أنه ﷺ خاف أن يقع من أمته في حقِّه كما وقع من اليهود والنصارى في حق أنبيائهم من عبادتهم من دون الله وسبب ذلك الغلو فيهم كما قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا

---

(١) ص٥٠.

تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧] وكذلك رغب ﷺ إلى ربه ألا يجعل قبره وثنا يعبد، وقد عبدت القبور بأنواع العبادة كما لا يخفى، وتقدم في حديث عائشة رضي الله عنها «ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً» وقد استجاب الله دعوة نبيه ﷺ وصان قبره وأحاطه بثلاثة جدران كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:

فأجاب رب العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدران

قوله: (ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩] قال كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يلت السويق للحاج).

ابن جرير هو أبو جعفر بن جرير صاحب التفسير الكبير وهو أجل التفاسير وأحسنها وهو من أئمة المسلمين المجتهدين وله كتاب الأحكام رحمه الله تعالى.

قوله: كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره. فيه شاهد للترجمة فإنهم غلوا فيه لأجل صلاحه واتخذوه وثناً بتعظيمه وعبادته، وصار من أكبر أوثان أهل الجاهلية. قوله: (وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج. رواه أهل السنن).

هذا الحديث صحيح صححه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله

تعالى - ويكفيك في الاحتجاج به رواية أهل السنن له، ولم يذكر أحد منهم له علة ولا معارضًا له.

قوله: (باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك)[1] قد تقدم فيما سلف من الأبواب قبل هذا.

قوله: (وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] ووجه الدلالة بالآية أنه ﷺ يعز عليه كل ما يؤثم الأمة ويشق عليهم، وأعظم ما يؤثم الأمة ويشق عليهم الشرك بالله قليله وكثيره ووسائله وما يقرب منه من كبائر الذنوب، وقد بالغ ﷺ في النهي عن الشرك وأسبابه أعظم مبالغة كما لا يخفى، وقد كانت هذه حال أصحابه - رضي الله عنهم - في قطعهم الخيوط التي رقي للمريض فيها ونحو ذلك من تعليق التمائم.

قوله: (عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا علي؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم» رواه أبو داود بإسناد حسن رواته ثقات) قال الحافظ محمد بن عبدالهادي: هو حديث حسن جيد الإسناد وله شواهد يرتقى بها إلى درجة الصحة نهاهم ﷺ أن يهجروا بيوتهم عن الصلاة فيها كما تهجر القبور عن الصلاة إليها مخافة الفتنة بها وما يفضي إلى عبادتها من دون الله؛ لأن النهي عن ذلك قد تقرر عندهم فنهاهم أن يجعلوا بيوتهم كذلك.

قوله: «ولا تجعلوا قبري عيداً» فيه شاهد للترجمة. قال شيخ

---

(١) ص ٥١.

الإسلام: العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد، عائداً إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر أو نحو ذلك، وقال ابن القيم رحمه الله: العيد ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان، مأخوذ من المعاودة والاعتياد، فإذا كان اسما للمكان فهو الذي يقصد فيه الاجتماع وانتيابه للعبادة أو لغيرها كما أن المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر جعلها الله عيداً للحنفاء ومثابة كما جعل أيام العيد فيها عيداً. وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية فلما جاء الله بالإسلام أبطلها وعوَّض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر وأيام منى كما عوَّضهم عن أعياد المشركين المكانية بالكعبة ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر.

قوله: (وعن علي بن الحسين أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعوه فنهاه وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: « لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً، وصلّوا علي فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم» رواه في المختارة. هذا الحديث رواه أبو يعلى والقاضي إسماعيل والحافظ الضياء في المختارة.

قال شيخ الإسلام: فانظر هذه السنة، كيف مخرجها من أهل المدينة وأهل البيت الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب وقرب الدار؟ لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم فكانوا له أضبط. انتهى.

قوله: عن علي بن الحسين. أي: ابن علي بن أبي طالب المعروف بزين العابدين - رضي الله عنهم - أفضل التابعين من أهل بيته وأعلمهم. قال الزهري: ما رأيت قرشياً أفضل منه. مات سنة ثلاث وتسعين على

الصحيح .

قوله : إنه رأى رجلاً يجيء إلى فُرْجة ـ بضم الفاء وسكون الراء ـ وهي الكوة في الجدار والخوخة ونحوهما ، قوله : فيدخل فيها فيدعو فنهاه .

وهذا يدل على النهي عن قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها . قال شيخ الإسلام : ما علمت أحداً رخص فيه ؛ لأن ذلك نوع من اتخاذه عيداً ، ويدل أيضاً على أن قصد القبر للسلام إذا دخل ليصلي منهي عنه ؛ لأن ذلك لم يشرع ، وكره مالك لأهل المدينة كلما دخل إنسان المسجد أن يأتي قبر النبي ﷺ ؛ لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك . قال : ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، وكان الصحابة والتابعون ـ رضي الله عنهم ـ يأتون إلى مسجد النبي ﷺ فيصلون ، فإذا قضوا الصلاة قعدوا وخرجوا ولم يكونوا يأتون القبر للسلام لعلمهم أن الصلاة والسلام عليه عند دخول المسجد هو السنة . وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك أو للصلاة والدعاء فلم يشرعه لهم ، بل نهاهم عنه في قوله : «لا تتخذوا قبري عيداً وصلُّوا علي فإن صلاتكم تبلغني» فبيَّن أن الصلاة تصل إليه من بعد وكذلك السلام ، ولعن من اتخذ قبور الأنبياء مساجد ، وكانت الحجرة في زمانهم يدخل إليها من الباب لما كانت عائشة ـ رضي الله عنها ـ فيها وبعد ذلك إلى أن بني الحائط الآخر ، وهم مع ذلك التمكن من الوصول إلى قبره لا يدخلون إليه لا لسلام ولا لصلاة ولا لدعاء لأنفسهم ولا لغيرهم ولا لسؤال عن حديث أو علم ، ولا كان الشيطان يطمع فيهم حتى يسمعهم كلاماً أو سلاماً فيظنون أنه هو كلَّمهم وأفتاهم وبيَّن لهم الأحاديث ، وأنه قد رد

عليهم السلام بصوت يسمع من خارج كما طمع الشيطان في غيرهم فأضلهم عند قبره وقبر غيره حتى ظنوا أن صاحب القبر يأمرهم وينهاهم ويحدثهم في الظاهر، وأنه يخرج من القبر ويرونه خارجاً من القبر، ويظنون أن نفس أبدان الموتى خرجت تكلمهم، وأن أرواح الموتى تجسدت لهم فرأوها، والمقصود أن الصحابة - رضوان الله عليهم - لم يكونوا يعتادون الصلاة والسلام عليه عند قبره كما يفعل من بعدهم من الخلوف. قال سعيد بن منصور في سننه: (ثنا) عبدالعزيز بن محمد أخبرني سهيل بن أبي سهيل قال: رآني الحسن بن علي بن الحسن بن أبي طالب عند قبر النبي ﷺ فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى فقال: هلم إلى العشاء. قلت: لا أريده. قال: مالي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلمت على النبي ﷺ فقال: إذا دخلت المسجد فسلِّم ثم قال لي: إن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا قبري عيداً ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم. لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء.

قلت: وهذا أيضاً له قرب النسب وقرب الدار فنهى عن المجيء إلى القبر للدعاء عنده، فالمجيء إلى القبر للسلام عليه وتحري إجابة الدعاء ليس مما شرعه الله ورسوله لهذه الأمة ولو كان مشروعاً لما تركه الخلفاء والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من سادات أهل البيت وأئمة التابعين ولما أنكروا على من فعله، وقولهم هو الحجة، وهو الذي دلت عليه الأحاديث كحديث عائشة وحديث الباب وغيرهما لعلم السلف بما أراده النبي ﷺ بنهيه عن الغلو وخوفه مما وقع

ممن غلا في الدين واتبع غير سبيل المؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] ولما حدث الشرك بأرباب القبور في هذه الأمة وتعظيمها وعبادتها صارت تشد الرحال إليها لقصد دعائها والاستغاثة بها وبذل نفيس المال تقرباً إليها وتعظيم سدنتها. فيالها مصيبة ما أعظمها! نسأل الله السلامة من هذا الشرك وما يقرب منه أو يوصل إليه.

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١] ص٥٢.

الوثن يطلق على كل من قُصد بنوع من أنواع العبادة من دون الله من صنم أو قبر أو غيره لقول الخليل عليه السلام: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧] مع قوله: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾ [الشعراء: ٧١] قوله: وقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١] روى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: جاء حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة فقالوا: أنتم أهل الكتاب وأهل العلم فأخبرونا عنا وعن محمد. فقالوا: ما أنتم ومحمد؟ فقالوا: نحن نصل الأرحام، وننحر الكوماء، ونسقي الماء على اللبن، ونفك العناة، ونسقي الحجيج، ومحمد صنوبر قطع أرحامنا، واتبعه سراق الحجيج من غفار، فنحن خير أم هو؟ فقالوا: أنتم خير وأهدى سبيلاً. فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١].

وقوله: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠] قال البغوي في تفسيره: قل يا محمد: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾ أخبركم ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ﴾ يعني قولهم: لم نر أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم ولا ديناً شراً من دينكم فذكر الجواب بلفظ الابتداء كقوله: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكُمُ النَّارُ﴾ [الحج: ٧٢]. وقوله: (مثوبة) ثواباً وجزاءً نصب على التفسير ﴿عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة:٦٠] فالقردة أصحاب السبت والخنازير كفار مائدة عيسى، وعن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أن المسخين كلاهما من أصحاب السبت فشبابهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ أي: وجعل منهم من عبد الطاغوت أي أطاع الشيطان فيما سول له، وفي تفسير الطبري قرأ حمزة ﴿وَعَبُدَ الطَّاغُوتِ﴾ بضم الباء وجر التاء. وقرأ ابن عباس وابن مسعود وإبراهيم النخعي والأعمش وأبان بن تغلب ﴿وَعُبُدَ الطَّاغُوتِ﴾ بضم العين والباء وفتح الدال وخفض التاء. قوله: ﴿أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ مما تظنون بنا ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠] وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر مشارك كقوله: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾ [الفرقان: ٢٤] قاله ابن كثير.

قوله (عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا: يا

رسول الله اليهود والنصارى؟ . قال: «فمن؟» أخرجاه) وهذا سياق مسلم فبين ﷺ في هذا الحديث أن كل ما وقع من أهل الكتاب مما ذمهم الله به في هذه الآيات وغيرها لا بد أن يقع جميعه في هذه الأمة وهو الشاهد للترجمة. قوله: «سنن» بفتح المهملة أي: طريق من كان قبلكم.

قوله: «حذو القذة» بنصب حذو على المصدر، والقذة بضم القاف واحدة القذذ وهو ريش السهم، أي: لتتبعن طريقهم في كل ما فعلوه وتشبهوهم في ذلك كما تشبه قذة السهم القذة الأخرى كما أخبر ﷺ قال سفيان بن عينية: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى . انتهى.

قوله: (عن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله زوى لي الأض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها مازوي لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر، والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة عامة وألا يسلّط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال: يا محمد، إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكها بسنة عامة وألا أسلّط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً» ورواه البرقاني في صحيحه وزاد: «وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولاتقوم الساعة حتى يلحق حي من

أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذَّابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى ») هذا الحديث رواه أبو داود في سننه وابن ماجه بالزيادة التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى.

قوله: «عن ثوبان» هو مولى النبي ﷺ ولازمه ونزل بعده الشام ومات بحمص سنة أربع وخمسين. قوله: «زوى لي الأرض» قال التوربشتي: زويت الشيء جمعته وقبضته يريد تقريب البعيد منهاحتى اطلع عليه اطلاعه على القريب ﷺ، وحاصله أنه طوى له الأرض وجعلها مجموعة كهيئة كف في مرآة ينظره. قال الطيبي: جمعها لي حتى أبصرت ما تملكه أمتي من أقصى المشارق والمغارب منها. قوله: «وإن أمتي سيبلغ ملكها مازوي لي منها» قال القرطبي: هذا الخبر وجد مخبره كما قال. وكان ذلك من دلائل نبوته ﷺ وذلك أن ملك أمته اتسع إلى أن بلغ أقصى طنجة ـ بالنون والجيم ـ الذي هو منتهى عمارة المغرب إلى أقصى المشرق مما وراء خراسان والنهر وكثير من بلاد الهند والسند والصفد، ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال ولذلك لم يذكر عليه السلام أنه أريه ولا أخبر أن ملك أمته يبلغه.

قوله: «زوي لي منها» يحتمل أن يكون مبنياً للفاعل وأن يكون مبنيًا للمفعول قوله: «وأعطيت الكنزين: الأحمر، والأبيض» قال القرطبي:

يعني به كنز كسرى وهو ملك الفرس وقيصر وهو ملك الروم وقصورهما وبلادهما، وقد قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله» وعبر بالأحمر عن كنز قيصر؛ لأن الغالب عندهم كان الذهب، وبالأبيض عن كنز كسرى؛ لأن الغالب عندهم كان الجوهر والفضة، ووجد ذلك في خلافة عمر. قوله: «إني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة بعامة» هكذا ثبت في أصل المصنف بالباء وهي رواية صحيحة في صحيح مسلم، وفي بعضها بحذفها. قال القرطبي: وكأنها زائدة، لأن (عامة) صفة السنة، والسنةُ الجدب الذي يكون به الهلاك العام. قوله: «من سوى أنفسهم» أي من غيرهم من الكفار من إهلاك بعضهم بعضاً وسبي بعضهم بعضاً كما هو مبسوط في التاريخ.

قوله: «فيستبيح بيضتهم» قال الجوهري: بيضة كل شيء حوزته، وبيضة القوم ساحتهم، وعلى هذا فيكون معنى الحديث أن الله لا يسلط العدو على كافة المسلمين حتى يستبيح جميع ما جازوه من البلاد والأرض، ولو اجتمع عليهم من بأقطار الأرض وهي جوانبها، وقيل: بيضتهم: معظمهم وجماعتهم وإن قلوا. قوله: «حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسبي بعضهم بعضا» الظاهر أن (حتى) هنا لانتهاء الغاية، أي: أن أمر أمته ينتهي إلى أن يكون بعضهم يهلك بعضاً. قوله: «وإن ربي قال: يا محمد، إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد» هذا كما في الحديث: «ولا راد لما قضيت».

قوله: (ورواه البرقاني في صحيحه): هو الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمي الشافعي ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، ومات سنة خمس وعشرين وأربعمائة. قال الخطيب: كان ثبتاً ورعاً لم نر في شيوخنا أثبت منه، عارفاً بالفقه كثير التصانيف صنف مسنداً ضمنه ما اشتمل عليه الصحيحان، وجمع حديث الثوري وحديث شعبة وطائفة.

قوله: «وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين» أي: الأمراء والعلماء والعباد فيحكمون فيهم بغير علم فيضلونهم كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٩] وقال: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ﴾ [الصافات: ٧١] وأمثال هذه الآيات كثير، وعن زياد بن حدير قال: قال لي عمر: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا، قال: يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين. رواه الدارمي.

قوله: «وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة» وقد وقع ذلك وما زالت الأمة كذلك نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة، وفيه ما هو حق كقتال أهل التوحيد لأهل الشرك بالله وجهادهم على تركهم الشرك، وقد منَّ الله بذلك على من أقامهم في آخر هذا الزمان بالدعوة إلى توحيده، لكن أهل الشرك بدؤوهم بالقتال وأظهرهم الله عليهم كما لا يخفى على من تدبر آيات هذا الدين في هذه الأزمنة.

قوله: «ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين» الحي: واحد الأحياء وهي القبائل، وفي رواية أبي داود: «حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين وكم وكم» قوله: « وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان» والفئام مهموز: الجماعات الكثيرة. قاله أبو السعادات، وهذا هو شاهد الترجمة وقد استحكمت الفتنة بعبادة الأوثان حتى إنه لا يعرف أحد في هذه القرون المتأخرة أنكر ما وقع من ذلك، حتى أقام الله شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ الذي أنكره ونهى عنه ودعا الناس إلى تركه، وإلى أن يعبدوا الله تعالى وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، فرماه الملوك وأتباعهم بقوس العداوة، فأظهره الله بالحجة وأعز أنصاره على من ناوأهم، وبلغت دعوته مشارق الأرض ومغاربها، ولكن من الناس من عرف ومنهم من أنكر، فانتفع بدعوته الكثير من أهل نجد والحجاز وعمان وغيرهم، فلله الحمد على هذه النعمة العظيمة، جعلنا الله شاكرين.

قوله: «وأنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي» قال القرطبي: قد جاء عددهم معيناً في حديث حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ «يكون في أمتي كذابون دجالون سبع وعشرون منهم أربع نسوة» أخرجه أبو نعيم وقال: هذا حديث غريب، وحديث ثوبان أصح من هذا. قال القاضي عياض: عدّ من تنبأ من زمن رسول الله ﷺ إلى الآن ممن اشتهر بذلك وعرف واتبعه جماعة على ضلالته فوجد هذا العدد

فيهم، ومن طالع كتب الأخبار والتاريخ عرف صحة هذا وآخرهم الدجال الأكبر. قوله: «وأنا خاتم النبيين» قال الحسن: الخاتم الذي ختم به، يعني أنه آخر النبيين كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وإنما ينزل عيسى عليه السلام في آخر الزمان حاكما بشريعة محمد ﷺ مصلياً إلى قبلته فهو كآحاد أمته، بل هو أفضل هذه الأمة.

قوله: «ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم» قال النووي: يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين ما بين شجاع وبصير بالحرب، وفقيه ومحدث ومفسر وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وزاهد وعابد، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد وافتراقهم في أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا في بلد واحد وأن يكونوا في بعض دون بعض منه، ويجوز إخلاء الأرض منهم أولاً فأولاً إلى ألا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا جاء أمر الله. انتهى ملخصاً مع زيادة فيه، قاله الحافظ. قال المصنف: وفيه الآية العظيمة أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم والبشارة بأن الحق لا يزول بالكلية.

قوله: «حتى يأتي أمر الله» الظاهر أن المراد به ماروي من قبض من بقي من المؤمنين بالريح الطيبة ووقوع الآيات العظام، ثم لا يبقى إلا شرار الناس. وقوله: (تبارك وتعالى). قال ابن القيم رحمه الله تعالى: البركة

هي (فَعَلَة) والفعل منها (بارك) ويتعدى بنفسه تارة وبأداة على تارة، وبأداة في تارة، والمفعول منها (مبارك) وهو ما جعل منها كذلك فكان مباركاً بجعله تعالى، والنوع الثاني: بركة تضاف إليه إضافة الرحمة والعزة والفعل منها (تبارك)؛ ولهذا لايقال لغيره ذلك ولا يصح إلا له عز وجل فهو سبحانه المتبارك وعبده ورسوله المبارك، وأما صفته (تبارك) فمختصة به كما أطلقها على نفسه في قوله: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١] أفلا تراها كيف اطردت في القرآن جارية عليه مختصة به لا تطلق على غيره، وجاءت على بناء السعة والمبالغة؟ (تعالى وتعاظم) ونحوه، فجاء بناء (تبارك) على بناء (تعالى) الذي هو دال على كمال العلو ونهايته، فكذلك (تبارك) دال على كمال بركته وعظمتها وسعتها، وهذا معنى قول من قال من السلف: تبارك: تعاظم. وقال ابن عباس: جاء بكل بركة.

قوله (باب ما جاء في السحر) ص٥٤ - أي: والكهانة. السحر في اللغة عبارة عما خفي ولطف سببه؛ ولهذا جاء في الحديث: «إن من البيان لسحراً» وهذا من التشبيه البليغ شبهه بالسحر لكونه بالبيان يحصل منه ما يحصل من السحر. قال أبو محمد المقدسي في الكافي: السحر عزائم ورقى، ومنه ما يؤثّر في القلوب والأبدان فيُمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه، قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة: ١٠٢] وقال: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤]

يعني السواحر اللاتي ينفثن في سحرهن، ولولا أن للسحر حقيقة لم يأمر بالاستعاذة منه، واختلفوا هل يكفر الساحر أولا؟ فذهب طائفة من السلف إلى أنه يكفر، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد، وقال أصحابه إلا أن يكون سحره بأدوية وتدخين وسقي شيء يضر فلا يكفر.

ومما يدل على أنه كفر قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] وقال عمر في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١] الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان، وتقدم كلام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في حد الطاغوت وأن له أفراداً منها عبادة غير الله، فالمعبود طاغوت كما دلت عليه الآيات، ومنهم الكهان ومن يحكم بغير الحق أو يأمر بما يخالف الحق، أو يرضى به وغير ذلك.

قوله: (الطواغيت كهان)[1] أراد أن الكهان من الطواغيت. قوله: (كان ينزل عليهم الشيطان) أراد الجنس لا الشيطان الذي هو إبليس خاصة بل تنزل عليهم الشياطين ويخاطبونهم ويخبرونهم بما يسترقونه من السمع فيصدقون مرة، ويكذبون مائة. قوله: (وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله وماهن؟ قال «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات).

(١) بدأ الشارح تعليقه بالكلام على هذه الجملة التي نقلها المصنف عن جابر، وترك الكلام على الآيتين وأثر عمر بعدهما وقبله كلمة (جابر).

كذا أورده المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ غير مَعْزُوّ، وقد رواه البخاري ومسلم: «اجتنبوا» أي: ابعدوا، وهو أبلغ من قوله: دعوا أو اتركوا؛ لأن النهي عن القربان أبلغ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

قوله: «الموبقات» بموحدة وقاف، أي: المهلكات، وسميت هذه موبقات؛ لأنها تهلك فاعلها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات، وفي الآخرة في العذاب، وفي حديث ابن عمير عند البخاري في الأدب المفرد مرفوعاً قال: «الكبائر تسع» وذكر السبعة المذكورة «والإلحاد في الحرم وعقوق الوالدين».

قوله: (قال: الشرك بالله هو أن يجعل لله نداً يدعوه أو يرجوه كما يرجو الله) قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:

والشرك فاحذره فشرك ظاهر ... ذا القِسْمُ ليس بقابل الغفران

وهو اتخاذ الند للرحمن أياً ... كان من حجر ومن إنسان

يدعوه أو يرجوه ثم يخافه ... ويحبه كمحبة الديَّان

وبدأ به لأنه أعظم ذنب عصي الله به كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] والسحر تقدم تعريفه.

قوله: «وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق» أي: نفس المسلم المعصوم وقتل المعاهد كما في الحديث: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة

الجنة» وذهب ابن عباس وأبو هريرة إلى أنه لا توبة لمن قتل مؤمناً متعمداً، وذهب جمهور الأمة سلفاً وخلفاً إلى أن القاتل له توبة فيما بينه وبين الله فإن تاب وأناب وعمل صالحاً بدَّل الله سيئاته حسنات كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨] إلى قوله: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠] قوله: «وأكل الربا» أي: تناوله بأي وجه كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ الآيات [البقرة: ٢٧٥]. قال ابن دقيق العيد: وهو مجرب لسوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠] وفي الحديث: «الربا نيف وسبعون حوباً أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه» قوله: «وأكل مال اليتيم» يعني التعدي فيه وعبر بالأكل لأنه أعم وجوه الانتفاع كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠] قوله: «والتولي يوم الزحف» أي: الإدبار عن الكفار وقت التحام القتال كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٦] قوله: «وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» هو بفتح الصاد: المحفوظات من الزنا، وبكسرها: الحافظات فروجهن منه، والمراد: الحرائر العفيفات. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ الآية [النور: ٢٣].

قوله: (وعن جندب مرفوعاً: «حد الساحر ضربة بالسيف» رواه الترمذي وقال: الصحيح أنه موقوف) قوله: «عن جندب» رواه الطبراني في ترجمة جندب بن عبد الله البجلي، قال الحافظ: والصواب أنه غيره وقد رواه ابن قانع والحسن بن سفيان حتى مات وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكره. قوله: «حد الساحر ضربة بالسيف» روي بالهاء وبالتاء وكلاهما صحيح، وبهذا الحديث أخذ أحمد ومالك وأبو حنيفة، فقالوا: يقتل الساحر. وروي ذلك عن عمر، وعثمان، وابن عمر، وحفصة، وجندب بن عبدالله، وجندب بن كعب، وقيس بن سعد، وعمر بن عبدالعزيز، ولم ير الشافعي عليه القتل بمجرد السحر إلا إن عمل في سحر ما يبلغ الكفر به. قال ابن المنذر: وهو رواية عن أحمد، والأول أولى للحديث والأثر عن عمر، وعمل به الناس في خلافته من غير نكير.

قوله: (في صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال: كتب عمر أن اقتلوا كل ساحر وساحرة فقتلنا ثلاث سواحر).

هذا الأثر رواه البخاري كما قال المصنف لكن لم يذكر قتل السواحر. قوله: «عن بجالة» بفتح الموحدة بعدها جيم «ابن عبدة» بفتحتين التميمي العنبري بَصْري ثقة. قوله: كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة. وظاهره أنه يقتل من غير استتابة، وهو كذلك على المشهور عن أحمد، وبه قال مالك؛ لأن علم السحر لا يزول بالتوبة، وعن أحمد

يستتاب فإن تاب قبلت توبته؛ وبه قال الشافعي؛ لأن ذنبه لا يزيد على الشرك والمشرك يستتاب وتقبل توبته ولذلك صح إيمان سحرة فرعون وتوبتهم.

قوله: (وصح عن حفصة ـ رضي الله عنها ـ أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت) هذا الأثر رواه مالك في الموطأ، وحفصة هي أم المؤمنين بنت عمر بن الخطاب تزوجها النبي ﷺ بعد خنيس بن حذافة وماتت سنة خمس وأربعين. قوله: (وكذا صح عن جندب) أشار المصنف بهذا إلى قتل الساحر، كما رواه البخاري في تاريخه عن أبي عثمان النهدي، قال: كان عند الوليد رجل يلعب فذبح إنساناً وأبان رأسه فعجبنا فأعاد رأسه فجاء جندب الأزدي فقتله. ورواه البيهقي في الدلائل مطولاً وفيه: فأمر به الوليد فسجن فذكر القصة بتمامها ولها طرق كثيرة. قوله: (قال أحمد عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ) أحمد هو الإمام أحمد بن حنبل أي: صح قتل الساحر عن ثلاثة.

قوله: (باب بيان شيء من أنواع السحر. قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن حيان بن العلاء حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت» قال عوف: العيافة: زجر الطير، والطرق: الخط يخط بالأرض والجبت، قال الحسن: رنة الشيطان[1] ولأبي داود[2] وابن حبان في صحيحه المسند منه) ص٥٦ قوله: المسند منه لم يذكروا قول عوف. قوله: قال أحمد هو

(١) في الأصل زيادة: (إسناده جيد). وهو ص ٥٦.

(٢) في نسخنا زيادة: (والنسائي).

الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، ومحمد هو بن جعفر المشهور بغندر الهذلي البصري ثقة مشهور مات سنة ست ومائتين، وعوف هو ابن أبي جَميلة ـ بفتح الجيم ـ العبدي البصري المعروف بعوف الأعرابي ثقة، مات سنة ست أو سبع وأربعين وله ست وثمانون سنة، وحيان بن العلاء ـ بالتحتية ـ ويقال حيان بن مخارق أو العلاء البصري مقبول، وقَطَن ـ بفتحتين ـ أبو سهلة البصري صدوق. قوله: عن أبيه هو قَبيصة ـ بفتح أوله ـ ابن مُخارق ـ بضم الميم ـ أبو عبد الله الهلالي صحابي نزل البصرة.

قوله: «إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت» قال عوف: العيافة زجر الطير، والطرق الخط يخط بالأرض، والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها، وهو من عادة العرب وكثير من أشعارهم. يقال: عاف يعيف إذا زجر وحدس وظن. قوله: «والطرق» الخط يخط بالأرض، هكذا فسره عوف وهو كذلك، قال أبو السعادات: هو الضرب بالحصى الذي يفعله النساء.

قوله: (من الجبت) أي: السحر، قوله: قال الحسن رنة الشيطان. قلت: ذكر إبراهيم بن محمد بن مفلح أن في تفسير بقي بن مخلد أن إبليس رنّ أربع رنات: رنة حين لعن، ورنة حين أهبط، ورنة حين ولد رسول الله ﷺ، ورنة حين أنزلت فاتحة الكتاب، وروى الحافظ الضياء في المختار: الرنين الصوت، وقد رن يرن رنيناً، وبهذا يظهر معنى قول الحسن رضي الله عنه.

قوله: (وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد» رواه أبو داود بإسناد صحيح) وكذا صححه النووي والذهبي ورواه أحمد وابن ماجة.

قوله: «من اقتبس» قال أبو السعادات: قبست العلم وأقبست إذا علمته. انتهى. قوله: «شعبة» أي: طائفة، ومنه الحديث: «الحياء شعبة من الإيمان» أي: جزء منه. قوله «فقد اقتبس شعبة من السحر المحرم تعليمه» قال شيخ الإسلام: فقد صرح رسول الله ﷺ بأن علم النجوم من السحر، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩] قوله: «زاد ما زاد» أي: كلما زاد من تعلم النجوم زاد في السحر وفي الإثم الحاصل بزيادة الاقتباس من شعبه، فإن ما يعتقدونه في النجوم من التأثير باطل كما أن تأثير السحر باطل. والله أعلم.

قوله: (وللنسائي من حديث أبي هريرة: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً وكل إليه) هذا الحديث ذكره المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ من حديث أبي هريرة وعزاه للنسائي، وقد رواه النسائي مرفوعاً وحسنه ابن مفلح.

قوله: وللنسائي هو الإمام الحافظ أحمد بن شعيب بن علي بن سنان ابن بحر بن دينار أبو عبد الرحمن صاحب السنن الكبرى والمجتبى وغيرهما، روى عن محمد بن المثنى وابن بشار وقتيبة وخلق، وكان إليه المنتهى في العلم بعلل الحديث، مات سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وله ثمانون سنة.

قوله: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر» قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤] يعني السواحر اللاتي يفعلن ذلك، والنفث هو دون التفل، قوله: «ومن تعلق شيئاً وكل إليه» أي: من علق قلبه بشيء بحيث يرجوه ويخافه وكَلَه الله إلى ذلك الشيء، ومن قصر تعلقه على الله وحده كفاه ووقاه كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] وقال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] ومن تعلق قلبه بغير الله في رجاء نفع أو دفع ضر فقد أشرك.

قوله: (وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «ألا هل أنبئكم ماالعضه؟ هي النميمة القالة بين الناس» رواه مسلم).

قوله: «ألا أنبئكم ما العضه؟» بفتح المهملة وسكون المعجمة ثم فسرها بقوله: «هي النميمة القالة بين الناس» فأطلق عليه العضه؛ لأن النمام يعمل عمل الساحر، وذكر ابن عبد البر عن يحيى بن أبي كثير قال: يفسد النمَّام والكذَّاب في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة، وقال أبو الخطاب في عيون المسائل: ومن السحر السعي بالنميمة والإفساد بين الناس، قال ابن حزم: واتفقوا على تحريم الغيبة والنميمة في غير النصيحة الواجبة وفيه دليل على أنها من الكبائر قوله: «القالة بين الناس» ومنه الحديث: «ففشت القالة بين الناس» أي: كثرة القول وإيقاع الخصومة.

قوله: «ولهما عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن من البيان لسحراً» البيان: الفصاحة والبلاغة، قال ابن عبد البر: تأوله طائفة على

الذم لأن السحر مذموم. وذهب أكثر أهل العلم وجماعة أهل الأدب إلى أنه على المدح؛ لأن الله تعالى مدح البيان. قال: وقال عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ لرجل سأله عن حاجة فأحسن المسألة فأعجبه قوله: هذا والله السحر الحلال. انتهى. والأول أصح والمراد به: البيان الذي فيه تمويه على السامع وتلبيس كما قال بعضهم:

في زخرف القول تزيين لباطله والحق قد يعتريه سوء تعبير

مأخوذ من قول الآخر:

تقول هذا مجاج النحل تَمْدَحه وإن تشأ قلت ذا قيء الزنابير

مدحاً وذماً وما جاوزت وصفهما والحق قد يعتريه سوء تعبير

قوله: «إن من البيان لسحراً» هذا من التشبيه البليغ؛ لكون ذلك يعمل عمل السحر فيجعل الحق في قالب الباطل، والباطل في قالب الحق فيستميل به قلوب الجهال حتى يقبل الباطل وينكر الحق. وأما البيان الذي يوضح الحق ويقرره، ويبطل الباطل ويبينه، فهذا هو الممدوح، وهكذا حال الرسل وأتباعهم ولهذا علت مراتبهم في الفضائل وعظمت حسناتهم.

قوله: (باب ما جاء في الكهّان ونحوهم) ص٥٧.

الكاهن هو الذي يأخذ عن مسترق السمع، وكانوا قبل المبعث كثيراً، وأما بعد المبعث فإنهم قلوا؛ لأن الله حرس السماء بالشهب، وأكثر ما يقع

في هذه الأمة ما يخبر به الجن مواليهم من الإنس عن الأشياء الغائبة مما يقع في الأرض من الأخبار فيظنه الجاهل كشفاً وكرامةً، وقد اغتر بذلك كثير من الناس يظنون ذلك المخبر لهم عن الجن ولياً لله، وهو من أولياء الشيطان كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ الآية [الأنعام: ١٢٨].

قوله: (روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من أتى عرَّافاً فسأله عن شيء فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوما») قوله: عن بعض أزواج النبي ﷺ هي حفصة ذكره أبو مسعود الثقفي لأنه ذكر هذا الحديث في الأطراف في مسندها قال البغوي: العرَّاف الذي يدَّعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل لها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك، وقيل: هو الكاهن، والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، وقيل: الذي يخبر عما في الضمير. وقال شيخ الإسلام: العرَّاف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم، وقال أيضاً: والمنجم يدخل في اسم العرَّاف، وقال ابن القيم: من اشتهر بإحسان الزجر عندهم سموه عائفاً وعرَّافاً. قوله: «لم تقبل له صلاة أربعين يوماً» قال النووي وغيره ما معناه: أنه لا ثواب له فيها، وإن كانت مجزئة بسقوط الفرض عنه، ولابد من هذا التأويل في هذا الحديث؛ فإن العلماء متفقون على أنه لا يلزم من أتى العراف إعادة صلاة أربعين ليلة. انتهى ملخصاً.

قوله: (عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «من أتى كاهنا فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» ﷺ رواه أبو داود) وفي رواية أبي داود: «أو امرأته» قال مسدد: امرأته: حائضاً «أو أتى امرأة» قال مسدد: امرأته: «في دبرها فقد برئ مما أنزل على محمدﷺ».

قوله: (وللأربعة والحاكم وقال: صحيح على شرطهما عن : «من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»)

وهكذا بيض المصنف لاسم الراوي، وقد رواه أحمد والبيهقي والحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً. قوله: «من أتى كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» قال القرطبي: المراد بالمنزل الكتاب والسنة.

قوله (ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله مرفوعا) أبو يعلى اسمه أحمد بن علي بن المثنى الموصلي الإمام صاحب التصانيف كالمسند وغيره، روى عن يحيى بن معين وأبي خيثمة وأبي بكر بن أبي شيبة وخلق، وكان من الأئمة الحفاظ، مات سنة سبع وثلاثمائة، وهذا الأثر رواه البزار أيضاً ولفظه: «من أتى كاهناً أو ساحراً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» ﷺ وفي هذه الأحاديث التصريح بكفره.

قوله: (وعن عمران بن حصين مرفوعاً: «ليس منا من تطير أو تطير له، أوتكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له، ومن أتى كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» ﷺ رواه البزار بإسناد جيد من حديث ابن عباس دون قوله: ومن أتى... إلى آخره).

قـوله: «ليس منا دليل» على نفي الإيمان الواجب، وهو لا ينافي مـا تقدم من أن الطيرة شرك، والكهانة كفر. قوله: «رواه البراز» هو أحمد بن عمر وابن عبد الخالق أبو بكر البراز البصري صاحب المسند الكبير روى عن ابن بشار وابن المثنى وخلق، مات سنة اثنتين وتسعين ومائتين. قوله: «قال ابن عباس في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم: ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق» هذا الأثر رواه الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً وإسناده ضعيف. قوله: «ماأرى» يجوز فتح الهمزة بمعنى: لا أعلم ويجوز ضمها بمعنى: لا أظن، وكتابة أبي جاد وتعلمها لمن يدَّعي بها علم الغيب هو الذي يسمى علم الحروف؛ وهوالذي فيه الوعيد؛ وأما تعلمها للتهجي وحساب الجُمّل فلا بأس به.

قوله: (وينظرون في النجوم) أي: ويعتقدون أن لها تأثيراً في باب التنجيم، وفيه الحذر من كل علم لا تعلم صحته من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وقد ورد النهي عنها والتحذير من قرب أهلها وسؤالهم وتصديقهم فيما أخبروا به من باطلهم فما أكثر من يغتر بهذه الأمور.

قوله: (باب ما جاء في النُّشْرة) ص٥٨.

بضم النون كما في القاموس قال أبو السعادات: النُّشْرة ضرب من العلاج والرقية يعالج به من كان يظن أن به مسًا من الجن سميت نُشْرَة؛ لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء، أي يكشف ويزال. قال ابن الجوزي: النُّشْرة حل السحر عن المسحور، ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر.

قوله: (عن جابر أن رسول الله ﷺ سئل عن النُّشْرة فقال: «هي من عمل الشيطان» رواه أحمد بسند جيد وأبو داود، وقال: سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله). هذا الحديث رواه أحمد ورواه عنه أبو داود في سننه، وحسَّن الحافظ إسناده.

قوله: سئل عن النُّشْرة. الألف واللام في النشرة للعهد، أي: النشرة المعهودة التي كان أهل الجاهلية يصنعونها هي من عمل الشيطان.

قوله: (وفي البخاري عن قتادة قلت لابن المسيب: رجل به طبٌّ يؤخَّذ عن امرأته أيُحَلُّ عنه أو يُنشَّر؟ قال: لا بأس به، إنما يريدونَ به الإصلاح فأما ما ينفع فلم ينه عنه).

قوله: عن قتادة هو ابن دعامة بكسر ـ الدال ـ الدوسي ثقة فقيه حافظ من أحفظ التابعين وأئمة التفسير، قالوا: إنه ولد أكمه، مات سنة بضع عشرة ومائة.

قوله: رجل به طِبٌّ. بكسر الطاء أي: سحر يقال: طُبَّ الرجل بالضم إذا سحر.

قوله: «يؤخَّذ» بفتح الواو مهموز وتشديد الخاء المعجمة وبعدها ذال معجمة، أي: يحبس عن امرأته لا يصل إلى جماعها، والأخذة بضم الهمزة الكلام الذي قاله الساحر. قوله: «أيُحَلُّ» بضم الياء وفتح الحاء مبني للمفعول. قوله: «أو ينشَّر» بتشديد المعجمة. قوله: «لا بأس به» يعني أن النُّشْرة لا بأس بها؛ لأنهم يريدون بها الإصلاح، وهذا من ابن المسيب يحمل على نوع من النُّشْرة لا يعلم أنه سحر.

قوله: (وروي عن الحسن أنه قال: لا يَحُل السحر إلا ساحر) .

هذا الأثر ذكره ابن الجوزي في جامع المسانيد، والحسن هو ابن أبي الحسن، واسمه سيار ـ بالتحتية والمهملة ـ البصري الأنصاري مولاهم ثقة فقيه إمام من خيار التابعين، مات سنة عشر ومائة وقد قارب التسعين .

قوله: (قال ابن القيم: النُّشْرة حل السحر عن المسحور) وهي نوعان: الأول: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن: فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور والثاني: النُّشْرة بالرقية، والتعوذات، والدعوات، والأدوية المباحة، فهذا جائز .

ومما جاء في صفة النشرة الجائزة ما روى ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ليث بن أبي سليم قال: بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله تعالى؛ تقرأ في إناء فيه ماء ثم يصب على رأس المسحور. الآية التي في سورة يونس: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ إلى قوله: وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ وقوله: ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١١٨] إلى آخر الآيات الأربع. وقوله: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩] وقال ابن بطال: في كتاب وهب بن منبه أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين، ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسي والقواقل، ثم يحسو منه ثلاث حسوات، ثم يغتسل به يذهب عنه كل ما به وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله .

قوله: (باب ما جاء في التطير) أي من النهي عنه والوعيد، والطيرة بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن: اسم مصدر من تطير طيرة، وأصله التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما، وكان ذلك التطير يصدهم عن مقاصدهم فنفاه الشرع وأبطله، وأخبر أنه لا تأثير له في جلب نفع ودفع ضر. قال المدائني: سألت رؤبة بن العجاج قلت: ما السانح؟ قال: ما ولاك ميامنه، قلت فما البارح؟ قال: ما ولاك مياسره، والذي يجيء من أمامك فهو الناطح والنطيح، والذي يجيء من خلفك هو القاعد والقعيد.

قوله: (وقول الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١] وذكر تعالى هذه الآية في سياق قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ [الأعراف: ١٣١] أي نحن الجديرون والحقيقون به ونحن أهله ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي: بلاء وقحط يطيروا بموسي ومن معه فيقولون هذا بسبب موسى وأصحابه أصابنا بشؤمهم فقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١].

قال ابن عباس: طائرهم ما قُضي عليهم وقدر لهم. وفي رواية شؤمهم عند الله ومن قبله، أي إنما جاءهم الشؤم من قبله بكفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله.

قوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١] أي: إن أكثرهم جهال لايدرون، ولو فهموا وعقلوا لعلموا أنه ليس فيما جاء به موسى - عليه السلام - إلا الخير، والبركة، والسعادة، والفلاح، لمن آمن به واتبع قوله.

وقوله: ﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ الآية [يس: ١٩]، المعنى: حظكم وما نالكم من شر معكم بسبب أفعالكم وكفركم ومخالفتكم الناصحين، ليس هو من أجلنا ولا بسببنا بل ببغيكم وعدوانكم، فطائر الباغي الظالم معه فما وقع به من الشرور فهو سببه الجالب له، وذلك بقضاء الله وقدره وحكمته وعدله.

وقوله: ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ [يس: ١٩] أي: من أجل أنَّا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله قابلتمونا بهذا الكلام ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [يس: ١٩].

قوله: (عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «لاعدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفَر» أخرجاه. زاد مسلم: «ولا نوء ولا غُول») قال أبو السعادات: العدوى اسم من الأعداء كالدعوى، يقال: أعداه الداء يعديه إعداء إذا أصابه مثل ما بصاحب الداء.

قوله: (ولا طيرة) قال ابن القيم: يحتمل أن يكون نفياً أو نهياً، أي: لا تطيروا، ولكن قوله في الحديث: «ولا عدوى ولا صفر ولا هامة» يدل على أن المراد النفي وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها والنفي في هذا أبلغ من النهي؛ لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره والنهي إنما يدل على المنع منه.

قال عكرمة: كنا جلوساً عند ابن عباس فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير خير، فقال له ابن عباس: لا خير ولا شر، فبادره بالإنكار عليه لئلا يعتقد تأثيره في الخير والشر، وخرج طاووس مع

صاحب له في سفر فصاح غراب فقال الرجل: خير، فقال طاوس: وأي خير عند هذا، لا تصحبني. انتهى مخلصاً.

قوله: «ولا هامَة» بتخفيف الميم على الصحيح. قال الفرَّاء: الهامة طير من طير الليل كان يعني البومة. قال ابن الأعرابي: كانوا يتشاءمون بها إذا وقعت على بيت أحدهم يقول: نعت إلي نفسي أوأحداً من أهل داري، فجاء الحديث بنفي ذلك وإبطاله.

قوله: «ولا صفَر» بفتح الفاء، روى أبو عبيد في غريب الحديث عن رؤبة أنه قال: هي حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس، وهي أعدى من الجرب عند العرب، وعلى هذا فالمراد بنفيه ما كانوا يعتقدونه من العدوى، وممن قال بهذا: سفيان بن عيينة والإمام أحمد والبخاري وابن جرير وقال: المراد به شهر صفر، والنفي لما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء وكانوا يحلون المحرم ويحرمون صفر مكانه، وهذا قول مالك.

وروى أبو داود عن محمد بن راشد عمن سمعه يقول: إن أهل الجاهلية يتشاءمون بصفر ويقولون: إنه شهر مشؤوم، فأبطل ذلك النبي ﷺ، قال ابن رجب: ولعل هذا أشبه الأقوال، والتشاؤم بصفركتشاؤم أهل الجاهلية بشوال بالنكاح فيه خاصة.

قوله: «ولانوء» سيأتي الكلام عليه في بابه. قوله: «ولا غُول» هو بالضم اسم وجمعه أغوال وغيلان وهو المراد هنا، والمعنى بقوله:

«لا غول» أنها لا تستطيع أن تضل أحداً مع ذكر الله والتوكل عليه ومنه الحديث: «إذا تغولت الغيلان فبادر بالأذان» ادفعوا شرها بذكر الله تعالى.

قوله: (ولهما عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ولا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل» قالوا: وما الفأل؟ قال: «الكلمة الطيبة») .

قال أبو السعادات: الفأل مهموز فيما يسر ويسوء، والطيرة لا تستعمل إلا فيما يسوء وربما استعملت فيما يسر.

قوله: «قالوا: وما الفأل؟» قال: «الكلمة الطيبة» بيَّن ﷺ أن الفأل يعجبه، فدل على أنه ليس من الطيرة المنهي عنها. قال ابن القيم: ليس الإعجاب بالفأل ومحبته شيء من الشرك بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة وموجب الفطرة الإنسانية التي تميل إلى ما يوافقها ويلائمها، والله تعالى جعل في غرائز الناس من الإعجاب بسماع الاسم الحسن ومحبته وميل نفوسهم إليه، وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور باسم الفلاح والسلام والنجاح والتهنئة والبشرى والفوز والظفر ونحو ذلك. فإذا سمعت الأسماع أضدادها أوجب لها ضد هذه الحال فأحزنتها وأثار ذلك لها خوفا وتطيراً وانكماشاً وانقباضاً عما قصدته وعزمت عليه فأورث لها ضراراً في الدنيا ونقصاً في الإيمان ومقارفة للشرك.

قوله: (ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال: ذُكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «أحسنها الفأل، ولا ترد مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم، لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»).

قوله: «عن عقبة بن عامر» هكذا وقع في نسخ التوحيد، وصوابه عن عروة بن عامر القرشي، كذا أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما وهو مكي اختلف في نسبه. فقال أحمد: عن عروة بن عامر القرشي، وقال غيره الجهني، واختلف في صحبته فقال الماوردي: له صحبة، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين، وقال المزي: لا صحبة له تصح، قال ابن القيم: أخبر ﷺ أن الفأل من الطيرة وهو خيرها؛ فأبطل الطيرة وأخبر أن الفأل منها، ففصل بين الفأل والطيرة لما بينهما من الامتياز والتضاد ونفع أحدهما ومضرة الآخر.

قوله: «ولا ترد مسلماً» قال الطيبي: تعريض بأن الكافر بخلافه.
قوله: «اللهم، لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك» أي: لا تأتي الطيرة بالحسنات ولا تدفع المكروهات بل أنت وحدك لا شريك لك الذي تأتي بالحسنات وتدفع السيئات، والحسنات هنا النعم، والسيئات المصائب، ففيه نفي تعلق القلب بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر، وهذا هو التوحيد وهو دعاء مناسب لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة، وتصريح بأنها لا تجلب نفعاً ولا تدفع ضراً ويعد من اعتقدها سفيهاً مشركاً.

قوله: «ولا حول ولا قوة إلا بك» والحول: التحول والانتقال من حال إلى حال، والقوة على ذلك بالله وحده، ففيه التبري من الحول والقوة والمشيئة بدون حول الله وقوته ومشيئته، وهذا هو التوحيد في

الربوبية، وهو الدليل على توحيد الإلهية الذي هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة وهو توحيد القصد والإرادة، وقد تقدم بيان ذلك بحمد الله.

قوله: (وعن ابن مسعود مرفوعاً: الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل. رواه أبو داود والترمذي وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود ولفظ أبي داود «الطيرة شرك» ثلاثاً) وهذا صريح في تحريم الطيرة، وأنها من الشرك لما فيها من تعلق القلب بغير الله، قال ابن مفلح: الأولى القطع بتحريمها؛ لأنها شرك. وكيف يكون الشرك مكروهاً الكراهة الاصطلاحية؟

قوله: «وما منا إلا» قال أبو القاسم الأصبهاني والمنذري: في الحديث إضمار، التقدير: وما منا إلا وقد وقع قلبه في شيء من ذلك. انتهى.

قوله: «ولكن الله يذهبه بالتوكل» لكن إذا توكلنا على الله في جلب النفع ودفع الضر أذهبه الله تعالى عنا بتوكلنا عليه وحده.

قوله: «وجعل آخره من قول ابن مسعود» قال ابن القيم: وهو الصواب؛ فإن الطيرة نوع من الشرك.

قوله: (ولأحمد من حديث ابن عمرو «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك» قالوا: فما كفارة تلك؟ قال: «أن تقول: اللهم، لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك») هذا الحديث رواه أحمد والطبراني عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وفي إسناده ابن لهيعة وبقية

رجاله ثقات. قوله: من حديث ابن عمرو. هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي أبو محمد، وقيل: أبو عبد الرحمن، أحد السابقين المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة الفقهاء، مات في ذي الحجة ليالي الحرة على الصحيح بالطائف. قوله: من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك. وذلك أن الطيرة هي التشاؤم بالمرئي والمسموع، فإذا ردته عن سفر أو عمل أو حاجة فقد أشرك بما يخامر قلبه من الخوف من ذلك فيكون شركاً بهذا الاعتبار. قوله: قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: «أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك..» إلخ. فيه تفويض الأمور إلى الله تقديراً وتدبيراً وخلقاً، والبراءة مما فيه تعلق بغير الله تعالى كائنا من كان.

قوله: «ولا إله غيرك» أي: لا معبود مستحق سواك. فإذا قال ذلك وأعرض عما وقع في قلبه ولما يلتفت إليه واستمر على فعل ماعزم عليه توكلا على الله وتفويضاً إليه، كفَّر الله عنه ما وقع في قلبه من ذلك.

قوله: (وله من حديث الفضل بن العباس: «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردَّك» هذا الحديث عند الإمام أحمد من حديث الفضل بن العباس قال: خرجت مع رسول الله ﷺ فساقه إلى أن قال: «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردَّك» والفضل هو ابن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ: قال ابن معين: قتل يوم اليرموك، وقال غيره: قتل يوم مرج الصُّفَّر سنة ثلاث عشرة، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة، وقال أبو داود: قتل بدمشق كان عليه درع النبي ﷺ. قوله: «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردَّك» هذا حد

الطيرة المنهي عنها أنها ما يحمل الإنسان على المضي فيما أراد، أو يمنعه من المضي فيه كذلك، وأما الفأل الذي كان يحبه ﷺ فيه نوع بشارة فيسر به العبد ولا يعتمد عليه، بخلاف الطيرة فافهم الفرق.

قوله: (باب ماجاء في التنجيم) قال شيخ الإسلام: هو الاستدلال بالأحوال الفلكية، على الحوادث الأرضية. وقال الخطابي: علم النجوم المنهي عنه هو ما يدَّعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي ستقع في مستقبل الزمان كأوقات هبوب الرياح ومجيء المطر وتغير الأسعار وما في معناها من الأمور التي يزعمون أنها تدرك معرفتها بمسير الكواكب في مجاريها، واجتماعها وافتراقها، يدَّعون أن لها تأثيراً في السفليات، وهذا منهم تحكم على الغيب وتعاط لعلم قد استأثر الله به فلا يعلم الغيب سواه.

قوله: (قال البخاري في صحيحه: قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينةً للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها. فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به) انتهى.

هذا الأثر علقه البخاري في صحيحه وأخرجه عبد الرازق وعبد ابن حميد وابن جرير وابن المنذروغيرهم، وأخرجه الخطيب في كتاب النجوم عن قتادة بلفظ أطول من هذا، وقول قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ يدل على أن علم التنجيم هذا قد حدث في عصره فأوجب له إنكاره على من اعتقده وتعلق به، وهذا العلم مما ينافي التوحيد ويوقع في الشرك؛ لأنه

ينسب الحوادث إلى غير من أحدثها وهو سبحانه بمشيئته وإرادته كما قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣] وقال: ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥].

قوله: خلق الله هذه النجوم لثلاث. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥] وفيه إشارة إلى أن النجوم في السماء الدنيا كما روى ابن مردويه عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «أما السماء الدنيا فإن الله خلقها من دخان وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً وزينها بمصابيح، وجعلها رجوماً للشياطين، وحفظاً من كل شيطان رجيم» قوله: «وعلامات» أي: دلالات على الجهات يهتدى بها، أي يهتدي بها الناس في ذلك كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧] أي: ليعرفوا بها جهة قصدهم، فإن قيل: المنجم قد يصدق، قيل: صدقه كصدق الكاهن، يصدق في كلمة ويكذب في مائة، وصدقه ليس عن علم، بل قد يوافق قدراً فيكون فتنة في حق من صدّقه.

قوله: (وكره قتادة تعلم منازل القمر ولم يرخص فيه ابن عيينه) ذكره حرب عنهما ورخَّص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق. قال الخطابي: أما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والخبر الذي يعرف به الزوال وتعلم به جهة القبلة فإنه غير داخل فيما نهي عنه، وذلك أن معرفة هذا العلم يصح علمه بالمشاهدة.

وأما ما يستدل به من النجوم على جهة القبلة فإنها من الكواكب رصدها أهل الخبرة بها، الذين لا نشك في عنايتهم بأمر الدين ومعرفتهم بها وصدقهم فيما أخبروا به مثل: أن يشاهدها بحضرة الكعبة ويشاهدها على حال الغيبة عنها، فكان إدراكهم الدلالة منها بالمعاينة، وإدراكنا ذلك بقبول خبرهم إذ كانو عندنا غير متهمين في دينهم، ولا مقصرين في معرفتهم. انتهى. وروى ابن المنذر عن مجاهد أنه لا يرى بأساً أن يتعلم الرجل من النجوم ما يهتدي به. قال ابن رجب: والمأذون في تعلمه علم التسيير لا علم التأثير فإنه باطل محرم قليله وكثيره. أما علم التسيير فيتعلم منه ما يحتاج إليه للاهتداء، ومعرفة القبلة والطرق جائز عند الجمهور.

قوله: «ذكره حرب عنهما» هو الإمام الحافظ حرب بن إسماعيل أبو محمد الكرماني الفقيه من أجلة أصحاب الإمام أحمد، روى عن أحمد وإسحاق وابن المديني وابن معين وغيرهم، وله كتاب المسائل التي سأل عنها الإمام أحمد وغيره، مات سنة ثمانين ومائتين، وأما إسحاق فهو ابن إبراهيم بن مخلد بن يعقوب الحنظلي النيسابوري الإمام المعروف بابن راهويه، روى عن ابن المبارك وأبي أسامة وابن عيينة وطبقتهم. قال أحمد: إسحاق عندنا من أئمة المسلمين، روى عنه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم، وروى هو أيضاً عن أحمد، مات سنة تسع وثلاثين ومائتين.

قوله: (وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر» رواه أحمد وابن حبان في صحيحه» هذا الحديث رواه أيضاً الطبراني والحاكم وقال: صحيح، وأقره الذهبي.

قوله: عن أبي موسى. هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار ـ بفتح المهملة وتشديد الضاد ـ أبو موسى الأشعري صحابي جليل مات سنة خمسين.

قوله: «ثلاثة لا يدخلون الجنة»: الشاهد للترجمة «ومصدق بالسحر» وفي هذا الحديث كما تقدم في نظائره كقوله: «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» واختار الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ أن مثل هذه الأحاديث تمر كما جاءت من غير تأويل. قال الذهبي في الكبائر: ويدخل فيه تعلم السيمياء وعلمها، وعقد المرء من زوجته، ومحبة الزوج لامرأته وبغضها، وبغضه، وأشباه ذلك بكلمات مجهولة. انتهى باختصار.

قوله: (باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء وقول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢] أي: من الوعيد، والمراد نسبة السقي ومجيء المطر إلى الأنواء. جمع نوء وهي منازل القمر، قال أبو السعادات: وهي ثمان وعشرون منزلة ينزل القمر كل ليلة منزلة منها كما قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩] يسقط في المغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة له مع طلوع الفجر وتطلع أخرى مقابلتها ذلك

الوقت من المشرق، وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطر. وينسبونه إلى النجم الساقط ويقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، وإنما سمي نوءاً لأنه اذا سقط منها الساقط ناء الطالع بالمشرق، أي: نهض وطلع.

قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ الآية [الواقعة: ٨٢] روى الإمام أحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن أبي حاتم والضياء في المختارة عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ يقول: شكركم ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ تقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا» روي ذلك عن علي وابن عباس وقتادة والضحاك وعطاء الخراساني وغيرهم. وهو قول جمهور المفسرين، وبه يظهر وجه استدلال المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ بالآية. وقال ابن القيم: أي: تجعلون حظكم منه هذا الرزق الذي به حياتكم التكذيب به يعني القرآن. قال الحسن: تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون، قال: وخسر عبد لا يكون حظه من القرآن إلا التكذيب.

قوله: (عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة» وقال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب» رواه مسلم. أبو مالك اسمه الحارث الشامي، صحابي تفرد عنه بالرواية أبو سلام، وفي الصحابة أبو مالك الأشعري اثنان غير هذا.

قوله: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن» ستفعلها هذه الأمة إما مع العلم بتحريمها أو مع الجهل بذلك مع كونها من أعمال الجاهلية. يدل على أنه يجب على كل مسلم أن يجتنبها، والمراد بالجاهلية هنا ما قبل المبعث وفاعلها آثم يجب أن ينهى عنها، ومتى وجد الشرك وجدت هذه الأمور المنكرة وغيرها من المنكرات.

قال شيخ الإسلام: أخبر أن بعض أمر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم ذماً لمن يتركه، وهذا يقتضي أن كل ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم في دين الإسلام وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لها، ومعلوم أن إضافتها إلى الجاهلية خرج مخرج الذم، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣] فإن في ذلك ذماً للتبرج، وذماً لحال أهل الجاهلية الأولى، وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة. قوله: «والفخر بالأحساب» أي: التعاظم على الناس بالآباء ومآثرهم وذلك جهل عظيم؛ إذ لا كرم إلا بالتقوى كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] ولأبي داود عن أبي هريرة مرفوعاً: «إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقي، أو فاجر شقي، الناس بنو آدم، وآدم خلق من تراب، ليدعنَّ رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم جهنم أو ليكونُنَّ أهون على الله من الجعلان» الحديث.

قوله: «والطعن في الأنساب» أي: الوقوع فيها بالعيب والنقص،

ولما عيَّر أبو ذر رجلاً بأمه قال النبي ﷺ: «أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية» متفق عليه. فدل على أن الطعن في الأنساب من عمل أهل الجاهلية، وأن المسلم قد يكون فيه شيء من هذه الخصال المسماة بجاهلية ويهودية ونصرانية ولا يوجب ذلك كفره ولا فسقه. قاله شيخ الإسلام رحمه الله تعالى.

قوله: «والاستسقاء بالنجوم» تقدَّم معناه، فإذا قال قائلهم: مُطرنا بنجم كذا وبنوء كذا فلا يخلو، إمَّا أن يعتقد أن له تأثيراً في نزول المطر فهذا شرك وكفر لنسبة المطر لغير من أنزله وهو الله وحده، وإمَّا مع إطلاق هذا اللفظ، فقد صرح ابن مفلح في الفروع بتحريمه، وكذلك صاحب الإنصاف ولم يذكرا خلافاً. قوله: «والنياحة» أي: رفع الصوت بالندب على الميت وضرب الخدود وشق الجيوب ونحو ذلك وهي من الكبائر لشدة الوعيد والعقوبة كما في هذا الحديث. قوله: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها» فيه تنبيه على أن التوبة تكفر الذنب. قوله: «تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب» السربال واحد السرابيل وهي الثياب والقمص، هذه سرابيل أهل النار يعني: يلطخن بالقطران حتى يكون اشتعال النار بأجسادهن أعظم، ورائحتهن أنتن، وروي عن ابن عباس أن القطران هو النحاس المذاب.

قوله: (وعن زيد بن خالد قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس

فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب» زيد بن خالد الجهني صحابي مشهور مات سنة ثمان وستين وقيل غير ذلك وله خمس وثمانون سنة.

قوله: «صلى لنا» أي: بنا. قال الحافظ: وفيه إطلاق ذلك مجازاً. قوله: «بالحديبية» بتخفيف يائها وقد تُثقَّل. قوله: (على إثر) بكسر الهمزة وسكون الثاء المثلثة على المشهور وهو ما يعقب الشيء، قوله: «سماء» أي: مطر. قوله: «فلما انصرف من صلاته» أي: إلى المأمومين، قوله: «هل تدرون؟» لفظ استفهام ومعناه التنبيه، وفي النسائي: «ألم تسمعوا ما قال ربكم الليلة؟» وفيه إلقاء العالم المسألة على أصحابه ليختبرهم. قوله: «قالوا: الله ورسوله أعلم» فيه حسن الأدب للمسؤول إذا سئل عما لا يعلم أن يكل العلم إلى عالمه وذلك يجب، قوله: «أصبح من عبادي مؤمن بي» لأنه نسب الفعل إلى فاعله الذي لا يقدر عليه غيره، قوله: وكافر. إذا اعتقد أن للنوء تأثيراً في إنزال المطر فهذا كفر؛ لأنه شرك في الربوبية والمشرك كافر، قوله: «فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته» فالفضل والرحمة صفتان لله تعالى[1].

قوله: (ولهما من حديث ابن عباس معناه) وفيه قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ

(١) هكذا الأصل لم يتم الكلام فيه.

النُّجُومِ﴾ إلى قوله: ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢] تقدم معناه قريبا.

قوله: باب قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] - ص٦٢.

قال في شرح المنازل: أخبر تعالى أن من أحب شيئاً من دون الله كما يحب الله فهو ممن اتخذ من دون الله أندادا، فهذا ند في المحبة لا في الخلق والربوبية، فإن أحداً من أهل الأرض لا يثبت هذا الند بخلاف ند المحبة فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أنداداً في المحبة والتعظيم. إهـ. قلت: وقد وقع الشرك في الربوبية أيضاً في كثير من الخاصة والعامة في آخر هذه الأمة، فاعتقدوا أن لهؤلاء الأموات تصرفاً في الكون ونحو ذلك.

قوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الآية [التوبة: ٢٤] قال ابن كثير: إن كانت هذه الأشياء أحب إليكم من الله ورسوله (الآية). وجهاد في سبيله فتربصوا، أي: انتظروا ماذا يحل بكم من عقابه.

قوله: (عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» أخرجاه) أي: البخاري ومسلم. قوله: «لا يؤمن» أي الإيمان الواجب والمراد كماله حتى يكون الرسول ﷺ أحب إلى العبد من ولده ووالده والناس أجمعين.

وذلك يقتضي تعظيم أمره ونهيه واتباعه في ذلك دون من سواه، ومن كان كذلك فقد أحب الله كما في آية المحبة.

قوله: (ولهما عنه) أي: البخاري ومسلم عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»).

قوله: (ثلاث) أي: خصال، قال شيخ الإسلام: أخبر النبي ﷺ أن هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان؛ لأن وجود الحلاوة للشيء يتبع المحبة له، فمن أحب شيئاً واشتهاه إذا حصل له مراده فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك، واللذة أمر يحصل عقيب إدراك الملائم الذي هو المحبوب أو المشتهى. قال: فحلاوة الإيمان المتضمنة للذة والفرح تتبع كمال محبة العبد لله، وذلك بثلاثة أمور: تكميل هذه المحبة وتفريغها ودفع ضدها، فتكميلها أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما فإن محبة الله ورسوله لا يكتفى فيها بأصل الحب، بل لابد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

قلت: ومن لازم محبة الله محبة أنبيائه ورسله وملائكته وكتبه والصالحين من عباده، وكراهة ما يكرهه سبحانه ومعاداة أعدائه، وموالاة أوليائه، فلا يحصل كمال محبة الله الواجبة إلا بكمال ذلك وإيثاره على ما تهواه النفوس مما يخالف ذلك. قوله: «أحب إليه مما سواهما» ثنَّى الضمير هنا لتلازم المحبتين. والله أعلم. قوله: «كما يكره أن يقذف في النار» أي: يستوي عنده الأمران. قوله: وفي رواية: «لا يجد» هي عند

البخاري في الأدب المفرد ولفظه: «لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله، وحتى أن يُقْذَف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما».

قوله: (وعن ابن عباس قال: من أحب في الله وأبغض في الله وعادى في الله ووالى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئًا. رواه ابن جرير).

قوله: من أحب في الله، أي: أحب أهل الإيمان بالله وطاعته من أجل ذلك. قوله: وأبغض في الله، أي: أبغض من كفر بالله وأشرك به وعصاه لارتكابه ما يسخط الله وإن كان أقرب الناس إليه كما قال تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢] قوله: ووالى في الله: بالمحبة والنصرة بحسب القدرة. قوله: وعادى في الله، من كان عدو الله، ممن أشرك وكفر وظاهر بالمعاصي فتجب عداوته بما يقدر عليه. قوله: وإنما تنال ولاية الله بذلك، أي: توليه لعبده، و«ولاية» بفتح الواو، وفي الحديث: «أوثق عُرَى الإيمان الحب في الله والبغض في الله عز وجل» رواه الطبراني. قوله: ولن يجد عبد طعم الإيمان... إلى آخره، أي: لا يحصل له ذوق الإيمان وبهجته ولذته وسروره والفرح به وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك. قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ

﴿وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨] قوله: وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئاً. يعني أنه إذا ضعف داعي الإيمان أحب دنياه وأحب لها وواخى لأجلها، وهذا هو الغالب على أكثر الخلق محبة دنياهم وإيثار ما يهوونه على ما يحبه الله ورسوله، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً بل يضر في العاجل والآجل، فالله المستعان. قوله: (وقال ابن عباس في قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦] قال: المودة أي: التي كانت بينهم خانتهم أحوج ما كانوا إليها قال تعالى: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ الآية [العنكبوت: ٢٥].

قوله: (باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]ص٦٣.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: ومن كيد عدوِّ الله أنه يخوِّف المؤمنين جنده وأولياءه؛ لئلا يجاهدوهم ولا يأمروهم بمعروف ولا ينهوهم عن منكر، وأخبر تعالى أن هذا من كيد الشيطان وتخويفه، ونهانا أن نخافهم. قال: والمعنى عند جميع المفسرين يخوِّفهم بأوليائه، قال قتادة: يعظمهم في صدوركم، فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم، فدلت هذه الآية على أن الخلاص من الخوف من كمال شروط الإيمان. وسبب نزول الآية مذكور في التفاسير والسيَر.

قوله: (وقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ الآية [التوبة: ١٨]) أخبر تعالى أن مساجد الله لا يعمرها إلا أهل الإيمان بالله واليوم الآخر، الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا بجوارحهم وأخلصوا له الخشية دون من سواه، فلا تكون المساجد عامرة إلا بالإيمان الذي معظمه التوحيد مع العمل الصالح الخالص من شوائب الشرك والبدع، وذلك كله داخل في مُسَمَّى الإيمان المطلق عند أهل السنة والجماعة. قوله: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ قال ابن عطية: يريد خشية التعظيم والعبادة والطاعة، ولا محالة أن الإنسان يخشى المحاذير الدُّنيوية وينبغي أن يخشى في ذلك كله قضاء الله وتصريفه.

قلت: لأن النفع والضر إنما يكون بمشيئته وإرادته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: والخوف عبودية القلب فلا يصلح إلا لله كالذل والمحبة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب.

قوله: ﴿فَعَسَىٰ أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨] قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس يقول: إن أولئك هم المهتدون، وكلٌّ (عسى) في القرآن فهي واجبة. قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠]قال ابن القيم: الناس إذا أرسل إليهم الرسل بين أمرين إما أن يقول أحدهم: آمنا، وإما ألا يقول ذلك بل يستمر على السيئات والكفر، فمن قال: آمنا، امتحنه ربه

وابتلاه، والفتنة الابتلاء والاختبار، ومن لم يقل: آمنا، فلا يحسب أنه يعجز الله ويفوته ويسبقه فلا بد من حصول الألم لكل نفس آمنت أو رغبت عن الإيمان، لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداء ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة ، والمعرض عن الإيمان تحصل له اللذة ابتداء ثم يصير له الألم الدائم، والإنسان لابد أن يعيش مع الناس، والناس لهم تصوُّرات وإرادات فيطلبون منه أن يوافقهم عليها وإن لم يوافقهم آذوه وعذَّبوه، وإن وافقهم حصل له العذاب تارة منهم وتارة من غيرهم، إلى أن قال: فالحزم كل الحزم في الأخذ بما قالت أم المؤمنين لمعاوية: من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يُغْنُوا عنه من الله شيئاً. فمن هداه الله وألهمه رشده ووقاه شر نفسه امتنع من الموافقه على فعل المحرم وصبر على عداوتهم، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة كما كانت للرسل وأتباعهم. ثم أخبر تعالى عن حال الداخل في الإيمان وأنه إذا أوذي في الله جعل فتنة الناس له وهي أذاهم ونيلهم إياه بالمكروه وهو الألم الذي لا بد أن ينال الرسل وأتباعهم ممن خالفهم جعل ذلك في فراره منه وتَرْكه السبب الذي يناله به كعذاب الله الذي فر منه المؤمنون بالإيمان، فالمؤمنون لكمال بصيرتهم فروا من ألم عذاب الله إلى الإيمان، وتحملوا ما فيه من الألم الزائل المفارق عن قريب، وهذا من ضعف بصيرته، فر من ألم أعداء الرسل إلى موافقتهم ومتابعتهم ففر من ألم عذابهم إلى ألم عذاب الله، فجعل ألم فتنة عذاب الناس في الفرار منه بمنزلة عذاب الله، وغُبِن كل الغبن إذ استجار من

الرَّمْـضَـاء بالنار، وفـر من ألـم سـاعـة إلى ألـم الأبد، وإذا نـصـر الله جنده وأوليـاءه قـال: إني كنت مـعـكم والله عليم بما انطوى عليـه صـدره من النفاق. إهـ.

قوله: (عن سعيد مرفوعاً: «إن من ضَعْف اليقين أن تُرْضِيَ الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجرُّه حرص حريص ولا تردُّه كراهية كاره»).

هذا الحديث رواه أبو نعيم في الحلية والبيهقي وأعَلَّه بمحمد بن مروان السدي، وقال: ضعيف. وتمام هذا الحديث: «وإنه بحكمته جعل الروح والفرح في الرضا واليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط».

قوله: «إن من ضعف اليقين» الضعف يُضَم ويحرك ضد القوة، قال ابن مـسـعـود: اليـقين الإيمان كله، والصـبـر نصف الإيمان. قـوله: «أن ترضي الناس بسخط الله» أي: أن تؤثر رضاهم على ما يرضي الله وذلك إذا لم يَقُمْ بقلبه من إعظام الله وإجلاله وهيبته ما يمنعه من إيثار رضا المخلوق بما يجلب له سخط خالقه وربه ومليكه الذي يتصرف في القلب. وبهذا الاعتبار يدخل في نوع من الشرك؛ لأنه آثر رضا المخلوق على رضا الله، وتقرَّب إليه بما يسخط الله، ولا يسلم من هذا إلا من سلَّمه الله تعالى. قوله: «وأن تحمدهم على رزق الله» أي: على ما وصل إليك من أيديهم بأن تضيفه إليهم وتحمدهم عليه، والله تعالى هو الذي كتب لك سيره لك فإذا أراد أمراً قيَّض له أسباباً. ولا ينافي هذا حديث: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»؛ لكون الله ساقه على أيديهم فتدعو لهم أو

تكافئهم لحديث: «من صنع إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه».

قوله: «وأن تذمَّهم على ما لم يؤتك الله» لأنه لم يقدر لك ما طلبته على أيديهم فلو قدَّر ساقه إليك. فمن علم أن الله وحده هو المنفرد بالعطاء والمنع بمشيئته وإرادته وأنه الذي يرزق العبد بسبب وبلا سبب ومن حيث لا يحتسب لم يسأل حاجته إلا من الله وحده، ولعل ما منع من ذلك يكون خيراً له، ويحسن الظن بالله سبحانه ولا يرغب إلا إليه ولا يخاف إلا من ذنبه، وقد قرر هذا المعنى في الحديث بقوله: «إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا تردُّه كراهية كاره» وقال شيخ الإسلام: اليقين يتضمن القيام بأمر الله تعالى وما وعد الله به أهل طاعته، ويتضمن اليقين بقدر الله وخلقه وتدبيره. فإذا أرضيتهم بسخط الله ولم تكن موقنًا لا بوعده ولا برزقه فإنه إنما يحمل الإنسان على ذلك إما ميل إلى ما في أيديهم فيترك القيام فيهم بأمر الله لما يرجوه منهم، وإما ضعف تصديقه بما وعد الله أهل طاعته من النصر والتأييد والثواب في الدنيا والآخرة. فإنك إذا أرضيت الله نصرك ورزقك وكفاك مؤونتهم، وإرضاؤهم بما يسخطه إنما يكون خوفاً منهم ورجاء لهم وذلك من ضعف اليقين، وأما إذا لم يقدِّر لك ما تظن أنهم يفعلونه معك فالأمر في ذلك إلى الله لا لهم، فإنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فإذا ذممتهم على ما لم يقدر لك كان ذلك من ضعف يقينك فلا تَخَفْهُم ولا تَرْجُهم ولا تذمهم من جهة نفسك

وهواك، ولكن من حمده الله ورسوله منهم فهو المحمود ، ومن ذمه الله ورسوله منهم فهو المذموم، ودل الحديث على أن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأعمال من مسمى الإيمان.

قوله: (وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال: «من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط عليه وأسخط عليه الناس» رواه ابن حبان في صحيحه).

قوله: «من التمس» أي: طلب، قال شيخ الإسلام: وكتبت عائشة إلى معاوية ويروى أنها رفعته: «من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس: ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئاً» هذا لفظ المرفوع ولفظ الموقوف: من أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله عاد حامده من الناس ذامًا. وهذا من أعظم الفقه في الدين، فإن من أرضى الله بسخطهم كان قد اتقاه، وكان عبدَه الصالح والله يتولى الصالحين، والله كاف عبده ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] والله يكفيه مؤونة الناس بلا ريب، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئاً، كالظالم الذي يعض على يديه، وأما كون حامده ينقلب ذامًا فهذا يقع كثيراً ويحصل في العاقبة، فإن العاقبة للتقوى لاتحصل ابتداء عند أهوائهم. انتهى.

قوله: (باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] (١).

قال أبو السعادات: يقال: توكل بالأمر إذا ضمن القيام به، وأراد المصنف بهذه الترجمة بالآية بيان أن التوكل فريضة يجب إخلاصه لله؛ لأنه من أجمع أنواع العبادة الباطنة، فإن تقديم المعمول يفيد الحصر فلا يحصل كمال التوحيد بأنواعه الثلاثة إلا بكمال التوكل على الله كما في هذه الآية. قال الإمام أحمد: التوكل عمل القلب.

قال ابن القيم في الآية المترجم بها: فجعل التوكل على الله شرطاً في الإيمان، فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه. قال شيخ الإسلام: وما رجا أحد مخلوقًا أوتوكل عليه إلاخاب ظنه فيه فإنه شرك: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] إهـ. والتوكل قسمان، أحدهما: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، على الأموات والغائبين ونحوهم من الطواغيت فهذا شرك أكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وأما التوكل على الأحياء الحاضرين والسلطان ونحوهم فيما أقدرهم الله عليه من رزق أو دَفْع أذى ونحو ذلك فهو نوع شرك أصغر، والمباح أن يوكل شخصاً بالنيابة عنه في التصرف فيما له التصرف فيه من أمور دنياه كالبيع والشري والإجارة والطلاق والعتاق وغير ذلك فهذا جائز بالإجماع لكن لا يقول: توكلت

---

(١) ص ٦٤.

عليه، بل يقول: وكلته، فإنه لو وكله فلا بد أن يتوكل في ذلك على الله سبحانه.

قوله: (وقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية [الأنفال: ٨]) قال ابن عباس في الآية: المنافقون لا يدخل في قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ولا يتوكلون على الله، ولا يصلون إذا غابوا، ولا يؤدون زكاة أموالهم، فأخبر تعالى أنهم ليسوا بمؤمنين ثم وصف المؤمنين فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فأدوا فرائضه، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، وقال السدي في قوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ هو الرجل يريد أن يظلم، أو قال: يهم بمعصية فيقال له: اتق الله فيوجل قلبه. رواه ابن أبي شيبة وابن جرير. قوله: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾[الأنفال: ٨] استدل الصحابة والتابعون ومن تبعهم من أهل السنة بهذه الآية ونظائرها على زيادة الإيمان ونقصانه. قوله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[الأنفال: ٨] أي: يعتمدون عليه، ويفوضون إليه أمورهم، فلا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، وهو من أعظم الأسباب في حصول المطالب الدنيوية والأخروية. وفي الآية وصف المؤمنين حقاً بثلاث مقامات من مقامات الإحسان تستلزم حصول أعمال الإيمان الواجبة والمستحبة.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤] قال ابن القيم: أي الله وحده كافيك وكافي أتباعك؛ فلا تحتاجون معه إلى

أحد، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية. قوله: (قول الله تعالى ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[الطلاق: ٣] قال ابن القيم وغيره: أي كافيه، وإذا كان الله كافيه وواقيه، فلا مطمع فيه لعدو، ولا يضره إلا أذى لا بد منه كالحر، والبرد، والجوع، والعطش، وأما أن يضره بما يبلغ به مراده فلا يكون أبداً، قال بعض السلف: جعل الله لكل عمل جزاء من نفسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته فقال: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ أي: كافيه، فلم يقل فله كذا وكذا من الأجر كما قال في الأعمال، بل جعل الله سبحانه نفسه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السموات والأرض ومن فيهن لجعل له مخرجاً وكفاه ونصره. انتهى.

قوله: (وعن ابن عباس قال: ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران:١٧٣] قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ﴾ الآية [آل عمران: ١٧٣] رواه البخاري. قوله: ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ ﴾ تقدم معناه قوله ﴿ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ أي: نعم من توكل عليه المتوكلون ومخصوص نعم محذوف تقديره: نعم الوكيل الله.

قوله: قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار. قال تعالى: ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ الآية [الأنبياء: ٦٨، ٦٩].

قوله: وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] وذلك بعد منصرف قريش والأحزاب من أحد فمر بهم ركب من عبدالقيس فقالوا: أين تريدون؟ قالوا نريد المدينة. قالوا: هل أنتم مبلغون عنا محمداً رسالة؟ قالوا: نعم. قالوا: فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم. فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان فقال: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ وفي الحديث إذا وقعتم في الأمر العظيم فقولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل».

قوله: (باب قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]) ص ٦٥.

أراد المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ أن الأمن من مكر الله يدل على ضعف الإيمان فلا يبالي صاحبه بما ترك من الواجبات، وفعل من المحرمات، لعدم خوفه من الله بما فعل أو ترك، وهذا من أعظم الذنوب، وأجمعها للعيوب، ومعنى الآية: أن الله تبارك وتعالى لما ذكر حال أهل القرى المكذبين للرسل بيّن أن الذي حملهم على ذلك هو الأمن من مكر الله وعدم الخوف منه، وذلك أنهم أمنوا مكر الله لما استدرجهم بالسراء والنعم فاستبعدوا أن يكون ذلك مكراً، قال الحسن: من وُسِّع عليه فلم ير أنه يمكر به فلا رأي له، وقال قتادة: بغت القوم أمر الله وما أخذ قوم قط

إلا عند سلوتهم وغربتهم فلا تغتروا بالله، وقال إسماعيل بن رافع: من الأمن من مكر الله إقامة العبد على الذنب يتمنى على الله المغفرة. رواه ابن أبي حاتم.

قوله: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦] القنوط: استبعاد الفرج واليأس منه، وهو يقابل الأمن من مكر الله وكلا الأمرين ذنب عظيم، لما في القنوط من سوء الظن بالله. قوله: ﴿إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ أي: عن الهدى. قوله: وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر فقال: «الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله» هذا الحديث رواه البزار وابن أبي حاتم من طريق شبيب بن بشر، قال ابن معين: ثقة ولينه ابن أبي حاتم، وقال ابن كثير: في إسناده نظر، والأشبه أن يكون موقوفاً. قوله: «الشرك بالله» هو أكبر الكبائر ولهذا بدأ به. قال ابن القيم رحمه الله تعالى: الشرك هضم للربوبية، وتنقص للإلهية، وسوء ظن برب العالمين. انتهى.

قوله: «واليأس من روح الله» أي: قطع الرجاء والأمل من الله تعالى فيما يخافه ويرجوه، وذلك إساءة ظن بالله وجهل به وسعة رحمته وجوده ومغفرته. قوله: «والأمن من مكر الله» أي: من استدراجه للعبد وسلبه ما أعطاه من الإيمان، نعوذ بالله من ذلك، وذلك جهل بالله وبقدرته وثقة بالنفس وعجب بها، وهذه الثلاث من أكبر الكبائر فهي كثيرة جداً نسأل الله اجتنابها، وذكر هذه الثلاث لجمعها للشر كله وبعدها عن الخير، وقد

وقع فيها الكثير قديماً وحديثاً. نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة.

قوله: (وعن ابن مسعود قال: «أكبر الكبائر الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله» رواه عبدالرازق).

قوله: «والقنوط من رحمة الله» قال أبو السعادات: هو أشد اليأس وينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف فاذا غلب الرجاء في حال الصحة فسد القلب. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢] وقال: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧].

قوله: (باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله) ص٦٦.

(ش) قال الإمام أحمد: ذكر الله الصبر في تسعين موضعاً في كتابه وفي الحديث الصحيح: «الصبر ضياء» رواه أحمد ومسلم. قال عمر رضي الله عنه: «وجدنا خير عيشنا بالصبر» رواه البخاري. قال علي رضي الله عنه: «إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد» ثم رفع صوته فقال: «إنه لا إيمان لمن لا صبر له» واعلم أن الصبر على ثلاثة أقسام: صبر على ما أمر الله به، وصبر عما نهى الله عنه، وصبر على ما قدره الله من المصائب، زاد شيخ الإسلام والصبر عن الأهواء المخالفة للشرع.

قوله: (وقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١] وأول الآية ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [التغابن: ١١] أي: بمشيئته وإرادته كما قال في الآية الأخرى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

قوله: (قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم) هذا الأثر رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، وروي عن ابن مسعود. وعلقمة هو ابن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي، ولد في حياة النبي ﷺ وسمع من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وعائشة وغيرهم، وهو من كبار التابعين وعلمائهم وثقاتهم مات بعد الستين. في هذا الأثر دليل على أن الأعمال من مسمى الإيمان وفي الآية بيان أن من ثواب الصبر هداية القلب.

قوله: (وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت» أي: هما بالناس كفر حيث كانتا من أعمال الجاهلية وهما قائمتان بالناس ولا يسلم منهما إلا من سلمه الله، فأطلق الكفر على من قامت به خصلة من هاتين الخصلتين، لكن ليس من قام به شعبة من شعب الكفر يصير كافراً للكفر المطلق، كما أنه ليس من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمناً الإيمان المطلق، ففرق بين الكفر المعرف باللام كما في قوله: «ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة» وبين كفر منكر في الإثبات. قوله: «تطعن في النسب» أي: عيبه ويدخل فيه أن يقال هذا ليس

ابن فلان مع ثبوت نسبه[1] . قوله : «والنياحة على الميت» أي : رفع الصوت بالندب وتعداد فضائله لما فيه من التسخط على قدر الله المنافي للصبر .

قوله : (ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً : «ليس منا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية») قوله : «من ضرب الخدود» قال الحافظ : خص الخد لكونه الغالب وإلا فضرب بقية الوجه مثله ، قوله : «ودعا بدعوى الجاهلية» قال شيخ الإسلام : هو ندب الميت ، وقال ابن القيم : الدعاء بدعوى الجاهلية كالدعاء إلى القبائل والعصبية ومثله التعصب إلى المذاهب والطوائف والمشايخ وتفضيل بعض على بعض ، يدعو إلى ذلك ويوالي عليه ويعادي عليه فكل هذا من دعوى الجاهلية ، وقد يعفى عن الشيء اليسير من ذلك إذا كان صدقاً كما يعفى عن البكاء إذا كان على غير وجه النوح والتسخط ، نص عليه أحمد .

قوله : (وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال : «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة » هذا الحديث رواه الترمذي والحاكم وحسنه الترمذي) قوله : «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا» قال شيخ الإسلام : المصائب نعمة ؛ لأنها مكفرات للذنوب وتدعو إلى الصبر فيثاب عليها وتقتضي الإنابة إلى الله تعالى والذل له والإعراض عن الخلق

---

(١) يريد بثبوته عدم وجود دلائل ظاهرة أو حكم شرعي ينفيه فلا يجوز الطعن بمستور النسب ومجهوله بل الناس مأمونون على أنسابهم .

إلى غير ذلك من المصالح، فنفس البلاء يكفر الله به الخطايا، وهذا من أعظم النعم، فالمصائب رحمة ونعمة في حق عموم الخلق إلا أن يدخل صاحبها بسببها في معاصي أعظم مما كان قبل ذلك فتكون شراً عليه من جهة ما أصابه في دينه، فإن من الناس من إذا ابتلي بفقر أو مرض أو جوع حصل له من الجزع والنفاق، ومرض القلب، والكفر الظاهر، وترك بعض الواجبات، وفعل بعض المحرمات، ما يوجب له ضرراً في دينه. فهذا كانت العافية خيراً له من جهة ما أورثته المصيبة، لا من جهة نفس المصيبة كما أن من أوجبت له المصيبة صبراً وطاعة كانت في حقه نعمة دينية، فهي بعينها فعل الرب عز وجل رحمة للخلق والله تبارك وتعالى محمود عليها، فمن ابتلي فرزق الصبر كان الصبر عليه نعمة في دينه، وحصل له مع ما كفر من خطاياه رحمة، وحصل له بثنائه على ربه صلاة ربه عليه قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧] وحصل له غفران السيئات، ورفع الدرجات، فمن قام بالصبر الواجب حصل له ذلك. إهـ ملخصًا.

قوله: (قال النبي ﷺ: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط») حسنه الترمذي. قوله: (إن عظم الجزاء) بكسر العين وفتح الظاء فيهما، ويحتمل ضمهما مع سكون الظاء، قال ابن القيم: إن عظم الجزاء مع عظم البلاء إذا صبر واحتسب؛ فإنه حينئذ يثاب على ما تولد منها، وهو ظاهر.

قوله: «وإن الله تعالى اذا أحب قوماً ابتلاهم» وفي الحديث: سئل النبي ﷺ: أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينة؛ فإن كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة» رواه الدارمي وابن ماجة والترمذي وصححه).

قوله: (من رضي فله الرضا) أي من الله (ومن سخط فله السخط) كذلك.

قوله: (باب ما جاء في الرياء) أي: من النهي عنه والتحذير. قوله: وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠] أي: ليس لي من الربوبية ولا من الإلهية شيء بل ذلك كله لله وحده لا شريك له أوحاه إليّ ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ ويخافه ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] قال شيخ الإسلام: أما اللقاء فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة، وقالوا: لقاء الله يتضمن رؤيته سبحانه وتعالى يوم القيامة. وذكر الأدلة على ذلك، قال ابن القيم في الآية: أي كما أنه إله واحد لا إله إلا هو فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده لا شريك له، فكما تفرد بالإلهية يجب أن ينفرد بالعبودية فالعمل الصالح هو الخالص من الرياء المقيد بالسنة. إهـ. فتضمنت الآية النهي عن الشرك كله قليله وكثيره.

قوله: (عن أبي هريرة مرفوعاً «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه» رواه مسلم).

قوله: «من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري» أي: قصد بعمله غيري من المخلوقين تركته وشركه، قال الطيبي: الضمير المنصوب في قوله: (تركته) يجوز أن يرجع إلى العمل. قال ابن رجب: واعلم أن العمل لغير الله أقسام، فتارة يكون رياء محضاً كحال المنافقين كما قال تعالى: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: ١٤٢] وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام وقد يصدر في فرض الصدقة الواجبة أوالحج أو غيرهما من الأعمال الظاهرة أو التي يتعدى نفعها فإن الإخلاص فيها عزيز وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة، وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء فإن شاركه من أصله فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه وذكر أحاديث تدل على ذلك منها هذاالحديث وحديث شداد بن أوس مرفوعاً: «من صلى يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي فقد أشرك، وإن الله عز وجل يقول: أنا خير قسيم لمن أشرك بي فمن أشرك بي شيئاً فإن جدة عمله وقليله وكثيره لشريكه الذي أشرك به، أنا عنه غني» رواه أحمد. قال الإمام أحمد فيمن يأخذ جعلاً على الجهاد: إذا لم يخرج لأجل الدراهم فلا بأس كأنه خرج لدينه فإن أعطي شيئا أخذه، ثم قال: وأما إذا كان أصل العمل لله ثم طرأ عليه نية الرياء فإن كان خاطراً ثم دفعه

فلا يضره بغير خلاف، وإن استرسل معه فهل يحبط عمله أم لا؟ ويجازى على أصل نيته؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير ورجحا أن عمله لا يبطل بذلك وأنه يجازى بنيته الأولى وهو مروي عن الحسن وغيره.

قوله: (وعن أبي سعيد مرفوعاً: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلىَ. قال: الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل» رواه أحمد)

قوله: عن أبي سعيد هو الخدري وتقدم، قوله: «الشرك الخفي» سماه خفياً؛ لأنه عمل قلب لا يعلمه إلا الله، ولأن صاحبه يظهر أن عمله لله وقد قصد غيره أو شركه فيه بتزيين صلاته لأجله، ولا خلاف أن الإخلاص شرط لصحة العمل وقبوله وكذلك المتابعة، قال ابن القيم: وأما الشرك الأصغر فكيُسَيِّر الرياء والتصنع للخلق، والحلف بغير الله، وقول الرجل للرجل: ماشاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، ومالي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا. وقد يكون هذا أكبر بحسب حال قائله ومقصده. إهـ.

قوله (باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا) ص٦٧ .

(ش) أرادالمصنف ـ رحمه الله ـ بهذه الترجمة وما بعدها أن العمل لأجل الدنيا كالرياء في بطلان العملان إن استرسل معه؛ كمن يطلب

العلم لتحصيل وظيفة التعليم كحال أهل المدارس وأئمة المساجد والمجاهدين ونحوهم ممن يقصد بعمله الصالح أمر دنيا، وقد وقع ذلك كثيراً حتى إن منهم من يحرص على سفر الجهاد لما يحصل له فيه من جهة أمير الجيش واجتماعه به وأمره له ونهيه وقربه منه ونحو ذلك.

قوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ﴾ الآية [هود: ١٥]، قال ابن عباس: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: ثوابها ﴿وَزِينَتَهَا﴾ أي: مالها ﴿نُوَفِّ﴾ نوفر (لهم ثواب أعمالهم) بالصحة والسرور في المال والأهل والولد ﴿وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ﴾ [هود: ١٥] لا ينقصون ثم نسختها: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ الآية [الإسراء: ١٨] رواه البخاري في ناسخه.

وأخرج ابن جرير بسنده المتصل عن شفي بن ماتع عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة نزل ليقضي بينهم وكل أمة جاثية فأول من يدعو به رجل قد جمع القرآن، ورجل قتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله تعالى للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يارب، قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل،(١) ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى

(١) هكذا الأصل لم يتم الكلام فيه.

لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يارب، قال: فما عملت فيما أتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان جواد، فقد قيل ذلك، ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقال له: فيماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت، فيقول الله له: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان جريء، وقد قيل ذلك». ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال: «يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة».

قوله: (في الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، وتعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع).

قوله: «في الصحيح» أي: صحيح البخاري. قوله: «تعس» هو بكسر العين ويجوز الفتح أي: سقط، والمراد هنا هلك قاله الحافظ، وقال أبوالسعادات: يقال تعس يتعس إذا عثر وانكب لوجهه وهو دعاء عليه بالهلاك. قوله: تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم سماه عبداً له؛ لكونه هو المقصود بعمله فصار عبداً له؛ لأنه عبده بذلك العمل. قوله: «تعس عبدالخميصة» قال أبو السعادات: هي ثوب خز أو صوف معلم

«والخميلة» بفتح الخاء المعجمة، قال أبو السعادات: ذات الخمل ثياب لها خمل من أي شيء كان، المراد كل ما كان من الدنيا نقداً أو عرضاً؛ لأنه ذكر النوعين قال أبو السعادات: أي: انقلب على رأسه وهو دعاء عليه بالخيبة قوله: «وإذا شيك فلا انتقش» أي إذا أصابته شوكة فلا يقدر على إخراجها بالمناقيش قاله أبو السعادات، قال شيخ الإسلام: فسماه النبي ﷺ عبد الدينار والدرهم وعبد القطيفة وعبد الخميصة، وذكر مافيه وهو دعاء عليه بلفظ الخبر وهو قوله: «تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش» وهذه حال من إذا أصابه شر لم يخرج منه ولم يفلح لكونه تعس وانتكس، فلا نال المطلوب، ولا خلص من المكروه. وهذا حال من عبد المال، وقد وصف ذلك بأنه إن أعطي رضي، وإن منع سخط، فرضاه لغير الله وسخطه لغير الله، وهكذا حال من كان متعلقاً برياسة أو سورة ونحو ذلك من أهواء نفسه إن حصل له رضي، وإن لم يحصل له سخط، فهذا عبد ما يهواه من ذلك وهو رقيق له إذ الرق والعبودية في الحقيقة رق القلب وعبوديته، فما استرق القلب واستعبده فهو عبده. . . إلى أن قال: وهكذا أيضاً حال من طلب المال فإن ذلك يستعبده ويسترقه وهذه الأمور نوعان؛ فمنها: ما يحتاج إليه العبد كما يحتاج إلى طعامه وشرابه ومنكحه ومسكنه ونحو ذلك، فهذا يطلبه من الله ويرغب إليه فيه، فيكون المال عنده يستعمله في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه وبساطه الذي يجلس عليه من غير أن يستعبده فيكون هلوعاً، ومنها: ما لا يحتاج إليه العبد فهذا ينبغي ألا يعلق قلبه بها فإذا تعلق قلبه بها صار مستعبداً ومعتمدا على غير الله فلا يبقى معه حقيقة العبودية لله ولا حقيقة التوكل

على الله بل فيه شعبة من العبادة لغير الله وشعبة من التوكل على غيره، وهذا أحق الناس بقوله ﷺ: «تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار، تعس عبد الخميصة، وتعس عبد الخميلة» وهذا هو عبد لهذه الأمور ولو طلبها من الله، فإن الله إذا أعطاه إياها رضي، وإن منعه إياها سخط، وإنما عبد الله من يرضيه ما يرضي الله، ويسخطه ما يسخط الله، ويحب ما أحب الله ورسوله، ويبغض ما أبغض الله ورسوله، ويوالي أولياء الله ويعادي أعداء الله، فهذا الذي استكمل الإيمان. إهـ ملخصاً.

قوله: [1] «طوبى لعبد» روى الإمام أحمد عن حسن بن موسى قال: سمعت عبد الله بن لهيعة حدثنا دراج أبو السمح أن أبا الهيثم حدثه عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله، طوبى لمن رآك وآمن بك، قال: «طوبى لمن رآني وآمن بي ثم، طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني» قال له رجل: وما طوبى؟ قال: «شجرة في الجنة مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها» له شواهد في الصحيحين[2]. وقد روى ابن جرير عن وهب بن منبه ها هنا أثراً غريباً عجيبا قال وهب: إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، زهرها رياط، وورقها برود، وقضبانها عنبر وبطحاؤها ياقوت، وترابها كافور ووحلها مسك. يخرج من أصلها

(١) لم يذكر الشارح جملة الحديث هنا كعادته.

(٢) أشار إلى أن الحديث ضعيف تقويه شواهد له. وذلك أن عبد الله بن لهيعة ضعيف عندهم وأبو الهيثم كذلك ولا سيما إذا روى عن أبي الهيثم كما صرح به أحمد وأبو داود، ومنهم من أطلق تضعيف ونكارة أحاديثه وكونه لا يتابع عليها.

أنهار الخمر واللبن والعسل، وهي مجلس لأهل الجنة فبينا هم في مجلسهم إذ أتتهم الملائكة من ربهم يقودون نجباً مزمومة بسلاسل من ذهب وجوهها كالمصابيح من حسنها، ووبرها كخز المرْعزَّى من لينه، عليها رحال ألواحها من ياقوت، ودفوفها من ذهب، وثيابَها من سندس وإستبرق فينيخونها ويقولون: إن ربنا أرسلنا إليكم لتزوروه وتسلموا عليه، قال: فيركبونها، قال: فهي أسرع من الطائر وأوطأ من الفراش خباً من غير مهنة، يسير الرجل إلى جنب أخيه وهو يكلمه ويناجيه لا تصيب أذن راحلة منها أذن صاحبتها، ولا برك راحلة برك الأخرى حتى إن الشجرة لتتنحى عن طريقهم لئلا تفرق بين الرجل وأخيه، قال: فيأتون إلى الرحمن الرحيم فيسفر لهم عن وجهه الكريم حتى ينظروا إليه فإذا رأوه قالوا: اللهم أنت السلام ومنك السلام وحق لك الجلال والإكرام. قال: فيقول تبارك وتعالى عند ذلك: «أنا السلام ومني السلام وعليكم حقت رحمتي ومحبتي، مرحباً بعبادي الذين خشوني بالغيب، وأطاعوا أمري»، قال: فيقولون: ربنا إنا لم نعبدك حق عبادتك ولم نقدرك حق قدرك فأذن لنا بالسجود قدَّامك، قال: فيقول الله: «إنها ليست دار عبادة ولا نصب ولكنها دار ملك ونعيم، وإني قد رفعت عنكم نصب العبادة فسلوني ما شئتم فإن لكل رجل منكم أمنيته» فيسألونه حتى إن أقصرهم أمنية ليقول: ربِّ، تنافس أهل الدنيا في دنياهم فتضايقوا، ربِّ، فآتني مثل كل شيء كانوا فيه من يوم خلقتها إلى أن انتهت الدنيا، فيقول الله تعالى: «لقد قصرت بك أمنيتك ولقد سألت دون منزلتك، هذا لك مني لأنه ليس في عطائي نكد، ولا قصر يد»، قال: ثم يقول:

«اعرضوا على عبادي ما لم تبلغ أمانيهم التي في أنفسهم» فيكون فيما يعرضون عليهم براذين مقرنة، على كل أربعة منها سرير من ياقوتة واحدة، على كل سرير منها قبة من ذهب مفرغة، في كل قبة منها فرش من فرش الجنة مظاهرة، في كل قبة منها جاريتان من الحور العين، على كل جارية منهن ثوبان من ثياب الجنة وليس في الجنة لون إلا وهو فيهما، ولا طيب إلا قد عبق بهما، ينفذ ضوء وجوههما غلظ القبة حتى يظن من يراهما أنهما دون القبة، يرى مخهما من فوق كالسلك الأبيض في ياقوتة حمراء، يريان له من الفضل على صحابته كفضل الشمس على الحجارة أو أفضل، ويرى لهما مثل ذلك، ثم يدخل إليهما فيحييانه ويقبلانه ويعانقاته، ويقولان له: ما ظننا أن الله يخلق مثلك. ثم يأمر الله الملائكة فيسيرون بهم صفاً في الجنة حتى ينتهي كل رجل منهم إلى منزلته التي أعُدَّت له. إهـ.

قوله: «أشعث» مجرورة بالفتحة لأنه اسم لا ينصرف للوصف ووزن الفعل، «رأسه» مرفوع على الفاعلية وهو طائر الشعر أشغله الجهاد في سبيل الله عن التنعم بالأدهان وتسريح الشعر. قوله: «مغبرة قدماه» هو بالجر صفة ثانية لعبد، قوله: «إن كان في الحراسة» أي: حامية الجيش عن أن يهجم العدو عليهم، قوله: «كان في الحراسة» أي: غير مقصر فيها ولا غافل، قوله: «وإن كان في الساقة كان في الساقة» أي: في مؤخرة الجيش يقلب نفسه في مصالح الجهاد وبما فيه حفظ المجاهدين من عدوهم قال الخلخالي: المعنى ائتماره لما أمر وإقامته حيث أقيم لا يفقد من مكانه، وإنما ذكر الحراسة والساقة لأنهما أشد مشقة.

قوله: «إن استأذن لم يؤذن له» أي: استأذن على الأمراء ونحوهم لم يأذنوا له؛ لأنه لا جاه عندهم ولا منزلة لأنه ليس من طلابها وإنما يطلب ما عند الله، قوله: «وان شفع لم يشفع» يعني لو ألجأته الحال إلى أن يشفع له في أمر يحبه الله ورسوله لم تقبل له شفاعة عند الأمراء ونحوهم. وعن عثمان ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يصام نهارها ويقام ليلها» وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن المبارك هذه الأبيات بطرسوس[1] وواعده الخروج وأنشدها معه إلى الفضيل بن عياض في سنة سبعين ومائة:

يا عابد الحرمين[2] لو أبصرتنا	لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه	فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل	فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا	رهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا	قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي وغبار خيل الله في	أنف امرء ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا	ليس الشهيد بميت، لا يكذب

---

(١) كذا في الأصل وفيه تحريف ظاهر.

(٢) يعني أيها العابد في الحرمين.

قال: فلقيت الفضيل بكتابه في المسجد الحرام فلما قرأه ذرفت عيناه فقال: صدق أبو عبدالرحمن ونصحني، ثم قال: أنت ممن يكتب الحديث؟ قلت: نعم، قال لي: اكتب هذا الحديث فأملى علي الفضيل ابن عياض: حدثنا منصور بن المعتم عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رجلاً قال: يا رسول الله، علّمني عملاً أثاب به ثواب المجاهدين في سبيل الله. فقال: «هل تستطيع أن تصلي فلا تفتر، وتصوم فلا تفطر؟» فقال: يا رسول الله، أنا أضعف من أن أستطيع ذلك، ثم قال النبي ﷺ: «فو الذي نفسي بيده، لو طوقت ذلك ما بلغت فضل المجاهدين في سبيل الله، أما علمت أن فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له بذلك حسنات».

قوله: (باب من أطاع العلماء والأمراء في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله فقد اتخذهم أربابا من دون الله) ص٦٨.

فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ﴾ [الأحزاب: ٦٧]. قوله: (وقال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر).

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: أجمع العلماء أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد، وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى: ما منا إلا رادٌّ ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر ﷺ. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: ليس أحد إلا يؤخذ منه قوله ويدع غير النبي ﷺ.

قوله: (وقال الإمام أحمد بن حنبل: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

قال الإمام أحمد: نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول في ثلاث وثلاثين موضعا ثم جعل يتلو ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] وسفيان هو الثوري الإمام الزاهد العابد الثقة الفقيه، وكان له أصحاب يأخذون عنه ومذهبه مشهور، وقد عمَّت البلوى بهذا المنكر الذي أنكره الإمام أحمد خصوصاً فيمن ينتسب إلى العلم والإفتاء والتدريس، وزعموا أنه لا يأخذ بأدلة الكتاب والسنة إلا المجتهد والاجتهاد قد انقطع، وقد أخطؤوا في ذلك، وقد استدل الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - بقوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لايضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك» إن الاجتهاد لا ينقطع، وحكى ابن عبد البر الإجماع على أن المقلد لا يكون من أهل العلم، والأئمة لم يقصروا في البيان بل نهوا عن تقليدهم إذا استبانت السنة. قال أبو حنيفة: إذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ وسلم فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن التابعين فنحن رجال وهم رجال. وقال: إذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه

فاتركوا قولي لكتاب الله تعالى، قيل: إذا كان قول رسول الله ﷺ يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لخبر رسول الله ﷺ. قيل: إذا كان قول الصحابة يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لقول الصحابة، وتقدم قول الإمامين مالك والشافعي فعلى من اشتغل بمصنفات أهل مذهبه أن ينظر في أقوال المخالفين وما استدلوا به فيكون متبعاً للدليل مع من كان معه وبالله التوفيق.

قوله: (عن عدي بن حاتم أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ الآية [التوبة: ٣١]. فقلت: إنا لسنا نعبدهم. قال: «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟» فقلت: بلى. قال: «فتلك عبادتهم» رواه أحمد والترمذي وحسنه.

قوله: عن عدي بن حاتم. أي الطائي المشهور بالسخاء والكرم، قدم عدي على رسول الله ﷺ في شعبان سنة تسع من الهجرة فأسلم وعاش مائة وعشرين سنة، وقد أشار المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ بترجمة الباب إلى هذا الحديث وما في معناه، وفي دليل على أن طاعة الأحبار والرهبان في معصية الله(١) عبادة لهم من دون الله.

قال شيخنا في المسائل:(٢) فتغيرت الأحوال وآلت إلى هذه الغاية فصار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال ويسمونها الولاية،

(١) المراد طاعتهم في كل أمر ونهي ديني لم يأذن به الله.
(٢) هي المسألة الخامسة ص٦٩.

وعبادة الأحبار هي العلم والفقه، ثم تغيرت الحال إلى أن عبد من ليس من الصالحين وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين[1] وعن زياد بن جدير قال: قال لي عمر هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا. قال: يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين. رواه الدارمي. جعلنا الله وإياكم من الذين يهدون بالحق وبه يعدلون فكم ضل من ضل، وزل من زل.

قوله: (باب قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠] الآية)[2].

قال العماد ابن كثير: والآية ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت ههنا وكل من عبد شيئاً دون الله بأي نوع كان من أنواع العبادة كالدعاء والاستغاثة فإنما عبد الطاغوت فإن كان المعبود صالحاً كانت عبادة العابد له واقعة على الشيطان الذي أمره بعبادته وزينها له كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ

---

(١) هذا آخر عبارة كتاب التوحيد.

(٢) قوله: «الآية» فيه اختصار وقد أتم في كتاب التوحيد الآية، وقال الآيات ص٦٩ وسيتمها الشارح أيضا، فلا لوم عليه في تركها هنا اختصارا.

شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ [يونس: ٢٨، ٢٩] والآية بعدها، وإن كان ممن يدعو إلى عبادة نفسه كالطواغيت أو كان شجراً أو حجراً أو قبراً كاللات والعزى ومناة وغير ذلك مما كان يتخذه المشركون لهم أصناماً على صور الصالحين والملائكة أو غير ذلك فهي من الطاغوت الذي أمر الله عباده أن يكفروا بعبادته ويتبرؤوا منه، ومن عبادة كل معبود سوى الله كائناً من كان، فالتوحيد هو الكفر بكل ما عبد من دون الله كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ الآية [الزخرف: ٢٦، ٢٧] فلم يستثن من كل معبود إلا الذي فطره سبحانه وتعالى هذا معنى لا إله إلا الله كما تقدم في قوله ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ﴾ إلى قوله: ﴿(١) حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤] وكذلك من خالف حكم الله ورسوله بأن حكم بين الناس بغير ما أنزل الله أو مع الجهل بذلك أو طلب ذلك أن يتبع عليه أو أطاعه فيما لا يعلم أنه حق إذا كان المطيع له لا يبالي أكان أمره حقاً أم لا فهو طاغوت بلا ريب كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠] لأن الكفر بالطاغوت ركن التوحيد كما في آية البقرة فإذا لم يحصل هذا الركن لم يكن قد نفى ما نفته لا إله إلا الله.

---

(١) المحذوف في الآية هنا كلمة «أبدا» وحدها.

قوله: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠] أي: بعيداً عن الهدى ففي هذه الآية أربعة أمور؛ الأول: أنه من إرادة الشيطان الثاني أنه ضلال الثالث: تأكيده بالمصدر الرابع: وصفه بالبعد عن سبيل الحق والهدى. فسبحان الله ما أعظم هذا القرآن وما أنفعه لمن تدبره! وما أبلغه وما أدله على أنه كلام رب العالمين أوحاه إلى رسوله الكريم، وبلّغه عبده الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليهما[1]!

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١] فإن المنافق يكره الحق وأهله ويهوى ما يخالفه من الباطل، وهذه حال أهل النفاق. قال العلامة ابن القيم: هذا دليل على أن من دعي إلى تحكيم الكتاب والسنة فأبى أنه من المنافقين قلت: فما أكثرهم لا كثّرهم الله. قال: ويصدون لازم وهو بمعنى يعرضون؛ لأن مصدره (صدوداً) فما أكثر من اتصف بهذا الوصف خصوصاً من يدعي العلم فإنهم صدوا عما توجبه الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله إلى أقوال من يخطىء كثيراً ممن ينتسب إلى مذهب من مذاهب الأربعة في تقليدهم من لا يجوز تقليده فيما يخالف الدليل فصار المتبع للرسول ﷺ من أولئك غريباً، وقد عمَّت البلوى بهذا.

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١] قال أبو العالية: في الآية يعني لا تعصوا في الأرض؛ لأن من عصى الله في الأرض أو أمر بمعصية الله فقد أفسد في الأرض؛ لأن

(١) يعني: (جبريل ومحمد).

صلاح الأرض والسماء إنما هو بطاعة الله ورسوله. ومناسبة الآية للترجمة أن التحاكم إلى غير الله ورسوله من أعمال المنافقين وهو من الفساد في الأرض، وفي الآية التنبيه على عدم الاغترار بأقوال أهل الأهواء وإن زخرفوها بالدعوى.

قوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦] قال أبو بكر بن عياش في الآية: إن الله بعث محمداً ﷺ إلى أهل الأرض وهم في فساد فأصلحهم الله بمحمد ﷺ فمن دعا إلى خلاف ما جاء به محمد ﷺ فهو من المفسدين في الأرض، قال ابن القيم: قال أكثر المفسرين: لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله، بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء إلى طاعة الله فإن عبادة غير الله والدعوة إلى غيره والشرك به هو أعظم فساد في الأرض، بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو بالشرك، والدعوة إلى غير الله وإقامة معبود غيره ومطاع ومتبع غير رسول الله ﷺ هو أعظم الفساد في الأرض، ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا بأن يكون الله وحده هو المعبود المطاع والدعوة له لا لغيره والطاعة والاتباع لرسوله ليس إلا، وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول ﷺ، فإذا أمر بمعصيته وخلاف شريعته فلا سمع ولا طاعة، ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله، وكل فتنة في العالم وبلاء وشر وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة رسوله والدعوة إلى غير الله ورسوله. انتهى وبما ذكرنا يتبين مطابقة الآية للترجمة.

قوله: (وقول الله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ الآية [المائدة:٥٠])
قال ابن كثير: ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المشتمل على كل خير، والنهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات والضلالات كما يحكم به التتار من السياسات المأخوذة عن جنكسخان، الذي وضع لهم كتاباً مجموعاً من أحكام اقتبسه من شرائع شتى، وفيها كثير من الأحكام أخذها عن مجرد نظره وصار في بنيه شرعاً يقدمونه على الحكم بالكتاب والسنة ومن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم بسواه في قليل ولا كثير.

قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] استفهام إنكار أي لا حكم أحسن من حكمه، وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس له في الطرف الآخر مشارك، أي: ومن أعدل من الله حكماً لمن عقل عن الله شرعه وآمن وأيقن أنه تعالى أحكم الحاكمين وأرحم بعباده من الوالدة بولدها العليم بمصالح عباده القادر على كل شيء الحكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره.

قوله: (عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» قال النووي: حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح) هذا الحديث رواه الشيخ أبو الفتح

نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي في كتاب الحجة على تارك المحجة) بإسناد صحيح كما قال المصنف عن النووي، ورواه الطبراني وأبو بكر بن عاصم والحافظ أبو نعيم في الأربعين التي شرط لها أن تكون في صحاح الأخبار وشاهد في القرآن قال تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] وقوله: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠] ونحو هذه الآيات، قوله: «حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» الهوى بالقصر أي: ما تهواه وتحبه نفسه، فإن كان الذي يحبه وتميل إليه نفسه ويعمل به تابعا لما جاء به الرسول ﷺ لا يخرج عنه إلى ما يخالفه فهذه صفة أهل الإيمان بالمطلق الذي يوجب لصاحبه الجنة والنجاة من النار، وإن كان بخلاف ذلك أو في بعض أحواله أو أكثرها انتفى عنه من الإيمان كما له الواجب فيطلق عليه مؤمن بقيد لنقص إيمانه بالمعصية كما في حديث أبي هريرة: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن» فيكون مسلماً ومعه مطلق الإيمان الذي لا يصح إسلامه إلا به، وهذا التوحيد الذي لا يشوبه شرك ولا كفر، وهذا هو الذي يذهب اليه أهل السنة والجماعة خلافاً للخوارج والمعتزلة، فإن الخوارج يكفرون بالذنوب والمعتزلة لا يطلقون عليه الإيمان ويقولون بتخليده في النار، وكلا الطائفتين ابتدع في الدين وترك ما دل عليه الكتاب والسنة، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾

[النساء :٤٨] فقيد مغفرة ما دون الشرك بالمشيئة، وتواترت الأحاديث بما يحقق ما ذهب اليه أهل السنة، فقد أخرج البخاري وغيره عن أنس عن النبي ﷺ قال: «يخرج من النار من قال: (لا إله إلا الله) وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: (لا إله إلا الله) وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال: (لا إله إلا الله) وفي قلبه وزن ذرة من خير».

قوله: (وقال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد، عرف أنه لا يأخذ الرشوة وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود؛ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة، فاتفقا على أن يأتيا كاهناً في جهينة فيتحا كما إليه فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ الآية [النساء: ٦٠] وقيل: نزلت في رجلين اختصما فقال أحدهما: نترافع إلى النبي، وقال الآخر: إلى كعب ابن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ: أكذلك قال؟ قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله، قوله: وفي قصة عمر وقتله المنافق الذي طلب التحاكم إلى كعب بن الأشرف دليل على قتل من أظهر الكفر والنفاق، وكان كعب بن الأشرف هذا شديد العداوة للنبي ﷺ والأذى له والإظهار لعداوته، فانتقض به عهده، وحل به قتله، وقصة قتله مذكورة في كتب الأحاديث والسير وغيرها.

قوله: (باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات وقول الله تعالى

﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ الآية [الرعد: ٣٠]) سبب نزول الآية معلوم وهو أن قريشاً جحدوا اسم الرحمن عناداً، قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] فـ(الرحمن) اسمه وصفته فـ(الرحمة) وصفه القائم به، فإذا كان المشركون جحدوا اسماً من أسمائه الذي دل على كماله تعالى فجحدوا معناه كجحود لفظه فإن الجهمية يزعمون أنها لا تدل على صفة قائمة بالله تعالى، وتبعهم على ذلك طوائف من المعتزلة والأشاعرة؛ فلهذا كفّرهم كثير من أهل السنة، قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان

واللالكائي الإمام حكاه عنـ ... ـهم بل حكاه قبله الطبراني

فإن هؤلاء الجهمية ومن وافقهم من أهل الكلام على التعطيل جحدوا ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسول الله ﷺ من صفات كماله ونعوت جلاله، وبنوا هذا التعطيل على أصل فاسد أصّلوه من عند أنفسهم، ولم يفهموا من صفات الله إلا ما فهموه من خصائص صفات كماله، وشبهوه بالناقصات والجمادات والمعدومات، فشبهوا أولاً، وعطلوا ثانياً، وشبهوا ثالثاً بكل ناقص أو معدوم، فتركوا ما دل عليه صريح الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة من إثبات ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله على ما يليق بجلاله وعظمته، إثباتاً بلا تمثيل،

وتنزيهاً بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقد صنف أئمة السنة لما حدثت بدعة الجهمية مصنفات كثيرة في الرد عليهم كالإمام أحمد وابنه عبد الله والخلال وأبي بكر الأثرم وعثمان بن سعيد الدارمي وإمام الأئمة محمد بن خزيمة وأبي عثمان الصابوني وخلق من أئمة السنة لا يمكن حصرهم، وكذلك من بعدهم كأبي محمد موفق الدين وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم الجوزية، ومن في طبقتهم كالعماد ابن كثير والحافظ ابن عبد الهادي وابن رجب والذهبي وغيرهم من أهل السنة والجماعة، وكتبهم مشهورة موجودة بين أهل السنة والجماعة. فلله الحمد على ظهور الحق ونشره والدعوة إليه والمحافظة عليه.

قوله: (قال علي: حدثوا الناس بما يعرفون. أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟) وهذا ـ والله أعلم ـ قاله حين كثر القُصّاص في خلافته وصاروا يذكرون أحاديث ليست من الأحاديث المعروفة؛ ولهذا كثر الوضع بهذا السبب، وغير المعروف يحتمل أن يكون فيه ما يصح وفيه ما لا يصح، فإذا سمعه من لم يعرفه أنكره وربما كان حقاً، فلا ينبغي التحديث إلا بما صح وثبت واشتهر عند المحدثين والفقهاء، وما ليس كذلك فلا ينبغي أن يحدث به لاحتمال أن يكون غير صحيح، وقد كان أمير المؤمنين معاوية ابن أبي سفيان ينهى عن القصص؛ لما فيه من التساهل في النقل ويقول: لا يقص إلا أمير أو مأمور.

قوله: (وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات استنكاراً لذلك، فقال: ما فرق هؤلاء، يجدون رقة عند محكمه ويهلكون عند متشابهه؟ إهـ. قوله: وروى عبد الرزاق؛ هو ابن همام الصنعاني المحدِّث محدِّث اليمن صاحب التصانيف، أكثر الرواية عن معمر بن راشد صاحب الزهري، وهو شيخ عبد الرزاق يروي عنه كثيراً، ومعمر بفتح الميمين وسكون العين أبو عروة بن أبي عمرو راشد الأزدي الحراني ثم اليماني من أصحاب محمد بن شهاب الزهري ويروي عنه كثيراً. قوله: عن ابن طاووس. هو عبد الله بن طاووس اليماني، قال معمر: كان من أعلم الناس بالعربية، وقال ابن عيينة: مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة. قوله: عن أبيه. هو طاووس بن كيسان الجَنَدي - بفتح الجيم والنون - الإمام العالم قيل: اسمه ذكوان قاله ابن الجوزي قلت: وهو من أئمة التفسير ومن أوعية العلم، قال في (تهذيب الكمال) عن الوليد الموقري عن الزهري قال: قدمت على عبد الملك بن مروان فقال: من أين قدمت يا زهري؟ قلت: من مكة، قال: من خلفت يسودها وأهلها؟ قلت: عطاء بن أبي رباح، قال فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، قال: فيم سادهم؟ قلت بالديانة والرواية، قال: إن أهل الديانة والرواية لينبغي أن يسودوا، قال: فمن يسود أهل اليمن؟ قلت: طاووس بن كيسان، قال: فمن العرب أم من الموالي ؟قلت: من الموالي، قال: فيم سادهم؟ قلت: بما ساد به عطاء، قال: إنه لينبغي

ذلك، قال: فمن يسود أهل مصر؟ قلت: يزيد بن أبي حبيب، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، قال: فمن يسود أهل الشام؟ قلت: مكحول، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، عبد نوبي أعتقته امرأة من هذيل، قال: فمن يسود أهل الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهران، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، قال: فمن يسود أهل خراسان؟ قلت: الضحاك بن مزاحم، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، قال: فمن يسود أهل البصرة؟ قلت: الحسن البصري، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، قال: ويلك ومن يسود أهل الكوفة؟ قلت: إبراهيم النخعي، قال: فمن العرب أم من الموالي قال: قلت: من العرب، قال: ويلك يا زهري، فرَّجْتَ عني، والله لتسودَن الموالي على العرب حتى يخطب لها على المنابر والعرب تحتها، قلت: يا أمير المؤمنين، إنما هو دين من حفظه ساد، ومن ضيَّعه سقط.

قوله: ما فَرَق هؤلاء؟ يستفهم من أصحابه يشير إلى أناس ممن يحضرون مجلسه؛ فإذا سمعوا شيئاً من محكم القرآن حصل منهم فرقٌ أي: خوف، فإذا سمعوا شيئا من أحاديث الصفات انتفضوا كالمنكرين للمعنى، ولا يتم الإيمان إلا بقبول اللفظ بمعناه الذي دل عليه ظاهراً فإن لم يقبل معناه أو ردَّه أو شكَّ فيه لم يكن مؤمناً به فيكون هلاكاً، وقد ظهر من البدع في زمن ابن عباس بدعة القدرية كما في صحيح مسلم وغيره فقتل من دعاتهم غيلان، قتله هشام بن عبد الملك لما أصر على قوله بنفي

القدر، ثم بعد ذلك أظهر الجعد بن درهم بدعة الجهمية فقتل، قتله خالد ابن عبد الله القسري يوم الأضحى بعد صلاة العيد. قال الذهبي: (ثنا) وكيع عن إسرائيل بحديث: «إذا جلس الرب على الكرسي» فاقشعر رجل عند وكيع فغضب وكيع وقال: أدْركْنا الأعمش وسفيان يحدثون بهذه الأحاديث ولا ينكرونها. أخرجه عبد الله في الرد على الجهمية، والواقع من أهل البدع وتحريفهم لمعنى الآيات يبين معنى قول ابن عباس، وسبب هذه البدع جهل أهلها وقصورهم في الفهم،[1] وعدم أخذ العلوم الشرعية على وجهها وتلقيها من أهلها العارفين لمعناها، الذين وفقهم الله تعالى بمعرفة المراد والتوفيق بين النصوص، والقطع بأن بعضها لا يخالف بعضاً ورد المتشابه إلى المحكم، وهذه طريقة أهل السنة والجماعة في كل زمان ومكان فلله الحمد لا نحصي ثناء عليه.

قوله: ولما (سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن أنكروا ذلك فأنزل الله فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ الآية [الرعد: ٣٠]) روى ابن جرير عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يدعو ساجداً: «يارحمن يارحيم» فقال المشركون: هذا يزعم أنه يدعو واحداً وهو يدعو مثنى

---

(١) يعني فهم اللغة العربية، فإن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ لم يستنكروا شيئاً من ذلك، ولم يروا أنهم في حاجة لسؤال النبي ﷺ عنه لأنهم أهل اللغة، عرفوا آيات التنزيه، فحالت عندهم دون حمل نصوص الصفات على التشبيه، فلم يشبهوا ولم يعطلوا، ولم يبتغوا الفتنة فيتأولوا.

مثنى فأنزل الله : ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء : ١١٠] .

قوله : (باب قول الله تعالى : ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ الآية [النحل : ٨٣][١]) قال ابن جرير : فإن أهل التأويل اختلفوا في المعني بالنعمة فذكر عن سفيان عن السدي ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ قال : محمد ﷺ[٢] وقال آخرون : بل معنى ذلك أنهم يعرفون أن ما عدّد الله تعالى ذكره في هذه السورة من النعم من عند الله ، وأن الله هو المنعم عليه بذلك ، ولكنهم ينكرون ذلك فيزعمون أنهم ورثوه عن آبائهم ، وأخرج عن مجاهد : ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ قال : هي المساكن ، والأنعام وما يرزقون منها ، والسرابيل من الحديد والثياب ، يعرف هذا كفار قريش ثم ينكرونه بأن يقولوا : هذا كان لآبائنا فورّثونا إياه .

قوله : (وقال عون بن عبد الله : يقولون : لولا فلان لم يكن كذا) .

عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي أبو عبد الله الكوفي الزاهد ، عن أبيه وعائشة وابن عباس وعنه قتادة وأبوالزبير والزهري ، وثقه أحمد وابن معين ، قال البخاري : مات بعد العشرين ومائة ، واختار ابن جرير القول الأول واختار غيره أن الآية تعم ما ذكره العلماء في

---

(١) ص ٧١.

(٢) أي هي نبوة محمد ﷺ .

معناها، وهو الصواب.

قوله: (وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: يذم سبحانه من يضيف أنعامه إلى غيره ويشرك به. قال بعض السلف: هو كقولهم كانت الريح طيبة، والملاح حاذقاً، ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير. إهـ) وكلام شيخ الإسلام يدل على أن حكم هذه الآية عام فيمن نسب النعم إلى غير الله وأسند أسبابها إلى غيره مما هو مذكور في كلام المفسرين المذكور بعضه هنا، وذلك من أنواع الشرك كما لا يخفى[1].

قوله: (باب قول الله تعالى(فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) ص٧٢.

(ش) النِّد: المثل والنظير، وجعل الند لله هو صرف أنواع العبادة أو شيء منها لغير الله كحال عبدة الأوثان الذين يعتقدون فيمن دعوه ورجوه أنه ينفعهم ويدفع عنهم ويشفع لهم، قال تعالى: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال العماد ابن كثير في تفسيره: قال أبو العالية ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال: عدلاء شركاء، وهكذا قال الربيع بن أنس وقتادة والسدي وأبومالك وإسماعيل بن أبي خالد، وقال ابن عباس: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: لا تشركوا بالله شيئاً من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر وأنتم تعلمون أنه ربكم لا يرزقكم غيره وقد

(١) يعني عند من يعتقد أن الأسباب مؤثرة بذاتها لا بتسخير الله ونعمته، وأما من يعتقد أن هذه الأسباب سخّرها الله تعالى ويشكره على ذلك فلا يضر هذا اللفظ وقد وصف الله الريح بالطيبة في قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢].

علم أن الذي يدعوكم الرسول إليه من توحيده هو الحق الذي لا شك فيه، وقال مجاهد: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال: تعلمون أنه إله واحد في التوراة والإنجيل.

قوله: (وعن ابن عباس في الآية الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلانة وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها (فلان)، هذا كله به شرك، وهذا من ابن عباس تنبيه بالأدنى من الشرك على الأعلى.

قوله: (وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم) يحتمل أن يكون شكا من الراوي، ويحتمل أن تكون (أو) بمعنى الواو فيكون قد كفر وأشرك ويكون من باب كفر دون كفر.

قوله: (وقال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذبا أحبّ إلي من أن أحلف بغيره صادقاً) ومن المعلوم أن الحلف بالله كاذبًا من الكبائر لكن الشرك أكبر من الكبائر وإن كان أصغر كما تقدم.

قوله: (وعن حذيفة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان» رواه أبو داود بسند صحيح) وذلك لأن العطف بالواو يقتضي المساواة؛ لأنها في

وضعها لمطلق الجمع بخلاف الفاء وثم، وتسوية المخلوق بالخالق بكل نوع من العبادة شرك، وهذا ونحوه من الشرك الأصغر. قوله: (وعن إبراهيم النخعي أنه يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان) إبراهيم هو النخعي، وهذا فيما يقدر عليه الحي الحاضر بخلاف من ليس كذلك ممن لا يسمع كلاما ولا يرد جوابا كالأموات والغائبين.

قوله: (باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله. عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدَّق، ومن حُلف له بالله فليرض، ومن لم يرض فليس من الله» رواه ابن ماجة بسند حسن).

قوله: «لا تحلفوا بآبائكم» تقدم أنه لا يجوز الحلف بغير الله في حق كل أحد. قوله: «من حلف بالله فليصدق» هذا مما أوجبه الله على عباده قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩] وقال: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [النحل: ١٠٥]. قوله: «ومن حُلف له بالله فليرض، ومن لم يرض فليس من الله» هذا من حق المسلم على المسلم أن يقبل منه إذا حلف له معتذراً، والحديث يدل على الوجوب، ومن حقه عليه أن يحسن به الظن إذا لم يتبين كذبه كما في الأثر عن عمر: ولا تظنَّن بكلمة خرجت من أخيك شراً وأنت تجد لها في الخير محملا، وهو من حسن الخلق ومكارم

الأخلاق وكمال العقل وقوة الدين.

قوله: (باب قول ما شاء الله وشئت. عن قُتَيْلَة أن يهوديا أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «ورب الكعبة»، وأن يقولوا: «ما شاء الله ثم شئت» رواه النسائي وصححه (ص٧٣).

قوله: «قتيلة» بمثناة مصغرة بنت صيفي الأنصارية صحابية مهاجرة، لها حديث في سنن النسائي وهو المذكور في الباب، ورواه عنها عبد الله ابن يسار الجعفي وفيه قبول الحق ممن جاء به، وفيه بيان النهي عن الحلف بالكعبة وغيرها مع أنها بيت الله التي حجُّها وقصدُها بالحج والعمرة فريضة، وأنت ترى ما وقع مما يخالف ذلك من الحلف بالكعبة ودعائها وكذا مقام إبراهيم، وقلَّ من يسلم من هذا ممن يحج من أهل الآفاق وأهل مكة كما كان يفعل بغيرها، والكعبة عظمها الله بأن جعل حجها ركناً على من استطاع وشرع العبادة عندها وخصها بالفضل، فالمشروع إنما هو الطواف بها والصلاة إليها لا الحلف بها ونحوه من الشرك في العبادة ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩] قوله: إنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت. والعبد وإن كانت له مشيئة فمشيئته تابعة لمشيئة الله كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩] وفي هذه الآية والحديث الرد على القدرية والمعتزلة نفاة القدر الذين يثبتون للعبد مشيئة تخالف ما أراده الله من العبد

وما شاءه، وقد قال تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ [الفرقان: ٢] وفي الحديث: «أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة» وهو في الصحيحين وغيرهما.

قوله (وله أيضا عن ابن عباس أن رجلا قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال: «أجعلتني لله نداً؟ بل ما شاء الله وحده»).

هذا يبين ما تقدم من أن هذا شرك؛ لأن المعطوف بالواو يساوي المعطوف بالمعطوف عليه؛ لأن الواو وضعت لمطلق الجمع فلا يجوز أن يجعل المخلوق مثل الخالق في شيء من الإلهية والربوبية ولو في أقل شيء، كما تقدم في الرجلين اللذين قرب أحدهما ذبابا للصنم فدخل النار، وفيه أن النبي ﷺ حمى حمى التوحيد، وسد طرق الشرك في الأقوال والأعمال.

قوله: (ولابن ماجة عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله. قالوا: وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله. قالوا: وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال: «هل أخبرت بها أحداً؟» قلت: نعم.

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد، فإن طفيلا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده.

قوله «عن الطفيل» هو الطفيل بن عبد الله بن سخبرة أخو عائشة لأمها له حديث عند ابن ماجة وهو ما ذكره المصنف - رحمه الله تعالى - في الباب، وهذه الرؤيا حق أقرها رسول الله ﷺ وعمل بمقتضاها فنهاهم أن يقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، وأمرهم أن يقولوا: ما شاء الله وحده، وقد بلغ ﷺ البلاغ المبين وأنذر عن الشرك وحذر عن قليله وكثيره، فانظر إلى ما وقع من الشرك العظيم في هذه الأمة ينادون الميت من مسافة شهر أو شهرين أو أكثر، ويعتقدون فيه أنه ينفع ويضر ويسمع ويستجيب من تلك المسافة، وجعلوا الأموات شركاء لله في الملك والتدبير وعلم الغيب وغير ذلك من خصائص الربوبية، وتركوا نبيهم وما جاء به وما قاله وما نهى عنه كأنهم لم يسمعوا كتاباً ولا سنة، وقد بعثه الله بالنهي عن الشرك - كما ترى - فما زال يدعو الناس إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له حتى أكمل الله لهم به الدين وأتم عليهم النعمة، لكن رجعوا من الكمال إلى الضلال، ومن سبيل النجاة إلى سبيل الهلاك، وهذه وإن كانت رؤيا منام فقد أقرها رسول الله ﷺ وأخبر أنها حق.

قوله: (باب من سب الدهر فقد آذى الله. وقول الله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ** ﴾ [الجاثية: ٢٤] ص٧٤.

قال العماد ابن كثير في تفسيره: يخبر تعالى عن دهرية الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكارالمعاد. وقالوا: ﴿مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: ما ثم إلا هذه الدار يموت قوم ويعيش آخرون، ولا ثم معاد ولا قيامة، وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد، ويقوله الفلاسفة الإلهيون منهم وهم ينكرون البداءة والرجعة؛ ولهذا قال عنهم ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾ قال سبحانه: ﴿وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤] أي يتوهمون ويتخيلون.

قوله: (عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار» وفي رواية: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» قال في شرح السنة: حديث متفق على صحته، أخرجاه من طريق معمر من أوجه عن أبي هريرة، قال: ومعناه أن العرب كانت من شأنها ذم الدهر وسبه عند النوازل؛ لأنهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره، فيقولون: أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر، فإذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلها فكان مرجع سبها إلى الله- عز وجل- إذ هو الفاعل في الحقيقة للأمور التي يصفونها فنهوا عن سب الدهر. انتهى باختصار، ونسبة الفعل إلى الدهر ومسبته كثيرة في أشعار المولدين كابن المعتز والمتنبي وغيرهما، وليس منه وصف السنين بالشدة لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ الآية [يوسف ٤٨] قال بعض الشعراء:

إن الليالي من الزمان مهولة ... تطوى وتنشر بينها الأعمار

فقصارهن مع الهموم طويلة ... وطوالهن مع السرور قصار

وقال أبو تمام:

أعوام وصل كاد ينسي طيبها ذكر النوى فكأنها أيام
ثم انبرت أيام هجر أعقبت نحوي أسى فكأنها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام

قوله: (باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه. في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك؛ لا مالك إلا الله) لأن هذا اللفظ إنما يصدق على الله فهو ملك الأملاك لأنه هو الملك في الحقيقة، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير يتصرف في الملوك وغيرهم بمشيئته وإرادته كما قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ الآية [آل عمران: ٢٦] فلاينبغي أن يعظم المخلوق بما يشبه ما يعظم به الخالق جل وعلا، وما كان مثل ذلك فينهى عنه كالذي ترجم به المصنف؛ لأنه لايصدق المعنى إلا على الله، فلا يصلح أن يسمى به المخلوق؛ لأن كل لفظ يقتضي التعظيم والكمال لا يكون إلا له، تعالى وتقدس دون غيره.

قوله: (قال سفيان: مثل شاهان شاه) عند العجم عبارة عن ملك الأملاك؛ ولهذا مثل به سفيان. قوله: وفي رواية: «أغيظ رجل على الله» أغيظ من الغيظ وهو مثل الغضب والبغض فيكون بغيضًا إلى الله مغضوبا عليه، وهذا من الصفات التي تمر كما جاءت من غير تحريف ولا تأويل

ولا تشبيه ولا تمثيل، والله أعلم. قوله: «وأخبثه» وهو يدل أيضاً على أن هذا خبيث عند الله إذا رضي بذلك لتعظيم الناس له بمالا يستحق وعدم إنكاره وكراهته لذلك. قوله: «أخنع» يعني: أوضع، وهذا المذكور ينافي كمال التوحيد الذي دلت عليه كلمة الإخلاص، فيكون فيه شائبة من الشرك وإن لم يكن أكبر.

قوله: (باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك ص٧٦. عن أبي شريح أنه كان يكنى أبا الحكم فقال النبي ﷺ: إن الله هو الحكم، وإليه الحكم فقال: إن قومي اذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين، فقال: «ما أحسن هذا! فما لك من الولد؟ قلت: شريح ومسلم وعبد الله قال: «فمن أكبرهم؟» قلت: شريح، قال: «فأنت أبو شريح» رواه أبو داود وغيره).

قوله: (عن أبي شريح) هوالخزاعي اسمه خويلد بن عمرو، أسلم يوم الفتح، له عشرون حديثا اتفقا على حديثين وانفرد البخاري بحديث. وعنه أبو سعيد المقبري ونافع بن جبير وطائفة قال ابن سعد: مات بالمدينة سنة ثمان وستين. قوله: «يكنى» الكنية ما صدر بأب أو أم ونحو ذلك كأبي محمد، واللقب ما ليس كذلك كزين العابدين. وقوله ﷺ: «إن الله هو الحكم وإليه الحكم» أي: هو سبحانه الحكم في الدنيا والآخرة يحكم بين خلقه في الدنيا بوحيه الذي أنزله على أنبيائه ورسله، وما من قضية إلا وله فيها حكم مما أنزله على نبيه من الكتاب والحكمة، لكن قد يخفى على المجتهد، فإن المجتهدين وإن اختلفوا في بعض

الأحكام فلابد أن يكون المصيب فيهم واحدا، فمن رزقه الله قوة الفهم وأعطاه ملكة يقتدر بها على فهم الصواب من أقوال العلماء أدرك ما هو الصواب من ذلك وقوله: «إليه الحكم في الدنيا والآخرة» كما قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠] وقال: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الآية [النساء: ٥٩] فالحكم إلى الله هو الحكم إلى كتابه والحكم إلى رسوله هو الحكم إليه في حياته وإلى سنته بعد وفاته. قوله: «فإن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني، فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين» والمعنى - والله أعلم - أن أبا شريح كان مَرضيّا عندهم يتحرى ما يصلحهم إذا اختلفوا فيرضون صلحه فسموه حكما، وأما ما يحكم به الجهلة من الأعراب ونحوهم من سوالف آبائهم وأهوائهم فليس من هذا الباب؛ لما فيه من النهي الشديد والخروج عن حكم الله ورسوله إلى ما يخالفه كما قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] وهذا كثير، فمن الناس من يحكم بين الخصمين برأيه وهواه، ومنهم من يتبع في ذلك سلفه ويحكم بما كانوا يحكمون به، وهذا كفر إذا استقر وغلب على من تصدى لذلك ممن يرجع الناس إليه إذا اختلفوا[1].

(١) النص الصريح في إبطال حكم السوالف من حكام البدو غير المتدينين هو قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] وأبو شريح كان من قضاة الجاهلية قبل الإسلام؛ ولذلك كنوه بأبي الحكم فأنكرها عليه ﷺ وغيرها، ولفظ (الحكم) بفتحتين لا ينهى عنه في الإسلام لقوله تعالى: ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٣٥] وذلك لأنه يحكم بما شرعه الله من صلح وإصلاح. وقد أذن الله للمؤمنين بأن يحكموا بين الناس بالعدل.

قوله ﷺ : «فما لك من الولد؟» قال: شريح ومسلم وعبد الله، قال: فمن أكبرهم؟ قلت: شريح، قال: فأنت أبو شريح» فكناه بالكبير وهو السنة وغيّر كنيته بأبي الحكم؛ لأن الله هو الحكم على الإطلاق ومنه تسمية الأئمة بالحكام فينبغي ترك ذلك والنهي عنه لهذا الحديث، وهذا قد حدث في الناس قريبا.

قوله: (باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول) أي: فقد كفر، وقول الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ الآية [التوبة: ٦٥] قال العماد ابن كثير - رحمه الله تعالى - في تفسيره: قال أبو معشر المدني عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا: قال رجل من المنافقين: ما أرى قرّاءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطونا، وأكذبنا ألسنة، وأجبننا عند اللقاء فرفع ذلك لرسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته فقال يا رسول، ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ فقال: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾؟ - إلى قوله: ﴿مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥] وإن رجليه لينسفان الحجارة وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ وهو متعلق بنسعة ناقة رسول الله ﷺ قوله: ﴿لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أي: بهذا المقال الذي استهزأتم به: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ أي: لا يعفى عن جميعكم ولا بد من عذاب بعضكم بأنهم كانوا مجرمين بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة. انتهى، وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: وقد أمره الله تعالى أن يقول: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦] وقول من

يقـول: إنهم كـفـروا بعـد إيمانهـم بلسـانهم مع كـفـرهـم أولاً بقلوبهم لا يصح؛ لأن الإيمان باللسان مع كفر القلب قد قارنه الكفر فلا يقال: قد كفرتم بعد إيمانكم، فإنهم لم يزالوا كافرين في نفس الأمر وإن أريد أنكم أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الإيمان. فهم لم يظهروا للناس إلا لخواصهم وهم مع خـواصـهم مـازالوا كـذلك، ولا يدل اللفظ على أنهم مـازالوا منافقين. إهـ وفيه بيان أن الإنسان قد يكفر بكلمة يتكلم بها أو عمل يعمل به وأشدها خطراً إرادات القلوب، فهي كالبحر الذي لا ساحل له، ومن هذا الباب الاستهزاء بالعلم وأهله وعدم احترامهم لأجله.

قوله: (باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾ الآية [هود: ١٠]) ص٧٧.

ذكر المصنف - رحمه الله تعالى - عن ابن عباس وغيره من المفسرين في هذه الآية ما يكفي ويشفي في المعنى قال: قال مجاهد: هذا بعملي وأنا محقوق به، وقال ابن عباس: يريد من عندي، وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص: ٧٨] قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل وهذا معنى قول مجاهد أوتيته على شرف وليس ما ذكروه اختلافاً وإنما هو أفراد المعنى.

قوله: (وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص، وأقرع، وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟قال: لون حسن، وجلد

حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به قال: فمسحه فذهب عنه قذره، وأعطي لونا حسناً وجلداً حسناً. قال: أي المال أحب إليك؟ قال: الإبل - أو البقر - شك إسحاق، فأعطي ناقة عشراء وقال: بارك الله لك فيها. قال فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به. فمسحه فذهب عنه قذره، وأعطي شعراً حسنا، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر أوالإبل. فأعطي بقرة حاملا وقال: بارك الله لك فيها. قال: وأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله علي بصري؛ فأبصر به الناس. فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم. فأعطي شاة والداً، فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا واد من الغنم. قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلّغ به في سفري. فقال: الحقوق كثيرة، فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيراً فأعطاك الله عز وجل المال؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر، فقال: إن كنتَ كاذبا فصيَّرك الله إلى ما كنت. قال: ثم إنه أتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال: إن كنتَ كاذبا فصيَّرك الله إلى ما كنت. قال: ثم أتى الأعمى في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعتَ بي الحبال في

سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك شاةً أتبلغ بها في سفري فقال : قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت ، فو الله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله . فقال : أمْسك مالك ؛ فإنما ابتليتم ، فقد رضي الله عنك ، وسخط على صاحبيك» أخرجاه) .

وهذا حديث عظيم يبين حال من كفر النعم وحال من شكرها . قال ابن القيم : أصل الشكر هو الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له والذل والمحبة ، فمن لم يعرف النعمة بل كان جاهلا بها لم يشكرها ، ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها لم يشكرها أيضاً ، ومن عرف النعمة والمنعم لكن جحدها كما يجحد المنكر لنعمة المنعم فقد كفرها ، ومن عرف النعمة والمنعم وأقر بها ولم يجحدها ولكن لم يخضع له ويحبه ويرضى به وعنه لم يشكرها أيضاً ، ومن عرفها وعرف المنعم بها وأقر بها وخضع للمنعم بها وأحبه ورضي عنه واستعملها في محابه وطاعته فهذا هو الشاكر لها فلا بد في الشكر من علم القلب وعمل يتبع العلم وهو الميل إلى المنعم ومحبته والخضوع له . إهـ .

قوله : « قد قذرني الناس» أي بكراهة رؤيته وقربه منهم .

قوله : (باب قول الله تعالى : ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف : ١٩٠] قال الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ في معنى هذه الآية : (ثنا) عمر بن إبراهيم (ثنا) قتادة عن

الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ قال: «لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سمِّيه عبد الحارث فإنه يعيش، فسمته عبد الحارث فعاش فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره» وقال ابن جرير: (ثنا) ابن وكيع (ثنا) سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠] قال: كان هذا في بعض الملل ولم يكن بآدم. وعن ابن عباس قال: كانت حواء تلد لآدم - عليه السلام - أولاداً فتعبِّدهم لله، وتسمِّيهم عبد الله، وعبيد الله، ونحو ذلك فيصيبهم الموت، فأتاها إبليس وآدم فقال: أما إنكما لو تُسَمِّيانه به لعاش، فولدت رجلاً فسمياه عبد الحارث. ففيه أنزل الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [الأعراف: ١٨٩] إلى آخر الآية.

قوله: (قال ابن حزم) هو عالم الأندلس أبو محمد علي بن أحمد بن سعد بن حزم القرطبي الظاهري صاحب التصانيف، توفي سنة ست وخمسين وأربعمائة وله اثنتان وسبعون سنة (اتفقوا على تحريم كل اسم مُعَبَّد لغير الله كعبد عَمْرو وعبد الكعبة وما أشبه ذلك حاشا عبد المطلب) قلت: وعبد المطلب هذا جد رسول الله ﷺ وهو ابن هاشم بن عبد مناف ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان وما فوق عدنان مختلَف فيه، ولا ريب أنهم من ذرية إسماعيل ابن إبراهيم الخليل عليهما السلام. حكى - رحمه الله - اتفاق العلماء على تحريم كل ما عُبِّد لغير الله؛ لأنه شرك في الربوبية والإلهية، ولأن الخلق

كلهم ملك لله وعبيد له استعبدهم بعبادته وحده وتوحيده في ربوبيته وإلهيته، فمنهم من عبد الله وحده في ربوبيته وإلهيته، ومنهم من أشرك به في إلهيته وأقرَّ له بربوبيته وأسمائه وصفاته، وأحكامه القَدْرية جارية عليهم ولابُدَّ كما قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣] فهذه العبودية العامة، وأما العبودية الخاصة فإنها تختص بأهل الإخلاص والطاعة كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦] ونحوها قوله: حاشا عبدالمطلب. هذا استثناء من العموم؛ لأنه ليس المقصود منه عبودية الرق، وإنما هو اسم علق به لما أتى به عمه المطلب من عند أخواله بني النجار من المدينة وهو صبي، فرأته قريش حين جاء به وقد تغير لونه من السفر فقالوا: عبد المطلب، ثم تبين لهم أنه ابن أخيه هاشم فصارت العبودية في هذا الاسم لا حقيقة لها ولا قصد، لكن غلب عليه فصار لا يسمى إلا به وإلا فاسمه في الأصل شيبة، وقد صار عبد المطلب معظمًا في قريش والعرب فهو سيد قريش وأشرفهم في جاهليته وهو الذي حفر زمزم، وما جرى له في حفرها مذكور في السير وكتب الحديث وصارت السقاية له وفي ذريته. قال شيخنا في معنى قوله: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠] إن هذا الشرك بمجرد تسميته لم يقصدا حقيقته التي أرادها إبليس، وهذا يزيل الإشكال، وهذا معنى قول قتادة: شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته.

قوله: (باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ الآية [الأعراف: ١٨٠]) ص ٨٠.

أراد رحمه الله تعالى بهذه الترجمة الرد على من يتوسل بذوات الأموات وأن المشروع هو التوسل بالأسماء والصفات والأعمال الصالحة. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مَنْ أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر» أخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان وأخرجه الجرجاني عن صفوان ابن صالح عن الوليد بن مسلم عن شعيب سنده مثله وزاد بعد قوله يحب الوتر: هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواحد، الأحد، الماجد، الفرد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المعطي، المانع، النافع، الضار، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور» ثم قال الترمذي: ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الأسماء الحسنى إلا في الحديث، والذي عند بعض الحفاظ أن سرد الأسماء في

هذا الحديث مُدْرَج. هذا ما ذكره العماد ابن كثير في تفسيره ثم قال: ليعلم أن الأسماء ليست منحصرة في تسعة وتسعين بدليل ما رواه أحمد عن يزيد بن هارون عن فضيل بن مرزوق عن أبي سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: «ما أصاب أحداً قطُّ هَمٌّ ولا حزن فقال: اللهم، إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عَدْلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وذهاب حزني، وجلاء همي وغمي، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحاً، فقيل: يا رسول الله، ألا نتعلمها؟ فقال: «بلى، ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها» وقد أخرجه أبو حاتم وابن حبان في صحيحه. وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠] قال يشركون. وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس الإلحاد التكذيب. قلت: والشرك تكذيب من المشرك لما أنزله الله في كتابه وبعث به رسوله كماجرى من قريش وغيرهم مع النبي ﷺ وأصحابه، وكما جرى من المشركين من هذه الأمة فلم يأخذوا بالآيات المحكمات في تحريم الشرك والنهي عنه، بل كذبوا بالصدق واعتمدوا على الكذب على الله وعلى كتابه ورسوله. وأصل الإلحاد في كلام العرب العدول عن القصد والميل. قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

وحقيقة الإلحاد فيها الميل بالـ ... إشراك والتعطيل والنكران

وأسماء الرب تعالى كلها أسماء وأوصاف دلت على كماله جل وعلا والذي عليه أهل السنة والجماعة قاطبة متقدِّمُهم ومتأخرهم إثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ على ما يليق بجلال الله وعظمته إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل. كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحتذي حذوه، فكما أنه يجب العلم بأن لله ذاتاً حقيقة لا تشبه شيئاً من ذوات المخلوقين، فله صفات حقيقة لا تشبه شيئاً من صفات المخلوقين، فمن جحد شيئاً مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله، أو تأوله على غير ما ظهر من معناه فهو جهمي قد اتبع غير سبيل المؤمنين. قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: فائدة جليلة ما يجري صفة أو خبراً على الربِّ تعالى أقسام.

أحدها: ما يرجع إلى نفس الذات كقولك: ذات وموجود.

الثاني: ما يرجع إلى صفات منعوتة كالعليم والقدير والسميع والبصير.

الثالث: ما يرجع إلى أفعاله كالخالق والرازق.

الرابع: التنزيه المحض ولا بدَّ من تضمنه ثبوتاً؛ إذ لا كمال في العدم المحض، كالقدوس السلام.

الخامس: ـ ولم يذكره أكثر الناس ـ وهو الاسم الدال على جملة أوصاف عديدة لا يختص بصفة معينة، بل دال على معاني نحو: المجيد

العظيم الصمد، فإن المجيد من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال ولفظه يدل على هذا، فإنه موضوع للسعة والكثرة والزيادة، فمنه استمجد المرخ والعفار، وأمجد الناقة: علفها. ومنه: (رب العرش المجيد) صفة للعرش لسعته وعظمته وشرفه، وتأمل كيف جاء هذا الاسم مقترناً بطلب الصلاة من الله على رسوله كما علّمنا ﷺ؛ لأنه في مقام طلب المزيد والتعرض لسعة العطاء وكثرته ودوامه، فأتى في هذا المطلوب باسم يقتضيه كما تقول: اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم، فهو راجع إلى التوسل بأسمائه وصفاته، وهو من أقرب الوسائل وأحبها إليه، ومنه الحديث الذي في المسند والترمذي: «ألظّوا بياذا الجلال والإكرام» ومنه: «اللهم، إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ياذا الجلال والإكرام» فهذا سؤال له وتوسل إليه بأسمائه وصفاته فما أحق ذلك بالإجابة وأعظمه موقعاً عند المسؤول! وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد.

السادس: صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر وذلك قدر زائد على مفرديهما نحو: الغني الحميد، الغفور القدير، الحميد المجيد. وهكذا عامة الصفات المقترنة، والأسماء المزدوجة في القرآن، فإن الغني صفة كمال والحمد كذلك، واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر، فله ثناء من غنائه، وثناء من حمده، وثناء من اجتماعهما وكذلك الغفور القدير، والحميد المجيد، والعزيز الحكيم فتأمله فإنه من

أشرف المعارف .

قوله : ﴿باب : لا يقال : السلام على الله، في الصحيح عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : «كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا : السلام على الله من عباده، السلام على فلان، فقال النبي ﷺ : «لاتقولوا : السلام على الله، فإن الله هو السلام﴾ .

هذا الحديث رواه البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم عن ابن مسعود، وفي هذا الحديث النهي عن ذلك، وقد كان النبي ﷺ إذا انصرف من الصلاة المكتوبة استغفر ثلاثاً وقال : «اللهم، أنت السلام ومنك السلام، تباركت ياذا الجلال والإكرام» وفي الحديث أن هذا هو تحية أهل الجنة لربهم تبارك وتعالى .

قوله : «فإن الله هو السلام» أي : هو تعالى سالم من كل نقص، ومن كل تمثيل، فهو الموصوف بكل كمال، المنزَّه عن كل عيب ونقص . قال في البدائع : السلام اسم مصدر، وهو من ألفاظ الدعاء يتضمن الإنشاء والإخبار، فجهة الخبرية فيه لا تناقض الجهة الإنشائية، وهو معنى السلام المطلوب عند التحية، وفيه قولان مشهوران؛ الأول : أن السلام هنا هو الله عز وجل، ومعنى الكلام : نزلت بركته عليكم، ونحو هذا . فاختير في هذا المعنى من أسمائه عز وجل اسم السلام دون غيره من الأسماء . الثاني : أن السلام مصدر بمعنى السلامة، وهو المطلوب المدعو به عند التحية، ومن حُجَّة أصحاب هذا القول أنه يأتي منكَّراً فيقول المسلّم :

سلامٌ عليكم، ولو كان اسماً من أسماء الله لم يستعمل كذا، ومن حجتهم أنه ليس المقصود من السلام هذا المعنى وإنما المقصود منه الإيذان بالسلامة خبراً أو دعاء، قال رحمه الله تعالى: وفصل الخطاب أن يقال: الحق في مجموع القولين، فكل منهما معه بعض الحق، والصواب في مجموعهما، وإنما يتبين ذلك بقاعدة، وهي أن حق من دعا الله بأسمائه الحسنى أن يتوسل في كل مطلب، ويسأل بالاسم المقتضي لذلك المطلوب المناسب لحصوله، حتى إن الداعي متشفِّع إلى الله تعالى متوسِّل به إليه، فاذا قال: ربّ اغفر لي وتب علي إنك التواب الغفور، فقد سأله بأمرين وتوسل إليه باسمين من أسمائه مقتضِيَيْن لحصول مطلوبه، فالمقام لما كان مقام طلب السلامة التي هي أهم عند الرجل، أتى في لفظها بصيغة اسم من أسماء الله وهو السلام الذي تطلب منه السلامة، وهو مقصود المسلّم فقد تضمن (سلام عليكم) اسمًا من أسماء الله تعالى وطلب السلامة منه، فتأمل هذه الفائدة

وحقيقته البراءة والخلاص والنجاة من الشر والعيوب، وعلى هذا المعنى تدور تصاريفه، فمن ذلك قولك: «سلّمك الله»، ومنه دعاء المؤمنين على الصراط: «اللهم سلّم سلّم». ومنه: سلم الشيء لفلان أي: خلص له وحده، كما قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ [الزمر: ٢٩] أي: خالصاً له وحده لا يملكه معه غيره، ومنه السِّلْم ضد الحرب؛ لأن كل واحد من المتحاربين يخلص

ويسلم من أذى الآخر؛ ولهذا بني فيه على المفاعلة فيقال: المسالمة مثل المشاركة، ومنه القلب السليم وهو النقي من الدغل والعيب، وحقيقته الذي قد سلم لله وحده، فخلص من دغل الشرك وغلِّه ودغل الذنوب والمخالفات، بل هو المستقيم علي صدق حبه وحسن معاملته، وهذا هو الذي ضمن له النجاة من عذابه والفوز بكرامته. ومنه أخذ «الإسلام» فإنه من هذه المادة؛ لأنه الاستسلام والانقياد له، والتخلص من شوائب الشرك، فسلم لربّه، وخلص له، كالعبد الذي سلم لمولاه ليس له فيه شركاء متشاكسون؛ ولهذا ضرب سبحانه هذين المثلين للمسلم الخالص لربه، وللمشرك به.

قوله: (باب قول: اللهم، اغفر لي إن شئت) قوله: «لا يقل أحدكم: اللهم، اغفر لي إن شئت، اللهم، ارحمني إن شئت؛ ليعزم المسألة؛ فإن الله لا مكره له» بخلاف العبد؛ فإنه قد يعطي السائل مسألته لحاجته إليه أو لخوفه أو رجائه فيعطيه مسألته وهو كاره، فاللائق بالسائل للمخلوق أن يعلّق حصول مسألته على مشيئة المسؤول، مخافة أن يعطيه وهو كاره بخلاف رب العالمين فإنه يعطي عبده ما أراده بفضله وكرمه وإحسانه، فالأدب مع الله ألا يعلق مسألته لربه بشيء لسعة فضله وإحسانه وجوده وكرمه، وفي الحديث: «ليعزم المسألة» وفي الحديث: «يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحّاء الليل والنهار» الحديث. قوله: ولمسلم: «وليعظم الرغبة في سؤاله ربَّه حاجته فإنه يعطي العظائم كرماً

وجوداً وإحساناً، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه» أي: ليس ما أعطى عبده مما سأله بعظيم عنده لكمال فضله وجوده، وقد قال بعض الشعراء في مخلوق يمدحه:

وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم

والله تعالى أحق بكل مدحة وثناء.

قوله: (باب لا يقول: عبدي وأمتي. في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقل أحدكم: أطعِم ربك، وضِّئ ربك، وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل أحدكم: عبديَ وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي).

هذه الألفاظ المنهي عنها وإن كانت تطلق لغة، فالنبي ﷺ نهى عنها تحقيقاً للتوحيد وسداً لذرائع الشرك؛ لما فيها من التشريك في اللفظ؛ لأن الله هو ربّ العباد جميعهم، فإذا أطلق على غيره ما يطلق عليه تعالى وقع الشبه في اللفظ، فينبغي أن يجتنب هذا اللفظ في حق المخلوق من ذلك، فأرشدهم ﷺ إلى ما يقوم مقام هذا اللفظ، وهو قوله: «سيدي ومولاي» وكذلك قوله: «لا يقل أحدكم: عبدي وأمتي»؛ لأن العبيد عبيد الله، والإماء إماء الله.

قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾ [مريم: ٩٣] الآية.

قوله: (باب لا يُرَدُّ من سأل بالله) ص٨١.

ظاهر الحديث النهي عن ردِّ السائل إذا سأل بالله، ويحتمل أن يكون المراد فيما لا مشقة فيه على المسؤول ولا ضرر، فيكون من باب مكارم الأخلاق ومعالي الشيم، وربما كان السائل محتاجاً أو مضطراً فيجب أن يعطي ما سأله، ويأثم المسؤول في منعه، فيؤخذ من ماله أضعاف ما منع على وجه يكرهه، فباعتبار هذه الأمور ينبغي لمن أعطاه الله نعمة أن يؤدي حق الله فيها، ويعطي من سأله من فضول نعمة الله عليه خصوصاً إذا سأل بالله تعالى؛ فيكون إعطاؤه تعظيماً لمن سأل به وهو الله تعالى.

قوله: (عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعو الله حتى تروا أنكم قد كافأتموه» رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح) قوله: «من استعاذ بالله فأعيذوه» تعظيماً لله تعالى وتقرباً إليه بذلك.

قوله: «ومن دعاكم فأجيبوه» هذا من حقوق المسلم على المسلم، ومن أسباب الألفة وسلامة الصدر وإكرام الداعي. قوله: «ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه» أي ينبغي المكافأة على المعروف، وهو من مكارم الأخلاق وفيه السلامة من البخل وما يذم به. قوله: «فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له» فيه أن الدعاء يقوم مقام المكافأة في حق من لم يجد ما يكافئ به. قوله: «حتى تُروا» بضم التاء أي: تظنوا، وفي رواية أبي نهيك عن ابن عباس: «من سألكم بوجه الله فأعطوه».

قوله: (باب لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة) ذكر فيه حديث جابر رواه أبوداود قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يسأل بوجه الله إلا الجنة» وهنا سؤال، وهو أنه قد ورد في دعاء النبي ﷺ عند مُنْصَرَفه من الطائف حين كذبته ثقيف دعا بالدعاء المأثور: «اللهم أشكو إليك ضَعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلُني، إلى بعيد يتجهمني، أو إلى عدو ملّكتَه أمري، إن لم يكن بك غَضب عليَّ فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن يحل عليَّ غضبك، أو ينزل بي سخطك، لك العقبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله» والحديث المروي في الأذكار: «اللهم، أنت أحق من ذُكر، وأحق من عُبد» وفي آخره: «أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له السموات والأرض» ونحوه في الأحاديث المرفوعة، فيحتمل أن هذا فيما يكرهه العبد لا فيما يحبه ويتمناه، ويحتمل غير هذا. والله أعلم.

قوله: (باب ماجاء في «اللو») أي: من الوعيد والنهي عنه عند الأمور المكروهة كالمصائب إذا جرى بها القدر ونحوها. قوله: (وقول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤] قاله بعض المنافقين يوم أحد لخوفهم وجزعهم وخَوَرهم. قال ابن إسحاق: فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير قال: قال الزبير: لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ حين اشتد عليناالخوف، أرسل الله علينا النوم، فما منّا رجل إلا ذقنه في صدره. قال: فوالله، إني لأسمع قول

معتب بن قشير ما أسمعه إلا كالحلم: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا فحفظتها منه، وفي ذلك أنزل الله عز وجل ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا﴾ لقول معتب رواه ابن أبي حاتم، وقال مجاهد: عن جابر بن عبد الله نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي، يعني أنه هو الذي قال ذلك.

قوله: (في الصحيح عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل؛ فإن (لو) تفتح عمل الشيطان») اختصر المصنف هذا الحديث وتمامه: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير» إلى آخره. قوله: «احرص على ما ينفعك» أي: في دنياك وأخراك، وخص ما ينفع دون ما ليس كذلك مما فيه ضرر أو عدم نفع، وذلك لا يخرج عن الواجب والمستحب والمباح إذا كان نافعاً. قوله: «واستعن بالله» لأنه لا يحصل له ذلك إلا إذا كان مستعينا بالله. قوله: «ولا تعجز» نهاه عن العجز؛ لأنه مما يذم به عقلاً وشرعاً، فما أكثر ذلك في الناس، فكم فَوَّت الإنسان على نفسه من الخير، وهو يقدر عليه إذا رغب فيه واستعان بالله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. قوله: «وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدرُ الله» لأن ما قدِّر يكون، فيجب الإيمان بالقدر والتسليم، وأرشده إلى أن يقول: «قدرُ الله»؛ أي: هذا قدر الله والمبتدأ محذوف وتقديره: «هذا قدر الله وما

شاء فعل» لأن أفعاله تعالى إنما تصدر عن حكمة وعلم وفضل وعدل ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] قوله: «فإن (لو) تفتح عمل الشيطان» أي: لما فيها من التأسف على ما فات والحزن، فيأثم في ذلك، وذلك من عمل الشيطان.

قوله: (باب النهي عن سب الريح. عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسبُّوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم، إنا نسألك خير هذه الريح وخير مافيهاوخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به» صححه الترمذي) لأن الريح خَلْق من خلق الله مدبَّر، وإنما تهب بمشيئة الله وقدرته، فيرجع السبُّ إلى من خلقها وسخرها، وأرشد النبي ﷺ أمته إلى أن يقولوا ما ذكره في الحديث وهو سؤاله تعالى خيرها وخير مافيها، والاستعاذة به من شرها وشر ما فيها، وقد شرع الله لعباده أن يسألوه ما ينفعهم، ويستعيذوا به من شر ما يضرهم، وأن يكون ذلك منهم عبودية لله وحده، وطاعة له وإيماناً به، وهذه حال أهل التوحيد والإيمان خلافاً لحال أهل الشرك والبدع.

قوله: (باب قول الله: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] وهذه الآية ذكرها الله تعالى في سياق قوله: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤] يعني: أهل الإيمان والثبات والتوكل الصادق، وهم الجازمون بأن الله تعالى ينصر رسوله الله وينجز مأموله ولهذا قال: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤] يعني: لا

يغشاهم النعاس من القلق والجزع والخوف ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] كما قال تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ [الفتح: ١٢] وهكذا هؤلاء اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة ظنوا أنها الفيصلة، وأن الإسلام قد باد وأهله، وهذا شأن أهل الريب والشك إذا حصل أمر من الأمور تحصل لهم هذه الأمور الشنيعة.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وقد فُسِّرَ هذا الظن الذي لا يليق بالله سبحانه بأنه لا ينصر رسوله، وأن أمره سَيَضْمَحِلّ. وفُسِّرَ بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته، ففسِّرَ بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله وأن يظهره على الدين كله هذا هو ظن السوء ﴿وعَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦].

قوله ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ قال ابن جرير في تفسيره: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾[الفتح:٦] أي: الظانين بالله أن لن ينصرك وأهل الإيمان بك على أعدائك، وأن يظهر كلمته فيجعلها العليا على كلمة الكافرين به، وذلك كان السوء من ظنونهم التي ذكرها الله في هذا الموضع. وقال ابن كثير: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦] أي يتهمون الله في حكمه، ويظنون بالرسول ﷺ وأصحابه أن يقتلوا ويذهبوا بالكلية؛ ولهذا قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ

السَّوْءِ﴾ وهذا الذي ظنَّه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا ظن السوء؛ لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمه وحمده ووعده الصادق.

فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ماجرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة فذلك ظن الذين كفروا ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧] وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وموجب حكمته وحمده، فليعْتَنِ اللبيب الناصح لنفسه بهذا، ولْيَتُبْ إلى الله ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء، ولو فتَّشْتَ من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فَمُسْتقِلٌّ ومُسْتكثِرٌ، وفتش نفسك، هل أنت سالم؟

فإن تنجُ منها تنجُ من ذي عظيمة   وإلا فإني لا إخالك ناجيا

قوله: (باب ما جاء في منكري القدر) أي: من الوعيد. قوله: «قال ابن عمر: والذي نفس ابن عمر بيده» حديث ابن عمر هذا أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من تكلم في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميدي حاجَّيْن أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفِّق الله لنا

عبد الله عمر داخلاً المسجد فاكتنفتُه أنا وصاحبي فظننت أن صاحبي سَيَكلُ الكلام إليّ، فقلت: أبا عبدالرحمن، إنه ظهر قبلنا أناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم، يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أُنف، فقال: إذا لقيت أولئك، فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم بُرآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحُد ذهباً فأنفقه، ماقبله الله منه حتى يؤمن بالقدر، ثم قال: حدَّثني عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: كُنَّا جلوسًا عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، ثم قال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام. قال: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا». قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدِّقه. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الساعة. قال: «ما المسؤول عنها بأعلمَ من السائل». قال: فأخبرني عن أماراتها. قال: «أن تلد الأَمَةُ ربَّتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشَّاء يتطاولون في البنيان». قال: فانطلق فلبثنا مليًا ثم قال: «يا عمر، أتدري من السائل؟». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «إنه جبريل، أتاكم يعلمكم أمر دينكم».

قوله: عن عبادة بن الصامت. حديثه هذا رواه أبو داود ورواه الإمام أحمد بكماله قال: حدثنا الحسن بن سوار حدثنا ليث عن معاوية عن أيوب بن زياد حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة حدثني أبي قال: دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت فقلت: يا أبتاه، أوصني واجتهد لي، قال: أجلسوني، ثم قال: يا بني، إنك لن تجد طعم الإيمان، ولن تبلغ حقيقة العلم حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، قلت: يا أبتاه، وكيف أعلم ما خير القدر وشره؟ قال: أن تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، يا بني، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة» يا بني، إن مت ولست على ذلك دخلت النار. رواه الترمذي بسنده المتصل إلى عطاء بن أبي رباح وفي هذا الحديث بيان شمول علم الله وإحاطته بما كان ويكون كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ الآية [الطلاق: ١٢]، والآيات في إثبات القدر كثيرة، وقد استدل العلماء على إثبات القدر بشمول القدرة والعلم كما في الآية. قال الإمام أحمد: القدر قدرة الرحمن. وقال بعض الأئمة في نُفَاة القدر: ناظروهم بالعلم فإن أقروا به خصموا، وإن جحدوه كفروا.

قوله: (وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي أبو بُسْر) بالسين المهملة والباء المضمومة، ويقال أبو بشر -بالشين المعجمة وكسر الباء- وبعضهم صحح الأول واسمه عبد الله بن فيروز، ولفظ أبي داود: قال: لو أن الله

عذَّب أهل سماواته وأهل أرضه لعذَّبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهبًا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو متَّ على غير هذا لكنت من أهل النار، فأتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت زيد بن ثابت قال: فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك وأخرجه ابن ماجة. وهذه الأحاديث وما في معناها حجة على نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم، ومن مذهبهم تخليد أهل المعاصي في النار، وهذا الذي اعتقدوه من أكبر الكبائر وأعظم البدع، وكثير منهم وافقوا الجهمية في نفي صفات الرب تعالى وتقدَّس.

قوله: (باب ما جاء في المصوِّرين) أي من الوعيد، وقد ذكر النبي ﷺ العلة وهي المضاهاة بخلق الله؛ لأن الله تعالى له الخلق والأمر فلا يجوز أن يُشَبَّه بشيء من خلقه سبحانه لما فيه من المضاهاة بخلق الله.

قوله: (ولمسلم عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: ألا تدع صورة إلا طمستَها، ولا قبراً مشرفًا إلا سوَّيتَه) قوله: عن أبي الهياج. هو الأسدي حيان بن حصين وعليّ هو أمير المؤمنين، قوله: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفًا إلا سويته. فهذا ما صح عن النبي ﷺ من إنكار هذه الأمور وإزالتها ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩] فأكثروا التصوير واستعملوه، وأكثروا البناء

على القبور وزخرفوها وجعلوها أوثانًا، وزعموه دينًا وهو أعظم المنكرات وأكبر السيئات؛ تعظيمًا للأموات وغلوًا، وعبادة لغير الله بأنواع العبادة التي هي حق الله على عباده. قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وما نهى عنه وما كان عليه أصحابه، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم رأى أحدهم مضادًا للآخر مناقضًا له بحيث لا يجتمعان أبدا.

قوله: (باب ما جاء في كثرة الحلف) أي: من النهي عنه والوعيد. وقوله الله تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩] قال ابن جرير: أي لا تتركوها بغير تكفير، وذكر غيره عن ابن عباس يريد: لا تحلفوا. وقال آخرون: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩] عن الحِنْث فلا تحنثوا والمعنى يعم القولين.

قوله: (عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب» أخرجاه) أي: البخاري ومسلم وخرَّجه أبو داود والنسائي. والمعنى: أنه قد يحلف على ثمن السلعة بزيادة على ما اشتُريت به أو سيمت به فيأخذها المشتري لظنه أنه صدق. وهذا وإن كان فيه زيادة فهو يمحق البركة كما جاء في الحديث، والواقع يشهد بصحته، فإن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته وإن تزخرفت الدنيا للعاصي فعاقبتها اضمحلال وذهاب.

قوله: (وعن سلمان أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكِّيهم ولهم عذاب أليم: أشَيْمط زانٍ، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته لا يشترى إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه» رواه الطبراني بسند

صحيح) وسلمان لعله سلمان الفارسي أبو عبد الله أسلم مقدم النبي ﷺ المدينة وشهد الخندق، روى عنه أبو عثمان النهدي وشرحبيل بن السمط وغيرهما، قال النبي ﷺ: «سلمان مِنَّا أهل البيت، إن الله يحب من أصحابي أربعة: عليًا، وأبا ذرٍّ، وسلمانَ، والمقداد» أخرجه الترمذي. توفي سلمان في خلافة عثمان. ويحتمل أنه سلمان بن عامر بن أوس الضبِّي.

قوله: «لا يكلمهم الله» هذا وعيد شديد في حقهم؛ لأنه قد تواتر أنه يكلِّم أهل الإيمان ويكلِّمونه في عرصات القيامة، والأدلة على ذلك في الكتاب والسنة أظهر شيء وأبينه، وفيه الرد على الجهمية والأشاعرة نفاة الكلام. قوله: «ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم» هذا من تمام العقوبة عليهم وفي هذا الوعيد الشديد ما يزجر من له عقل عن هذه الأعمال السيئة ونحوها.

قوله: «أشيمط زان» صَغَّره تحقيراً له؛ وذلك لأن داعي المعصية ضعَّف حقه، فدل على أن الحامل له على الزنا محبته المعصية والفجور وعدم خشيته لله، وكذلك العائل المستكبر ليس له ما يحمله على الكبر فدل على أنه خلق له فعظمت العقوبة في حقه لعدم الداعي إلى هذا الخُلق الذميم الذي هو من أكبر المعاصي. قوله: «ورجل جعل الله بضاعته» بنصب الاسم الشريف يعني اليمين بالله عز وجل، جعله بضاعة له لكثرة استعماله.

قـوله: «وفي الصـحيـح» أي: صـحيـح مـسلم، وخـرَّجـه أبو داود والتـرمـذي ورواه البخـاري بلفظ «خـيـركـم»[1] قـولـه: «عن عـمـران بن حـصين ـ رضي الله عنه ـ قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «خـيـر أمـتي قـرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» قـال عـمـران: فـلا أدري أذكـر بعـد قـرنه مـرتين أو ثلاثًا. «ثم إن بعـدكم قـوم[2] يشـهـدون ولا يسـتـشـهـدون، ويخـونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفـون، ويظهـر فـيـهم السِّـمَن» قوله: «خير أمتي قرني» لكثرة الخير فيهم وقلة الشر وشدة الإنكار على من خـالف الحق وابتـدع كـالخوارج والقـدرية والجـهـمـيـة ونحـوهم. «ثم الذين يلونهم» فُضِّلوا على من بعدهم لظهور الإسلام فيهم وكثرة العلم والعلماء، وأما القرن الثالث فظهرت فـيـهم البدع لكن أنكرها العلماء، وتصدَّى كثير منهم لإنكارها والرد على من قالها وهم كثيرون. قـوله: «فـلا أدري أذكـر بعـد قـرنه مـرتين أو ثلاثًا» هذا شك من راوي الحـديث عمران بن حصين، ثم ذكر ما وقع بعد الثلاثة من الجفاء في الدين وكثرة

(١) بل رواه باللفظين، فرواية: «خـيـر أمـتي أهل قـرني» إلخ في فـضـائل الـصـحـابة، ورواية: (خيركم) في عدة كتب منه.

(٢) قوله: (قوم) هو هكذا رواية لبعض رواة البخاري مخالفة لقواعد الإعراب والرواية المشهورة التي شرح عليها الشراح (إن بعدكم قومًا) بالنصب وحمل الحافظ ابن حجر رواية الرفع على احتمـال أن يكون من الناسخ على طريقة من لا يكتب الألف في المنصوب. وجوَّز العيني رفعه لفعل محذوف تقديره: يجيء قوم. وفي بعض روايات الصحيح (يجيء قوم) وفي بعضـهـا (يكون قوم) ولكن بدون ذكر (إن بعدكم) وجملة القول أن ما ذكره الشارح ليس غلطا منه ولا سبق قلم بل هو رواية. ونحن قد اعتمدنا في كتاب التوحيد الرواية الصحيحة قياسًا وهي رواية للنسائي.

الأهواء فقال: «ثم إن بعدكم قوم يشهدون ولا يستشهدون» لا ستخفافهم بأمر الشهادة وعدم تحرِّيهم الصدق، وكذلك لقلة دينهم وضعف إسلامهم. قوله: «ويخونون ولا يؤتمنون» يدل على أن الخيانة قد غلبت على كثير منهم أو أكثرهم. «وينذرون ولا يوفون» أي: لا يؤدون ماوجب عليهم، فظهور هذه الأعمال الذميمة يدل على ضعف إسلامهم وعدم إيمانهم، قوله: «ويظهر فيهم السِّمَن» لرغبتهم في الدنيا وشهواتها وقلة الإيمان باليوم الآخر، وفي حديث أنس: «لا يأتي على الناس زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم» قال أنس: سمعته من نبيكم ﷺ، فما زال الشر يزيد في الأمة حتى ظهر الشرك والبدع في كثير منهم حتى فيمن انتسب إلى العلم ويتصدر للتعليم والتصنيف، فحدث التفرق والاختلاف في الدين، وحدث الغلو في أهل البيت من بني بويه في المشرق لما كان لهم دولة وبنوا المساجد على القبور وغلوا في أربابها، وظهرت دولة القرامطة وظهر فيهم الكفر والإلحاد في شرائع الدين ومذهبهم معروف وظهر فيهم من البدع ما يطول عدُّه، وكثر الاختلاف والخوض في أصول الدين، وما زال أهل السنة على الحق ولكن كثرت البدع والأهواء حتى عاد المعروف منكراً والمنكر معروفاً، نشأ على هذا الصغير وهرم عليه الكبير.

قوله: (وفيه عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته») وفي هذا الحديث أن خير القرون ثلاثة من غير شك

قوله: «ثم يجيء قوم» . . . إلخ وذلك لضعف الإيمان والرغبة في الدنيا وأخذها بالقلوب وكثرة المعاصي والذنوب. قوله: «قال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار» هكذا حال السلف الصالح محافظة منهم على الدين الذي أكرمهم الله به، فلا يتركون شيئا مما يكره إلا أنكروه وفيه تمرين الصغار على دينهم بالتعليم.

قوله: (باب ماجاء في ذمة الله وذمة نبيه، وقول الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ الآية [النحل: ٩١]) ص٨٨.

قال العماد ابن كثير: وهذا مما يأمر الله تعالى به، وهو الوفاء بالعهود والمواثيق والمحافظة على الأيمان؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ قوله: ﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ هذه الأيمان المراد بها الداخلة في العهود والمواثيق لا الأيمان الواردة على حث أو منع. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ تهديد ووعيد. قوله: (عن بريدة) هو ابن الحصيب الأسلمي، وهذا الحديث من رواية ابنه سليمان عنه. قوله (كان[1] رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصَّاه بتقوى الله تعالى) فيه من الفقه تأمير الأمراء ووصيتهم. قال الحربي: السرية الخيل تبلغ أربعمائة ونحوها والجيش ما كان أكثر من ذلك وتقوى الله التحرُّز من عقوبته بطاعته. قوله: «ومن معه من المسلمين خيراً» أي: ووصَّاه بمن

(١) في كتاب التوحيد: (أن رسول الله ﷺ كان) إلخ ولعل ما ذكره الشارح رواية أخرى، وإلا فهو اختصار وقد تكرر مثله.

معه أن يفعل معهم خيراً من الرفق بهم والإحسان إليهم وخفض الجناح لهم وترك التعاظم عليهم. قوله: «اغزوا[1] باسم الله» أي: اشرعوا في الغزو مستعينين بالله مخلصين له، فتكون الباء في (باسم الله) للاستعانة بالله والتوكل عليه هنا. قوله: «قاتلوا من كفر بالله» هذا العموم يشمل جميع أهل الكفر المحاربين من أهل الكتاب وغيرهم واستثنى منهم من له عهد، وكذلك الذراري والأولاد والنساء والرهبان فلا يقتلون. قوله: «ولا تغلوا[2] ولاتغدروا ولا تمثلوا» الغلول الأخذ من الغنيمة من غير قسمتها. قال تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران:١٦١] والغدر نقض العهد، والتمثيل هنا التشويه بالقتل كقطع أنفه وأذنه والعبث به. قوله: «وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خلال -أو خصال- الرواية بـ(أو) التي هي للشك، والمعنى واحد. قوله «فأيَّتُهنَّ ما أجابوك فاقبل منهم وكُفَّ عنهم» منصوب بـ(أجابوا). قوله: «ثم ادعهم إلى الإسلام» كذا وقعت الرواية في جميع نسخ كتاب مسلم (ثم ادعهم) بزيادة (ثم). قوله: «ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين» يعني: المدينة إذ ذاك، وهذا يدل على أن الهجرة واجبة على كل من آمن وهو في بلد الشرك وكذلك إذا ظهرت المعاصي في بلدة نص عليه الفقهاء في كتبهم. قوله: «فإن هم أبوا أن يتحوَّلوا منها» يعني أن من أسلم ولم يجاهد ولم يهاجر من البداوة لم

---

(١) في المتن: فقال «أغزوا . . . إلخ».

(٢) في المتن «أغزوا ولا تغلو . . . إلخ».

يعط من الخمس ولا من الفيء شيء. قوله: «فإن هم أبوا فاسألهم الجزية» فيه حجة لمالك وأصحابه والأوزاعي في أخذ الجزية من كل كافر عربيًا كان أو غيره، كتابيًا كان أو غيره، وقد اختلف في القدر المفروض من الجزية، فقال مالك: أربعة دنانير على أهل الذهب وأربعون درهما على أهل الورق، وقال الشافعي: دينار على الغني والفقير، وقال أبو حنيفة: على الغني ثمانية وأربعون درهماً والوسط أربعة وعشرون درهماً والفقير اثنا عشر درهمًا وهو قول أحمد بن حنبل، وعند مالك وكافة العلماء على الرجال الأحرار البالغين دون غيرهم، وإنما تؤخذ ممن كان تحت قهر المسلمين لا ممن نأى بداره، ويجب تحويل النائي إلى بلاد المسلمين أو حربهم.

قوله: «إذا حاصرت أهل حصن» إلى آخره فيه حجة لمن يقول من الفقهاء وأهل الأصول: إن المصيب في مسائل الاجتهاد واحد، وهو المعروف من مذهب مالك وغيره. قوله: «وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه» الذمة: العهد، وتخفر: تنقض، يقال: أخفرت الرجل: نقضت عهده، وخفرته: أجرته؛ لأنه لا يؤمن على من أعطى ذمة أن يَخْفِرَها فخَفْر ذمته أهون من أن يخْفِرَ ذمة الله تعالى[1].

قوله: (ما جاء في الإقسام على الله) (ش) ذكر المصنف فيه حديث

(١) لم يشرح الشارح كل الحديث لوضوحه، فيراجع في ص ٨٩ من هذه المجموعة.

جندب بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عز وجل: من ذا الذي يتألّى عليَّ ألا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له وأحبطت عملك» رواه مسلم. قوله: «يتألى» أي: يحلف، والألِيَّة بالتشديد: الحلف. وصح من حديث أبي هريرة ورواه أبو داود عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كان رجلان من بني إسرائيل متواخيين فكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهد في العبادة فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول: أقْصِرْ، فوجده يومًا على ذنب فقال له: أقْصِرْ. فقال: خلِّني وربي، أبُعثتَ عليَّ رقيبًا؟ فقال: والله لا يغفر الله لكِ ولا يدخلك الجنة. فقبض أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالمًا أو على مافي يدي قادرًا؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار» قوله في حديث أبي هريرة: إن القائل رجل عابد، يشير إلى قوله في هذا الحديث: إن أحدهما مجتهد في العبادة، وفيه معنى قوله ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه».

قوله: (باب لا يستشفع بالله على خلقه) ص٩٠.

وذكر الحديث وسياق أبي داود أتم مما ذكره المصنف ولفظه: عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال: أتى النبي ﷺ

أعرابي فقال: يا رسول الله، جهدت الأنفس وضاع العيال ونهكت الأموال[1] فاستسق لنا فإنا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك. فقال النبي ﷺ: «ويْحَكَ أتدري ما تقول؟» وسبَّح رسول الله ﷺ فما زال يسِّبح حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: «وَيْحك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك، ويحك أتدري ما الله؟ إنَّ عرشه على سماواته كهكذا، وقال بأصبعه مثل القبة، وإنه لَيَئطُّ به أطيط الرحل بالراكب» قال ابن يسار في حديثه، الله فوق عرشه وعرشه فوق سماواته.

قوله: «ويحك» كلمة تقال للزجر. قوله: «أتدري ما الله؟» فيه إشارة إلى قلة علمه بعظمة الله وجلاله، قوله: «إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه»؛ لأن الأمر كله بيده تعالى ليس في يد المخلوق منه شيء لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع تعالى وتقدس، وفي هذا الحديث الرد على الجهمية وإثبات العلو، وهذا الحديث رواه أبو داود ورضيه على عادته فيما كان عنده صحيحًا أو حسنًا وسكت عليه[2]. وأما الاستشفاع بالرسول في حياته فإنما هو بدعائه ﷺ، ودعاؤه مستجاب، وأما بعد وفاته فلا يجوز الاستشفاع به كما تقدم تقريره في باب الشفاعة وما قبله، والله تعالى نهى عن اتخاذ الشفعاء في مواضع كثيرة من القرآن ونفاها في حق

---

(١) في أبي داود زيادة: «وهلكت الأنعام» فلعلها سقطت هنا من الناسخ سهوا.

(٢) بل تكلم أبو داود في سنده فخطَّأ بعض رواته في سياقه، وصوَّب من قال: إنه روى كتابه من نسخة وهب بن جرير لا تحديثا، وإن مداره فيها على محمد بن إسحق عن عنعنة لا سماعًا وأطال الشارح من الكلام في ذلك.

من سألها من غير الله.

قوله: (باب ماجاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسد طرق الشرك)ص٩١.

حمايته ﷺ حمى التوحيد عما يشوبه من الأقوال والأعمال التي يَضْمَحِلّ معها التوحيد أو ينقص، وقد اشتمل هذا الكتاب على اختصاره على أكثر ذلك والنهي عما ينافي التوحيد أو يضعفه، يعرف ذلك من تدبره وعرف ما تضمنه باباً بابًا، قوله في حديث أنس: إن ناسًا قالوا: يا رسول الله، يا خَيِّرنا وابن خيِّرنا وسيدنا وابن سيدنا، فقال: «أيها الناس، قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستهوينكم الشيطان» كره ذلك لئلا يكون وسيلة إلى الغلو فيه والإطراء كما تقدم في قوله: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله» وهذا من كمال نصحه للأمة وشفقته عليهم، حذَّرهم مما يكون ذريعة إلى الغلو فيه وقوله: «أنا محمد عبد الله ورسوله» فأعلى مراتب العبد هاتان الصفتان العبودية الخاصة والرسالة وللنبي ﷺ أكملهما، وقد أخبر تعالى أنه وملائكته يصلون عليه، وأمر أمته أن يصلوا عليه، وأثنى عليه بأحسن ثناء، وأبلغه، وشرح له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، فلا يذكر في الأذان والتشهد والخطب إلا ذكر معه صلوات الله وسلامه عليه.

وأما إطلاق (السيد) فقد ذكر ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في بدائع الفوائد ما نصه: اختلف العلماء في جواز إطلاق السيد على البشر،

فمنعه قوم، ونقل عن مالك، واحتجوا بقول النبي ﷺ لما قيل له: أنت سيدنا. قال: «السيد الله» وجوَّزه قوم واحتجوا بقول النبي ﷺ للأنصار: «قوموا إلى سيِّدكم» وهذا أصح من الحديث الأول.

قال هؤلاء: السيد أحد ما يضاف إليه فلا يقال للتميمي سيد كندة، ولا يقال للملك سيد البشر، قال: وعلى هذا فلا يجوز أن يطلق على الله هذا الاسم، وفي هذا نظر، فإن السيد إذا أطلق عليه تعالى فهو في منزلة الملك والمولى والرب لا بمعنى الذي يطلق على المخلوق انتهى. قلت فقد صح عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال في معنى قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ٢] إنه السيد الذي كمل فيه جميع أنواع السؤود. وقال أبو وائل: هو السيد الذي انتهى سؤدده.

قوله: (باب ما جاء في قوله الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الآية [الزمر: ٦٧])[1] أي من الأحاديث والآثار في معنى هذه الآية. قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى: ما قدر المشركون الله حق قدره حتى عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على كل شيء، المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهره وقدرته. قال السدِّي: ما عظَّموه حق عظمته، وقال محمد بن كعب: لو قدروه حق قدره ما كذبوه، وقد وردت أحاديث كثيرة تتعلق بهذه الآية، الطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف.

قوله: (عن ابن مسعود قال: جاء حَبْر من الأحبار إلى النبي ﷺ

(١) ص ٩٢.

فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على أصبع، والأرضين على أصبع، والشجر على أصبع، والماء على أصبع، والثرى على أصبع، وسائر الخلق على أصبع فيقول: أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ الآية [الزمر :٦٧] وهكذا رواه البخاري ومسلم والنسائي من طرق عن الأعمش به. وقال البخاري (ثنا) سعيد بن عفير قال: حدثنا الليث حدثني عبد الرحمن بن مسافر عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ وسلم يقول: «يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه فيقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟» تفرَّد به من هذا الوجه[1].

قوله: «ولمسلم عن ابن عمر مرفوعا «يطوي الله ـ عز وجل ـ السموات ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرض بشماله ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟» كذا في رواية مسلم قال الحميدي: وهي أتم.

قلت: وهذه الأحاديث وما في معناها وهي كثيرة جداً تدل على عظمة الله وكماله وعظيم قدرته، وفيها الرد على الجهمية والأشاعرة ونحوهم أيضاً، وكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله يدل على

(١) هذا السند صرح فيه أبو هريرة بالسماع وأخرجه البخاري في تفسير سورة الزمر وأخرجه بالعنعنة بغير هذا الإسناد في الرقاق والتوحيد. وأخرجه مسلم والنسائي وابن ماجة أيضًا.

كمال وعظمته وجلاله، وأن العبادة لا تصلح إلا له سبحانه وبحمده، لا يصلح منها شيء لملك مقرب ولا نبي مرسل ولا لمن دونهما، قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى: وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسوله ﷺ وكلام الصحابة والتابعين وكلام سائر الأئمة مملوء بما هو إما نص أو ظاهر أن الله تعالى فوق كل شيء، وأنه فوق العرش فوق السموات مستو على عرشه، وذكر ما يدل على ذلك من الكتاب والسنة، وقال الأوزاعي: كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة، وقال أبو عمر الطلمنكي في كتاب الأصول، أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله مستو على عرشه بذاته ذكره الذهبي في كتاب العلو، وقال أبو عمر الطلمنكي في هذا الكتاب أيضا: أجمع أهل السنة على أن الله تعالى استوى على عرشه بالحقيقة لا على المجاز ثم قال: في هذا الكتاب: أجمع المسلمون من أهل السنة أن معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] ونحو ذلك من القرآن أن ذلك علمه وأن الله فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء. هذا لفظه في كتابه، وقال الحافظ الذهبي: وأول مقالة سمعت مقالة من أنكر أن الله تعالى فوق العرش هو الجعد بن درهم وكذلك أنكر جميع الصفات فقتله خالد بن عبد الله القسري وقصته مشهورة، وأخذ هذه المقالة عنه الجهم بن صفوان إمام الجهمية فأظهرها واحتج لها بالشبهات وكان ذلك في آخر عصر التابعين فأنكر مقالته أئمة ذلك العصر مثل: الأوزاعي وأبي حنيفة ومالك والليث

ابن سعد والثوري وحماد بن زيد وحماد بن سلمه وابن المبارك ومن بعدهم من أئمة الهدى كالإمام أحمد وخلق من أهل السنة. قال الإمام الشافعي: لله أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل ونثبت هذه الصفات وننفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] إهـ فتح الباري.

قوله: (وعن العباس بن عبد المطلب) ساقه المصنف مختصراً، والذي في سنن أبي داود: عن العباس بن عبد المطلب قال: كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ فمرت بهم سحابة فنظر إليها فقال: «ما تسمون هذه؟» قالوا: السحاب قال: «والمزن» قالوا: و المزن. قال: «والعنان» قالوا: والعنان. قال أبو داود: لم أتقن العنان جداً قال: «هل تدرون ما بُعْد ما بين السماء والأرض؟» قالوا: لا ندري. قال: «إن بُعْد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ثم السماء فوقها كذلك -حتى عدَّ سبع سنوات- ثم فوق السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك. قال الحافظ الذهبي: رواه أبو داود بإسناد حسن، وروى الترمذي نحوه من حديث أبي هريرة وفيه: «بُعْد ما بين سماء إلى سماء خمسمائة عام»

قال: ولا منافاة بينهما؛ لأن تقدير ذلك بخمسمائة عام هو على سير القافلة مثلاً ونيف وسبعون سنة على سير البريد قلت: وهذا الحديث له شواهد في الصحيحين وغيرهما مع ما يدل عليه صريح القرآن؛ فلا عبرة بقول من ضعفه[1].

وقد ابتدأ المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ هذا المصنف العظيم ببيان توحيد الإلهية؛ لأن أكثر الأمة ممن تأخر قد جهلوا هذا التوحيد، وأتوا بما ينافيه من الشرك والتنديد، فقام ببيان التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ونهوهم عما كانوا عليه من الشرك المنافي لهذا التوحيد، فالدعوة إلى ذلك هي أهم الأمور وأوجبها لمن وفقه الله لفهمه وأعطاه القدرة على الدعوة إليه والجهاد لمن خالفه ممن أشرك بالله في عبادته، فقرر هذا التوحيد كما ترى في هذه الأبواب ثم ختم كتابه بتوحيد الأسماء والصفات؛ لأن أكثر العامة لم يكن لهم التفات إلى هذا العلم الذي خاض فيه من ينتسب إلى العلم، وأما من ينتسب إلى العلم فهم أخذوا عمن خاض في هذه العلوم، وأحسنوا الظن بأهل الكلام وظنوا أنهم على شيء فقبلوا ما وجدوه عنهم؛ فقرروا مذهب الجهمية وألحدوا في توحيد الأسماء والصفات، وخالفوا ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة وأئمة الحديث والتفسير من المتقدمين، ومازال أهل السنة متمسكين بذلك لكنهم قلوا، فهدى الله هذا الإمام إلى معرفة أنواع

---

(١) في حاشية الأصل ص ٩٣ و٩٤ بيان، قالوه في حديث أبي داود والترمذي فيراجع.

التوحيد فقررها بأدلتها، فلله الحمد على توفيقه وهدايته إلى الحق حين اشتدت غربة الإسلام فضل عنه من ضل من أهل القرى والأمصار وغيرهم وبالله التوفيق، فقد اجتمع في هذا المصنف أنواع التوحيد الثلاثة التي أشار إليها العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى بقوله:

والعلم أقسام ثلاث ما لها ... من رابع والحق ذو تبيان

علم بأوصاف الإله وفعله ... وكذلك الأسماء للرحمن

والأمر والنهي الذي هو دينه ... وجزاؤه يوم المعاد الثاني

وصلى الله على سيد المرسلين، وإمام المتقين، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليمًا كثيراً إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(تم الكتاب)

وقد كتب في آخره ما نصه:

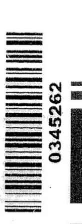
تم نسخ ذلك في رجب سنة ١٣٤٥ بلغ مقابلة وتصحيحًا على المشايخ الكرام الشيخ محمد بن عبد اللطيف والشيخ سليمان بن سحمان والشيخ عبد الله العنقري.

مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية

١٣١٩ - ١٤١٩هـ

جاءت فكرة الاحتفال بمناسبة مرور مائة عام على دخول الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود - يرحمه الله - مدينة الرياض . وتأسيس المملكة العربية السعودية : تأكيداً لاستمرار المنهج القويم والمبادئ السّامية التي قامت عليها المملكة . ورصداً لبعض الجهود المباركة التي قام بها المؤسس الملكُ عبدُالعزيز في سبيل توحيد المملكة : عرفاناً بفضله . ووفاءً بحقّه . وتسجيلاً لأبرز المكاسب والإنجازات الوطنية التي تحقّقت في عهده وعهد أبنائه خلال المائة عام . والتعريف بها للأجيال القادمة .

وما الأعمال العلمية التي تُصدرها الأمانة العامة للاحتفال بهذه المناسبة - وهذا الكتاب أحدها - إلا شواهد صادقة على نهضة هذه البلاد الزاهرة في ظل دوحة علم : أصولها ثابتة وفروعها نابتة . تولّى غرسها الملك المؤسس . وتعهّدها من بعده بنوه : فواصلوا رعايتها وعنُوا بخدمتها حتى عمَّ البلادَ خيرُها . وانتفع بها الجميع .



ردمك ٥ - ٠٩ - ٦٦٠ - ٩٩٦٠